الدِّيباجُ الوَضِيُّ

في الكَشفِ عن أسرارِ كلامِ الوصيّ

« شرح نهج البلاغة »

تأليف

الإمامُ المؤيَّد بالله

أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني

(٦٦٩ - ٧٤٩) هـ

تحقيق

خالد بن قاسم بن محمد المتوكل

إشراف

الأستاذ/ عبد السلام بن عباس الوجيه

المجلد الرابع

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

deltapress@terra.net.lb

deltapress@terra.net.lb

مكتبة ... النجف الاشرف

الديباج الوضي

الدِّيباج الوضيّ

في الكشف عن أسرار كلام الوصيّ

« شرح نهج البلاغة »

تأليف

الإمام المؤيد بالله

أبي الحسين يحيى بن حمزة بن علي الحسيني

(٦٦٩ - ٧٤٩) هـ

تحقيق

خالد بن قاسم بن محمد المتوكل

إشراف

الأستاذ / عبد السلام بن عباس الوجيه

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٤٥٢
التاريخ ٢٣/١١/٢٠٠٥

المجلد الرابع

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

تم الصف والإخراج بمركز النهاري للطباعة – صنعاء – الدائري العربي جوار الجامعة الجديدة

(ت:٧١١٦٠٧٣٤)

إخراج: خالد محمد عمر الزيلعي وعبد الحفيظ حسن النهاري

رقم الإيداع في دار الكتب الوطنية لعام ٢٠٠٣ م
(٢٢٤)

مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية

ص.ب. ١٥١٣٤ تلفون (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧٧)

فاكس (٠٠٩٦٧١-٢٠٥٧٧١) صنعاء - الجمهورية اليمنية

Website: www.izbacf.org ; email :info@izbacf.org

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

[اللَّهُمَّ عونك يا أكرم الأكرمين ولطفك[1]]

(١٧٠) ومن خطبة له عليه السلام في الوعظ

(انتفعوا ببيان الله): بالأدلة التي نصبها وقررها، فالأدلة العقلية دالة على وجوده وتوحيده والأدلة الشرعية دلالة[2] على المصالح والمفاسد من دينه.

(واتعظوا بمواعظ الله): التي جاءتكم في كتابه، وعلى ألسنة الرسل من إهلاك من سلف من القرون الماضية، والأمم الخالية، من أجل المخالفة بالعقوبات العظيمة، والنكالات الشديدة فاحذروا مثل حالهم.

(واقبلوا نصيحة الله): النصح: خلاف الغش، وأراد أنه تعالى بما قرر في العقول وأوضحه على ألسنة الرسل من الهداية إلى الخير، والتحذير من الشر كان في غاية النصح؛ إذ لا نصح أعظم من ذاك، ولا أبلغ.

(فإن الله تعالى قد أعذر إليكم بالجلية): بالغ في قطع المعذرة، والجلية

(١) سقط من (ب).
(٢) في (ب): دالة.

فعيلة وهو: الخبر اليقين، ومنه قولهم: جلّى لي الأمر إذا أوضحه.

(**واتخذ عليكم الحجة الواضحة**): الاتخاذ افتعال من الأخذ، يقال: أخذت عليه أن يفعل كذا أي ألزمته، وأراد أن الله تعالى ألزمهم الحجة الواضحة، وأظهرها لهم وبيّنها على ما أراد.

(**وبيّن لكم محابّه من الأعمال**): ما يحبه من الأفعال، فطلبه وأمركم بتحصيله من واجب أو مندوب.

(**ومكارهه منها**): والذي يكرهه من ذلك، فنهاكم عنه، وحذركم عن فعله من قبيح أو مكروه.

(**لتتبعوا هذه**) الإشارة إلى الأفعال المحبوبة.

(**وتجتنبوا هذه**): أي الأفعال المكروهة.

(**فإن رسول الله ﷺ كان يقول: «حفت[1] الجنة بالمكاره»**): أي أحيط حولها، («**والنار[2] حفت بالشهوات**»)[3]: أي أحيط حولها، وإنما أورد(عليه السلام) كلام الرسول ﷺ[4] بياناً لما ذكره من محابِّ الله ومكارهه، من الأعمال كلها، أي مما كان مكروهاً من الأعمال شاقاً فعله، فهو مما تطلب

(١) في شرح النهج: إن الجنة حفت ...إلخ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (ب): «وإن النار حفت....» إلخ، وكذا في شرح النهج.
(٣) أخرجه الإمام الموفق بالله(عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين ص٦٥ باب الزهد في الدنيا وهوانها على الله بسنده عن أنس، وانظر تخريجه هناك. وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٤٥/٤ وعزاه إلى مسلم في الجنة المقدمة١، وسنن الترمذي برقم(٢٥٥٩)، ومسند أحمد بن حنبل ٢٦٠/٢، ٣٠٨، وسنن الدارمي ٣٣٩/٢، وإتحاف السادة المتقين ٦٢٦/٨ وغيرها.
(٤) قوله: وسلم سقط من (أ).

به الجنة؛ لما يقع فيه من الثواب، وما كان مشتهى لذيذاً فعله فهو من هوى النفس ومرادها، وهو مما يورد النار لا محالة.

(**واعلموا أنه ما من طاعة الله شيء إلا يأتي في كره**): أراد أنه لا طاعة لله تعالى في أمر من الأمور إلا وتلحقها المشقة في فعل أو كف، فتكون تلك المشقة سبباً للثواب.

(**وما من معصية الله في[1] شيء إلا يأتي في شهوة**): يريد أن أكثر المعاصي كلها إيثار لهوى النفس، وهو من جملة ما يشتهى [ويودُّ][2]، فلا جرم كانت[3] المعاصي مشتهاة كما ذكر.

سؤال؛ كيف قال ها هنا: (إن الطاعة لا تأتي إلا في كره)، وقد يشتهي الإنسان فعل الصلاة، وقال: (إن المعصية لاتأتي إلا في شهوة) وقد يكون عاصياً بالظلم وفيه إتلاف النفس والتغرير بها في الهلاك؟

وجوابه؛ هو أن الغرض أن الطاعة لا تنفك عن الكراهة، والمعصية لاتنفك عن الشهوة، فالإنسان وإن اشتهى الطاعة في وجه، فالكراهة تتعلق بها من أوجه، وهكذا إنه وإن نفر عن المعصية من وجه فهي مشتهاة من أوجه أخر غير ذلك، ومراده من ذلك هو أن الطاعة غير منفكة عن الكراهة، وأن المعصية غير منفكة عن الشهوة، وهذا حاصل بما[4] قررناه.

(**فرحم الله رجلاً نزع من شهوة[5]**): هذا دعاء بفعل الرحمة،

(١) في، سقط من النهج.
(٢) سقط من (ب)، وقوله في (أ): يشتهى، في (ب): تشتهي.
(٣) في (ب): كان.
(٤) في (ب): ما.
(٥) في (ب): من شهوته، وفي شرح النهج: عن شهوته.

وهي اللطف، ونزع أي زال عن الشهوة وأقلع، من قولهم: فلان قد نزع عن فعل الشر.

(وقمع من هوى نفسه): قهر هوى نفسه، بالمخالفة له والزوال عنه.

(فإن هذه النفس أبعد شيء منتزعاً[1]**)**: يريد أنها بعيدة الانتزاع عمَّا يكون قبيحاً، وعمّا كانت تهواه إلا على من وفقه الله ورضيه؛ وذلك لأن النفس كثير ما تألف الهوى، والفطام عن المألوف عسير.

سؤال؛ ما هذه الفاء في قوله: (فإن هذه النفس)، وأراه لم يحذفها كما في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾[الحج:١] وغيرها؟

وجوابه؛ هو أن الفاء إنما أتى بها ها هنا إشعاراً بأن الجملة المتصلة بها، مباينة للجملة التي قبلها لا تعلق لها بها، فإذا كانت الجملتان قد أفرغتا في قالب واحد لم تأت الفاء[2] كا لآية.

(وإنها لا تزال تنزع إلى معصية): تتوق إليها، من قولهم: نفسه تنزع إلى وطنه إذا تاق إليه وتشوّق، ثم تلك المعصية حاصلة:

(في هوى): وفي هذا دلالة على أن مِلاك المعاصي وقاعدتها هو الهوى والانقياد لحكم النفس، فنعوذ بالله من غلبة الهوى واتباعه.

(واعلموا عباد الله): مفعولا العلم ها هنا محذوفان ظهوراً، وأن وما بعدها من تعلقاتها[3]، سادة مسدهما، وعبادالله منصوب على النداء.

(١) في شرح النهج: منزعاً.
(٢) في (ب): بالفاء.
(٣) في (ب): متعلقاتها.

(أن المؤمن لا يصبح ولا يمسي): أراد في جميع أحواله، وذكر الصباح والمساء لشمولهما وعمومهما لذلك.

(إلا ونفسه ظَنُونٌ عنده): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن المؤمن نفسه قليلة حقيرة عنده يقللها ويحقرها، من قولهم: بئرظنون إذا كانت قليلة الماء.

وثانيهما: أن يكون معناه أن المؤمن يسيء الظن بنفسه في رزقه وحال معيشته، فيظن أن قلة ماله ونقصان قدره من تقصيره في حق الله تعالى، من قولهم: رجل ظنون إذا كان يسيء الظن بنفسه.

(فلا يزال زارياً عليها): بتقديم الزاي على الراء، من زراه[1] إذا نقصه وعابه، ومنه الازدراء وهو: النقص.

(ومستزيداً لها): من الأعمال الصالحة، وفعل الخيرات.

(فكونوا كالسابقين قبلكم): يشير إما إلى الصحابة رضي الله عنهم، فإنهم بلغوا في الزهد في الدنيا الغاية، وإما أن يريد من كان قبلهم ممن زهد في الدنيا وأطرحها.

(والماضين أمامكم): ممن ذكرناه من هؤلاء، ويحتمل أن يكون مراده فأنتم صائرون إلى الموت وكائنون فيه لا محالة، كما كان من قبلكم من الأمم الماضية.

(قَوَّضوا من الدنيا): تفرَّقوا، من قولهم: تقوَّضت الصفوف إذا تفرَّقت وذهبت.

(١) في (ب): زاره، ولعل الصواب كما أثبته، والكلمة في (أ) غير واضحة.

(تقويض الراحل): بمنزلة من رحل عن مكان، فهو يقوّض رحله إلى مكان آخر.

(وطووها): انقضت فيها أعمارهم ساعة بعد ساعة، وشهراً بعد شهر، وعاماً بعد عام.

(طيّ المنازل): بمنزلة السَّفْرِ الذين يطوون سفرهم، فينزلون كل يوم في منزلة غير الأولى إلى أن ينقضي السفر.

(واعلموا أن هذا القرآن): يريد كتاب الله، وسمي قرآناً من أجل اجتماعه، يقال: قرأ الماء في الحوض إذا جمعه.

(هو الناصح): المعطي للنصيحة.

(الذي لا يغش): في نصيحته، يريد أن نصحه صِرْفٌ[1]، لا يخلط بغيره، ولا يمتزج به سواه.

(والهادي): لكل من اهتدى به إلى كل خير.

(الذي لا يضل): من اهتدى بهديه، وسلك منهاجه.

(والمُحدِّث): بالمواعظ الشافية، والقصص الصادقة.

(الذي لا يكذب): لا يدخل حديثه كذب، ولايتهم به كسائر غيره من الأحاديث.

(وما جالس أحد هذا القرآن): المجالسة هاهنا هي: المدارسة له، والنظر فيه والتفكر في عجائبه واستنهاض غرائبه، استعارة له من مجالسة الإنسان لغيره ومفاكهته له.

---

(١) صِرْف: أي خالص لا يشوبه شيء.

(إلا قام عنه بزيادة أو نقصان): الاستثناء ها هنا للتفريغ في الجُمَلِ، كقولك: ما جاء زيد إلا أكل وشرب، والغرض أن أحداً لا يفاكه[1] القرآن ويعتلق به بكثرة الدرس، إلا وأثمر له ثمرة زيادة أو نقصان.

(زيادة في هدى): الإقبال على الخيرات، والأعمال الصالحة، والفوائد العجيبة والحكم البالغة، والآداب النافعة في الدين والدنيا.

(أو نقصان من عمى): من جهة أن الإنسان إذا ازداد من شيء انتقص من نقيضه، فالإقبال على الآخرة هو زيادة من الهدى، ونقصان من العمى وهوالزيادة في الدنيا، والشغل[2] بها.

(واعلموا أنه ليس على أحد): من الخلق كلهم.

(بعد الفرقان[3] من فاقة): جوع إلى غيره لما فيه من الكفاية عمَّا سواه، والاستغناء به في جميع أموره الدينية والدنيوية.

(ولا لأحد قبل القرآن من غنى): أي الغنى منتفٍ عن كل أحد قبل نزول القرآن، وهذا يصدق قوله تعالى في وصف كتابه الكريم: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] وبأنه نور وشفاء، وأنه يهدي للتي هي أقوم والتي هي أحسن، وغير ذلك من الصفات.

(فاستشفوه من أدوائكم): أي اطلبوا منه[4] الشفاء من جهته، ومن عنده عمَّا يصيبكم من الأدواء وهي: الأمراض.

---

(١) أي يتمتع به، من قولهم: تفكه بالشيء إذا تمتع به.

(٢) في (ب): والاشتغال بها.

(٣) في نسخة وشرح النهج: القرآن.

(٤) منه، سقط من (ب).

(واستعينوا به على لأوائكم): أي واطلبوا منه الإعانة، على ما يعتريكم من الشدة في الأمور كلها.

(فإن فيه شفاء من أكبر الداء): أعظمه، وأكبره فساداً للدين.

(وهو الكفر): بالله والشرك به؛ لما تضمنه من الدلالة على التوحيد، وإبطال عبادة غيره، والرد عليهم في ذلك.

(والنفاق): وبما أكثر الله على المنافقين من الرد والاستهانة لأحوالهم، في غير آية لما فيه من البشاعة والسماجة[1].

(والغي والضلال): الغي بالغين بنقطة من أعلاها: خلاف الرشد، قال الله تعالى: **﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾**[البقرة:٢٥٦]، والضلال هو: الميل عن الحق، وأراد أن في القرآن سلامة من هذه الأمور كلها وبُعْداً عنها، والوقوف على مراد الله تعالى، وسلوك منهاجه.

(واسألوا[2] الله به): لمكان حرمته عنده، وحقه عليه.

(وتوجهوا إليه بحبه): اجعلوا محبة القرآن وجهة إلى الله في قضاء حوائجكم، أي اتخذوه وُصلة وذريعة إلى ذلك.

(ولا تسألوا به خلقه): لأمرين:

أما أولاً: فلأن ما يسأل به من جهتهم حقير من مطالب الدنيا، وقدره أعلى وأجلّ من ذلك.

(١) السماجة: القبح.
(٢) في شرح النهج: فاسألوا.

وأما ثانياً: فلأنهم لا يعرفون حقه، فلا ينبغي أن يسألوا به لجهلهم بحقه.

(إنه ما توجه العباد إلى الله بمثله): في جلالة القدر والحرمة، وعظم الموقع له عند الله، وفي هذا دلالة على شرفه على غيره من المخلوقات التي عظّمها الله تعالى وشرّفها، ورفع مكانها نحو الكعبة والسماء، والأرض، والطور، والبيت المعمور، وغير ذلك من الأمكنة المشرفة، والأزمنة المباركة، والأشباح الفاضلة.

(واعلموا أنه شافع): لمن استشفع به.

(مشفَّع): فيما شفع فيه.

(وقائل مصدَّق): فيما نطق به، فما شهد به فهو صدق، وما قاله وتضمنه فهو حق.

(وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة): برفع الدرجة والسلامة.

(شفّع فيه): كان مقبولاً فيما قاله، ونطق به.

(ومن محل به القرآن يوم القيامة): سعى به أوجادله، والمِحَالُ: الجدال، قال الله تعالى: **﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾**[الرعد:١٣].

(صُدّق عليه): كان ما قاله القرآن فهو الصدق لا محالة.

(فإنه ينادي [منادٍ][1] يوم القيامة): يعلن على رءوس الأشهاد:

(ألا إن كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله): ممتحن في كدّه وكدحه وسائر أعماله، تعرض له البلاوي والامتحانات كلها.

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(غير حرثة القرآن): إلا العاملين بالقرآن، وأهل الدرس له، والمسهرين لياليهم في تلاوة ألفاظه، فإنهم لا تلحقهم البلوى ولا تعتريهم الامتحانات، بل في أمان من ذلك، لا يخافون خوفاً ولايتصل بهم.

(فكونوا من حرثته): العاملين به والمتعبين لأنفسهم فيه.

(وأتباعه): والتابعين له في امتثال أوامره ونواهيه.

(واستدلوه على ربكم): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد استدلوا به على أحكام الله تعالى التي تعبدكم بها من الإيجاب، والتحليل والتحريم والندب، وغير ذلك مما شرعه لكم.

وثانيهما: أن يريد استدلوا بالأدلة التي قررها فيه على وجود الصانع وتوحيده، فإن الله تعالى قد رصف الأدلة في القرآن الدا لة على وجوده وتوحيده رصفاً، وبيَّنها فيه بياناً، لا تتسع له القوى البشرية، ولا تقدر عليه الفطن الآدمية، وهذا كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[آل عمران:١٩٠]، وهكذا ماقاله في سورة الروم في مثل قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً...﴾[النمل:٦١] إلى آخر هذه الآيات، فإن فيها دلالة باهرة على وجوده وإثباته، وهكذا ما ذكره الله تعالى في غير آية من ذلك، ولو ذهبنا نستقصي ذلك لطال الكلام فيه، ولم نقف له على غاية.

(واستنصحوه على أنفسكم): أي اطلبوا النصيحة منه، فهو دال عليها لأنفسكم.

(واتّهموا عليه آراءكم): أراد أنه إذا دلَّ على شيء، ودلَّت الآراء على خلافه ونقيضه فهو الدال على الصواب، وهي متهمة بالإضافة إليه؛ لكونه حقاً وغيره غير حق.

(واستغشّوا عليه[1] أهواءكم): أي أنه إذا دلَّ على شيء فهو صريح فيما دلَّ عليه، ودلالة الهوى فيما تدلُّ عليه مغشوشة، بالإضافة إليه.

(العمل العمل): أي الزموا العمل الصالح وافعلوه.

(ثم النهاية النهاية): وهي إما القيامة، وإما الموت، فاعملوا من أجل ذلك وبادروه.

(ثم الاستقامة الاستقامة): على الدين والتزام أحكامه.

(ثم الصبر الصبر): إما على البلاوي، وإما على التكليف وأحكامه، فإن الله مع الصابرين بالإعانة والتأييد والنصر.

(والورع الورع!): فإنه أساس الدين وقاعدة مهاده، وفي الحديث: «مِلاكُ الدين الورع»[2]، وفي حديث آخر: «لو صمتم حتى تكونوا كالأوتار، وصليتم حتى تكونوا كالحنايا، ما قَبِلَ ذلك[3] منكم إلا بورع حاجز»[4].

(١) في (ب): وشرح النهج: فيه، وفي نسخة: واغتشوا فيه (هامش في ب).

(٢) النهاية لابن الأثير ٣٥٨/٤، وقال في شرحه: الملاك بالكسر والفتح: قوام الشيء ونظامه، وما يعتمد عليه.

(٣) قوله: ذلك، سقط من (ب).

(٤) رواه من حديث السيد العلامة الهادي بن إبراهيم الوزير رحمه الله في هداية الراغبين ص٣٥٠ باختلاف يسير وتقديم وتأخير فيه، وذكر أنه حديث مشهور، ورواه الإمام المهدي لدين الله أحمد بن يحيى المرتضى (عليه السلام) في تكملة الأحكام ص١١٨ بلفظ: «لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، وتوفيتم ما بين الركن والمقام، ما نفعكم ذلك إلا بالورع، ألا وإن الدين الورع، ألا وإن الدين الورع، ألا وإن الدين الورع».

(إن لكم نهاية): غاية تنتهون إليها وتقفون عندها.

(فانتهوا إلى نهايتكم): أراد أن الإنسان مأخوذ عليه في تزكية نفسه، وتحصيل أسباب السعادة الأبدية، والزلفى عند الله وأن له نهاية من ذلك ينتهي عندها، فينبغي منه الاجتهاد حتى يبلغ إليها ويصل.

(وإن لكم علماً): أدلة واضحة على الدين والإسلام.

(فاهتدوا بعلمكم): فَأْتَمُّوا به من غير مخالفة له، وقد ورد مثل هذا عن الرسول (عليه السلام): «إنَّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم»[1].

(وإن للإسلام غاية): حداً لايكون الإنسان مسلماً إلا بإحرازه وتحصيله.

(فانتهوا إلى غايته): فصلوها وأحرزوها حتى تكونوا مسلمين.

(واخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقه): اعطوه ما أوجب عليكم من هذه الواجبات، من قولهم: خرجت إلى فلان من دَيْنِهِ إذا أوفيته إياه وهو مجاز هاهنا، ومن الأولى لابتداء الغاية، والثانية للتبعيض.

(وبيّن لكم من وظائفه): وهو ما قدَّره عليكم من هذه العبادات في اليوم والليلة، وسنَّ لكم من هذه السنن المشروعة، إما بالإضافة إلى الأيام والليالي كالسنن الرواتب للصلاة المفروضة، وإما بالإضافة إلى الأسابيع

---

(١) أخرجه من حديث الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص١٨، الحديث الرابع عن ابن عباس، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في خطبته: «أيها الناس؛ إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار».

في الأيام، نحو الغسل يوم الجمعة[1]، والصلاة المنقولة فيها[2]، وإما بالإضافة إلى الأعوام، نحو صلاة الرغائب في رجب، وصلاة الشعبانية[3]، وغير ذلك من الوظائف والتعبدات.

(أنا شاهد لكم): إما بالفوز والنجاة عند امتثال أوامري، والانكفاف عمَّا أنهى عنه، أو بالجنة على الله تعالى وتوفية أجوركم.

(وحجيج يوم القيامة عنكم): أدافع عنكم يوم القيامة إن قَبِلْتُم ما أقوله، واستمعتموه بوعي وإصغاء.

(ألا وإن القدر السابق قد وقع): أراد أن الأمور التي سبق

---

(١) وذلك للحديث المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغسل أفضل» رواه الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الاعتصام ١/٢٥٥، وعزاه إلى شرح التجريد للمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (عليه السلام)، بسنده عن أنس بن مالك، قال الإمام القاسم في تخريجه: وأخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، عن سمرة بن جندب بلفظه، وقد أورد الإمام القاسم في الاعتصام عدداً من الأدلة الدالة على مشروعية الغسل يوم الجمعة. (انظرها هناك).

(٢) وفي ذلك ما ذكره العلامة يحيى بن المهدي في الوسيلة ص٢٩-٣٠ فقال ما لفظه: أروي بالإسناد الصحيح عن علي قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «ما من عبد مؤمن قام يوم الجمعة إذا ارتفعت الشمس قدر رمح وأكثر، فتوضأ وأسبغ الوضوء، وصلى ركعتين إيماناً واحتساباً، كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة، فإن صلى أربع ركعات رفع الله له في الجنة أربعمائة درجة، فإن صلى ثمان رفع الله له ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها، فإن صلى اثني عشر كتب الله له ألفاً ومائتي حسنة، ومحا عنه ألفاً ومائتي سيئة، ورفع له في الجنة ألفاً ومائتي درجة». انتهى.

(٣) صلاة الشعبانية، هي من السنن المشروعة تُصَلَّى ليلة النصف من شعبان من كل سنة، وهي مائة ركعة بألف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، ويسلم في كل ركعتين، وقد ورد الحديث في فضلها، وهو ما أخرجه الإمام أبو طالب يحيى بن الحسين الهاروني (عليه السلام) في أماليه ص٢٩٨ بسنده عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «من صلى ليلة النصف من شعبان مائة ركعة بألف مرة قل هو الله أحد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب، ولم يمت حتى يرى مائة ملك يؤمِّنونه من عذاب الله، ثلاثون منهم يبشرونه بالجنة، وثلاثون كانوا يعصمونه من الشيطان، وثلاثون يستغفرون له آناء الليل والنهار، وعشرة يكيدون من كاده».

في علم الله تعالى(1) وقوعها في الأزمنة المستقبلة فما(2) هو كائن قد وقع، وأراد نبوة الرسول وما كان قد وقع من ذلك من الخلافة.

(والقضاء الماضي قد تورد): وما كان من الأقضية السابقة الأزلية من ذلك فقد حضر وقته، وغرضه من هذا هو أن ما كان من الأقدار المنتظرة، والأقضية الماضية، فهو كائن وواقع(3) لا محالة.

(وإني متكلم بعدة الله وحجته): مصرِّح بما وعد الله(4) أولياءه، وناطق بحجج الله على الخلق وموضحها لهم؛ لئلا يكون للخلق حجة على الله تعالى(5).

وفي بعض النسخ: **(وإني متكلم بعد الله)**: أي بعد ما تكلم الله بكلامه ومبلّغه إياكم.

وحجته أي وأنا حجة لله(6) تعالى على الخلق كما كان الرسول حجة على الخلق في إبلاغ ما يبلّغ من الشرائع والأحكام، ثم تلا (عليه السلام) عقيب كلامه قوله تعالى:

(﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾)[فصلت:30]: على ما أمروا به من الدين والتوحيد.

---

(1) تعالى، زيادة في (أ).
(2) في (ب): مما.
(3) في (ب): واقع.
(4) لفظ الجلالة، ليست في (ب).
(5) تعالى، سقط من (ب).
(6) في (ب): الله.

(﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾) [فصلت:30].

ثم قال:

(ولقد(1) قلتم: ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾): يريد أقررتم لله تعالى بالربوبية.

(فاستقيموا على كتابه): بتقرير أحكامه، والائتمار بأوامره، والوقوف على حدوده.

(وعلى منهاج أمره): الطريقة التي أمر بسلوكها.

(وعلى الطريقة الصالحة من عبادته): بإخلاص العبادة له، وإقامة أمر الديانة لوجهه.

(ثم لا تمرقوا منها): تخرجوا، من قولهم: مرق السهم من الرمية إذا جاوزها وخرج عنها.

(ولا تتبدعوا(2) فيها): تحدثوا(3) فيها أموراً لم تدل عليها السنة، ولا أوضحتها دلالة، ولا قام عليها برهان واضح.

(ولا تخالفوا عنها): تنازعوا فيها وتختلف آراؤكم من أجلها، والضمير للطريقة.

(فإن أهل المروق): الخارجين عن الدين.

---

(1) في (ب) وشرح النهج: وقد.
(2) في شرح النهج: ولا تبتدعوا.
(3) في (ب): ولا تحدثوا.

(منقطع بهم يوم القيامة): إما عن الجنة، وإما عن النجاة فيهلكون.

(عند الله): في علمه وحكمه.

(ثم إياكم وتهزيع الأخلاق وتصريفها): التهزيع: التكسير، تقول: هزعت الشيء إذا كسرته، والتهزيع أيضاً: الإسراع في المشي، يقال: مرَّ يهزع، وأراد ها هنا تبديل الأخلاق والتردد فيها، وفي الحديث: «نهى رسول الله[ﷺ][1] عن ذي الوجهين وذي اللسانين»، وتصريف الأخلاق: اختلافها، وكله مذموم في صاحبه.

(واجعلوا اللسان واحداً): في كل ما نطق به من غير مخالفة.

(وليختزن[2] الرجل لسانه): عن الكلام فيما لايعني، ولا يعود عليه بفائدة.

(فإن هذا اللسان جموح بصاحبه): أي غالب له، وتعديته بالباء تعويلاً على معناه؛ لأن المعنى أنه ذاهب بصاحبه إلى الأخطاروالمهالك؛ كالفرس الجموح الذي لا يملك راكبه رأسه فربما ألقاه في مهلكة.

(والله ما أرى عبداً يتقي بتقوى[3] حتى يختزن لسانه): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: يتقي بتقوى، فيكون ناجياً عند الله؛ حتى يختزن لسانه: يستره عن الكلام وكثرته فيما لا يجدي،

(١) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).
(٢) في شرح النهج: وليخزن.
(٣) في (ب): يتقي بتقوى تنفعه حتى...إلخ.، وكذا في شرح النهج إلا قوله هنا: (بتقوى) فيه: (تقوى).

وفي الحديث: «ألا وإن كلام العبد كله عليه لا له إلا ذكراً لله تعالى، أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر»[1].

(فإن لسان المؤمن من وراء قلبه): أي أن قلبه مالك له، وآخذ بحجزته[2].

(وإن قلب المنافق من وراء لسانه): مالك له، وآخذ بحجزته.

ثم فسر كلامه هذا بقوله:

(لأن المؤمن إذا أراد أن يتكلم بكلام): إذا همَّ بكلام وأراد أن ينطق به، فإنه:

(يدبّره[3] في نفسه): يكرره على فكره مرة بعد مرة، وساعة بعد ساعة، لا يمضيه إلا بفكر ونظر في عاقبته.

(فإن كان خيراً): مطابقاً للصلاح، موافقاً للدين.

(أبداه): أظهره وتكلّم به.

(وإن كان شراً): فيه مفسدة وخلاف للدين.

(واراه): ستره ولم يظهره ولا ينطق به.

(١) أخرجه من حديث عن ابن عمر الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص٢٢، الحديث التاسع، رواه الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين ص٥١١ عن عبيد بن عمير، عن أبي ذر بلفظ: ((كلام ابن آدم عليه لا له، إلا أمراً بمعروف، أو نهياً عن منكر، أو ذكراً لله)). (وانظر تخريجه هناك)، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف٦/٤٣٩، ومسند شمس الأخبار ١/٥٠٦-٥٠٧.
(٢) حجزة الإزار: معقده.
(٣) في شرح النهج: تدبّره.

(وإن المنافق): وهو الذي يظهر الدين ويكتم الكفر ولا يظهره، فهذه أمارة النفاق وعلامته، وعلى هذا كانت عادة المنافقين في أيام الرسول (عليه السلام) فإنهم كانوا يظهرون الإسلام على ألسنتهم، ويتكلمون بالشهادتين، وإذا[1] خلوا أظهروا ما يكتمونه من الكفر بالله، والجحدان لنبوة الرسول، وقد فضحهم الله تعالى في غير آية، وأظهر ما يكتمونه من ذلك، ولولم يكن من ذلك إلا ما تضمنته سورة التوبة لكان كافياً.

(يتكلم بما أتى على لسانه): عن وشيج[2] من غير تفكر، وتدبّر لعاقبته، ولكنه يرمي به[3] رمياً من غير فطانة وتثبت[4].

(لا يدري ما يقول): لا يعلم بقوله، ولا يتحقق حاله.

(وماذا له): فينطق به ويغتنمه.

(وماذا عليه): فيسكت عنه ويحجم، ولا يفوه به.

(وقد[5] قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[6]): فإيراده (عليه السلام) لهذا الحديث

---

(١) في (ب): فإذا.

(٢) أي عن قرب.

(٣) قوله: به، سقط من (أ).

(٤) في (ب): ولا تثبت.

(٥) في شرح النهج: ولقد.

(٦) الحديث بلفظ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤٠٦/٧، وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ١٩٨/٣، ومجمع الزوائد ٥٣/١، والدر المنثور للسيوطي ٢٢١/٢، وكنز العمال رقم (٢٤٩٢٥)، والترهيب والترغيب للمنذري ٥٢٧/٣، ٣٥٣ وغيرها، وهو بلفظ: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه» أخرجه الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ٣٠/١ بسنده من حديث عن الحسن البصري. و ص٣٦ من حديث عن قريش التميمي عن عبد الله.

من جهة الرسول، معتضداً به، مقوياً لكلامه به.

(فمن استطاع منكم أن يلقى الله سبحانه): يلاقيه يوم القيامة.

(وهو نقي الراحة من دماء المسلمين وأموالهم): سالماً عن قتلهم بغير حق، وأخذ أموالهم ظلماً وعدوانا.

(سليم اللسان عن[1] أعراضهم): في الغيبة، والنقص لهم في ذلك.

(فليفعل): فإنه أسلم لدينه، وأحمد لعاقبته عند الله تعالى.

(واعلموا عباد الله أن المؤمن يستحلُّ العام ما استحلَّ عاماً أول، ويحرِّم العام ما حرَّم عاماً أول)[2]: فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن المؤمن لما اعتقد أن الحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، فإنه لا يحدث في نفسه شيئاً مما يخالف ذلك، ولا يقبل ما أحدثه غيره.

وثانيهما: أن يكون كناية في حال المؤمن وهو أنه على حالة واحدة مستقيم على الطريقة المحمودة، لا يختلف حاله في أمر من الأمور. **(فقد جربتم الأمور وضرستموها)**: خبرتموها، وأحكمتم أمرها، ومنه قولهم: رجل مضرس إذاكان محكماً للتجارب.

(ووعظتم بمن كان قبلكم): من الأمم والقرون الخالية.

(وضربت لكم الأمثال): من أجل الا تعاظ بها، والتيقظ لأحوالها.

---

(١) في شرح النهج: من.

(٢) بعده في شرح النهج: (وأن ما أحدث الناس لا يحل لكم شيئاً مما حرم عليكم، ولكن الحلال ما أحل الله والحرام ما حرم الله).

(ودعيتم إلى الأمر الواضح): من التزام الدين، والرعاية لأحكامه وحدوده.

(فلا يصمُّ عن ذلك): يعرض عنه[1] كأنه لا يسمع، وبه صمم عن سماعه.

(إلا أصم): لا يسمع أبداً.

(ولا يعمى عن ذلك[2]): لوضوحه، واستقامته.

(إلا أعمى): مستحكم العمى.

(ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب): أراد أنه إذا لم يكن متيقظاً بما يوصله الله إليه من البلاوي، ويقرع سمعه من اختبار الأمور وتكريرها على أذنه.

(لم ينتفع بشيء من العظة): إما لأن التجارب أدخل في النفع، فإذا لم ينتفع بالأعلى لم يكن منتفعاً بالأدنى، وإما أن يريد أن التجارب إنما تكون من جهة نفسه، والموعظة من جهة غيره، ومن لم ينتفع بما يكون من نفسه لاختصاصه به لم ينتفع بما يكون من جهة الغير.

(وأتاه التقصير[3] من أمامه): مما[4] يكون مستقبلاً له في القيامة.

(حتى يعرف ما أنكر، وينكر ما عرف): يريد أنه إذا شاهد ذلك اليوم

---

(١) في (أ). عليه.
(٢) في شرح النهج: ولا يعمى عنه.
(٣) في (ب): النقص.
(٤) في (ب): ما.

وتحقق ما فيه من العظائم، وتحقيق الأحوال كلها، فإنه يعرف ما أنكره من المواعظ ومخالفة التجارب، وينكر ما عرف من التقصير والتفريط.

(والناس[1]): على كثرتهم واختلاف أجناسهم.

(رجلان:[2] متبع شرعة): طريقة، قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً﴾[المائدة:٤٨] أي طريقة[3] ينتهجها ويسلكها.

(ومبتدع بدعة): مخترعها ومنشئها.

(ليس معه من الله برهان سنة): يوضح ما هو عليه، وماجاءبه، ويكون دلالة عليها.

(ولا ضياء حجة): ولا حجة ظاهرة يستضيء بها.

(وإن الله لم يعظ أحداً قط[4]): بشيء من المواعظ الحسنة.

(بمثل هذا القرآن): لما فيه من البلاغ الظاهر، والوعظ الشافي الزاجر.

(فإنه حبل الله المتين): القوي الذي لا ينقطع من تمسك به، ولا يهي أمره.

(وسببه الأمين): الْوُصْلَةُ التي[5] بينه وبين الخلق، المؤتمن على كل أمر في أخباره وسائر أحواله وما دلّت عليه علومه.

---

(١) في (ب): وإنما الناس، وفي شرح النهج: فإن الناس.
(٢) في (ب): رجلان: رجل متبع...إلخ.
(٣) في (ب): أي طريقاً.
(٤) قط، سقط من (ب) وشرح النهج.
(٥) قوله: التي، سقط من (ب).

(وفيه ربيع القلب[1]**)**: لما كان الربيع هو خيار الأزمنة وأعلاها نفعاً، شبَّهه بها من أجل ذلك، يريد أنه بمنزلة الربيع للأرض[2] يحييها بالنبات، فهكذا القرآن تحيا به القلوب عن موت الجهل.

(وينابيع العلم): الواحد منها ينبوع وهو: عين الماء وأصله.

(ماء القلب[3]**)**: أي هو بمنزلة الماء للقلب، فكما أن الماء يحيا به كل شيء، فهكذا القرآن يحيا به كل جهل ويستقيم به كل معوج.

(جلاء غيره): من الشبهات كلها، وإنما جعله ماء للقلب وجلاء لغير القلب لما يختص الماء من الحياة، ولمكان موقعه منه، فلا جرم سماه ماءً للقلب، وجعله يحيا به، وما عداه فهو جلاء له كالأعمال وسائر التصرفات، فإن القرآن جلاء لها عن الرياء وإبعاد لها عن الشك، وغير ذلك من العاهات، فهذا على ما وصفته من حال القرآن، وما يختص به من هذه الفضائل.

(مع أنه قد ذهب المتذكرون): به لأمور الآخرة.

(وبقي الناسون): لأحكامه وعلومه.

(والمتناسون لها[4]**)**: فالناسي: هو الذي[5] يغفل التذكر، فيحصل النسيان من جهة الله تعالى عادة لإغفال أسباب التذكر، وأما المتناسي

(١) في نسخة: القلوب (هامش في ب).
(٢) في (ب): في الأرض.
(٣) في شرح النهج: وما للقلب جلاء غيره.
(٤) في شرح النهج: أو المتناسون، وقوله: لها، سقط من (ب) ومن شرح النهج.
(٥) قوله: الذي، سقط من (ب)، وقوله في (أ): يغفل، في (ب): يعقل.

فهو الذي ليس ناسياً وإنما ترك أحكامه عمداً وتساهلاً، فهو مثل الناسي في إهمالها وإطراحها.

سؤال؛ ما فائدة المعية هاهنا ومامعناها؟

وجوابه؛ هو أن فائد ة الكلام ومعناه هو أنه قد حصل هاهنا أمران:

اختصاص القرآن بحياة القلوب وجلاء الأبصار، وذهاب المتذكرين به، وفي ذلك عظم المحنة وتأكد البلوى.

(فإذا رأيتم خيراً فأعينوا عليه): نوعاً من أنواع الخيرفكونوا من الداعين إليه، والمعينين على فعله.

(وإذا رأيتم شراً فاذهبوا عنه): نوعاً من أنواع الشر وأسبابه وطرقه، فانصرفوا عن فعله والدعاء إليه، ثم حكى ما قاله الرسول (ﷺ) في ذلك، بقوله:

(فإن النبي (ﷺ) كان يقول: ((يا ابن آدم، اعمل الخير ودع الشر، فإذا أنت جواد قاصد)): يعني جيد الفعل، قاصد إلى الخير وإلى العمل به.

(ألا وإن الظلم ثلاثة): أراد الظلم فيما بين الخلق.

(ظلم[1] **لا يغفر، وظلم لايترك، وظلم مغفور لا يطلب)**: فهو على هذه الأقسام الثلاثة، ثم أخذ (ﷺ) في تفاصيلها بقوله:

(فأما الظلم الذي لا يغفر فالشرك بالله تعالى: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾[النساء:٤٨]**)**: ومراده بما قاله أنه

(١) في (ب): فظلم، وكذا في شرح النهج.

لا يغفر من دون توبة وهذا باتفاق المرجئة، وجميع من خالف في غفران الكبائر من دون التوبة، فإنه قد وافقنا على أن الشرك وسائر الخصال الكفرية لا تغفر إلا بالتوبة، وإنما الخلاف في الكبائر الفسقية الصادرة من أهل الصلاة هل تغفر من دون توبة أم لا؟ فعندنا وهو قول المعتزلة: إنها لا تغفر إلا بالتوبة، وعند سائر[1] فرق المرجئة: إنها مغفورة من دون توبة.

(**والظلم الذي لا يترك ظلم العباد بعضهم لبعض**[2]): فإن الله تعالى لا يغفره ولا بد من المؤاخذة عليه، وهذا نحو التظالم فيما بين الخلق في الأعراض والأموال، والغيبة والنميمة، وغير ذلك من المعاصي فإنه وإن تاب إلى الله في ذلك، فهي غير[3] مغفورة ولا بد من الاعتذار إلى المجني عليه، وذلك لأن للمعصية وجهين وجهتين:

فجهة كونها معصية لله تعالى وهذه تصح التوبة منها.

وجهة كونها إساءة وهذه[4] لا بد فيها من الاعتذار، ولا تكفي التوبة عن كونها معصية، بل لا بد من رفع جانب الإساءة بالاعتذار، فلهذا قال (عليه السلام): (ذنب لا يترك).

(**وأما الظلم الذي يغفر**): يريد من دون توبة.

(**فظلم العبد نفسه عند بعض الهَنَات**): واحدها هَنَةٌ، وأراد بالهنات

---

(١) قوله: سائر سقط من (ب).
(٢) في شرح النهج: وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً.
(٣) غير، سقط من (ب).
(٤) في (ب): فهذه.

الأشياء القبيحة، وغرضه من هذا جميع الصغائر فإنها مغفورة، وعقابها مكفَّر في جنب ما له من الثواب من دون توبة، ويجوز أن يكون مراده من ذلك كل ذنب لم يذكرالله تعالىفيه حداً ولاعقاباً، وهو الذي يقع فيه الإنسان الحين بعد الحين، وفي الحديث: «لا يزال المؤمن يواقع الذنب الفينة بعد الفينة»، فلا يبعد في هذه المعاصي أن يغفرها الله تعالى من دون توبة، وهذا هو المراد من قوله تعالى[1]: ﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ﴾[النجم:٣٢]، وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعاً عمّا قبله، وعلى هذا يكون معناه الذين لا يواقعون ما يعذبون عليه، لكن اللمم ربما صدر من جهتهم، فيغفره الله تعالى، ويجوز أن تكون إلا صفة ولا تكون استثناء، ويكون معناها كبائر الإثم غير اللمم، أو يكون عطف بيان على كبائر الإثم.

(**القصاص هناك شديد**): في غاية الصعوبة وقوله: هناك، إشارة إلى الأمكنة، وأراد موضع القيامة وحيث تكون المقاصة؛ لما فيه من التحفظ والمبالغة في العدل والاستيفاء، كما قال بعضهم: وأصعب ما فيه أن يعدل الحاكم.

(**ليس هو جرحاً بالمُدَى**): كما يكون في الدنيا، والضمير للقصاص، والمُدَى جمع مدية، وهي: السكين.

(**ولا ضرباً بالسياط**): فَيُضْرَب من ضَرَبَ، ويُجْرَح من جَرَحَ فيكون الحال فيه يسيراً.

---

(١) في (ب): من قوله تعالى في كبائر ... إلخ.

(ولكنه ما يستصغر ذلك معه): أي يكون صغيراً في جنبه وبالإضافة إليه، وأراد من ذلك هو المقاصّة بالأعواض وأخذها من الظالم، وتوفيرها على المظلوم؛ لأن الثواب يستحيل توفيره على من ليس من أهله، ولا يعقل هناك شيء سوى هذه الأعواض، وهذا هو رأي النظار من المتكلمين وعليه تعويلهم في ذلك، خلافاً لبعض الظاهرية من أهل الحديث زعموا أن المقاصَّة تكون بالثواب، وإنما قال: إنه يستصغر في جنبه غيره؛ لما فيه من فوات المنافع العظيمة على صاحبها، وتقليلها في حقه بتوفيرها على غيره قصاصاً، فلهذا يعظم فواتها عليه.

(فإياكم والتلون في دين الله): يريد الاختلاف فيه وإظهار شيء وإبطان غيره، وهو من قولهم: فلان يتلون ألواناً إذا كان لا يقف على خلق واحد.

(فإن جماعة فيما تكرهون من الحق): يعني أن الاجتماع على الحق وإن كان فيه مشقة وألم على النفوس:

(خير من فرقة فيما تحبون من الباطل): أي أقرب إلى الله وأعظم في الدين من الا فتراق وإن كان فيه سهولة على النفوس، ولذة لها، فإن الحق لا يزال مكروها منفراً إلى النفوس، والباطل لا يزال محبوباً مشتهى إلى النفوس.

(وإن الله لم يعط أحداً بفرقة خيراً): ثواباً في الآخرة، وتمكن بسطة في الدنيا.

(ممن مضى): من الأمم والقرون الماضية.

(ولا ممن بقي): ممن يأتي بعدكم، وممن هو الآن حاصل.

(يا أيها الناس): خطاب عام، ويجوز أن يكون لمن يخاطبه من أهل وقته.

(طوبى): فُعلى بضم الفاء من الطيب والواو فيها منقلبة عن ياء، لكنها قلبت واواً لانضمام ما قبلها، نحو مؤمن، فيقال، طوبى له وطوباه، ولا يقال: طوبية، قال الله تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[الرعد:٢٩] وقيل: هي شجرة في الجنة[١].

(لمن شغله عيبه عن عيوب الناس!): أي النظر في إصلاحه وعلاجه، عن أن يكون عائباً للناس مغتاباً لهم، كثير النقص لأحوالهم، وفي الحديث: «يرى أحدكم القذى في عين صاحبه، ولا يرى الجذع في عينه» وغرضه من ذلك هو أنه يستكثر عيب غيره ويستقل عيب نفسه.

(وطوبى لمن لزم بيته): وكفَّ عن الخروج إلى المعاصي ونقل الإقدام إلى الآثام، والسعي بين الناس والإغراء فيما بينهم.

(وأكل قوته): ما رزقه الله تعالى، ولم يخلطه بغيره مما يكون أكله مكروهاً.

(واشتغل بطاعة ربه): وكان مشغولاً بتأدية ما كلفه الله تعالى، وطلبه منه فعلاً أو كفاً.

(وبكى على خطيئته): خوفاً من عقابها، والوقوف بين يدي الله، والخزي عنده بارتكابها.

(وكان[٢] من نفسه في شغل): أي وكان شاغلاً لنفسه عن غيرها

(١) النهاية لابن الأثير ١٤١/٣.
(٢) في شرح النهج: فكان.

بالإقبال على ما هو عليه من إصلاح دينه ودنياه.

(والناس منه في راحة): في أعراضهم وأموالهم لا يتعرض لها، وفي الحديث: «المؤمن من نفسه في تعب، والناس منه في راحة»[1].

فانظر إلى عجيب هذه الخطبة، واشتمالها على هذه الرقائق، واحتوائها على مكنون هذه الحقائق، من المواعظ والآداب البالغة، وذكر حال الآخرة.

(١) له شاهد أخرجه الإمام المرشد بالله (ع) في الأمالي الخميسية ١/٣٩ بسنده من حديث عن أنس بن مالك بلفظ: ((إنما المؤمن الذي نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة))، ورواه في مسند شمس الأخبار ٢/٩ في الباب الحادي والمائة.

(١٧١) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا

(لا يشغله شأن): هو الأمر والحال، قال الله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[الرحمن:٢٩] ويختص بالأمور الهائلة، ولهذا فإن من يأكل لقمة لا يقال: هو في شأن، ويقال لمن يدبِّر أمر الخلافة والحروب: هو في شأن، وأراد أنه لا يشتغل بتدبير[1] أمر عمَّا سواه من الأموركلها.

(ولا يغيِّره زمان): يُخْلِقُه ويُذْهِب جِدَّته، كما يفعل بغيره من سائرالممكنات كلها بالإذهاب والإبطال لأحوالها.

(ولا يحويه[2] مكان): يحتوي عليه إذ لوكان محتوياً له[3] لكان حاصلاً فيه، وهذا إنما يكون في حق الأجسام، وهو تعالى منزَّه عن الجسمية وتوابعها من الكون في الأماكن، والحصول في الأحياز والجهات.

(ولا يصفه لسان): بالاحتواء على صفاته وحصرها والإحاطة بها.

(ولا يعزب عنه عدد): من الأعداد غير[4] المتناهية، لإحاطة علمه بها واشتماله عليها، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

(١) في (ب): بتدبر.
(٢) في (ب): ولا يحوزه.
(٣) في (ب): عليه.
(٤) قوله: غير سقط من (ب).

(قطر الماء): ما يفترق من أجزائه في الأرض.

(ولا نجوم السماء): في الإحاطة بأعدادها وكمياتها، واختلاف مطالعهاوجريها في أفلاكها، واختلاف سيرها.

(ولا سوافي الريح في الهواء): أراد إما ما تحمله في الترب وتسفي به في الهواء، وإما مجاريها واختلاف مهابها وعصفها، واشتداد هبوبها.

(ولادبيب النمل على الصفا): مدبُّ النمل ودبيبه هو: سيره، وكل ماشٍ على وجه الأرض فهو دابٌّ، وخص ذلك؛ لأنه يجري كثيراً في كتاب الله ذكر النملة، وعلى الألسنة، وإلافغي معلومات الله ما هو أخفى من سير النملة وأدقّ وأغمض، فسبحان من أحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً.

(ولا مقيل الذرة[1] في الليلة الظلماء): القائلة: هي الظهيرة، يقال: أتانا عند القائلة، يقال فيه: قال يَقِيْلُ قَيْلُوْلَةً وقَيْلاً ومَقِيلاًوهو خارج عن قياس بابه، وقياسه مقالاً أي يعلمها، ويجوز أن يريد بذلك موضع القائلة بها فيكون جارياً على القياس.

(يعلم مساقط الأوراق): أي كل ورقة تسقط من منبتها.

(وخفي طرف الأحداق): وما يخفى من تحريك الأجفان للعيون في لحظها.

(وأشهد أن لا إله إلا الله غير معدول به ولا مشكوك فيه[2]): انتصاب غير على الحال من اسم الله أي لا معدولاً به إلى غيره في الإلهية،

(١) في نسخة وشرح النهج: الذر.

(٢) قوله: : ولا مشكوك فيه، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام:١] والمعنى غير معدول أي غير مكفور، أو غير معدول لا يساوى به أحد غيره.

(ولا مكفور دينه): أي ولا هو مكفور دينه بالرد والإنكار.

(ولامجحود تكوينه): ولا مُنكر ما يكوِّنه ويُوجده، فسوى (عليه السلام) بين جحد الخلق وجحد الدين في أن الا عتراف بهما حق وأنه واجب، وفي هذا دلالة على إكفار من زعم أن إيجاد هذه المكونات العالمية بوسائط، وأن الله تعالى غير فاعل لهابنفسه، كالزروع والثمرات، وتكوين الأجنة، وغير ذلك من الآثار؛ لأن ظواهر الشرع ونصوصه دالّة على أن الله تعالى هو الفاعل لها والموجد.

(شهادة من صدقت نيته): في جميع ما يفعله من الواجبات، والأمور المقربة إلى الله تعالى.

(وصفت دُخلته): الدخلة بضم الفاء هي: باطن الأمر وسره، يقال: أنا عالم بدُخلته أي باطن سره وأمره، وأراد شهادة من صفا باطن أمره.

(وخلص يقينه): عن الشك والارتياب، أي فيما كان متيقناًله من علوم الدين .

(وثقلت موازينه): بأعمال الخير في القيامة.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله): المجعول عبداً لله ومرسلاً من جهته.

(المجتبى من خلائقه): بالرسالة والاصطفاء.

(والمعتام): بالعين المهملة المختار، ومنه العيمة[1] وهي: خيار المال وأنفسه.

(لشرح حقائقه): من أجل إيضاح الحقائق الدينية، والحكم الدنيوية.

(والمختص بعقائل كراماته[2]): العقيلة من كل شيء: أكرمه وخياره، وأراد أن الله تعالى خصَّه إما بأعظم المعجزات وهو القرآن فإنه باقٍ على مر الدهور، وإما بأنفس الكرامات وهو بعثه للمقام[3] المحمود، وإعطاؤه الشفاعة، كل ذلك من بين سائر الأنبياء يختص به.

(والمصطفى لكرائم رسالاته): أعظمها وأعلاها.

(والموضحة به أعلام[4] الهدى): طرقه ومناهجه.

(والمجلو به غِرْبيبُ العمى): أي شديد السواد ومعظمه.

---

(١) في (ب): وفيه العتمة، وهو تصحيف.

(٢) في (ب): كرامته.

(٣) في (ب): المقام. وقوله: (وهو بعثه للمقام المحمود) هو إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[الإسراء: ٧٩]، قال العلامة الزمخشري في تفسير ذلك في الكشاف٢/٦٤٢ ما لفظه: ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه، وكل من رآه وعرفه، وهو مطلق في كل ما يجب الحمد من أنواع الكرامات، وقيل: المراد الشفاعة، وهي نوع واحد مما يتناوله، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: مقام يحمدك فيه الأولون والآخرون، وتتشرف فيه على جميع الخلائق، تسأل فتعطى، وتشفع فتشفع، ليس أحد إلا تحت لوائك، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ: ((هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي))، وعن حذيفة: يجمع الناس في صعيد واحد، فلا تتكلم نفس، فأول مدعو محمد ﷺ فيقول: ((لبيك وسعديك والشر ليس إليك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك، تباركت وتعاليت، سبحانك رب البيت)) قال: فهذا قوله: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾. انتهى ما ذكره في الكشاف.

(٤) في نسخة وشرح النهج: أشراط الهدى.

(أيها الناس، إن الدنيا تغر المؤمّل لها): تخدع الراجي لها بالأماني الكاذبة والزخارف الباطلة.

(المخلد[1] إليها): الراكن عليها، من قولهم: أخلد إليه إذا ركن واطمأن، قال الله[2] تعالى: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾[الأعراف:١٧٦].

(ولا تَنْفَسُ مِن[3] نافس فيها): أي ولا ترفه، من التنفيس وهو: الترفيه على من نافس فيها، أي رغب.

(وتَغْلِبُ): تقهر بالموت والفناء.

(على من غلب عليها): من حازها وملك فيها.

(وايم الله): جمع يمين، أي وايمن الله قسمي.

(ما كان قوم قط في غض نعمة من عيش): أي في نعمة وعافية، وأمن ولذة.

(فزال عنهم): ذلك النعيم بشيء من الأسباب[4].

(إلا بذنوب اجترحوها): بمعاصي اكتسبوها، وفعلوها وشغلوا نفوسهم بها، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الأنفال:٥٣] بفعل السيئات، وارتكاب المعاصي المهلكة؛

---

(١) في شرح النهج: والمخلد.

(٢) قوله: الله زيادة في (ب).

(٣) في شرح النهج: بمن.

(٤) في (ب): الأشياء.

(لأن الله ليس بظلام للعبيد): أراد أنه إذا أعطاهم هذه النعم، فلا وجه لسلبها منهم من غير جريمة؛ لأن الداعي إلى الإحسان حاصل وهو: التفضل بالجود، فلولا ما ذكره من هذه المعاصي وارتكابها لما كان لنزعها وجه لما[1] ذكرناه.

(ولو أن الناس حين تنزل بهم النقم): العذاب الشديد بأخذ النفوس، واجتياح الأموال، وغير ذلك من النقمات.

(وتزول عنهم النعم): ما خوَّلهم الله وأعطاهم من عظائم النعم كلها.

(فزعوا إلى الله[2]): لجأوا إلى الله تعالى، وأنابوا إليه.

(بصدق من نياتهم): الباء ها هنا للحال، أي صادقين فيما نووه وتقربوا به إليه.

(ووله من قلوبهم): حيرة وذهول فيما ألم بهم من ذلك.

(لرد الله عليهم): مما[3] سلبه منهم، وأوصل إليهم.

(كل شارد): كل ما ذهب عنهم من تلك النعم.

(وأصلح لهم كل فاسد): من أمورهم وأحوالهم.

(واني لأخشى عليكم): أخاف وأشفق.

(أن تكونوا في فترة): ضعف ووهن في عقائدكم، وأحوال دينكم كلها.

---

(١) في (ب): كما.

(٢) في نسخة: ربهم (هامش في ب)، وكذا في شرح النهج.

(٣) في (ب): ما.

(وقد كانت أمور قد مضت): تقدم حالها.

(ملتم فيها ميلة): عن الحق وعدلتم عنه عدولاً ظاهراً.

(كنتم فيها غير محمودين عندي[1]): غير مشكورين لمخالفتكم الحق فيها، وميلكم إلى سواه.

(ولئن رد الله عليكم[2] أمركم إنكم لسعداء): فيه وجهان:

أحدهما: ما كان منهم من الإعراض عن خلافته، وتولية غيره[3] ممن سلف من الخلفاء الراشدين كأبي بكر وعمر، وغرضه بقوله: (ولئن ردَّ الله عليكم أمركم) بولايتي وأن أكون إماماً لكم، إنكم لسعداء: بما يحصل لكم من الفوز والنجاة بسبب هدايتي لكم، وبياني لما التبس عليكم من أمور دينكم.

وثانيهما: أن يريد ما كان منهم من أمر الحكمين وميلهم عنه بترك الحرب معه، وكان رأيه ذلك[4]، فهاتان ميلتان عليه هم غير محمودين فيهما لمخالفتهما للأدلة الظاهرة، على خلاف ما مالوا إليه وزعموه.

(وما عليَّ إلا الجُهْدُ): في السياسة لكم، والإصلاح لأموركم، والتصبر على مشاقكم كلها.

---

(١) في شرح النهج: كنتم فيها عندي غير محمودين، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٢) في شرح النهج: ولئن رُدَّ عليكم أمركم.

(٣) في (أ): غيرهم.

(٤) في (ب): وكان رأيه غير ذلك.

(ولـو أشـاء أن أقـول لقلـت): مـن الشـكوى وإظهـار العتـاب بمـا كـان من جهتكـم مـن التسهيل في حقي وإيثـار غـيري بمـا كنـت أولى بـه منه وأحق.

(عفا الله عما سلف): تقدم ومضى من تلك الجرائم.

ولقد كان (عليه السلام) صابراً لله محتسباً فيما أصابه لوجه الله تعالى[من المكاره العظيمة، والمشاق الشـديدة الصعبة، تقرباً إلى الله تعالى][1]، وطلباً لنيل الزلفة عند الله بإصلاح خلقه.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(١٧٢) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها من تقدم من القرون الماضية

روي عن نوف البِكالي[1] بالنون، وبكال: قبيلة من حمير وهو رجل من أصحابه، قال: خطبنا أمير المؤمنين بهذه الخطبة وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة[2] المخزومي[3]، وعليه مِدْرَعَةٌ[4] من صوف، وحمائل سيفه من ليف، وفي رجليه نعلان من ليف؛ وكأن جبهته[5] ثفنة بعير[6]، فقال:

(الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق): مصائر جمع مصير وهو: المرجع

(١) هو نوف بن فضالة الحميري البكالي، أبو زيد أو أبو رشيد، المتوفى بعد سنة٩٥هـ، أحد العلماء الأعلام، وأحد رجال الحديث، وهو من أصحاب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ومن خواصه، يروي عن أمير المؤمنين، وأبي أيوب، وثوبان وغيرهم، وعنه شهر بن حوشب، وأبو عمران الجوني، وسعيد بن جبير وغيرهم، خرّج له البخاري، ومسلم في قصة موسى والخضر. (معجم رجال الاعتبار ص٤٤٧).

(٢) في (ب): هريرة، وهو تحريف.

(٣) هو جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران، المخزومي، ابن أخت أمير المؤمنين (عليه السلام)، أمه أم هانئ بنت أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، وكان جعدة فارساً شجاعاً فقيهاً، وولي خراسان لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الفتح مع أمه أم هانئ بنت أبي طالب، وهرب أبو هبيرة بن أبي وهب ذلك اليوم هو وعبد الله بن الزّبعرى إلى نجران. (شرح ابن أبي الحديد ١٠/٧٧).

(٤) المدرعة: الجبة.

(٥) في شرح النهج: جبينه.

(٦) ثفنة البعير: واحدة ثفناته، هو ما يقع على الأرض من أعضائه إذا استناخ فيغلظ ويكثف كالركبتين.

وهو مصدر صار يصير، وقياسه مصار ولكنه خرج عن قياس بابه، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[إبراهيم:٣٠].

(وعواقب الأمر): آخر كل شيء، كما قال تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[الشورى:٥٣] وقال تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[لقمان:٢٢][1] وكأنه يشير في كلامه هذا إلى ما ذكره الله تعالى في الآيتين.

(نحمده على عظيم إحسانه): الذي لاغاية إلا وقد بلغها في العظم.

(ونيّر برهانه): الذي هوالغاية في الوضوح والإنارة.

(ونوامي فضله وامتنانه): نما الشيء إذا زاد، وأراد ما لا ينفك عن الزيادة في الإعطاء والزيادة.

(حمداً يكون لحقه قضاءً): لما يستحقه من المدح والثناء.

(ولشكره أداء): ولما يستحقه من الشكر تأدية.

(والى ثوابه مقرباً): أي وليكون سبباً للقرب من نيل الثواب وأخذه؛ لأن بالحمد يستحق الثواب العظيم من جهة الله تعالى.

(ولحسن مزيده موجباً): أي وليكون موجباً للزيادة الحسنة من مزيده.

(ونستعين به استعانة راج لفضله): ونطلب[2] الإعانة من جهته طلب من يرجو الفضل من أجل ذلك.

(مؤمل لنفعه): في جميع الأحوال كلها.

---

(١) الآية في (ب): ﴿ولله عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ وهي في سورة الحج الآية رقم ٤١، والآية التي في (أ) هي في سورة لقمان الآية رقم ٢٢ كما هو موضح في النص.

(٢) في (ب): أي ونطلب.

(واثق بدفعه): للشرور المصائب كلها.

(معترف له بالطول): الإحسان على الخلق.

(مذعن له بالعمل والقول): خاضع له ذليل من أجل ما يختص به من الاقتدار والبطش والقهر والا ستيلاء، بالعبادات كلها، ما كان منها قولاً، وما كان منها عملاً، فإنها إنما تُؤدّى على جهة الخضوع والإذعان، والانقياد لحكم الله وأمره.

(ونؤمن به إيماناً من رجاه موقناً): ونصدِّق به تصديق من رجاه، قاطعاً في رجائه له.

(وأناب إليه مؤمناً): ورجع إليه مصدقاًبه.

(وخنع له مذعناً): الخنوع هو: الذل والخضوع والإذعان أيضاً، وهي أمور متقاربة المعاني، ويقال: اخنعتني إليك حاجة أي أخضعتني، قال الأعشى:

هُـمُ الْخَضَـارِمُ إِنْ غَـابُوا وَإِنْ شَـهِدُوا

ولا يُـرَوْنَ إِلَـى جَـارَاتِهِـم خُنَّـعا[1]

ذلاً ومهانة.

(وأخلص له موحداً): إذ لا إخلاص من دون توحيد.

(وعظّمه ممجداً): التمجيد هو: نوع من التعظيم.

---

(١) لسان العرب ٩١٣/١.

(ولاذ به راغباً[1]): أي لجأ إليه في أموره كلها، ورغب في الشيء إذا أراده وواظب على فعله، وهذه الصفات كلها منصوبة على الحال من الضمير قبلها وهي كالمؤكدة للجملة السابقة لها، ألاتراها كيف هي محققة لما تقدمها من الجمل، كقوله: (خنع له مذعناً) والإذعان هو: الخنوع، ونحو قوله: (عظمه ممجداً) لأن التمجيد هو ضرب منه، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً﴾[البقرة:٩١] وكقولك[2]: جاء زيد يضحك[3] متهللاً وجهه، وجاء زيد يسير يخطو بقدميه، إلى غير ذلك من الأحوال التي تكون بياناً لما سبقها[4] من الجمل.

(لم يولد سبحانه): تحتمله البطون كسائر ما حمل به في البطون.

(فيكون في العز مشاركاً): لأنه إذا كان مولوداً كان له أب، فأبوه سابق عليه باستحقاق العز قبله فيكونان على هذا شريكين في العز، وقد تقرر بالبراهين العقلية أنه لاثاني له في العز فبطل أن يقال: بأنه مولود.

(ولم يلد فيكون موروثاً): لأنه إذا كان له أولاد فهم يرثونه لا محالة بعد موته، لأن هذا حكم من كان له أولاد، وإذا كان تعالى دائم الوجود استحال كونه[5] موروثاً لبطلان فنائه وعدمه.

(هالكاً): يريد ميتاً؛ لأن الموت هلاك لامحالة.

---

(١) في شرح النهج: راغباً مجتهداً.
(٢) في (ب): وكقوله.
(٣) في (ب): فضحك.
(٤) في (ب): يسبقها.
(٥) في (ب): استحال أن يكون.

(ولم يتقدمه وقت ولا زمان): لأن الوقت والزمان عبارة عن حركة الشمس والقمر، وهما حادثان بلا مرية، وهو تعالى لاأول لوجوده فلهذا بطل تقدمهما عليه[1].

(ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان): يختلفان عليه، والمعاورة هي: التعاقب والاختلاف، يقال: الليل والنهار يتعاوران أي يختلفان.

(بل): إضراب عمّا ذكره من هذه الأحوال.

(ظهر للعقول): تجلّى لها وبان.

(بما أرانا من علامات التدبير المتقن): الشواهد القائمة على إحكامه، وتدبيره وإتقانه لهذه المكونات في العالم الحيوانات كلها، وسائر النباتات والثمرات، وغير ذلك مما يظهر فيه الإحكام والاتساق في عجيب تأليفه، وظهور منفعته في العالم.

(والقضاء المبرم): أبرم الأمر إذا أحكمه وأتمه، وأراد وما[2] أبرم من الأ قضية النازلة من السماء، من الإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، والقبض والبسط، والأمرو النهي، والقبول والرد ﴿أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٥٤].

(فمن شواهد خلقه): فمن الأدلة الشاهدة على وجوده وتوحيده جميع ما خلق وأتقن، ومن أعظم ذلك:

(خلق السماوات موطدات) مثبتات، من قولهم: وطّد الأمر إذا أثبته.

---

(١) في (ب): تقدمها.
(٢) في (ب): ما، بغير واو.

(بلا عمد): من غير عمد تقيمها على عظم انبساطها، وسعة دورها.

(قائمات) مستويات.

(بلا سند): تكون معتمدة عليه في استقامتها.

(دعاهن): حيث قال تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾[فصلت:١١].

(فأجبن طائعات): حيث قال[١]: ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[فصلت:١١].

(مذعنات): خاضعات لأمره وحكمه.

(غير متلكئات): متثاقلات عن أمره.

(ولا مبطئات[٢]): من أبطأ في أمره إذا تأنّى فيه وتأخّر عن تحصيله وإيجاده.

(ولولا إقرارهنّ له بالربوبية): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون ذلك على جهة المجاز، فلظهور الدلالة فيهنّ على الربوبية، كأنهنّ يصرّحن بالربوبية وينطقن بها.

وثانيهما: أن يكون من رآهنّ أقرّ بها ونطق، ونسب الإقرار إليهنّ تجوُّزاً واستعارة.

(وإذعانهن[٣]): خضوعهن.

---

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: قالتا.

(٢) في (ب): ولا متبطئآت.

(٣) في شرح النهج: وإذعانهن له.

(بالطواعية): هي: الطاعة[١] والانقياد لأمره، كالكراهية من الكراهة.

(لما جعلهنّ موضعاً لعرشه): مكاناً ومستقراً.

(ولا مسكناً لملائكته): يسكنون فيها، ويستقرون عليها للعبادة.

(ولا مصعداً للكلم الطيب): التسبيح والتحميد، وأنواع الذكر والتلاوة للكتاب ودرسه.

(والعمل الصالح من خلقه): وبالأعمال الصالحة المقصود بها وجه الله تعالى، فلم تكن أهلاً لما ذكره من هذه الفضائل، إلا لمكان ما حصل منها من الإقرار بالتوحيد له وإذعانها بالربوبية.

اللّهُمَّ، نوِّر قلوبنا بالإيمان بك، وارفع درجاتنا بالاعتراف بتوحيدك.

(جعل نجومها أعلاماً): دلالات ظاهرة.

(يستدل بها الحَيْرَان): المتحيِّر في طريقه عن السلوك.

(في مختلف فجاج الأقطار): حيث يختلفون في واسعات الطرق وفجاجها، والأقطار جمع قطر وهي: جوانب الأرض ونواحيها.

(لم يمنع ضوء نورها): يكفّه ويحجبه:

(اذلِهْمَامُ سجفِ الليل المظلم[٢]): السُّجُفُ: الستر، وادلهمَّ الليل إذا أظلم، وأراد أن أنوارها لا تقدر لقلتها على كفّ ظلمة الليل، ومنع أستاره عن الإظلام.

---

(١) في (ب): بالطاعة.

(٢) المظلم، زيادة في شرح النهج.

(ولا استطاعت جلابيب): واحدها جلباب، وهو: ضرب من الثياب.

(سواد الحنادس): الحندس: شدة الظلام.

(أن ترد ما شاع في السماوات من تلألؤ نور القمر): تلألأ البرق إذا لمع، وأراد أن ظلمة الليل وسواده، لا تكفّ نور القمر الذاهب المنبسط في السماوات كلها، فحاصل كلامه أن أنوار النجوم ودراريها لا تكفّ ظلمة الليل ثم تكون غالبة لها، فإن الظلمة في الليل لا تقدر على كفّ نور القمر، بل يكون هو الغالب لها والقاهر لظلامه.

(فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج) الغسق: الظلمة، ودجا الليل إذا اشتدت ظلمته أيضاً، وغرضه أنه لا تخفى على علمه[1] خافية في شدة ظلام الليل وغسقه.

(ولا ليل ساج): سجا الليل إذا سكن بما فيه.

(في بقاع الأرضين): أماكنها، ومواضع مستقراتها.

(المتطأطئات) الطأطأ من الأرض: هو ما انهبط[2] وكان منخفضاً، وطأطأ رأسه إذا خفضه، والأرضين: جمع أرض، وقياسها أرضات؛ لأنها مؤنثة، ولكنهم جمعوها بالواو والنون عوضاً عمّا حذف منها من التاء، كما جمعوا ما حذف لامه بالواو والنون نحو: قلون وثبون، وفتحوا الراء في أرضون لئلا يظن أنه جمع سلامة على التحقيق[3]، والبقاع بالقاف: جمع بقعة وهي القطعة من الأرض.

---

(١) في (ب): لاتخفى عليه خافية.
(٢) في (ب): ما انخفض.
(٣) في نسخة: على التخفيف (هامش في ب).

(ولا في يفاع السُّفع المتجاورات): اليَفَاعُ بالفاء: ما ارتفع وعلا، و[1]السُّفعة بالضم وبالسين بثلاث من أسفلها: هي سواد مشرب بحمرة، ويقال للحمامة: سفعاء لما في عينها من ذلك اللون، والمتجاورات: التي يتلو بعضها بعضاً في التلاصق.

(وما يتجلجل به الرعد) الجلجلة: هي صوت الرعد.

(في أفق السماء): جانبها ونواحيها.

(وما تلاشت عليه[2] بروق الغمام): اشتملت عليه من السحاب المتراكم.

(وما تسقط من ورقة): تزول عن مغرزها ومستقرها.

(تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء): العصف: اشتداد هبوب الريح، والأنواء: جمع نوء، وهو مهموز يكون عبارة عن سقوط نجم من المنازل القمرية في المغرب مع الفجر، وطلوع رقيبه من المشرق يقابله من ساعته في كل ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة ما خلا جبهة الأسد فإن لها في منزلتها[3] أربعة عشر يوماً[4]، قال أبو عبيد: ولم يسمع في النوء أنه سقوط إلا في هذا الموضع، وكانت العرب تضيف الأمطار، والرياح، والحر، والبرد إلى الساقط منها[5]، وقال الأصمعي: إلى الطالع منها في سلطانه.

---

(١) الواو، زيادة في (ب).
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: عنه.
(٣) في (ب): في مقر منزلتها.
(٤) مختار الصحاح ص٦٨٤، ولسان العرب ٣/٧٣٦.
(٥) لسان العرب ٣/٧٣٦.

(وانهطال السماء): سكبها للماء.

(ويعلم مسقط القطرة): زمان سقوطها، ومكان سقوطها، ونفس سقوطها، وعلى أي حالة تكون، وهو بفتح القاف في ذلك كله.

(ومقرها): مكان استقرارها من الأرض في جبل، أوشجر، أو مدر.

(ومسحب الذرة ومجرّها): مكان ما تسحبه وتجرُّه من أرزاقها.

(وما يكفي البعوضة من قوتها) البعوضة: ذباب وقد مرَّ تفسيره، والقوت: ما يقتاته الإنسان[1] من أنواع الرزق.

(وما تحمل من أنثى[2] في بطنها): من الأجنة على اختلاف أحوالها.

(والحمد لله الكائن): تكرير للحمد، ومبالغة في ذكره في أول الصدر من الخطبة ووسطها وآخرها، الكائن: أي الثابت:

(قبل أن يكون كرسي، أو سماء، أو أرض، أو عرش، أو جان، أو إنس): يعني أن الله تعالى كائن وموجود قبل وجود هذه الأشياء كلها، وإنما خصَّها بالذكر؛ لأنها هي أعظم المخلوقات وأكبرها؛ لأنها كلها حادثة بعد أن لم تكن، وهو تعالى أزلي الوجود لا أول له، ولا نهاية لوجوده.

(لا يدرك بوهم): يريد أن حقيقته بعيدة عن الأوهام من أن تدركها.

(ولا يقدّر بفهم): أي ولا يطلع على حقيقة ذاته فهم من الأفهام كلها على اختلافها.

---

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: الحيوان. تمت.

(٢) في شرح النهج: الأنثى.

(ولا يشغله سائل): بسؤاله وإن عظم وكثر.

(ولا ينقصه نائل): النائل هو: النول وهو: العطاء.

(ولا يدرك[1] بعين): بحاسة بصر.

(ولا يُحدُّ بأين): بجهة من الجهات ولامكان من الأمكنة، فيكون حاصراً له محيطاً به.

(ولا يوصف بالأزواج): أي لا يقال: له زوج؛ لأن الأزواج هي الأنواع، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾[يس:٣٦] وهي متجانسة، والله تعالى لا يشبهه شيء من الأشياء فيكون زوجاً لها، وقال تعالى: ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾[ق:٧].

(ولا يخلُقُ بعلاج): يوجد المخلوقات كلها بمعالجة[2] لها وأدوات وآلات، وإنما هو الاختراع والتكوين من غير آلة.

(ولا يدرك بالحواس): رؤية، ولمساً، وشماً، ومذاقاً، وسمعاً؛ لأن هذه الحواس إنما تدرك بها الأشباح الجسمية، والأمور العرضية، ولقد تهالك في الحمق وأغرق في الوقاحة من قال من الأشعرية: إن الله تعالى مدرك بهذه الحواس كلها.

(ولا يقاس بالناس): في شيء من أحوالهم كلها؛ لأجل المباينة والمخالفة الكلية.

---

(١) في شرح النهج: ولا ينظر.

(٢) في (ب): بعلاج.

(الذي كلّم موسى تكليما): يريد من غير واسطة، بل خلق الكلام، وسمعه موسى من غير وساطة أحد من الملائكة، وكانت هذه خاصة لموسى (عليه السلام).

(وأراه من آياته عظيماً): نحو العصا، وفلق البحر، واليد البيضاء وغير ذلك من المعجزات الباهرة.

(بلا جوارح): الباء هذه متعلقة بقوله: وكلّم الله، بلا جوارح أي من غير آلة للكلام.

سؤال؛ إذا كانت الباء متعلقة بقوله: كلّم، فكيف جاز العطف قبل تمام الموصول بذكرمتعلقاته، وقد عطف بقوله: وأراه قبل التمام؟

وجوابه؛ هو أن قوله: وأراه، عطف على الصلة لاغير، والمحذور عند النحاة إنما هو العطف على الموصول قبل تمامه بذكر متعلقاته، فأما العطف على الصلة فهذا جائز، كقولك: الذي مررت به وقام ضاحكاً زيد، ويكون ضاحكاً حال من الضمير في به، وإنما الممتنع الذي مررت به، والذي جاءني ضاحكاً زيد على أن يكون ضاحكاً حالٌ[1] من المجرور؛ لأنه عطف على الموصول قبل التمام بمتعلقاته.

(ولا أدوات) الأداة: هي الآلة في كل شيء كاليد للكتابة، والرجل للمشي، واللسان للكلام.

(ولا نطق): ولا لسان ينطق به.

(١) في (ب): حالاً.

(ولا لهوات): جمع لهاة، وهي: المضغة المطبقة في أقصى سقف الفم.

(بل): إضراب عمّا ذكره أولاً من أنه لا يوصف بهذه الصفات.

(إن كنت صادقاً أيها المتكلف لوصف ربك): في وصف الله تعالى[1] وبلوغ كُنْهِ حقيقة ذاته، وغاية صفاته.

(فصف جبريل): على عظم خلقه، وشدة قوته وبطشه، وما أعطاه الله من القوة.

(أو ميكائيل): وهو من حملة العرش، المخلوق للرحمة والرأفة.

(وجنود الملائكة المقرّبين): من رحمة الله ورأفته، وكريم منزلته، وعظيم الزلفة عنده.

(في حجرات القدس مُرْجَحنّين): مواضع العظمة والتقديس والجلال، وارجحن إذا اهتز، وأراد أنهم مهتزون لما أعطاهم الله من الكرامة، وجلال العظمة لخوفه وعبادته.

(متولهة قلوبهم[2]): متحيرة عقولهم، وذاهلة أفهامهم وحلومهم.

(عن أن يحدوا أحسن الخالقين): يقفوا على كُنْهِ حده، ونهاية حقيقته، وهذا كله إفحام لمن يزعم أنه يعرف حقيقة ذات الله، وأنه مطلع عليها، وقد مرَّ هذا الكلام بغير هذه العبارة، وحاصله إذا كنت يا هذا عاجزاً عن وصف بعض المخلوقات المكونة، وذاهلاً عن تكييفها، ومعرفة حقائقها، فكيف حال الخالق لها، أنت عن ذاك أبعد!

(١) تعالى، سقط من (أ).
(٢) في شرح النهج: عقولهم.

(وإنما يدرك بالصفات ذو[1] الهيئات): يريد وإنما تكون الطريق إلى معرفة الشيء بصفاته من كان ذا هيئة بشكل مخصوص، ولون مخصوص من الأجسام.

(والأدوات): ومن كان يختص بالآلة في فعله لشيء من الأفعال، فأما من كان على خلاف هذه الحالة فلا يمكن الوصول إلى كُنْهِ حقيقته.

(ومن ينقضي إذا بلغ أمد حدّه بالفناء): ومن يكون زائلاً إذا بلغ مقدار أجله في الحياة بالموت والزوال، وهو الجسم.

(فلا إله إلا هو): يريد أنه إنما يستحق الإلهية والانفراد بالوحدانية لمكان تميّزه عن هذه الأشخاص، ومخالفة هذه الأجسام، ولهذا جاءت الفاء دالة على أن استحقاقه للإلهية كالمسبب عمّا[2] ذكره من اختصاصه بالصفات العالية، فجاء بالفاء دالاً بها على ذلك.

(أضاء بنوره كل ظلام، وأظلم بظلمته كل نور): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد هذه الأنوار، فإن الشمس والقمر إذا طلعتا أضاء بهما كل مظلم من أماكن الدنيا، وإذا غربتا ذهبت الأنوار كلها وبطلت وتلاشت، فقد أنار بهما كل ظلام عند طلوعهما، وأظلم عند غروبهما[3] كل نور.

وثانيهما: أن يكون ذلك على جهة التجوّز والاستعارة في السعادة والشقاوة، فيكون النور عبارة عن سعادة الآخرة والفوز بها،

(١) في شرح النهج: ذوو.
(٢) في (ب): على.
(٣) في (ب): بغروبهما.

وتكون الظلمة عبارة عن الشقاوة، وعلى هذا يكون معناه أنه أسعد بنور الهداية إلى الدين من كان مظلماً بسواد الكفر بالألطاف الخفية والتوفيقات المصلحية، وأظلم بسواد الكفر بالخذلان له من كان مضيئاً بأنوار الإيمان ردة وجحوداً وعناداً.

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): واعلم أنه[1] إنما كرر الوصية بالتقوى في كثير من خطبه ومواعظه لما كانت التقوى جوهراً شريفاً، وعِقْداً نفيساً، وقد أثنى الله تعالى على أهل التقوى في غير آية من كتابه، فمرة بإعطاء الجنة، كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣]، ومرة بالمصاحبة والمعية، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[النحل:١٢٨]، وتارة قبول الهداية، كقوله تعالى: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة:٢]، ومرة بالتذكر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا﴾[الأعراف:٢٠١] إلى غيرذلك من الآيات الدالة على علو شأنهم، وارتفاع قدرهم ومكانهم، وأنهم قد فازوا بالنجاح والهداية والصلاح.

(الذي ألبسكم الرِّياش): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون حقيقة فيما تناوله، أي أفضل اللباس وأعلاه.

وثانيهما: أن يكون مجازاً، وأراد ما ألبسهم من الإيمان بالله ورسوله، وهدايتهم إلى ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾[الأعراف:٢٦].

(وأسبغ عليكم المعَاش): أعطاكم ما تأكلون من جميع الطيبات، كما قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾[لقمان:٢٠] أي أكملها.

(١) أنه، سقط من (ب).

(ولو أن أحداً يجد إلى البقاء سلماً): يصعد به إليه فيكون دائماً خالداً في الدنيا.

(أو لدفع الموت سبباً[1]): وُصْلَة يتوصل بها إلى إزالته.

(لكان ذلك سليمان بن داود [(عليه السلام)][2]): فإن الله تعالى أعطاه ملكاً عظيماً كما قال: ﴿مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[ص:٣٥].

وحكي أن معسكره كان مائة فرسخ في مائة فرسخ، فمنها خمسة وعشرون للجن، وخمسة وعشرون للإنس، وخمسة وعشرون للطير، وخمسة وعشرون للوحوش، وكان له ألف بيت من قوارير، فيها ثلاث مائة منكوحة وسبعمائة سرية[3]، وعلّمه الله تعالى منطق الطير، وهو مايفهم بعضه من بعض من مقاصدها وأغراضها.

وحكي أنه مرَّ ببلبل في شجرة يحرِّك رأسه ويميل ذَنَبَهُ، فقال لأصحابه: تدرون ما يقول؟ فقالوا: الله ونبيه أعلم، قال[4]: يقول: أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء، وصاحت فاختة[5] فأخبر أنها تقول: ليت ذا الخلق لم يخلقوا، وصاح طاؤوس، فقال: يقول: كما تدين تدان، وصاح هدهد، فقال: يقول: استغفروا الله يا مذنبون[6]، وصاح خُطّاف[7]،

(١) في شرح النهج: سبيلاً.
(٢) زيادة في شرح النهج.
(٣) الكشاف ٣/٣٥٩، والسرية: الجارية..
(٤) في (ب): فقال.
(٥) الفاختة: ضرب من الحمام المُطَوَّق إذا مشى توسَّع في مشيه وباعد بين جناحيه وإبطيه وتمايل، جمعه: فواخت. (المعجم الوسيط ٢/٦٧٦).
(٦) في الكشاف: يا مذنبين.
(٧) الخطّاف: طائر أسود.

فقال: يقول: قدموا خيراً تجدوه، وصاحت رخمة، فقال: تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه[1] وأرضه، وصاح قمري[2]، فأخبر أنه يقول: سبحان ربي الأعلى، وقالت الحدأ: كل شيء هالك إلا الله، والقطاة: من سكت سلم، وقال الديك: اذكروا الله يا غافلون[3]، وقال النسر: يا ابن آدم، عش ما شئت فآخرك الموت، وقال العُقاب[4]: في البعد من الناس أنس، وقالت الضفدع: سبحان ربي القدوس، إلى غير ذلك من مراداتها وكلاماتها[5]، ولهذا جعله من أعظم التفضلات وأكرم المنن[6]؛ حيث قال: ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[النمل:١٦].

(الذي سخر له ملك الجن والإنس): كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾[النمل:١٧] فكانوا يعملون له أنواعاً من الصناعات، كما قال تعالى[7]: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾[سبأ:١٣].

ويحكى أن الجن نسجت له بساطاً من ذهب وإبريسم فرسخاً في فرسخ -يريد مقداره- وكان يوضع[8] منبره في وسطه وهو من ذهب، فيقعد عليه

(١) في (ب): سمواته.
(٢) القمري: ضرب من الحمام مطوّق حسن الصوت (المرجع السابق ٢/٧٥٨).
(٣) في الكشاف: يا غافلين.
(٤) العُقَابُ: طائر من كواسر الطير قوي المخالب له منقار قصير أعقف حاد البصر، وفي المثل: أبصر من عقاب. (المرجع السابق ٢/٦١٣).
(٥) انظر الكشاف ٣/٣٥٨-٣٥٩.
(٦) في (ب): المن.
(٧) تعالى، زيادة في (ب).
(٨) في (ب): موضع.

وحوله ستمائة ألف كرسي من ذهب وفضة، فيقعد الأنبياء على كراسي الذهب، ويقعد العلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس، وحول الناس الجن والشياطين، وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس، وترفع ريح الصِّبا البساط فتسير به يوماً مسيرة شهر[1].

ويروى أنه كان يأمر الريح العاصف تحمله[2]، ويأمر الرخاء[3] فتسير به[4] كما قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾[سبأ:١٢].

(مع النبوة): فإن الله اصطفاه بالإرسال، وجعله حجة على الملوك في تواضعه لله تعالى، وخضوعه لجلاله.

(وعظيم الزلفة): الإجلال والكرامة، كما قال تعالى: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[ص:٣٩] فهذه حالة سليمان فيما أعطاه الله تعالى.

(فلما استوفى طُعمته): الطُّعمة بالضم كالأُكلة: عبارة عمَّا يُطْعَم ويُؤْكَلُ، وأراد فلما استكمل رزقه الذي أعطاه الله إياه.

(واستمكل مدته): أجله الذي قدَّره الله له.

(رمته قِسيُّ الفناء بنبال الموت): استعارة حسنة، فاستعار رمي القسي بنبال الموت، وعبَّر به عن قبض الروح، ولو قال: فلما استكمل مدته توفاه الله على يد بعض الملائكة، كان بينهما بُعْدٌ متفاوتٌ في الفصاحة

---

(١) المصدر السابق ٣/٣٦٠.

(٢) في (ب): فتحمله.

(٣) الرخاء بالمد الريح اللينة. (مختار الصحاح ص٢٣٩).

(٤) المصدر السابق ٣/٣٦٠.

والبلاغة، وإن للاستعارة لمدخلاً عظيماً في علوم البلاغة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر:٨٨]، وقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم:٤]، ومن بديعها قول الكميت:

خَفَضْتُ لَهُم مِنِّي الْجَنَاحَ مَوَدَّةً
إلى كَنَفٍ عِطْفَاهُ أَهْلٌ وَمَرْحَبُ[1]

ويحكى أن بعض المتعاطين[2] أنه لما سمع بيت أبي تمام:

لا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلامِ فَإِنَّنِي
صَبٌّ قَدِ اسْتَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِي

عتب عليه وأمر إليه بإناء وسأله أن يهب له من ماء الملام، فأمر إليه أبو تمام بجلم[3]، وقال للرسول: يقصص له من جناح الذل ريشة[4].

(وأصبحت الديار منه خالية): يريد الديار التي كان فيها على الحالة والأُبَّهة.

(والمساكن معطلة): لا ساكن بها.

(ورثها[5] قوم آخرون): سكنوها بعدهم، واطمأنوا إلى لذاتها بعدهم.

---

(١) البيت هو من قصيدة شهيرة وكبيرة، للكميت بن زيد الأسدي رحمه الله تعالى يمدح فيها أهل البيت (عليهم السلام)، مطلعها:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً مني وذو الشيب يلعب

(٢) هو مخلد بن بكار الموصلي.

(٣) الجَلَم: المقص.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٢١٦.

(٥) في شرح النهج: وورثها.

(وان لكم في القرون السالفة): الماضية قبلكم.

(لعبرة!): موعظة واعتباراً.

(أين العمالقة وأبناء العمالقة!): قوم من ولد عمليق بن لاوذ بن أرم بن سام بن نوح[1]، تفرقوا في البلاد، ومنهم سبأ الذي حكاهم الله تعالى وضرب بهم المثل في التفرق، فقيل: تفرقوا أيدي سبأ، فلحق غسان بالشام، وأنمار بيثرب، وجذام بتهامة، والأزد بعمان.

(أين الفراعنة وأبناء الفراعنة!) فرعون: هو لقب الوليد بن مصعب صاحب موسى (عليه السلام) ملك مصر[2]، وقد قص الله من حديثه مع نبيه ما فيه كفاية، ومبلغ ونهاية، وكل من عتا وتكبر فهو فرعون، والفرعنة: هو التكبر والفساد في الأرض بغيرحق.

(أين أصحاب مدائن الرس) الرس: هي البئر، واختلف في أصحاب الرس، فقيل: هم قوم شعيب، كانوا يعبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً فآذوه، فانهارت بهم آبارهم، وخسف بهم في ديارهم، وقيل: الرس قرية باليمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وهم بقية ثمود، وقيل: الرس بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيباً النجار، وقيل: إنهم كذبوا نبيهم فرسوه في بئر -أي حشوه إياها- فأهلكهم الله تعالى[3]، ولهذا قال (عليه السلام):

(الذين قتلوا النبيين): وقد حكاهم الله في كتابه الكريم غير مرة.

(وأطفؤوا سنن المرسلين): بالرد والتكذيب والقتل.

(١) انظر عن العمالقة ونسبهم شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠/٩٣-٩٤.
(٢) المصدر السابق ١٠/٩٤.
(٣) انظر شرح ابن أبي الحديد ١٠/٩٤-٩٥، والكشاف ٣/٢٨٥.

(وأحيوا سنن الجبارين!): بعبادة الأوثان والأصنام وغير ذلك من أنواع المعاصي والكفر بالله، والشرك بوحدانيته.

(وأين الذين ساروا بالجيوش): للحرب والقتال.

(وهزموا الألوف): غلبوهم وكسروهم.

(وعسكروا العساكر): عقدوها.

(ومدّنوا المدائن!): عمروها وأقاموا مثل كسرى وقيصر، وتُبَّع وحمير، وغيرهم من الملوك والجبابرة، والعصاة و[1]الفراعنة.

ثم ذكر حال المؤمن بقوله:

(قد لبس للحكمة جُنَّتَها) الجُنَّةُ: ما يستر الإنسان ويُجِنَّهُ، وأراد أنه قد أعدَّ لها عُدتها ليحرزها.

(واتخذها[2] بجميع أدبها[3]): الاتخاذ: افتعال من الأخذ وقد فسرناه، وأراد أنه فعلها لنفسه، وأكمل ما يحتاج إليه من آدابها.

ثم فسَّرها بقوله:

(من الإقبال عليها): شغل نفسه بها.

(والمعرفة بها): أي لم يجهلها فيكون ذلك سبباً في إهمالها واطراحها.

(١) الواو، زيادة في (ب).
(٢) في شرح النهج: وأخذها.
(٣) في (ب): آدابها.

(والتفرغ لها): فقلبه[1] خالٍ عن غيرها، وقد عظم قدرها عنده.

(فهي عند نفسه ضالته التي يطلبها): كما قال (عليه السلام): «الحكمة ضالة المؤمن»[2] التي ينشدها، فكلامه هاهنا يشير به إلى كلام الرسول.

(وحاجته التي يسأل عنها): حتى كأنه لا حاجة له في شيء سواها.

(فهو معترف[3]): الضمير لمن وصف حاله من قبل [وهو المؤمن][4]، يريد أنه معترف بأحكام الدين وحقوق الله اللازمة له.

(إذا اغترب الإسلام): يعني إذا صار الإسلام غريباً لا تعرف أحكامه، فهو أهل لها، ومقيم لرسومها وأعلامها.

(وضرب بعسيب ذَنَبِه): هذا عطف على شيء محذوف تقديره: إذا اغترب الإسلام قام فيه وجدَّ واجتهد، وضرب بعسيب الذَّنَبِ فيه، وعسيب الذَّنَبِ: منبته من الجلد والعظم، وجعل هذا كناية عن شدة اجتهاده في الذبِّ عن الدين؛ لأن الحيوانات ذوات الأذناب إذا لحقه الأذى من ورائه من ذباب أوغيره فإنه يدفعه بفرع الذَّنَبِ، فإذا اشتد الأذى حرَّك جميع الذَّنَبِ من أصله.

---

(١) في (ب): فلم يغلبه.

(٢) أخرجه الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني (عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين بسنده عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) من حديث لفظه: «الحكمة ضالة المؤمن، ومن حيث وجدها فهو أحق بها». (انظر تخريجه فيه)، والحديث في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٧١/٤ وعزاه إلى تفسير ابن كثير ٣٥/٦، وكشف الخفاء ٤٣٥/١، والأسرار المرفوعة لعلي القاري ٢٨٤.

(٣) في شرح النهج: فهو مغترب إذا اغترب الإسلام.

(٤) سقط من (ب).

(وألصق الأرض بجِرَانِه): الْجِرَانُ: مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره، وكنى بذلك عن ثباته في الأمر، وقوته عليه واستمكانه منه.

(بقية من بقايا حجته): أي هو بقية، والبقية: هي الخيار من الشيء من بقايا حجج الله وأعلامه.

(خليفة من خلائف أنبيائه): يريد أنه يخلف الأنبياء في بيان أحكام الله تعالى وتشييد معالم دينه.

ثم التفت إلى خطاب أصحابه على عادته في التفنن في أساليب الكلام وأنواعه، وهو من الاستطرادات العجيبة، فبينا هو في أسلوب إذ خرج إلى أسلوب آخر غير ما كان فيه، بقوله [(عليه السلام)][1]:

(أيها الناس، إني قد بينت[2] لكم المواعظ): أظهرتها لكم، وأوضحتها لقلوبكم.

(التي وعظ بها الأنبياء أممهم): يشير بكلامه هذا إلى أنه مبلغ عن الأنبياء، ومؤدٍ عن الرسول ما أودعه إليها.

(وأديت إليكم): من الحكم والمواعظ.

(ما أدت الأوصياء إلى من بعدهم): ويشير بهذا إلى تبليغه ما عهده إليه الرسول من ذلك، ويحقق أمر الوصاة[3] بالأمة إليه من جهة الرسول.

(وأدبتكم بسوطي): بزجري، ومواعظي الحسنة، وآدابي النافعة.

---

(١) زيادة في (ب).

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: بثث.

(٣) في (ب): الوصاية.

(فلم تستقيموا): لما أمرتكم به من المصالح.

(وحدوتكم): حثثتكم من قولهم: حدا البعير إذا حثه.

(بالزواجر): من الوعيدات العظيمة التي تزجر من سمعها عن القبائح ووعاها.

(فلم تستوسقوا): تجتمعوا عليها بامتثالها وفعلها، مثّل حالهم بحال من يحدو الإبل ويزجرها في السير، وهي لا تجتمع عليه، بل تذهب يميناً وشمالاً عن الطريق.

(لله أنتم!): مدح لهم وتعجب من حالهم.

(أتتوقعون إماماً بعدي[1] يطأ بكم الطريق): يريد أن العجب منكم ومن أحوالكم، مالكم لا تقبلون إلى كلامي وتسمعون أوامري وتمتثلونها فلا تحظون بمثلي ممن يعرفكم أحكام الله تعالى، ويظهر لكم أمره، ويعرفكم طريق الهداية إلى الجنة، وقوله: يطأ بكم الطريق، من غريب الكلام وفصيحه.

(ويرشدكم السبيل): التي أرادها[2] الله بكم، وطلبها منكم.

(ألا إنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلاً): بانقضاء آثارها وامحاء رسومها، ونفاد أيامها.

(وأقبل منها ما كان مدبراً): من الفتن والمحن والزلازل بخروج الدجال وغيره من شروط الساعة وعلاماتها.

(وأزمع الترحال): قرب الرحيل إلى الآخرة، والكون فيها.

---

(١) في شرح النهج: غيري.
(٢) في (ب): أراد.

(عباد الله): خطاب لهم على الخصوص.

(أين الأخيار): الذين اختارهم الله لعبادته، واصطفاهم لولايته.

(الذين باعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى): بحقيرها وأيامها المنقطعة.

(بكثير من الآخرة لا يفنى): أيامها الدائمة ونعيمها الباقي، وأراد أنهم اعتاضوا عن هذا بهذا.

(ما ضر إخواننا): المؤاخين لنا في الدين.

(الذين سفكت دماؤهم بصفين): أُريقت، من سَفَكَ الدم إذا أراقه، يعني في حرب البغاة والمفتونين عن الدين.

(ألاَّ يكونوا [اليوم][1] أحياء): يكونون[2] معنا.

(يسيغون الغصص): يتجرعونها شيئاً بعد شيء، والغَصَصُ بفتح الغين هو المصدر، وهو مراده هاهنا ليطابق قوله:

(ويشربون الرنق!): الرَّنَق بفتح النون هو المصدر، والرَّنْق: الكدر من الماء بالتسكين، وأراد أن ذلك كان من هواهم فيكونون معنا على حالتنا كيف كانت، ولكنهم قد أحبوا الشهادة وأكرمهم الله بها.

(قد والله لقوا الله): بما كان من استشهادهم في سبيله، وطلبهم ما عنده.

(فوفاهم [الله][3] أجورهم): على جهادهم.

(وأحلهم دار الأمن): الجنة كما قال تعالى: ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[الدخان:٥١].

---

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): يكونوا.
(٣) قوله: الله زيادة في (أ).

(**بعد خوفهم**): في الدنيا من أعدائهم.

(**أين إخواني الذين ركبوا الطريق**): سلكوا طريق الجنة.

(**ومضوا على الحق !**): في الجهاد للأعداء في الدين والبغاة.

(**أين عمار بن ياسر !**): وهو الذي قال فيه رسول الله: «عمار جلدة ما بين عيني وأنفي»[1]، وقال فيه: «تقتلك يا عمار الفئة الباغية».

(**وأين ابن التيهان !**): وهو أبو الهيثم مالك بن التيهان، وهو أول من ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة[2].

(**وأين ذو الشهادتين !**): وهو خزيمة بن ثابت[3]، شهد لرسول الله في فرس ادَّعاها ولم يجد شاهداً، فلما شهد له خزيمة وهو لم يحضر القضية، ولكنَّه صدَّق رسول الله فيما ادَّعاه؛ لكونه معصوماً لا يدَّعي ما ليس حقاً، فلما كان الأمر كذلك قال رسول الله: «من شهد له خزيمة فحسبه شهادته»[4]

(١) سبق تخريج الحديث، وكذلك الحديث الذي يليه.

(٢) سيرة ابن هشام ٥٦/٢.

(٣) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة الخطمي الأنصاري الأوسي، المتوفى سنة٣٧هـ، أبو عمارة، ذو الشهادتين، شهد بدراً وما بعدها، كانت راية بني خطمة بيده يوم الفتح، وكان سيداً فيهم، وشهد مع علي (عليه السلام) الجمل وحضر صفين، فلما قتل عمار بن ياسر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((تقتل عماراً الفئة الباغية)) ثم سل سيفه وقاتل حتى قتل رضوان الله عليه. (لوامع الأنوار ٧٩/٣، وشرح ابن أبي الحديد ١٠٨/١٠).

(٤) ذكر ابن الأثير في أسد الغابة قال: روى عنه ابنه عمارة -أي ابن خزيمة بن ثابت ذي الشهادتين- أن النبي ﷺ اشترى فرساً من سواء بن قيس المحاربي، فجحده سواء، فشهد خزيمة للنبي ﷺ، فقال رسول الله: ((ما حملك على الشهادة ولم تكن حاضراً معنا؟)) قال: صدقتك بما جئت به، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً، فقال رسول الله ﷺ: ((من شهد له خزيمة أو عليه فهو حسبه)). (هامش في شرح النهج لابن أبي الحديد١٠٩/١٠).
والحديث بلفظ: ((من شهد له خزيمة، أو شهد عليه فحسبه)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٣٥/٨ وعزاه إلى المستدرك للحاكم١٨/٢، والكبير للطبراني١٠١/٤، ومجمع الزوائد٣٢٠/٩ وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر.

فجعل شهادته بمنزلة شاهدين، فهؤلاء كلهم من جلة الصحابة وفضلائهم.

(**وأين نظراؤهم**): أشباههم.

(**من إخوانهم**): في الدين.

(**تعاقدوا**[1] **على المنية**): فأزهقت أرواحهم في حرب البغاة وجهادهم.

(**وأبرد برءوسهم إلى الفجرة**): حملتها البُردُ من موضع إلى موضع، والبريد اثنا عشر ميلاً، قال الشاعر:

فَدَتْكَ عُرَابُ اليَومَ أُمِّي وخَالتي ... وَنَاقتي النَّاجي إِلَيْكَ بَرِيْدُها[2]

يقال: قد أبرد إلى الأمير أي سار ت إليه البُرُدُ، وأراد أنها حملت رؤوسهم من حيث قتلوا إلى معاوية وأصحابه.

(**ثم ضرب بيده على لحيته [الشريفة الكريمة]**[3]): قبض بأصابعه عليها.

(**فأطال البكاء**): حزناً على مفارقة أولئك، وتأسفاً على ذهابهم.

ثم قال:

(**أوه**): وهذه الكلمة تستعمل عند الشكاية، وهي اسم من أسماء الأفعال الخبرية، ومعناه[4] أتوجع، قال الشاعر:

فَـأَوْهِ لِذِكْرَاهـا إذَا مـا ذَكَرْتَهَـا ... وَمِنْ بُعْدِ أرضٍ بَيْنَنا وَسَمَاءُ[5]

(١) في (ب) وفي شرح النهج: الذين تعاقدوا على المنية.

(٢) لسان العرب ١٨٩/١، ونسبه لمزرِّد أخي الشماخ بن ضرار يمدح عرابة الأوسي.

(٣) زيادة في شرح النهج.

(٤) في (ب): معناها.

(٥) لسان العرب ١٣٦/١، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١١٠/١٠.

وفيها لغات، أوْه بسكون الواو، وبقلبها ألفاً فيقال: آه، وربما شددوا الواو فقالوا: أوَّه، وربما أدخلوا عليها التاء فقالوا: أوتاه، إلى غير ذلك من اللغات[1].

(على إخواني الذين تلوا القرآن): أي قرأوه.

(فأحكموه): بتدبر معانيه وتجويد أحرفه وإخراجها من مخارجها، فأما تلاوته من غير تدبُّر لمعانيه ولا تفكّر في تأويلاته، واستنهاض الأسرار البديعة من جهته، فإنما هو دأب العجزة والذين قعدت بهم البلادة في حضيض الفهاهة.

وعن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، حفظوا حروفه، وضيَّعوا حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، فما ترى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل، والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولابالورعة، لا كثّر الله في الناس مثل هؤلاء.

اللَّهُمَّ، اجعلنا من المتدبرين لمعانيه، المنتفعين بنوره وشفائه.

(وتدبَّروا الفرض): تفكّروا في الأمور الواجبة والأحكام اللازمة.

(فأقاموه): على الحد الذي أوجب، والوجه الذي فرض.

---

(١) مثل قولهم: أو من كذا بلا مد بكسر الواو مع حذف الهاء والتشديد، وقد يقولون: آوَّه، بالمد والتشديد وفتح الألف وسكون الهاء، لتطويل الصوت بالشكاية، وربما أدخلوا فيه الياء تارة يمدونه، وتارة لا يمدونه، فيقولون: أوياه وآوياه. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٠/١١٠).

(وأحيوا السنة): بتشييدها وإظهار معالمها، والعمل بأحكامها.

(وأماتوا البدعة): بإبطالها وإنكارها، وقتل الداعي إليها وإذهابه.

(دُعُوا إلى الجهاد): للبغاة، وأهل البدع، والأهواء.

(فأجابوا): من دعاهم إلى ذلك، وتحققوا وجوب الإجابة إليه، وعلموا ذلك بما عرفهم الله وأعلمهم.

(ووثقوا بالقائد فاتبعوا[1]): يشير إلى نفسه في أنهم وثقوا بنفوذ بصيرته في حرب أهل القبلة، ويعرِّض بمن توقف عنه من الصحابة كالذين حكينا عنهم ممن تأخر عنه نحو عبد الله بن عمر وغيره ممن تخلّف عنه لعارض.

(ثم نادى بأعلى صوته): تحريضاً لهم على الجهاد وحثاً لهم على المواظبة عليه:

(الجهاد الجهاد): أي الزموا الجهاد، وتكريره إنما يكون على جهة التأكيد، وإضمار الفعل هاهنا واجب لأجل التكرير فلا يبرز بحال.

(عباد الله!): أي يا عباد الله، من كان مقرّاً بالعبودية لله فليكن مؤتمراً بأوامره، ومن أعظم أوامره الجهاد في سبيله.

(ألا واني معسكر): جامع للعساكر.

(في يومي هذا، فمن أراد الرواح[2] إلى الله): بالشهادة عند خروج نفسه.

(فليخرج): معي.

---

(١) في شرح النهج: فاتبعوه.

(٢) في (ب): الخروج.

(قال نوف: ثم عقد للحسين بن علي): يعني أعطاه الراية، وأمّره عليهم.

(في عشرة آلاف): وأمرهم باتباعه والاحتكام لأمره؛ لأن عند كثرة العساكر وازدحامهم فلابد لهم من الأمراء لينتظم الأمر، وتشتد النكاية للعدو، وتتسق أحوال الحرب وأموره.

(ولقيس بن سعد[1] في عشرة آلاف): أمير من أمرائه.

(ولأبي أيوب الأنصاري[2] [في عشرة آلاف][3]): وهذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الذي قعد في بيته عند قدومه مهاجراً من مكة[4].

(ولغيرهم على أعداد أخر، وهو يريد الرجعة إلى صفين): يريد لإنجاز الحرب بينه وبين معاوية.

(فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم لعنه الله): لعناً وبيلاً، وفي الحديث: «أشقى الناس رجلان: أحيمر ثمود عاقر الناقة

---

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دلهم الخزرجي، المتوفى سنة٦٠هـ، أبو عبد الله، صحابي، كان صاحب شرطة النبي ﷺ، وكان من ذوي الرأي والدهاء والتقدم، وهو من أعيان فضلاء الصحابة، ومن كبار شيعة أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقائل بمحبته وولائه، وشهد معه حروبه كلها، وكان مع الحسن (عليه السلام)، وكان طالبي الرأي مخلصاً في اعتقاده ووده. (انظر لوامع الأنوار ١٥٦/٣، وشرح ابن أبي الحديد١٠/١١١-١١٢).

(٢) اسمه خالد بن يزيد بن كعب بن ثعلبة الخزرجي، من بني النجار، المتوفى سنة٥٠هـ، شهد العقبة وبدراً وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ لما قدم المدينة، وأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، وشهد مع الوصي (عليه السلام) مشاهده كلها، ولزم الجهاد حتى توفي في قسطنطينية، ويوم المؤاخاة آخى رسول الله ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير. (لوامع الأنوار١٧٣/٣، وشرح النهج لابن أبي الحديد١٠/١١٢).

(٣) زيادة في شرح النهج.

(٤) انظر سيرة ابن هشام ١١٦/٢ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات دار الفكر.

واسمه قدار، والذي يضربك على هذه -يعني قرينة رأسه- فيبل منها هذه» يعني لحيته.

قال: **(فتراجعت العساكر)** من حيث أرادوا، وحيث كانت بُغيتُهم من الجهاد.

(فكنّا كالأغنام[1] فقدت رعاتها[2] تختطفها[3] الذئاب من كل مكان).

---

(١) في شرح النهج: كأغنام.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: راعيها.

(٣) في شرح النهج: تختطفها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(١٧٣) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها صفة النار وحالها

(**الحمدلله المعروف من غير رؤية**): يشير إلى أن[١] العلم به ليس من طريق الرؤية والمشاهدة، وإنما طريق معرفته غير ذلك، إما بالنظر والاستدلال والتفكّر في أفعاله، والشواهد الدالة على وجوده من أفعاله، وهذا عليه تعويل الأكثر من العلماء من المتكلمين، وإما أن يكون معلوماً بالضرورة غير الإدراك، وهذا هو قول طائفة من نُظَّار العلماء من أهل الكلام فإنهم جوَّزوا ذلك، أعني أن يكون العلم به ضرورياً.

(**والخالق من غير منْصَبَةٍ**): يريد أنه فيما خلق لا يلحقه نصب ولا تعب كما يلحق غيره من سائر الفاعلين لهذه الأفعال، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾[ق:٣٨] نزلت تكذيباً لليهود، ورداً عليهم، حيث زعموا أن الله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما، من يوم الأحد إلى يوم الجمعة، ثم استراح يوم السبت[٢].

(**خلق الخلائق بقدرته**): أنواع المخلوقات وضروب المكوّنات كلها

---

(١) قوله: أن، سقط من (أ).

(٢) الكشاف ٤/٣٩٥.

بالقدرة الإلهية التي يستحقها ولا تكون لغيره، ولهذا أضافها إلى نفسه، تنبيهاً على ما قلناه.

(**واستعبد الأرباب بعزته**): أراد جعلهم عبيداً له، والرب: هو المالك، أي[١] جعل كل رب ومالك عبداً له، يتصرف فيه كيف شاء؛ لاختصاصه بالعزة والعظمة[٢] والجلال والكبرياء.

(**وساد العظماء بجوده**): من كان عظيماً في حاله بما أعطاه من جوده وفضله، وفي هذا تنبيه على أن أحداً لا يسود غيره إلا بإفضاله وإنعامه عليه، والسيد: هو المالك المنعم، وفي بعض كلام أمير المؤمنين سنذكره من بعدُ: (أحسن إلى من شئت تكن أميره).

(**هو الذي أسكن الدنيا خلقه**): جعلها مسكناً لهم ومستقراً لأحوالهم؛ لما يريد من إنفاذ حكمته فيما كلفهم به وهو لا يمكن إلا بذلك، فلهذا عمرها وجعلها مساكن يسكنونها[٣]، وإنما أعاد الضمير وهو قوله: هو الذي؛ ليدلَّ بذلك على أنه هو المختص بذلك، لا يقدر عليه غيره.

(**وبعث إلى الجن والإنس رسله**): يريد أنه أرسل إليهم الأنبياء.

(**ليكشفوا لهم عن غطائها**): الضمير للدنيا، وأراد ليعرفوهم بحالها، وزوالها، ونفادها.

(**وليحذّروهم من ضرّائها**) الضرَّاء: هي الضر، والسراء: هو السرور،

---

(١) في (ب): الذي.

(٢) قوله: والعظمة، زيادة في (ب).

(٣) في (ب): يسكنوها.

وأراد ليحذّروهم من الميل إليها فتضرهم[1].

(وليضربوا لهم أمثالها): كما قال تعالى في مثل الدنيا: ﴿كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾[يونس:٢٤] وغير ذلك من الأمثال التي تؤذن بانقطاعها عن أيديهم، وزوالها عن أنفسهم.

(وليبصروهم عيوبها): ما فيها من الخدع لأهلها والمكر بمن ركن إليها، والغش لمن استنصحها، وفي الحديث: «هي الغارّة لمن استنصحها، والخاتلة[2] لمن اطمأنّ إليها»[3].

(وليهجموا عليهم): يدخلوا، من قولهم: هجمت عليه إذا دخلت، وهجم الشتاء إذا دخل.

(بمُعْتَبَر): تذكر الاعتبار، وإنما نكّره مبالغة في حاله أي بمعتبر عظيم لا يمكن وصفه ولا حده.

(من تصرّف مَصاحّها): جمع مِصَحّة بكسر الميم، وفي الحديث: «الصَّوم مِصَحّة»[4].

(وأسقامها): أي ما يعرض فيها من الصحة والسقم.

(وحلالها وحرامها): وما يكون فيها من الحلال والحرام، فأحوالها لا تزال متقلبة بأهلها، ومنتقلة بهم من حالٍ إلى حالٍ.

---

(١) في (ب): فيضرهم.

(٢) الخاتلة: الخادعة.

(٣) هو جزء من حديث أخرجه الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص٤١ رقم(٣٢) ولفظ الشاهد فيه: ((هي الغاشة لمن استنصحها، والمغوية لمن أطاعها، والغادرة لمن انقاد لها)).

(٤) نهاية ابن الأثير ١٢/٣.

(وما أعدّ الله[1] سبحانه للمطيعين منهم والعصاة): أي وبما أخبر، أو بما وعد الله أهل الطاعة، وأوعد أهل المعصية من الجزاء على أعمالهم.

(من جنة): جزاءً على الطاعة.

(ونار): جزاءً على المعصية، حتى صار هذا -أعني العلم بالجنة والنار، واستحقاق الثواب والعقاب- ضرورة من دين الأنبياء صلوات الله عليهم، فلا يمكن تصديقهم إلا بالعلم بما ذكرناه.

(وكرامة): لأوليائه وأهل محبته.

(وهوان): لأهل عداوته.

(أحمده إلى نفسه): أي أن حمدي له إنما هو بالإضافة إلى ذاته لا غير، وكونه أهلاً له، وذلك لأن الحمد وهو الثناء على وجهين:

أحدهما: أن يكون بالإضافة إلى نفس الذات؛ لكونها مختصة بالصفات الحسنى، فيكون الثناء متوجهاً إليها لما اختصت به من الصفات لاغير، وهذا هو مراده (عليه السلام) بقوله: (أحمده إلى نفسه) أي لما اختص به في نفسه من الثناء.

وثانيهما: أن يكون بالإضافة إلى فعل الإحسان والابتداء بعوارف النعم والإفضال، وعلى هذا يكون استحقاقه للثناء؛ لأجل ما فعله من إعطاء هذه النعم وتخويلها من عنده، فاستحقاقه للحمد والثناء لذاته، واستحقاقه للحمد والثناء على فعله، فلا يخلو في استحقاق الثناء

---

(١) قوله: الله، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

عن هذين الوجهين، والأول أبلغ ولهذا قصده؛ لأن استحقاقه إنما هو لمجرد الذات لا لعارض، بخلاف الثاني، فيكون المعنى أجعل غاية حمدي هي نفسه وذاته لا غير.

(كما استحمد إلى خلقه): كما طلب الحمد من خلقه لأجل إفضاله عليهم وإنعامه، فمن إحكاماته البديعة وإتقاناته العجيبة:

(جعل لكل شيء قدراً): لا يتجاوزه ولا يتعداه؛ حيث قال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾[الرعد:٨].

(ولكل قدر أجلاً): لا يزيد عليه ولا ينقص منه، ولهذا قال: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾[الأعراف:٣٤].

(ولكل أجل كتاباً[1]): مدون في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾[الرعد:٣٨].

(فالقران امر زاجر): فعل من أفعال الله تعالى، وأمر من أموره الناجزة[2]، زاجر، إماذا زجر لاشتماله على هذه الزواجر والقوارع الوعيدية، وإما على المبالغة بإضافة الزجر إليه؛ كأنه الذي فعله، كما قالوا: صائم نهاره، وقائم ليله.

(وصامت ناطق): يعني أنه صامت؛ إذ لا آلة له من لسان فينطق به، وهو ناطق أيضاً[3] لما فيه من الحجج البالغة والأدلة النافعة، وهو آمر أيضاً

---

(١) في النسختين: كتاب، بالرفع، وفي شرح النهج: كتاباً، بالنصب كما أثبته.

(٢) هكذا في النسختين: الناجزة، وكتب في هامش النسخة (ب) بياناً لها بقوله: ن: الزاجرة.

(٣) في (ب): وهو أيضاً ناطق.

لما فيه من الحث على الطاعات، وزاجر لما فيه من المنع عن المعاصي، وهذا من الطباق الفائق، والتكافؤ اللائق، حيث ذكر النقيضين وأومئ فيه إلى الضدين جميعاً.

(حجة الله على خلقه): جعله حجة عليهم بما أودعه من الشرائع والأحكام، والأوامر والنواهي، والزجر والتهديد، وضمَّنه من الوعد والوعيد، وبيَّن فيه مراده فيما رغَّب وحذَّر.

(أخذ عليهم ميثاقه[1]): الضمير إما لله أي أخذ الله عليهم ميثاق نفسه، فيما كلفهم إياه من أمر ونهي، وإما أن يكون للقرآن أي أخذ عليهم ميثاق القرآن الذي أودعه فيه، على تأدية ما اشتمل عليه، وأضاف الميثاق إلى القرآن لتعلقه به.

(وارتهن عليهم أنفسهم): فيما كسبوه وعمَّا اجترحوه من السيئات، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[الطور:٢١].

(أتمّ نوره): حيث[2] قال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[الأنعام:٣٨] فهو مستكمل لجميع العلوم كلها مما يحتاج إليه المكلفون.

(وأكمل به دينه): لأن الشريعة كلها مأخوذة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، فهما أصلان لها، وقاعدتان من قواعدها، فلا كمال لها إلا به.

(وقبض نبيه [صلى الله عليه وآله][3]): اختار الله له ما عنده من عظيم الزلفة، وقرب المنزلة، وشرف الجوار.

---

(١) في شرح النهج: أخذ عليه ميثاقهم.

(٢) في (ب): حيثما.

(٣) زيادة في النهج.

(وقد فرغ إلى الخلق من أحكام الهدى به[1]): يريد أنه ماقبض الله نبيه إلا بعد أن أوضح لهم معالم دينهم وأكملها لهم، ولم يترك ملتبساً عليهم إلا أوضحه، ولا مبهماً إلا بيَّنه، كما قال تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾**الآية[المائدة:٣].

(فعظمّوا منه سبحانه ما عظّم من نفسه): يريد فاعطوه ما يستحق من التعظيم لما اختص به في نفسه من الصفات الإلهية التي يستحق لمكانها التعظيم، ولمكان نعمه الواصلة إليكم من جهته.

(فإنه لم يُخْفِ عليكم[2] شيئاً من دينه): مما أحلَّ لكم أو حرَّمه عليكم، ولا كتم ذلك منكم، بل أظهره وتعبدكم به.

(ولم يترك شيئاً رضيه): من الأمور المقرِّبة إليه من الطاعة.

(أو كرهه): من الأمور المبعدِّة عنه، والمعاصي المسخطة له.

(إلا وجعل عليه[3] علماً بادياً): دلالة واضحة من جهة العقل أو من جهة الشرع تبدو لكل من أراده أو طلبه، والعلم هو: منار الطريق.

(وآية[4] محكمة): لا اشتباه فيها، ويظهر مراده منها.

(تزجر عنه): تمنع من فعله، إذا كان مكروهاً.

(أو تدعو إليه): تحث على فعله إذا كان مراداً.

(١) به، زيادة في شرح النهج.
(٢) في شرح النهج: عنكم.
(٣) في شرح النهج: له.
(٤) في (ب): أو آية.

(فرضاه فيما بقي واحد، وسخطه فيما بقي واحد): يريد أنه وإن بقي شيء لم يذكر في القرآن، وهو يُرْضِي الله فرضاه به هو رضاه بما ذكره من غير تفرقة بينهما، وهكذا القول فيما سخطه مما لم يذكره فيه، فإن سخطه به مثل سخطه عمّا ذكره أيضاً.

سؤال: أليس قد قال تعالى: **﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾**[الأنعام:٣٨] فكيف قلتم هاهنا: إن هناك مرضياً ومسخوطاً من الأفعال لم يذكره في القرآن، وحكمه مثل حكم ما ذكره في الرضا والسخط؟

وجوابه: هو أن القرآن وإن لم يكن دالاً عليه بظاهره وصريحه؛ فإنه دالٌّ عليه بمعناه واستنباطه منه، ولهذا فإن الحوادث لا تزال غضة طرية على وجه الدهر، وكل واحد من المجتهدين، والعلماء الماهرين في النظر يأخذونها من رموزه وإشاراته، فهو وإن لم يتضمنها بظاهره فقد اشتمل عليها بمعناه[1]، فقد ظهر بما لخّصنا مصداق قوله تعالى: **﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾**[الأنعام:٣٨].

(واعلموا أنه لن يَرْضَى عنكم بشيء سخطه على من كان[2] قبلكم، ولن يسخط عليكم بشيء رضيه على من قبلكم[3]): يريد أن ما كان مرضياً من غيركم من الإعمال، فهو مرضي منكم، وما كان مسخوطاً من الأعمال من غيركم، فهو مسخوط منكم، وهذا كله محمول على وجهين:

أحدهما: أن يريد من الاعتقادات الدينية من التوحيد، والوعد

(١) في (ب): معناه.
(٢) كان، زيادة في شرح النهج.
(٣) في شرح النهج: رضيه ممن كان قبلكم، وبعده فيه: (وإنما تسيرون في أثر بيّن، وتتكلمون برجع قول قد قاله الرجال من قبلكم).

والوعيد، والزجر وأحكام الآخرة، فهذه الأمور كلها مأخوذة عليكم الاعتقاد لها والتصديق بها، كما أُخِذَت على من[1] غيركم من الأمم الماضية، فإن الكل منكم ومنهم فيها على سواء من غير مخالفة فيها.

وثانيهما[2]: أن يريد من ذلك من الأمور الشرعية ما لا تختلف فيه المصالح نحو القصاص، وتحريم المسكر، وأخذ الأموال واستحلال الفروج، فإن هذه الأمور كلها ثابتة باقتراحات الشرع، وتحكماته، ولا يخلو شرع عن ذلك لمافيها من مراعاة مصالح الخلق، وانتظام أمورهم كلها.

(قد كفاكم مؤونة دنياكم): بتكفله بأرزاقكم، وأعطاكموها عفواً من فضله.

(وحثكم على الشكر): لما أنعم به عليكم من هذه النعم.

(وافترض على[3] ألسنتكم الذكر): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد الحمد والثناء، فيستحق بالنعمة الشكر والحمد والثناء.

وثانيهما: أن يريد بذلك ما افترض من هذه الأذكار الشرعية، الصلوات وأنواع العبادات كلها.

(وأوصاكم بالتقوى): أمركم بها غير مرة في كتابه، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾[البقرة:197].

(1) من، سقط من (ب).
(2) في (أ): وثانيها.
(3) في شرح النهج: من.

(وجعلها منتهى رضاه): غاية مطلوبه وقصاراه، فلا مطلوب بعدها له، وهو أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر.

(وحاجته من خلقه): ذكر الحاجة هاهنا[1] مجاز واستعارة، وليس الغرض حقيقة الحاجة، فإن الله تعالى غني عن العالمين، وإنما الغرض أنها هي المطلوب من غير زيادة.

(فاتقوا الله الذي أنتم بعينه): فلا يخفى عليه من أموركم خافية، من طاعة ولا معصية.

(ونواصيكم بيده): يصرِّفها كيف شاء، كما قال تعالى: ﴿مَا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾[هود:56].

(وتقلبكم في قبضته): تصرّفكم في جميع أحوالكم وأموركم، وهو محتكم عليكم كما يحتكم الإنسان على ما في قبضة يده، واضعاً عليه أنامله.

(إن أسررتم): شيئاً من أعمالكم.

(علمه): أثبته وكتبه.

(وإن أعلنتم): أظهرتموها ،دونته الحفظة.

(كتبه[2]): أمر الحفظة بوضعها في الكتب، والصكوك والسجلات، حفظاً لها عن الإهمال والضياع.

(قد وكل بذلك): الإشارة إلى الكتب.

(1) في (ب): هنا.
(2) في (أ): كتبته، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(حفظة كراماً): ملائكة مكرمون عنده، متحفظين على كل صغيرة وكبيرة، لا يعتريهم سهو[1] في ذلك ولا غفلة.

(لا يسقطون حقاً): أي لا يهملون شيئاً مما قد تحققوا فعله.

(ولا يثبتون باطلاً): أي لا يكتبون مالم يكن، أو لا يجعلون مكان السيئة حسنة، ولا مكان الحسنة سيئة.

(واعلموا أن من يتق الله): يراقبه في جميع أحواله، بالخوف منه.

(يجعل له مخرجاً من الفتن): بالألطاف الخفية.

(ونوراً من الظلم): يريد من ظلم الجهل والعمى، والمحارات العظيمة.

(ويُخلِّدْهُ فيما[2] اشتهت نفسه): من الملاذ العظيمة، والتُّحَفِ النفيسة في الجنة، كما قال تعالى: ﴿**وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ**﴾[الزخرف:٧١].

(ويُنزلْهُ منزل[3] الكرامة): بما يحصل له من الإجلال والتبجيل، كما قال تعالى: ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُم**﴾[الرعد:٢٣-٢٤] يشير بذلك إلى ما يحصل لهم من الإعظام.

(عنده): يشير به إلى ما يحصل لهم من الكرامة منه.

(في دار اصطنعها لنفسه): أي لمن يختصه ويكون ذا مكانة عنده،

(١) في (ب): لايعتريهم في ذلك سهو ولا غفلة.

(٢) في (أ): ما.

(٣) في (ب): منزلة.

كأنه فعله[1] من أجل نفسه؛ لأن كلما يفعله الإنسان لنفسه فهو في غاية الرصانة، والقوة والنصيحة.

(ظلها عرشه): تختص من الشرف والكرامة بأن صار العرش -وهو أشرف المخلوقات- سقفاً لها يظل من فيها.

(ونورها بَهْجَتُهُ): البَهْجَةُ هاهنا هي: الشرف والكرامة، والحسن والنضارة، قال الله تعالى: ﴿**حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ**﴾[النمل:٦٠]، و﴿**مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ**﴾[الحج:٥].

(وزوارها ملائكته): يردون عليهم بالكرامة، والمسرة من جهة الله تعالى.

(ورفقاؤها رسله): الرفيق هو: المرافق، يشير إلى قوله تعالى: ﴿**مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾[النساء:٦٩].

(فبادروا المعاد): بالأعمال الصالحة، وأراد الانقلاب إلى الآخرة، والعودة إليها.

(وسابقوا الآجال): حذراً أن تحول بينكم وبين الأعمال.

(فإن الناس يوشك أن ينقطع بهم الأمل): وشُك الأمر بالضم يوشُك بالضم أيضاً، وَشكاً ووُشكاً بفتح الواو وضمها، ووُشكان بضم الواو، ووشَكان بفتحها إذا أسرع، والعامة تقول: وَشُكَ الأمر بضم الشين

(١) في (ب): كأنه قد فعله.

يوشَك بفتحها وهي لغة رديئة، وأوشَك فلان بفتح الشين يوشِك بكسرها إذا أسرع في السير، قال جرير:

إذَا جَهِــــلَ الشَّــــقِيُّ وَلَـــمْ يُقَـــدِّرْ
بِبَعْـــضِ الأَمْـــرِ أَوْشَـــكَ أَنْ يُصَابَـــا[1]

وأراد ها هنا أن الناس إذا عوَّلوا على الآمال انقطعوا دون بلوغها، وقرب ذلك لا محالة.

(ويرهقهم الأجل): يعجلهم عنها فلا يبلغوها.

(ويُسَدُّ عنهم باب التوبة): بحصول أشراط الساعة، فتبطل التوبة لمكان الإلجاء.

(فقد أصبحتم): في مهلة وزمان واسع للأعمال الصالحة.

(في مثل ماسأل إليه الرجعة من كان قبلكم): حيث قالوا: ﴿يَالَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧].

(وأنتم بنو سبيل): رجال تعبرون طريقاً.

(على سفر): مسافرون ارتحالهم قريب سريعي الانتقال.

(من دار): يريد الدنيا.

(ليست بداركم): الدار التي خلقتم من أجلها، أوالدار التي هي دار إقامتكم.

---

(١) لسان العرب ٣/٩٣٢.

(قد[1] أوذنتم منها بالارتحال): حيث دلَّ الشرع على أن كل حي فهو ميت لا محالة.

(وأمرتم فيها بالزاد): أي أمرتم بأخذ الزاد، وإعداد العُدة للآخرة فيها، بما يكون من التقوى وأفعال الخير التي هي الزاد.

(واعلموا أنه ليس لهذا الجلد الرقيق): الضمير للشأن، والرقيق هو: الضعيف.

(صبر على النار): لضعفه وهونه.

(فارحموا نفوسكم): بالإزاحة عنها، والبُعْد منها.

(فإنكم قد جرَّبْتُمُوها في مصائب الدنيا): القليلة الحقيرة.

(ورأيتم جزع أحدكم من الشوكة): حزنه عند إصابة الشوكة له، وقلقله[2] وفشله عنها.

(تصيبه): تقع فيه.

(والعثرة تدميه): وإذا عثر فعن قريب خروج دمه.

(والرمضاء تحرقه): أي الحجارة المحماة تؤلمه بالإحراق، فهذه الأمور كلها حقيرة الألم بالإضافة إلى آلام الآخرة ومصائبها.

(فكيف إذا كان بين طابقين): الطابق: المتصل، وأراد بين المتصلين، أو يريد بالطابق الطبق أي أنه يكون بين طبقين:

---

(١) في (ب): فقد، و في شرح النهج: وقد.

(٢) أي واضطرابه، في (ب): وقلقه، أي وانزعاجه.

(من نار): لا ينفك عنهما[1].

(ضجيع حجر): مضاجع لها.

(وقرين شيطان): مقارن له، والمعنى أنه يحصل بين طبقين من أطباق النيران، وانتصاب ضجيع وقرين على الحال أي مضاجعاً ومقارناً، أي ومع كونه حاصلاً بين الطبقين فهو لا ينفك عن مقارنة الشياطين، ومضاجعة الأحجار، عذاب مع عذاب، واستيثاق بعد استيثاق.

اللَّهُمَّ، أجرنا من عذابك ياخير مستجار به.

(أعلمتم أن مالكاً): خازن النار.

(إذا غضب على النار): زجرها وكفها.

(حطم بعضها بعضاً لغضبه): يريد تراجع بعضها على بعض فرقاً[2] منه، وخوفاً من شدة غضبه.

(وإذا زجرها): حثّها[3] في الإحراق.

(توثبت بين أبوابها): تدافعت مسرعة من أبوابها.

(جزعاً من زجرته): إشفاقاً من ذلك، وخوفاً منه.

(أيها اليَفَنُ): الشيخ.

(الكبير): السن، و[4]المتقادم عمره.

(١) في (ب): عنها.
(٢) الفَرَقُ: الخوف.
(٣) في (ب): حسها.
(٤) في (أ): أو.

(الذي قد لَهَزَهُ القَتِير): خالطه الشيب.

(كيف أنت): على أي حال تكون:

(إذا التحمت): تمكّنت، من قولهم: ألحمته السيف إذا مكّنته من جسمه ليناله.

(أطواق النار): جمع طاق، وهو: ما تعطف[1] من اللهب، والطاق أيضاً: ما يُعْطَفُ من الأبنية، وهو فارسي معرب.

(بعظام الأعناق): واتصلت بها اتصالاً كلياً.

(ونشبت الجوامع): جمع جامعة وهي: الغل، سميت بذلك؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق.

(حتى أكلت لحوم السواعد!): من شدتها وحرارتها.

(فالله الله): اتقوا الله.

(معشر العباد!): جميع الخلائق.

(وأنتم سالمون في الصحة): عن جميع العاهات في عافية من أبدانكم، وبقاء من أعماركم.

(قبل السقم): المرض، وسائر العاهات.

(وفي الفسحة قبل الضيق): أي وأنتم منفسحون في أموركم قبل الضيق، إمافي القبر، وإما في ضيق خروج الأنفس.

(١) في (ب): ما ينعطف.

(فاسعوا في فكاك رقابكم): عن الوثاق في ربق الخطايا.

(من قبل أن تُغْلَقَ رهائنها): الرهائن جمع رهينة، وإغلاق الرهن: استحقاق المرتهن له بمافيه من الدين.

(أسهروا عيونكم): في عبادة الله تعالى، وطول التضرع إليه في الليل.

(وأضمروا بطونكم): في الصيام لوجه الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

(واستعملوا أقدامكم): في طاعة الله تعالى، كالجهاد والحج، والخُطا إلى المساجد، وفي الحديث: «من مات ولم يغزُ أو يُحَدِّثْ نفسه بالغزو، مات على شُعْبَةٍ من شُعَبِ النفاق»[1]، وفي الحديث: «الحجُّ هو جهاد الضعفاء»[2] وفي الحديث أيضاً: «بشِّر[3] المشائين إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[4].

(١) رواه الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين ص٥٣٨ بلفظ: ((من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق))، قال المحقق في تخريجه: أخرجه أبو داود رقم(٢٥٠٢)، والنسائي ٨/٦، والحاكم في المستدرك٢/٧٩ رقم(٢٤١٨)، (٢٤١٩)، وأحمد٢/٣٧٤، ثم ساق عدداً آخر من مصادره انظرها فيه.

(٢) أخرج قريباً منه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٣٩٣ بسنده عن أم سلمة بلفظ: ((الحج جهاد كل ضعيف)) وهو بلفظ: ((جهاد الضعفاء الحج)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤/٥٠٣ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين٨/١٦٨، ٩/١٥٢، والدر المنثور٦/٢٣٤، وكشف الخفاء١/٣٥.

(٣) في (ب): يبشروا.

(٤) أخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٣٥٧ عن ثابت برقم (٤٠١) بلفظ: ((بشر المشائين في الظلم إلى المساجد...))إلخ. وبرقم (٣٩٧) عن أبي سعيد الخدري بلفظ: ((بشر المشائين إلى المساجد في الظلم بنور تام يوم القيامة))، والحديث في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤/٢٥٨ وعزاه إلى مجمع الزوائد للهيثمي٢/٣٠، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر٢/٥١، والمعجم الكبير للطبراني١٢/٣٥٨.

(وأنفقوا أموالكم): في سبيل الله، وابتغاء وجهه الكريم.

(وخذوا من أجسادكم): بإتعابها لله.

(تجودوا بها على أنفسكم): في إحراز الجنة، وطلب رضوان الله تعالى[1] في ذلك.

(ولا تبخلوا بها عنها): ولا تَضِنُّوا[2] بالأموال عن النفوس.

(فقد قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[محمد:٧]، وقال: **﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾**)[الحديد:١١]

فلم يستنصركم من ذُلٍّ): فيكون محتاجاً إلى نصرتكم له.

(ولم يستقرضكم من قُلٍّ): فيكون مفتقراً إلى أموالكم، ويدل على ذلك هو أنه:

(استنصركم وله جنود السموات والأرض): ومن هذه حاله فليس مستنصراً بأحد.

(وهو العزيز): في ذاته.

و**(الحكيم)**: في أفعاله فلا يحتاج إلى نا صر ينصره، وإلى من يعلمه أحكام أفعاله.

(واستقرضكم وله خزائن السموات والأرض): ومن هذه حاله فليس مستقرضاً من أحد.

(١) قوله: تعالى زيادة في (ب).

(٢) من الضِّنَّة بالكسر وهي البخل.

(وهو الغني): عن كل مايفتقر إليه الخلائق.

(الحميد): المستحق للحمد من جهة الخلق، على ما أنعم عليهم من النعم العظيمة.

(وإنما أراد أن يبلوكم): يختبركم، ويمتحن أحوالكم.

(أيكم أحسن عملاً): أيكم يكون عمله مطابقاً لأمره، موافقاً لإرادته.

(فبادروا بأعمالكم): أراد إما أسرعوا فيها، وإما عاجلوا بها الموت، قبل أن يحول بينكم وبينها.

(تكونوا مع جيران الله في داره): أهل الصلاح والتقوى في الجنة التي هي داره، خلقها لأوليائه وأهل طاعته.

(رافق بهم رسله): جعلهم مرافقين لهم في الجنة.

(وأزارهم ملائكته): جعل الملائكة يزورونهم[1]، ويختلفون عليهم غدواً وعشياً.

(وأكرم أسماعهم): شرَّفها، وعظَّم أمرها وصانها.

(أن تسمع حسيس نار أبداً): الحس[2] هو: الصوت الخفي، قال الله تعالى: **﴿لاَ يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾**[الأنبياء:١٠٢]، والأبد هو: استغراق الوقت، يقال: ما رأيته أبداً.

(وصان أجسادهم أن تلقى لُغوباً ونصباً): اللغوب هو: الإعياء،

(١) في (ب): تزورهم.

(٢) في (ب): الحسيس.

والنَّصَبُ هو: التعب، كماقال تعالى: **﴿إِنَّ لَكَ أَلاَّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَى ۝ وَأَنَّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَى﴾**[طه:١١٨-١١٩]

(**﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**[الحديد:٢١] **أقول ما تسمعون)**: من مواعظي هذه، التي أكررها على آذانكم، وأرددها[1] على أذهانكم.

(والله المستعان): المسئول أن يكون وكيلاً:

(على نفسي وأنفسكم): في الهداية والإعانة على مخالفتها، وردها إلى الحق.

(وهو حسبنا ونعم الوكيل).

(١) في (ب): وأوردها.

(١٧٤) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها المتقين، ويصف أحوالهم

روي أن صاحباً له[١] يقال له: همام[٢]، وكان رجلاً عابداً[٣]، فقال له: يا أمير المؤمنين صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فتثاقل عن جوابه، ثم قال:

(يا همام، اتق الله وأحسن فـ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾)[النحل:١٢٨]: وأراد أن في هذه الآية كفاية له على جهة الجملة، وغرضه هو أن الله تعالى كائن باللطف والإعانة، والتوفيقات المصلحية مع من كان متقياً لله في جميع أحواله محسناً، فهاتان الخصلتان هما أعظم خصال التقوى: الخوف، والإحسان.

(فلم يقنع همام بذلك القول): لما فيه من الإجمال.

(حتى عزم عليه): جدَّ في التعويل.

---

(١) في شرح النهج: صاحباً لأمير المؤمنين (عليه السلام).

(٢) هو همام بن شريح بن يزيد بن مرة بن عمرو بن جابر بن يحيى، ينتهي نسبه إلى سعد العشيرة، كان من شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأوليائه، وكان ناسكاً عابداً. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠/١٣٤).

(٣) في (ب): وكان رجلاً عابداً مجتهداً.

فقال (عليه السلام) قولاً: **(فحمد الله تعالى، وأثنى عليه، وصلى على الرسول (عليه السلام))**[١] ثم قال:

(أما بعد؛ فإن الله سبحانه خلق الخلق): أوجدهم من العدم.

(حين خلقهم): في الوقت الذي أوجدهم فيه باقتضاء المصلحة، وتوجه الحكمة.

(غنياً عن طاعتهم): إذ لاتلحقه مضرة بفقدها.

(آمناً من معصيتهم): إذ لا يلحقه خوف بوجودها.

ثم علَّلَ ذلك بقوله:

(لأنه لاتضره معصية من عصاه): لا يناله ضرر بهذه المعصية، وإن كانت مخالفة لأمره.

(ولا تنفعه طاعة من أطاعه): ولا يلحقه بهذه الطاعة نفع مع موافقتها لأمره.

(فقسم بينهم معايشهم): على ما تقتضيه الحكمة، وتشير إليه المصلحة من الإكثار والتقليل، والاقتصاد والتقتير.

(ووضعهم في[٢] الدنيا مواضعهم): بعضهم في مراتب عالية، وبعضهم في الأسافل الدانية، وبعضهم في الطبقة الوسطى.

(فالمتقون فيها): يريد الدنيا.

---

(١) في (ب): صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) في شرح النهج: من.

(**هم أهل الفضائل**): الدرجات العالية، والخصال النفيسة.

(**منطقهم الصواب**): أي لا ينطقون بشيء من الأقوال إلا بما هو صائب، مطابق لرضوان الله تعالى.

(**وملبسهم الاقتصاد**): أي لا يلبسون اللباس الفاخر فيكون ذلك خيلاء، ولا يلبسون اللباس الداني فيكون ذلك إراءةً للزهد، وفي الحديث: «إياكم ولباس الشهرتين» يريد النهاية في العلو والنهاية في الدنو.

(**ومشيهم التواضع**): أي لا يمشون إلا وهم متواضعون لله تعالى، من غير خيلاء ولا تكبر في سيرهم.

(**غضوا أبصارهم**): نقصوها.

(**عمّا حرّم الله عليهم**): فلا يضعون أبصارهم إلا حيث أباح الله تعالى، من الدنيا في زوجة أو ملك يمين، ويجوز أن يكون جعل هذا كناية عن أنهم لا يتناولون شيئاً من الدنيا لا يحل لهم تناوله.

(**ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم**[(١)]): فما كأنهم يسمعون سواه، ولا يرون الإصغاء إلى خلافه، والعلم النافع ما أريد به وجه الله تعالى، وعلم الطريق إلى الآخرة.

(**بذلت أنفسهم في البلاء كالذي بذلت في الرخاء**[(٢)]): يريد أنهم مستقرون على حالة في تقوى الله تعالى وخوفه، لا تختلف أحوالهم في ذلك،

---

(١) قوله: لهم، سقط من (ب).

(٢) العبارة في شرح النهج: نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالذي نزلت في الرخاء، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

لا في الشدة ولا في الرخاء، فالذي تعطيهم أنفسهم وتبذله لهم من خوف الله تعالى وتقواه على سواء، في الشدة والرخاء.

(**ولولا الأجل الذي كتب الله لهم**): قدّره وكتبه في اللوح المحفوظ فلا يزاد عليه ولا ينقص منه.

(**لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طَرْفَةَ عين**): بل تزهق متعجلة، وطرفة العين: إطباق أحد الجفنين على الآخر.

(**شوقاً إلى الثواب**): إلى ما أعد الله لهم من الثواب.

(**وخوفاً من العقاب**): إشفاقاً مما أعد الله من العقوبة لأهل المعصية.

(**عظم الخالق في أعينهم**[(١)]): لما يتحققون من جلاله، وكنه كبريائه.

(**فصغر ما دونه**): فا ستحقروا ما دونه من مخلوقاته، بالإضافة إليه.

(**في أعينهم**): أي لا يرون لغير الله قدراً في أبصارهم.

(**فهم والجنة كمن قد رآها**): الجنة في إعرابها وجهان:

[أحدهما][(٢)]: أن تكون مرفوعة عطفاً على قوله: هم، كما تقول: أنت وزيد كرجلين اصطحبا زماناً طويلاً.

وثانيهما: أن تكون منصوبة على المفعول معه أي هم مع الجنة، كما تقول: كيف أنت وقصعةً من ثريد، والمعنى أنهم بمنزلة من شاهد الجنة ورآها بعينيه.

---

(١) في شرح النهج: أنفسهم.

(٢) سقط من (أ).

(فهم فيها منعمون[1]): أي كأنهم قد دخلوها، والتذوا بملاذها.

(وهم والنار كمن قد راها): ما ذكرناه في واو الجنة فهو حاصل في واو النارهاهنا من غير تفرقة بينهما.

(فهم فيها معذبون): خوفاً منها وإشفاقاً من الوقوع فيها، وأراد أنهم في غاية الشوق إلى الجنة، وفي غاية الحذر من النار.

(قلوبهم محزونة): لا يفارقها الحزن ساعة واحدة.

(وشرورهم مامونة): أي أن أحداً لا يخافهم فهو آمن من جهتهم لا يتقي شرهم.

(وأجسادهم نحيفة): إما جوعى وهزالى[2]، وإما خوفاً وإشفاقاً، أو غماً وحزناً، فكل[3] هذه الأشياء تنقص الجسم وتهزله.

(وحاجتهم[4] خفيفة): في جميع أحوالهم، في طعامهم ومأكلهم وملبسهم، وفي الحديث: «المؤمن خفيف المؤونة»[5].

(وأنفسهم عفيفة): عن جميع شهوات الدنيا، ولذاتها.

(صبروا أياماً قليلة[6]): في الدنيا فإنها قليلة؛ لا نقطاعها ونفادها وزوالها.

---

(١) في نسخة: متنعمون (هامش في ب).

(٢) في (ب): وإما هزالى.

(٣) في (ب): وكل.

(٤) في شرح النهج: وحاجاتهم.

(٥) الحديث بلفظ: «المؤمن يسير المؤنة» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦٥٢/٨ وعزاه إلى حلية الأولياء ٤٦/٨، وكشف الخفاء ٤٠٧/٢، وغيرها من المصادر انظرها هناك.

(٦) في شرح النهج وفي نسخة: قصيرة.

(أعقبتهم راحة طويلة): عيش الآخرة، ونعيمها، وإنما كانت طويلة لأنه لا غاية لها، ولا انقطاع لعيشها.

(تجارة مربحة): التجارة في إعرابها وجهان:

فالرفع[1] على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره تجارتهم تجارة، والنصب على المصدرية أي اتجروا تجارة، والمربحة ذات الربح.

(يسرها لهم ربهم): بالألطاف الخفية، ففعلوها، واطمأنت إليها نفوسهم.

(أرادتهم الدنيا): أقبلت إليهم، وجاءتهم من كل مكان

(ولم[2] يريدوها): يطمأنوا إليها، ويطمعوا في حطامها، واكتساب لذاتها المنقطعة.

(وأسرتهم): بالتزين في أعينهم، والتحلي بأطماعها لهم.

(ففدوا نفوسهم[3] منها): بتركها والإعراض عنها، فسمي التزين أسراً لأنه شبيه به[4] وسمي الإعراض عنها فداء؛ لأن به يقع الخلاص عنها.

(أما الليل فصافون أقدامهم): يريد وهم مختصون بالوظائف والعبادات العظيمة، فعادتهم بالليل هو: صف الأقدام للصلوات.

(تالين لأجزاء القرآن): يقرأون[5] القرآن في صلواتهم.

---

(١) في (ب): بالرفع.

(٢) في شرح النهج وفي نسخة: فلم.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: أنفسهم.

(٤) في (أ): لأنه يسببه.

(٥) في (ب): أي يقرءون.

(يرتلونها ترتيلاً): أي لا يهذونه هذاً، ولا يسردونه سرداً، وإنما يكون ذلك على إرواد وتؤدة بتبيين الحروف، وإشباع الحركات.

وسئلت عائشة عن قرآءة الرسول؟ فقالت: لا يسرد سردكم هذا[1]، لو أراد السامع أن يَعُدَّ حروفه لعدَّها.

(يحزنون به نفوسهم[2]): يستجلبون الأحزان لما يرون من اشتماله على الوعيدات العظيمة، أو يعرضون أنفسهم عليه فيحزنون لما يرون من مخالفة أحوالهم، وصفاتهم له.

(ويستثيرون بـه دواء دائهم): استثار رأيه إذا طلبه وأوجده، وأراد أنهم يطلبون دواء دائهم وهي الذنوب من جهته بالفزع إلى الله تعالى، واللجأ إليه والاستغفار، أو أنهم يطلبون دواء قسوة قلوبهم من جهته لما فيه من الوعظ، والأمثال، والأخبار عن الأمم الماضية، والقرون الخالية.

(فإذا مروا بآية): فهم في أثناء قرآءتهم له، إذا مروا بآية.

(فيها تشويق): وعد من الله تعالى لأهل الطاعة.

(ركنوا إليها): اطمأنت إليها نفوسهم ثقة بوعد الله، وصدق كلامه.

(وتطلعت نفوسهم): أشرفت عليها بالرغبة، والإقبال.

---

(١) أخرجه من حديث لعائشة الترمذي في سننه في كتاب المناقب برقم (٣٥٧٢) وتمامه: ((ولكنه كان يتكلم بكلام نبيه فصل يحفظه من جلس إليه)) وقال: حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث الزهري، وقد رواه يونس بن يزيد عن الزهري، وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده في كتاب باقي مسند الأنصار برقم (٢٥٠١٢) عن عروة، عن عائشة.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: أنفسهم.

(إليها شوقاً): محبة لها واشتياقاً إلى ما تضمنته من ذلك.

(وظنوا أنها نصب أعينهم): مبالغة في حالهم أي يكاد يخيل إليهم أن الجنة نصب أعيانهم، أو ما اشتملت عليه الآية من الوعد كذلك، فلأجل هذا يغلب على ظنونهم ذلك.

(وإذا مروا بآية فيها تخويف): وعيد من جهة الله، يخافه من سمعه، وعلم صدقه.

(أصغوا إليها): الإصغاء من السمع بمنزلة التحديق في بصر العين.

(مسامع قلوبهم): فوعتها وتحققتها.

(وظنوا): لمكان خوفهم العظيم، وإشفاقهم الشديد.

(أن زفير جهنم): فورانها وشدة غليها.

(وشهيقها): الشهيق: علو الصوت وارتفاعه، والزفير هو: إخراج النفس، والشهيق هو: ترديده.

(في أصول آذانهم): في مستقرها.

(فهم حانون على أوساطهم): يشير إلى حالة الركوع.

(مفترشـون لجبـاههم، وأكفهـم، وركبهـم): يشـير بذلـك إلى حالة السجود.

(وأطراف أقدامهم): لما ورد عن الرسول [ﷺ][1] أنه قال: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء: اليدان، والرجلان، والركبتان، والوجه»[2].

(يطلبون إلى الله في فكاك رقابهم): لما كان يطلبون في معنى يتوسلون عداه بإلى، فهذه حالتهم في الليل[3].

(وأما النهار فحلماء): متصفون بالحلم عن كل ما يغيظهم.

(علماء): بالله وتوحيده، ورسله واليوم الآخر، وما يجب من رعاية حقه وعبادته.

(أبرار): أهل تقوى.

(أتقياء): خائفين لله تعالى.

(قد براهم الخوف): أنحل أجسامهم وبراها.

(بري القداح): في النحول والذهاب.

(ينظر إليهم الناظر): يطلع نظره إلى وجوههم وأجسامهم.

---

(١) سقط من (أ).

(٢) أورد قوله: «أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء» في موسوعة أطراف الحديث ٣٣٧/٢ وعزاه إلى شرح السنة للبغوي١٣٦/٣، وكنز العمال رقم (١٩٧٩٩)، والمعجم الكبير للطبراني٩/١١، ٤٩، والكامل لابن عدي ١٥٢٧/٤.
وحديث السجود على السبعة الأعضاء ورد بألفاظ مختلفة، قال المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (عليه السلام) في شرح التجريد: الأخبار واردة بالألفاظ المختلفة أن الساجد يسجد على سبعة أعضاء: الوجه، واليدان، والركبتان، والقدمان، قال: وتضمن الحديث نصب القدمين عند السجود. (الاعتصام بحبل الله المتين للإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) ٣٨٨/١) وانظر روايات الحديث فيه، وفي موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف.

(٣) في (ب): بالليل.

(فيحسبهم مرضى): لما يرى من اصفرار ألوانهم، وتغيرأحوالهم.

(وما بالقوم من مرض): أي لا ألم في أجسامهم، ولا وجع يلحقهم.

(ويقول: قد خولطوا): أصابهم مسٌ جنون من كثرة القلق والفشل.

(ولقد خالطهم أمر عظيم): هائل، وهو: ذكر الموت، والقيام بين يدي الله تعالى[1]، وتذكر أحوال الآخرة كلها.

(لا يرضون من أعمالهم القليل): يريد أن القليل من أعمالهم لا يرضونه شكراً لنعمة الله تعالى، ولا مقابلة لما يستحقه من التعظيم.

(ولا يستكثرون الكثير): أي والكثير من أعمالهم لا يرونه كثيراً؛ لأن الأعمال العظيمة وإن بلغت كل مبلغ في الكثرة، فإنها لا تقوم بحق الله تعالى.

(فهم لأنفسهم متهمون): في التقصير في حق الله تعالى، وأنهم لم يبلغوا مبلغ شكره، والقيام بحقه.

(ومن أعمالهم مشفقون): خائفون أن تردَّ عليهم، ولا تكون مقبولة.

(إذا زكي أحدهم): ذكر بأوصاف حسنة، وأثني عليه.

(خاف مما يقال له[2]): أشفق مما يقال فيه، مخافة أن يكون ذلك على خلاف ما قيل فيه.

(فيقول): فيكون جوابه عند ذكر الثناء عليه.

---

(١) قوله: تعالى، زيادة في (ب).

(٢) قوله: له. زيادة في شرح النهج وفي (ب).

(أنا أعلم بنفسي من غيري): أكثر علماً بها، وبما يقال فيها منكم فلا تقولوا ما لا تعرفون.

(وربي أعلم مني بنفسي[1]): أكثر إحاطة بها فما أدري ما حالها عنده وبالإضافة إليه.

(اللّهمّ، لا تؤاخذني بما يقولون):فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنهم يقولون قولاً ليسوا منه على حقيقة في الثناء، ويخبرون خبراً لايعلمون حاله، وربما كان على خلاف ذلك فلا تؤاخذني بما هذا حاله من الأقوال.

وثانيهما: أن يكون مراده أنهم يعتقدون أني زاهد، وأني عابد، ولست بذاك، فلا تؤاخذني بما يقولون، فأكون مرائياً عندك أظهر خلقاً كما يقولون وأنا على خلافه[2].

(واجعلني خيراً[3] مما يظنون): فيّ، من الزهد والعبادة، والتخلُّق بأخلاق الصالحين.

(واغفر لي ما لا يعلمون!): من الخطايا التي غفلوا عنها وأنت مطلع عليها، ومحيط بها، فهذه أحوالهم بالإضافة إلى العبادة وخوف[4] الله تعالى.

---

(١) في (ب): وربي أعلم بي من نفسي.

(٢) في (ب): وأكون على خلافه.

(٣) في شرح النهج: أفضل.

(٤) في (ب): وحقوق.

وأما علاماتهم:

(فمن علامة أحدهم): فمما يظهرفيهم من العلامات الصادقة، الدالة على ملازمة التقوى.

(أنك ترى له قوة): شدة وصلابة.

(في دين): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن الشدة والصلابة فيما يتعلق بأحوال الدين، وأموره، فالدين على هذا ظرف للشدة، ومكان لها.

وثانيهما: أن يكون مراده أن الشدة والصلابة في أفعاله وأحواله إنما هي من أجل دينه وخوفه لله تعالى، فلهذا[1] يكون سبباً في الشدة والقوة، [وكل واحد منهما لا غبار عليه، والتفرقة بينهماغير خافية على من له أدنى ذوق وفطانة][2].

(وحزماً): تحرزاً[3] في الأمور، واحتياطاً فيها، وفي الحديث: «الحزم سوء الظن»[4].

(في لين): سَبَاطَةُ[5] وجه، ولين عريكة؛ وإنما قال ذلك؛ لأن الغالب من عادة أهل الحزم شكس في الطريقة، وشرس في الخلائق، وهؤلاء بخلافه.

---

(١) في (ب): ولهذا.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٣) في (ب): تحزماً.

(٤) نهاية ابن الأثير ١/٣٧٩، وأورده في موسوعة أطراف الحديث وعزاه إلى كشف الخفاء١/٤٢٥، والدرر المنتثرة٧٦، وتذكرة الموضوعات للفتني٢٠٣، وغيرها.

(٥) السَّبَاطَة: الانبساط.

(وإيماناً): تصديقاً بالله وأنبيائه وكتبه، وما يتعلق بأحول الآخرة، وقد فسرنا ماهية الإيمان عندنا، فلا وجه لتكريره.

(في يقين): قطع واستيقان، وأراد أن إيمانه كله مقطوع به، وليس مظنوناً؛ وإنما هو على تحقق من حاله، ونفوذ من أمره.

(وحرصاً): مواظبةً واجتهاداً في أموره كلها.

(في علم): عارف من ذلك بما يكون موضعاً لتحصيله والاجتهاد فيه، وما لايكون الأمرفيه بخلاف ذلك.

(وعلماً): ومحرزاً للعلم، نافذاً للبصيرة فيه، ليس جاهلاً، ولا يعمل أعمال الجُهَّال.

(في حلم): في تؤدة وإرواد لا يعاجل بعقوبة على أحد، بل غايته من ذلك الصفح والعفو.

(وقصداً): أي وأمره الاقتصاد في أحواله كلها من غير تبذير ولاتقتير، وفي الحديث: «ما عال من اقتصد»[1].

(في غنى): أي استغناء، فهو في حاله يقتصد مع غنائه عن الخلق.

(وخشوعاً في عبادة): وفيه وجهان:

أحدهما: أن يكون خاصاً في الصلاة، وخشوعها هو: خشية القلب، والرمي بالبصر إلى موضع السجود، ويحتمل أن يكون خشوعها هو جمع

(١) أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٦٦/٩ وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل ٤٤٧/١، والمعجم الكبير للطبراني ١٣٣/١٠، ومجمع الزوائد للهيثمي ٢٥٢/١٠، والدر المنثور للسيوطي ١٧٨/٤، وغيرها.

الخاطر لها، والإعراض عمَّا سواها، واستعمال الأدب فيها من[1] العبث باللحية وتنقية الأنف، والتثاؤب والالتفات والتغميض، وغير ذلك من الاشتغال بغيرها، وفي الحديث: «كان رسول الله [ﷺ][2] يصلي وهو رافع بصره إلى السماء، فلما نزلت: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾[المؤمنون:٢] رمى ببصره موضع سجوده»[3].

وثانيهما: أن يكون عاماً في جميع العبادات كلها، فيؤديها في غاية التذلل والاستكانة، والخوف والإشفاق عليها أن تكون مردودةً عليه.

(وتجملاً): إظهار أحسن الأحوال للناس.

(في فاقة): مع قلة ذات يد، وعدم وفقر.

(وصبراً): تجرعاً للغصص، وإغضاءً على المكاره كلها.

(في شدة): إما صبراً على الشدائد، وإما صبراً وحاله مشتدة ماضية في ذلك، لا تغيّر فيها ولا اضطراب.

(وطلباً): ارتياداً للرزق وكسبه.

(في حلال): لا يتجاوز الحرام، ولا يلصق به أبداً مع شدة حاجته.

(ونشاطاً): أي وذا نشاط فيما يعمله من الأعمال الصالحة، والنشاط هو: الإسراع في العمل وإرادته.

(١) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: من عدم العبث ...إلخ.
(٢) زيادة في (ب).
(٣) له شاهد أورده الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام ٣٥٨/١، عن أسباب النزول للواحدي، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ «كان إذا صلى رفع» يعني بصره إلى السماء، فنزلت: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾، وانظر الحديث في الكشاف ١٧٨/٣ رقم(٧١٧).

(في هدى): أي وهو مع نشاطه في ذلك فهو ماضٍ على الهداية، لا يخالف طريقها.

(وتحرجاً): ضيق صدر.

(عن طمع): مخافة أن يقع في الأطماع، أو تخالط قلبه.

(يعمل الأعمال الصالحة): من العبادة والزهادة والتقوى، وأنواع البر كلها.

(وهو على وجل): خوف وإشفاق مخافة[1] أن تكون مردودة عليه، أو أنه لم يقصد بها وجه الله تعالى، والتقرب إليه.

(يمسي): يدخل في المساء، وهو أول الليل.

(وهمه الشكر): على نعمة الله تعالى، وفواضل أياديه، وهذه جملة ابتدائية في موضع الحال كأنه قال: يمسي شاكراً لله.

(ويصبح): يدخل في الصباح، وهو أول النهار.

(وهمه الذكر): لله تعالى، وتسبيحه، وتقديسه.

سؤال؛ أراه ها هنا خصَّ الشكر بالمساء، والذكر بالصباح، فما وجه ذلك مع صلاحية كل واحد من الوقتين، لكل واحد من الفعلين؟

وجوابه؛ هو أن الذكر يفيد فعله مرة بعد مرة، ولهذا وصف بالكثرة، حيث قال تعالى[2]: **﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾**[الأنفال:٤٥]،

(١) قوله: مخافة، سقط من (ب).
(٢) قوله: تعالى، زيادة في (ب).

وقال: **﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾**[الأحزاب:٤١] وهذا إنما يكون في الصباح لأنه يمكن فيه التكرير، فلهذا خصَّه به.

وأما الشكر فلا يفيد التكرير، ومن ثمَّ خصَّه بالمساء حيث لا يمكن فيه التكرير؛ لأنه موضع للنوم والاستراحة، ولعل هذا مقصوده، والله أعلم بغرضه من ذلك.

وليس منتهى الشارح لكلام أمير المؤمنين إلا التعويل على ظواهر ألفاظه، والحومان حول لطائفه، فأما الاطلاع على غوره، والاستيلاء على فهم حقائقه فهذا ما لا سبيل إليه.

(يبيت[1] حذراً، ويصبح فرحاً): أراد أنه لا ينفك عن هاتين الحالتين، ومع اشتماله على الإغراق في الوصف، ففيه إشارة إلى الطباق، والتكافؤ بذكر الصباح والمساء.

(حذراً لما حذّر من الغفلة): بيان لقوله: حذراً، أي يخاف أن يكون غافلاً عن ذكر الله تعالى، والقيام بحقه.

(وفرحاً بما أصاب من الفضل والرحمة): بفضل الله تعالى له بما ألهمه من خوفه ورحمته له[2]، بما يسَّر له من الطاعة[3] وهداه إليها بِمَنِّه.

(إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره): أراد أن نفسه إذا أكرهها على فعل الطاعة الشاقة المكروهة من جهة نفسه؛ لنفورها عن ذلك وصعوبتها عليها:

(١) في (ب): ويبيت.
(٢) قوله: له، سقط من (ب).
(٣) في (أ): في ألطافه.

(لم يعطها سؤلها فيما تحب): من النفار عن الطاعة وتركها، بل يُكْرِهُهَا على فعلها لا محالة، أولم يُعْطِهَا ما سألته أيضاً في غيرذلك من الانقياد لشهواتها ومراداتها.

(قُرّةُ عينه فيما لا يزول): إما في الآخرة ونعيمها؛ لأنه لا آخر له، أوفي الطاعة؛ لأن ثوابها دائم لا انقطاع له، وأراد ما تقرُّ به عينه وتطيب به نفسه.

(وزهادته فيما لا يبقى): يعني الدنيا؛ فإن نعيمها إلى نفاد وتقضي.

(يمزج الحلم بالعلم): أراد أن تركه معاجلته لعقوبة من أساء إليه، ليس من جهة هوان في نفسه، ولا ذُلّ في أمره، وإنما هو عن بصيرة نافذة، وتحقق بأن ما عند الله هو خير وأبقى، فلهذا لم يكن حلمه إلا عن علم، لا عن ذل ومهانة[1]، فهذه فائدة مزج الحلم بالعلم.

(والقول بالعمل): أي أنه لا يقول قولاً إلا ويعمل به، فلا يرغب في الخير إلا وهو آتٍ[2] به، ولا ينهى عن الشر، إلا وهو كافٍ عنه.

(تراه): إذا فكرت في أحواله وشمائله:

(قريباً أمله): ليس آماله طامحة بل يقرّبها لما يعلم من انقطاعها بالموت.

(قليلاً زلله): قلّما يَزِلُّ في قضية من القضايا لتثبيت الله إياه، وكثرة عنايته به.

(خاشعاً قلبه): بالإقبال إلى الآخرة، والإعراض عن الدنيا.

(١) في (ب): ومهابة.
(٢) في (أ): آتي.

(قانعة نفسه): يرضى من دنياه بالحقير، وستر الحال وإمضاء وقته على حالة يسيرة.

(منزوراً أكله): قليل الأكل لا يتفكّه بالمآكل الطيبة، ولا يتنعَّم بالملاذ الفاخرة، وإنما همُّه سدّ الفاقة بأي طعام، كما قال بعضهم:

وَمَا هي إلا جَوْعَةٌ قد سَدَدْتُها ... وكلُّ طَعَامٍ بَيْنَ جَنْبَيَّ وَاحِدُ

(سهلاً أمره): يريد أن أحواله كلها سهلة لا عسرة فيها، وفي الحديث: «المؤمن سهل المؤونة».

(حريزاً دينه): محتاطاً متحرزاً في أحواله كلها، ليس تابعاً للشبهات بل يأخذ بالأشق الأبلغ.

(ميتة شهوته): أراد إما أنه كلما عرض له عارض من شهواته أعرض عنها بالترك والإهمال، وإما أن يريد أنه لايذكرها بلسانه، ولا تجري على خاطره بمنزلة الميتة.

(مكظوماً غيظه): فلا يظهره بالتشفي، وقضاء الغرض منه.

(الخير منه مأمول): يؤمل الخير منه في جميع أحواله كلها.

(والشر منه مأمون): أراد أنه لا يخاف منه ظهور الشر ولا بدؤه من جهته.

(إن كان في الغافلين): واقفاً مع أهل الغفلة عن أمور الآخرة وعن الله.

(كتب في[1] الذاكرين): بحياة قلبه وكثرة ذكره لله تعالى، وحاصل كلامه

(١) في نسخة: من (هامش في ب)

هاهنا أنه وإن كان مع أهل الغفلة فإنه لا تعتريه الغفلة معهم.

(وإن كان في الذاكرين): مع أهل التقوى، والصلاح والذكر لله.

(لم يكتب في[1] الغافلين): أراد فهو من جملة أهل الذكر والتيقظ.

(يعفو عمَّن ظلمه): فلا يعاقبه على ظلمه له.

(ويعطي من حرمه): معناه ويجود على من بخل إليه وَمَنَعَهُ عن الإحسان.

(ويصل من قطعه): إما بالإحسان إليه، وإما بالمواصلة له[2] وإن هجره، وفي الحديث: «ثلاث من أخلاق أهل الجنة: العفو عمَّن ظلمك، والإعطاء لمن حرمك، والإحسان إلى من أساء إليك»[3].

(بعيداً فحشه): الفحش هو: البذاء باللسان، والقول القبيح، وأراد هاهنا أنه لا ينطق بالمنطق السوء.

(ليناً قوله): ليس فيه شيء من الجفاء والغلظة، ولين القول هي: الملاطفة بالقول الحسن.

---

(١) في شرح النهج: من.

(٢) قوله: له، سقط من (ب).

(٣) أخرج قريباً منه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٤١٧ برقم (٥١٨) بسنده عن سهل بن معاذ، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل الفضائل أن تعطي من حرمك، وتصفح عمَّن شتمك، وتصل من قطعك»، وله شاهد رواه العلامة الزمخشري رحمه الله في الكشاف٢/١٧٩ برقم(٤٠٦) في نزول قوله تعالى: ﴿خذ العفو وأعرض عن الجاهلين﴾[الأعراف: ١٩٩] فقال ما لفظه: وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل (عليه السلام) فقال: «لا أدري حتى أسأل» ثم رجع فقال: «يا محمد، إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك». قال: وعن جعفر الصادق: أمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الأخلاق، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. انتهى.

(غائباً منكره[1]): مفقود عنه، فهو لا يفعله في حالة أصلاً.

(حاضراً معروفه): يبذله لكل أحد ممن سأله إياه.

(مقبلاً خيره): فهو لا يزال إلى زيادة ونماء على تكرر الأيام ودوامها.

(مدبراً شره): فهو لايفعل شراً لكونه مدبراً عنه، ولا داعي له إليه.

(في الزلازل وقور): إذا وقع في الأمور الصعبة، والأحوال المكروهة [فهو متوقر فيها كثير الأناة لا يزعجه الطيش، ولا يدهشه الفشل][2].

(وفي المكاره صبور): إذا وقع في أمر مكروه صبرله ابتغاء رضوان الله وطلباً لثوابه.

(وفي الرخاء شكور): أراد وإن وقع في رخاء شكر نعمة الله تعالى، ولم تؤده تلك النعمة إلى الأَشَرِ والبَطَرِ.

(لا يحيف): في الحق، ويميل عنه.

(على من يبغض): لأجل كونه مبغضاً له.

(ولا يأثم): بترك الحق.

(فيمن يحب): فيمن يهواه.

(يعترف بالحق قبل أن يشهد عليه): أراد أنه إذا كان عليه حق فهو معترف به، لا يحتاج في ذلك إلى أن تقام عليه شهادة، ولا يحكم عليه حاكم.

---

(١) في (ب): مكره، وأشار في الهامش بقوله في نسخة: منكره.

(٢) ما بين المعقوفين، سقط من (ب).

(لا يضيع ما استُحْفِظ): أراد إما ما استحفظه الله تعالى من أمور الديانة، وإما ما استحفظه الخلق عليه من سائر الودائع والأمانات التي اؤتمن عليها، وجعلت في يده أمانة.

(ولا ينسى ما ذُكِّر): يريد إما من أمر الآخرة بالوعظ، وإما من حقوق الخلق الواجبة عليه.

(ولا ينابز بالألقاب): التنابز هو: التداعي بالأسماء السيئة، وهو الذي ورد النهي عنها في القرآن، كما قال تعالى: **﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾**[الحجرات:١١].

فأما التداعي بالأسماء الحسنة فهو مندوب إليه، وفي الحديث أنه قال: «من حق المؤمن على أخيه أن يسميه بأحب الأسماء إليه»[١] ولهذا كانت التكنية من السنة، وفي الألقاب الحسنة من الإشهار والإشادة بذكر الملقَّب ما لا يخفى فلهذا كانت مستحباً.

(ولا يُضارُّ[٢] بالجار): في مجاورته له، وفي الحديث: «من آذى جاره أورثه الله داره[٣]» وفي حديث آخر: «من آذى جاره لم يخرج من الدنيا حتى يفضحه الله على رءوس الخلائق»[٤].

---

(١) رواه في الكشاف ٣٧٢/٤ ولفظ آخره فيه: ((بأحب أسمائه إليه)).

(٢) في نسخة: ولا يضر (هامش في ب).

(٣) في نسخة: ناره، (هامش في ب)، والحديث رواه العلامة الزمخشري في الكشاف ٥١٢/٢.

(٤) قال الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في الأحكام ٥٢٩/٢ ما لفظه: وبلغنا أن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يشكو جاره، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((اطرح متاعك على الطريق)) فطرحه، فجعل الناس يمرون فيلعنونه إذ ألجأ جاره إلى ذلك، قال: فجاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا رسول الله، ما لقيت من الناس، فقال: ((وما لقيت منهم؟)) قال: يلعنونني، قال: ((لقد لعنك الله قبل الناس))، قال: فإني لا أعود يا رسول الله، قال: فجاء الذي شكا إلى النبي، فقال له النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ارفع متاعك فقد أمنت وكفيت))

وعن بعضهم: «ما زال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصينا في الجار حتى ظننا أنه سيورثه»[١].

(ولا يشمت بالمصائب): الشماتة هي: الفرح بمايصيب العدو من البلايا، قال الشاعر:

وَتَجَلُّدِي لِلشَّامِتِيْنَ أُرِيْهُمُ ... أَنِّي لِرَيْبِ الدَّهْرِ لا أَتَضَعْضَعُ[٢]

(ولا يدخل في الباطل): يَلِجُ فيه قولاً ولا فعلاً، ولا يتلبَّس به.

(ولا يخرج من الحق): يباينه، في قوله ولافعله، ولا في شيء من أحواله.

(إن سكت[٣] لم يغمه صمته): لأنه إنما صمت عن حكمة وصواب، فهو لايغتم بذلك.

(وإن ضحك لم يعْلُ صوته): يريد أن سكوته لم يكن لعيّ وحصر، وإنما هو لوقار، وأن ضحكه ليس جهلاً وغفلة، وإنما هو التبسم، كما كان مأثوراً في ضحك رسول الله[٤] وهو أن تبدو نواجذه من غير استغراق في الضحك بالقهقهة.

---

(١) أخرج قريباً منه الإمام أبو طالب في أماليه من وصية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لأولاده قبيل موته بلفظ: «والله الله في جيرانكم فإنها وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ما زال يوصينا بهم حتى ظننا أنه سيورثهم». (انظر تيسير المطالب في أمالي أبي طالب ص١٢٨، وانظر نهج البلاغة).

(٢) هو لأبي ذؤيب الهذلي، لسان العرب ٥٣٤/٢.

(٣) في شرح النهج: إن صمت.

(٤) وقد جاء في صفة ضحك النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (جل ضحكه التبسم). (انظر النهاية لابن الأثير٥/٢٠).

(وإن بغي عليه صبر [حتى يكون الله تعالى هو الذي ينتقم له][1]): ليكون[2] الله تعالى هو المتصف له، ولما في ذلك من هضم النفس وكسرها.

(نفسه منه في عناء): تعب وَنَصَبٍ من كظم غيظه، ومنعها عن مراداتها، وكفِّها عن مشتهياتها، فهو في ذلك في غاية المشقة والإتعاب لنفسه.

(والناس منه في راحة): لأن لسانه مخزون عن أعراضهم، ويده مكفوفة عن أموالهم، وقلبه سالم عن الحسد والحقد عليهم.

(أتعب نفسه): أنصبها، وشقَّ عليها بتكليفها الأعمال الشاقة.

(لآخرته): أي رجاء لثواب الآخرة، ولذتها ونعيمها.

(وأراح الناس من نفسه): بالكفِّ عنهم في جميع ما يخافونه من غيره.

(بُعْدهُ عمَّا تباعد عنه): يريد أنه لا وجه في بُعْدِه عمَّا تباعد عنه من أمور الدنيا، إلا:

(زهد): رغبة عنها لا نقطاعها.

(ونزاهة): وتنزهاً[3]، ورفعة عن التضمخ بأطماعها ورذائلها.

(ودنوه): قربه.

(مما دنا منه): في جميع ما قرب منه من أمور الدنيا.

(لين): من شيمته، وتعطف في خليقته.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.
(٢) في (ب): حتى يكون.
(٣) في (ب): وتنزيهاً.

(ورحمة): في قلبه.

(ليس تباعده): عن ذلك:

(تكبراً[1]): تعاظماً في نفسه.

(وعظمة): واستعظاماً لأمره.

(ولا دنوه): قربه:

(مكراً[2] وخديعة): كما يفعله أهل التمرد، وأهل الفسوق، فهذه جملة ما ذكره في أوصاف المؤمنين المتقين.

قال: **(قال: فصعق همام صعقة كانت فيها نفسه، فقال أمير المؤمنين:**

أما والله لقد كنت أخافها عليه): لما يرى من رِقَّة قلبه، وشوقه إلى الجنة، ومرافقة هؤلاء الذين وصف حالهم.

ثم قال:

(هكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها): يريد تنفعهم نفعاً عظيماً، يُرَى أثره على أفعالهم.

فقال له قائل: فما بالك[3] يا أمير المؤمنين؟ فقال:

(ويحك! إن لكل أجل وقتاً[4]): الويح مصدر يذكر على جهة الدعاء،

---

(١) في شرح النهج: بكبر.
(٢) في شرح النهج: بمكر.
(٣) في (ب): فما بالك أنت يا أمير المؤمنين.
(٤) في نسخة: كتاباً (هامش في ب).

ولا يذكر فعله، وغرضه الإنكار على القائل قوله، يريد أن النفوس لا يمكن إزهاقها الموت إلا بأمر من الله ووحي من جهته في قبضها الملائكة.

(لا يعدوه): يتجاوزه.

(وسبباً لا يتجاوزه): في زيادة ولا نقصان.

(فمهلاً): منصوب على المصدرية، ومعناه الكفُّ والإرواد عمَّا هو فيه.

(لا تعُدْ لمثلها[1]**)**: الضمير لهذه الفعلة، أي لا تفعل هذه الفعلة فهي خطأ.

(فإنما نفث الشيطان على لسانك!): يريد أن هذه الكلمة ما كان صدورها عن وقار[2] وفطانة وتبين، وإنما وسوس لك الشيطان فنفثت بها، وأزلَّك فنطقت بها، وأضافها إلى الشيطان مبالغة لما كان هو الداعي إليها، وكان حصولها بسبب من جهته.

ويحكى عن الشبلي[3] وكان من مشائخ التصوف أنه وعظ يوماً وبالحلقة[4] صبي، فلما سمعه في وعظه صعق صعقة كانت فيها نفسه، فأحضروه إلى الخليفة، فقال: نفس حنت فرنت فدعيت، فسمعت فعلمت فأجابت، فما ذنبي! فخلوا عنه، وربما جرى هذا كثيراً على أيدي الزُّهَّاد وأهل الصلاح.

---

(١) في نسخة: لاتعد إلى مثلها (هامش في ب).

(٢) في (ب): عن وقار وتبين وفطانة.

(٣) هو دلف بن جحدر الشبلي [٢٤٧-٣٣٤هـ] ناسك، أصله من خراسان، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد، اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل: دلف بن جعفر، وقيل: جحدر بن دلف، ودلف بن جعترة وغير ذلك، له شعر سلك به مسلك المتصوفة. (الأعلام ٢/٣٤١).

(٤) في (ب): وكان خلفه صبي.

(١٧٥) ومن خطبة له عليه السلام يذكر[1] فيها المنافقين

(نحمده على ما وفَّق[2] **من الطاعة)**: سهَّلها ويسرَّها، وفعل[3] من الألطاف لها.

(وذاد عنه من المعصية): وحمى بالألطاف عن فعل المعصية، والضمير في عنه راجع إلى الأمر، أي وذاد عن الأمر من المعصية، ومن ها هنا لبيان الجنس أي من الأمر الذي هو المعصية.

(ونسأله لمنته تماماً): ونطلب[4] منه الإتمام لما منَّ به علينا من نعمه.

(وبحبله اعتصاماً): أي ونسأله الاعتصام عن المعاصي بحبله، وهو لطفه، كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾[آل عمران:١٠٣].

سؤال؛ ما وجه المجاز في تعليق الاعتصام بالحبل، وهلا قال: وبحبله استمساكاً؟

وجوابه؛ هو أن العصام هو رباط القربة وسيرها، التي[5] يُشَدُّ بها وتحمل به، قال ابن السكيت: أعصمت القربة إذا جعلت لها عصاماً،

---

(١) في شرح النهج: يصف، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٢) في شرح النهج: على ما وفق له.

(٣) في نسخة: وجعل (هامش في ب) والعبارة في (ب): وفعل من الألطاف الخفية.

(٤) في (ب): أي ونطلب.

(٥) في (ب): الذي.

وأعصمت فلاناً إذا جعلت له ما يستمسك في الرحل والسرج؛ لئلا يسقط، وأراد ها هنا استعارته مما ذكرناه، لأنهم إذا لم يعتصموا بحبل الله وهو التعلق بالدين، سقطوا وهلكوا، وكان ذلك سبباً لهلاكهم، فلهذا قال: (وبحبله اعتصاماً) يشير إلى ما ذكرناه من هذه الا ستعارة.

(ونشهد أن محمداً عبده ورسوله): مضى تفسيره غير مرة.

(خاض إلى رضوان الله كل غمرة): الغمرة ها هنا هي: ما يغمر من الماء، وجعله ها هنا استعارة إلى تطلّب رضوان الله، باقتحام الشدائد العظيمة.

(وتجرّع فيه كل غصة): الغصة: واحدة الغصص، وهي: الشجا، وجعله كناية عمّا وقع فيه الرسول من العسرة باحتمال أعباء النبوة، والاضطلاع بأثقالها.

(وقد تلوّن له الأدنون): يريد أن أقاربه، فعلوا به الأفاعيل، ودخلوا في الغدر والمكر به كل مدخل، فأهانهم الله تعالى[1] وأنزل بهم نكاله، ولما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[الشعراء:٢١٤] صعد الصفا ثم قال: «يا بني عبد المطلب، يابني هاشم، يابني عبد مناف، إنّي لا أملكُ لكم من الله شيئاً، ياعباس، ياصفية عمة رسول الله» ثم قال: «ياعائشة بنت أبي بكر، ياحفصة بنت عمر، يا فاطمة بنت محمد، افتدين أنفسكنّ[2] من النار، فإنّي لا أغني عنكنّ [من الله][3] شيئاً»[4].

(١) قوله: تعالى زيادة في (ب).
(٢) في (أ): أنفسكم.
(٣) زيادة في (ب).
(٤) رواه مفرقاً من حديثين العلامة المفسر الزمخشري في الكشاف ٣/٣٤٤-٣٤٥ برقم (٧٨٦) و(٧٨٨)، وروى قريباً منه وباختلاف يسير عما هنا العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام ٥/٢٦٥، وعزاه إلى البخاري عن أبي هريرة.

(وتألب عليه الأقصون): تألب القوم إذا اجتمعوا، وكانوا إلباً واحداً، وأعظم ما تألبت عليه العرب قريش وأحلافهم من سائر العرب في يوم الأحزاب فإنهم كانوا يومئذ عشرة الآف، نزلوا بمجتمع الأسيال[1]، فأيّده الله بالنصر وفرّق جموعهم.

(وخلعت إليه[2] العرب أعنتها): يقال: خلع فلان عذاره إذا بالغ فيما هو فيه من الفعل؛ لأن خلع العنان والعذار والرس[3] من الفرس، هو: الغاية في استخلاص ما عنده من الجري، وجعل هذا كناية عن بلوغ جهدهم في العداوة.

(وضربت إلى محاربه[4] بطون رواحلها): المحاريب هي: المجالس الشريفة، والمساكن العالية الرفيعة، وقِبَل المساجد، وسميت محاريب لأنه يحارب دونها ويُذَبّ عنها من رامها، وأراد الوصول إليها، يقال: فلان تُضْرَبُ إليه آباط الإبل وبطون الرواحل وأكباد الإبل، وكله على اختلاف عباراته كناية عن السرعة والاجتهاد في تحصيل الشيء وإيقاعه.

(حتى أنزلت بساحته عداوتها): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فاجتمعوا من كل جانب حتى أنزلوا، والساحة هي: ناحية الدار، والغرض ها هنا بنزول الساحة هو: الإذلال للعدو، والتمكن من استئصال شأفته، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾[الصافات:١٧٧] ولهذا يقال: قلّما غُزِيَ قومٌ إلى عقر دارهم إلا ذَلّوا.

(١) سيرة ابن هشام ٣/١٣٤، تحقيق عمر محمد عبد الخالق.
(٢) في شرح النهج: عليه.
(٣) في (ب): والراس.
(٤) في شرح النهج: محاربته.

(من أبعد الدار): على تباعد أوطانها، وتنائي ديارها.

(وأسحق المزار): أبعد المكان، قال الله تعالى: ﴿فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج:٣١] وأراد أنهم رموه بالعداوة عن قوس واحدة.

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): فإن حقكم متوجه عليَّ؛ لما وُلِّيته من إصلاحكم وهدايتكم.

(وأحذّركم أهل النفاق): الذين يظهرون الإسلام على ألسنتهم، وهم مُسِرُّوْنَ للكفر.

(فإنهم الضالّون): ضلَّ عن الطريق إذا أخطأها، وأراد الضالّون عن الهدى وعن طريق الجنة.

(المُضِلُّون): لغيرهم عن الدين، وسلوك طريقه.

(الزالّون): زلّت رجله إذا زلقت عن مستقرها، وأراد أنهم مائلون عن الدين ومتنكبون[1] عن طريقه.

(المُزِلُّون): لغيرهم عن الهدى، وطريق السلامة.

(يتلونون ألواناً): يدخلون كل مدخل، وأراد أنهم لا يثبتون على حالة واحدة.

(ويفتّنون افتناناً): الفتنة: المحنة، وافتتن الرجل إذا أصابته فتنة فذهب عقله وماله، وأراد أنهم يمتحنون الناس امتحاناً، ويذهبونهم[2] بالمكر والخدع[3] عن أديانهم.

---

(١) في (ب): ومكبون.
(٢) في (ب): ويذهبون بهم.
(٣) في (ب): والخديعة.

(ويعمدونكم[1] بكل عماد): يريد أنهم يحتالون في الفساد، وإعمال الآراء في الباطل كل حيلة.

(ويرصدونكم بكل مرصاد): رصده إذا راقبه، وأراد أنهم يراقبون الأحوال يستمكنون[2] من التوثب بالخدائع العظيمة، والأماني الكاذبة.

(قلوبهم دوية): فاسدة متغيرة، إما لمافيها من الكفر، وإما لما اشتملت عليه من الخدائع والمكر، فكل هذا يفسد القلب ويغيِّره.

(وصفاحهم نقية): النقاء هو: النظافة، يقال[3]: فلان نقي الجيب ونقي الراحة، [ويقال: بيت فلان أنقى من الراحة][4]، إذا كان لا متاع فيه، وأراد ها هنا أن ظواهرهم نقية، والبواطن منهم خبيثة لا خيرفيها.

(يمشون الخفاء): الخفاء منصوب على المصدرية، وهو في موضع الحال أي متخفين، كما قالوا: أرسلها العراك أي معتركة، وهل يكون قياساً أوسماعاً؟ فيه خلاف بين النحاة، وغرضه أنهم يمشون على جهة التستر لما يريدون من المكر بالخلق، والخديعة لهم.

(ويدبّون الضراء): الضراء هو: الشجر الملتف المستتر، يقال: فلان يمشي الضراء لصاحبه، ويدبُّ الخَمر[5] إذا بالغ في الخدع والمكر بصاحبه.

(وصفهم دواء، وقولهم شفاء): يريد ما يظهرون من الأوصاف

---

(١) في نسخة: ويتعمدونكم (هامش في ب).
(٢) في (ب): ليستمكنون، هكذا بإثبات النون وهو خطأ، والصحيح ليستمكنوا، بحذف النون.
(٣) في (ب): ويقال.
(٤) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٥) في (ب): الخمراء، وهو تحريف، والخمر هو جرف الوادي.

فهو حسن، وما يصدر من أقوالهم فهو شفاء لمن سمعه، لما فيهم من الرقة، وحسن الموعظة.

(وفعلهم الداء العياء): أي وما يفعلون من أعمال الحيل في الاستزلال للخلق، فهو داء يُعْيِي من عالجه، واجتهد في إصلاحه.

(حسدة الرخاء): جمع حاسد، كالكفرة والفسقة[1]، وأراد أنهم يحسدون كل نعمة أنعمها الله على عباده.

(مؤكّدوا[2] البلاء): أي يعظمون المصائب على الخلق ليستدرجوهم عن الثقة به[3]، والاطمئنان إلى خيره.

(ومُقنِطوا الرجاء): القنوط هو: اليأس، وأراد أنهم يؤيسون الخلق عن رجاء الرحمة من الله تعالى، وتلقي الخير من جهته.

(لهم بكل طريق صريع): صرعت الرجل: إذا أوقعته لجنبه وخده، والصريع بمعنى المصروع[4] كالقتيل [بمعنى المقتول][5]، وأراد أن لهم في كل جهة أعمال مكر، وحصول خديعة.

(وإلى كل قلب شفيع): يريد أن إعمالهم الحيل لاتكون على حالة واحدة؛ وإنما تختلف أحوالهم في ذلك، فيأتون لكل أحد من طريق مخالفة لطريق غيره.

---

(١) في (ب): كالكفرة والفجرة والفسقة.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: ومؤكدوا.

(٣) ظنن فوقها في (ب) بقوله: ظ: بالله.

(٤) في (أ): مصروع.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة في (ب).

(ولكل شجو دموع): الشجا هو: الحزن، وقد شجي الرجل أي[1] حزن.

(يتقارضون الثناء): أي يستعيرونه من جهة بعض لبعض بالألسنة؛ لما يبدو من ظاهر أحوالهم.

(ويتراقبون الجزاء): على الصنائع من بعضهم لبعض، وأراد أن صنائعهم فيما بينهم ليس فيها شيء لله، وإنما هي مصانعات لا خير فيها.

(إن سألوا): غيرهم مسألة من المسائل.

(ألحفوا): ألحوا[2] في المسألة، وبالغوا فيها.

(وإن عذلوا): العَذْلُ بذال منقوطة من أعلاها هو: الملامة، والعَذَلُ بالتحريك هو: الاسم منه، يقال: عَذَلَهُ عذلاً أي لامه ملامة.

(كشفوا): الحال، وأظهروا الفضيحة بصاحبها.

(وإن حكموا): بحكم بين الناس.

(أسرفوا): في الحكم بالحيف والبطلان بزيادة كان أو نقصان.

(قد أعدُّوا): أعددت الشيء إذا هيَّأته، قال الله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣] أي هُيِّئت.

(لكل حق باطلاً): لكل ما يظهر من الحق ما يمحوه من الباطل المخالف له، والمعاكس لأمره.

---

(١) في (ب): إذا.

(٢) في (ب): ألحفوا في المسألة: بالغوا فيها.

(ولكل قائم مائلاً): ولكل ما كان مستقيماً على الحق ما يناقضه من المحال.

(ولكل حي قاتلاً): يبطل ما فيه من الحياة ويذهبها.

(ولكل باب مفتاحاً): يستخرجون ما فيه ويذهبونه بباطلهم ومكرهم[١].

(ولكل ليل مصباحاً): يسيرون فيه[٢] إلى قضاء مآربهم، وأراد من هذا كله أنهم دخلوا كل مدخل وأعدُّوا لكل شيء ما يناقضه ويبطل ماهيته، ويفسد حقيقته من أمور الدين والدنيا.

(يتوصلون إلى الطمع باليأس): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنهم يتوصلون إلى الأطماع الباردة[٣] بالمحالات الباطلة وبما ليس وصلة فيتوصلون إلى الشيء بنقيضه؛ إغراقاً في الباطل، وتهالكاً في طلب المحال، فوضع قوله: إلى الطمع باليأس موضع ذلك.

وثانيهما: أن يريد أنهم يتوصلون إلى هذه الأطماع بإيئاس الخلق عن النفع من غيرهم، وأنه لا يوجد إلا في أيديهم فَيَطْمَعُون أموالهم بهذا الإيئاس، ولعل هذا مراده، ولهذا قال بعد ذلك وعلله بقوله:

(ليقيموا به أسواقهم): يحيونها وتستقيم صورتها؛ لأنهم إذا أيأسوهم من خير غيرهم جاءوا إليهم في طلب المنافع فاستقوت الأسواق عن الكساد، وظهرت قوتها بذلك.

(١) قوله: ومكرهم، سقط من (ب).
(٢) في (ب): به.
(٣) في (ب): البادرة.

(وَيُنْفِقُوا به أعلاقهم): العلق: الشيء النفيس، يقال: هذا ثوب علق إذا كان غالياً.

(يقولون فيشبّهون): في مقالتهم الحق بالباطل، والصواب بالخطأ.

(ويصفون فيموهون): موَّهت الشيء إذا طليته بذهب أو فضة، وتحت ذلك نحاس أو حديد، ومنه التمويه؛ لأنه يظهر فيه شيئاً وباطنه بخلافه، ومراده من هذا هو أنهم يقولون قولاً ليس باطنه مثل ظاهره، ولهذا كان تمويهاً.

(قد هينوا[١] الطريق): فيه روايتان:

أحدهما: بالنون وأراد أنهم جعلوها هينة، وسهَّلوها في الإباحة لكل شيء وإزالة لجام التكليف وتسهيل مشاقه بتركها.

وثانيهما: بالباء بنقطة من أسفلها أي جعلوا عليه شيئاً يهابه من سلكه فيكون مانعاً للسلوك والعبور، وأراد ها هنا طريق الجنة ومسالك السلامة.

(وأضلعوا المضيق): الضلَعُ: الميل والا عوجاج، وأراد المبالغة في منع السلوك في الطرق؛ لأن الضيق في الطريق مانع من سلوكها، فكيف إذا كانت معوجة مائلة مع ضيقها، فذلك يكون أبلغ في تعذر سلوكها، ونظيره في المبالغة[٢] قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾[الهمزة:٨] أي النار ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾[الهمزة:٨] أي مطبقة ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾[الهمزة:٩]، جمع عمود أي أنها مطبقة عليهم بإغلاق الأبواب عليهم، ومدَّ العمد على الأبواب وثاقاً بعد وثاق.

(١) في شرح النهج: هونوا.
(٢) قوله: في المبالغة، سقط من (ب).

(**فهم لمة الشيطان**): اللُّمة هم[1]: الثلاثة إلى العشرة، وأراد أنهم جماعة الشيطان وأعوانه وأحزابه.

(**وحمّة النيران**): الْحَمَّة بالتشديد هي: أشد الحر.

(**﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾**[المجادلة:١٩]): فانظر إلى هذه الآية ما أحسن موقعها حيث أوقعها، وما أرشق وضعها في موضعها.

وقد ذكر هذه الخطبة في شأن أهل النفاق، بعد ذكره لأهل التقوى وصفاتهم، جرياً على عادته المألوفة في كلامه من الملاءمة، وحسن الطباق، وجودة النظم لألفاظه وبديع الاتساق.

(١) في (ب): هي.

(١٧٦) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أحوال القيامة

(**الحمد لله الذي أظهر من آثار سلطانه**): السلطان الوالي، والسلطان: القدرة والولاية، والسلطان: الحجة والبرهان، والمراد ها هنا هو القدرة، وأراد أن الله أظهر من آثار القدرة وبدائعها وعجائبها، ومن ها هنا للتبعيض.

(**وجلال كبريائه**): الجلال: العظمة، والكبرياء هو: التكبر، وأراد ومن عظيم تكبره:

(**ما حيَّر مُقَلَ العقول**): الْمُقْلَةُ: عبارة عن تدوير العين وحجمها، وهو الذي يجمع السواد والبياض، وما ها هنا موصولة، وهي في موضع نصب مفعولة لأظهر، وحيَّرها أي أدهشها من الحيرة وهي: دهشة العقل وذهابه.

(**من عجائب قدرته**): من هذه بيان لقوله: (ما حيَّر) ولهذا يحسن مكانها التمييز، فيقول: ما حيَّر العقول إعجاباً واقتداراً.

(**وردع خطرات هماهم النفوس**): الردع: الكفُّ، والخطرات: جمع خطرة وهو ما يلم بالقلب من الأمور، والهماهم: ما يتردد[1] في الصدر من الصوت.

(١) في (ب): ما تردد.

(عن عرفان كُنْهِ صفته): عن تحقق غاية صفته.

(وأشهد أن لا إلـه إلا الله): الشهادة: المعاينة، والشهادة هي: الإخبار عن القطع، وهذا هو مراده ها هنا.

(شهادة إيمان): تصديق بأنه لا إله في الوجود إلا هو.

(وإيقان): أيقن بالشيء إذا قطع به، وأراد وتحقق بذلك.

(وإخلاص): عن الشكوك والشبهات العارضة في ذلك، أو إخلاص عن إشراك غيره في الإلهية.

(وإذعان): وذلة وخضوع، لأن من كانت هذه حالته وهو الانفراد بالوحدانية فيحق له أن يذعن لأمره وينقاد لحكمه.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله): قوله: (أرسله) مع قوله: (رسوله) من باب التجنيس من أنواع البديع، وهو أن تجتمع لفظتان أو أكثر في الاشتقاق من أصل واحد، ومنه قول بعضهم:

لَقَـد عَلِـمَ القَبَـائِلُ أنَّ قَومِـي ... لَهُـم حَـدٌّ إذَا لَبِسُـوا الْحَدِيْـدَا

(وأعلام الهدى): الشرائع والأحكام وسنن المرسلين.

(دارسة): مطموسة ممحوة.

(ومناهج الدين): طرقه ومسالكه.

(طامسة): إما مطموسة أي ممحوة، وإما ذات طمس وذهاب.

(فصدع بالحق): أظهره، من قولهم: صدع الفجر إذا ظهر.

(ونصح للخلق): بذل النصحية من أجل الخلق فيما دلهم عليه.

(وهدى إلى الرشد): من التوحيد وإزالة الأوثان وكسر الأصنام، وإلى الحكم والآداب الدينية.

(وأمر بالقسط[1]): العدل في كل شيء.

(ﷺ، اعلمـوا عبـاد الله أنـه لم يخلقكـم عبثـاً): من غير غرض لـه في خلقكم ولا صلاح لكم في إيجادكم، كما قال تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً﴾**[ص:٢٧].

(ولم يرسلكم هملاً): يقال: إبل فلان هَمَل إذا كانت بغير راعي ولا حافظ لها، والْهَمَل والعبث مصدران، وانتصابهما إما على الحال، وإما على الصفة لمصدر كأنه خلقاً ذا عبث، وإرسالاً ذا إهمال[2].

(علم مبلغ نعمه[3] عليكم): قدرها ومنتهاها وغايتها وقصاراها.

(وأحصى إحسانه إليكم): حصره وضبطه فلا يغادر من ذلك شيئاً.

(فاستفتحوه): ما عنده من الخيرات.

(واستنجحوه): مطالبكم كلها، فإنه لا لانجاح لها إلا من جهته.

(واطلبوا إليه): حوائجكم كلها في أمور الدين والدنيا.

(واستمنحوه): استعطوه من فضله من الْمِنْحَة وهي: العطية.

---

(١) في شرح النهج: بالقصد.

(٢) في (ب): ذا همل.

(٣) في نسخة: نعمته (هامش في ب).

(فما قطعكم عنه حجاب): فما قطع سؤالكم عنه حجاب بينكم وبينه.

(ولا أغلق عنكم دونه باب): فيكون مانعاً عن سؤالكم ونفوذ حوائجكم إليه.

(وإنه لبكل مكان): يريد أمره، وليس على ظاهره لأنه تعالى غير مختص بجهة فضلاً عن أن يقال: إنه في كل الأمكنة والجهات.

(وفي كل حين وأوان): أراد أنه دائم الوجود من حيث كان وجوده لذاته، و ليس الغرض تحديده بوقت من الأوقات، فإنه سابق للأوقات وجوده.

(ومع كل إنس وجان): المراد بهذه المعية هي معية المراقبة والحفظ، فإن الله تعالى حافظ لكل شيء ورقيب عليه، وليس الغرض من ذلك المصاحبة، فإنه تعالى لا يكون في جهة كغيره من هذه المتحيزات، فأراد أنه رقيب على الإنس والجن في أعمالهم وحفيظ عليها.

(لا يثلمه العطاء): الثلم: الكسر، يقال: بسيفه ثلم إذا كسر بعضه، وأراد أنه لا يثلم جوده العطاء أي لا ينقصه عطاؤه على كثرته، والثلم ها هنا استعارة لأنه لا يعقل في حقه نقصان.

(ولا ينقصه الحِباء): حباه يحبوه إذا أعطاه شيئاً من نائله وجوده، وأراد أنه لا ينقص ملكه حباؤه للخلق، وإعطاؤهم من فضله.

(ولا يستنفده سائل): يطلب نفاد ما عنده من الخزائن سؤال سائل وإن عظم سؤاله وطلبه.

(ولا يستنقصه[1] نائل): أي ولا يطلب نقصانه وذهاب ما عنده مستعطي، فإن كان النائل هو النول فهو على حذف مضاف، أي ذو نائل.

(ولا يلويه): يكفّه، من لوى الحبل إذا كفّه وعطفه.

(شخص عن شخص): حاجة شخص عن شخص آخر.

(ولا يلهيه صوت عن صوت): سماع صوت عن سماع صوت آخر، كما يكون ذلك في حق الواحد منّا، فإنه إذا اشتغل بحاجة اشتغل عن غيرها، وإذاسمع صوتاً شغله ذلك عن استماع[2] آخر مثله.

(ولا تحجزه هبة): تمنعه أن يهب شيئاً من المواهب العظيمة.

(عن سلب): ناس آخرين نعمتهم[3].

(ولا يشغله غضب): انتقام من قوم قد استحقوا النقمة من عذابه.

(عن رحمة): قوم آخرين قد استحقوها لطاعة[4] فعلوها.

(ولا توله رحمة): تحيره وتدهشه رحمة قوم.

(عن عقاب): عن إنزال عقوبة بقوم آخرين.

(ولا يجنّه[5] البطون عن الظهور): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أنه لا تستره، والجنّة: ما سترك من ثوب وغيره،

---

(١) في شرح النهج: ولا يستقصيه، أي لا يبلغ الجود أقصى مقدوره وإن عظم الجود؛ لأنه قادر على ما لا نهاية له. (انتهى من شرح ابن أبي الحديد)..
(٢) في (ب): سماع.
(٣) في (ب): نعيمهم.
(٤) في (ب): بالطاعة.
(٥) في (ب): تجنه.

يعني بـالبطون والظهور أغوار الأرض وأنجادها، لأن ذلك إنما يكون في حق من كان جسماً.

وثانيهمـــا: أن يكـــون غرضـــه مـــن ذلـــك أن يكـــون البطـــون والظهورمصدرين، من قولهم: بطن بطوناً وظهر ظهوراً، وأراد أنه يكون باطناً وظاهراً لا يمنعه أحدهما عن الآخر، فالأول يكون بالتاء بنقطتين من أعـلاه في قولـه: ولا تجنـه، والثـاني باليـاء بنقطتـين مـن أسـفلها؛ لأنهما مذكران.

(ولا يقطعه الظهور عـن البطـون): ما ذكرناه من الوجهين في الإجنان فهو حاصل ها هنا في القطع من غير تفرقة بينهما، ويقطعه بالياء والتاء أيضاً.

سؤال؛ أراه في الأول أضاف الإجنان إلى البطون، وفي الثـاني أضـاف القطع إلى الظهور؟

وجوابه؛ هو أن غرضه بالإجنان هو الستر، فأراد أن البطون من الأودية لا يجنُّ ظهورها عن إدراكه ورؤيته مع انخفاضها وشدة عمقها، وغرضه أن إدراكه للبطون غير مانع من إدراكه للظهور، وهكذا أيضاً أنه إذا أدرك ما على ظاهر الأرض ووجهها، فإن ظاهرها لايقطعـه عـن إدراك ما بطن في جوفها وتزيل رؤيته؛ بل هما سيان في ذلك، فلهذا أسند الاجتنان إلى البطون لما كانت مانعة من الإدراك بالإضافة إلينا، وأضـاف القطـع إلى الظهـور لـما كـانت قاطعـة للرؤيـة في حقنـا، استعارة لذلـك وتوسـعاً، وهـذا يؤيـد أن يكـون غرضـه بـالبطون والظهـور هـو المعنـى الأول دون المعنى الثاني.

(قرب فنأى): يريد قرب بالعلم والإحاطة دون الجهة، فَبَعُدَ أن تناله الأوهام، أو تدركه الألحاظ.

(وعلا): بالقدرة والقهر.

(فدنا): بالرحمة والطَّوْل.

(وظهر): بالأدلة الباهرة على وجوده.

(فبطن): عن الرؤية وسائر الإدراكات كلها لاستحالتها عليه.

(وبطن): عن إدراك حقيقته للعقول[1]، وأن تكون واقعة على كُنْهِهَا.

(فعلن): للمستدلين على ثبوته بالمخلوقات الموجودة والإحكامات البديعة.

(ودان): أذل واستعبد جميع الخلق.

(ولم يُدَن): يفعل به ذلك لا ستحالته في حقه.

(لم يذرأ الخلق باحتيـال): أراد لم يخلقهم[2] بحيلة أعملها، ولا وُصْلَة توصل إليها.

(ولا استعان بهـم لكـلال): الكلال هـو: السآمة والملل، وأراد أنـه لم يستعن بهم في شـيء من مخلوقاته لملالة أصابته، ولا فتـور لحقه في خلق هذه المكونات على عِظَمِها واتساعها وكثرتها.

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): اتّقاه وحفظ حدوده، ومراقبة ذلك كله.

(١) في (ب): حقيقة العقول.

(٢) في (ب): أراد أنه لم...إلخ.

(فإنها الزمام): المتمسك الذي[1] يحفظ به الإنسان نفسه عن ارتكاب الفواحش واقتحام المعاصي، استعارة من زمام الفرس والناقة، فإن من ركب فرساً بغير زمام لم يملك رأسها، فيوشك أن توقعه في مهلكة شديدة، وهكذا من لم يتقِ الله يوشك أن يقع في النارلإهماله لها.

(والقوام): يروى بكسر القاف وفتحها، فالكسر أخذاً من قولهم: هذا قِوام الأمر أي نظامه وعماده، وبالفتح، أخذاً من قولهم: مافعله فهو قَوام أي عدل وقسط لا حيف فيه، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان:٦٧] أي عدلاً، وكلاهما لا غبار عليه ها هنا[2].

(فاستمسكوا[3] بوثائقها): الوثيقة: الثقة، يقال: [فلان][4] أخذ بوثيقة أمره أي بالثقة منه.

(واعتصموا): من المعاصي وكل ما يكره إتيانه وتركه من الدين.

(بحقائقها): بما يحق أن يكون معتصماً فيها.

(تؤول بكم): ترجع بكم، من قولهم: آل إذا رجع.

(إلى أكنان الدعة): جمع كِنّ وهو: ما يستر ويُغطّى من الشمس وغيرها، والدَّعة: الراحة.

(وأوطان السعة): الوسع: خلاف الضيق، وأراد بذلك الجنة.

---

(١) في (ب): المتمسك به الذي...إلخ.

(٢) ها هنا، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: فتمسكوا، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٤) زيادة في (ب).

(ومعاقل الحرز): الأمكنة المنيعة المحرزة لصاحبها عن أن ينال بمكروه.

(ومنازل العز): حيث لا يضام صاحبها ولا يقهر.

(في يوم): متعلق بتؤول.

(تشخص فيه الأبصار): شخص الرجل بصره إذا فتح عينيه فلم يطبقهما، وهذا إنما يكون في الأمورالعظيمة كما يقع عند الموت، وعند رؤية أهوال القيامة، كما قال[1]: ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾[إبراهيم:٤٢].

(وتظلم لـه الأقطار): إذ لا شمس هناك ولا قمر ولا نجوم لذهابها وتغيرها عن حالتها؛ لتكوير الشمس وخسوف القمر، وانكدار النجوم، وغير ذلك من الأهوال.

(وتعطّل فيه صُرُومُ العشار): الصروم جمع صرم، وهي: الجماعة من الإبل، والعشار من الإبل: جمع عشراء وهي: التي أتى عليها في الحمل عشرة أشهر، وأراد وتعطلت الجماعات[2] من الإبل العشار، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾[التكوير:٤].

(وينفخ في الصور): قال الكلبي: لا أدري ما الصور، وقيل: هوجمع صورة مثل: بُسرة وبُسر[3]، يريد[4] أن الله ينفخ في صور الموتى أرواحهم فيقومون، وقيل: هو قرن ينفخ فيه إسرافيل[5]، وقيل: ميكائيل.

---

(١) في (ب): كما قال تعالى.

(٢) في (ب): الجماعة.

(٣) مختار الصحاح ص٣٧٣.

(٤) في (ب): ويؤيد ذلك أن الله ...إلخ.

(٥) النهاية لابن الأثير ٦٠/٣.

(فتزهق كل مهجة): تخرج من الجسم التي كانت فيه.

(وتبكم كل لهجة): أي كل ذي لهجة، كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾[يس:٦٥]، واللهجة هي: اللسان، يقال: فلان فصيح اللهجة.

(وتذل[1] الشم الشوامخ): الجبال العالية المرتفعة.

(والصم الرواسخ): الصخور الثابتة المستقرة من هول ذلك اليوم، وشدة فزعه.

(فيصير صلدها): الصلد: الحجر الأملس.

(سراباً رقرقاً[2]): السراب: الذي يُرَى بالنهار كأنه ماء، الرقرق: المضطرب الذي يجيء ويذهب وفيه لمعان.

(ومعهدها): مكانها الذي تعهد فيه أهلها.

(قاعاً سملقاً): المستوي من الأرض، وهو كالصفصف، كما قال تعالى: ﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً ۝ لاَ تَرَىٰ فِيهَا عِوَجاً وَلاَ أَمْتاً﴾[طه:١٠٦-١٠٧].

(فلا شفيع يشفع): لمن كان مستحقاً للعذاب من الله تعالى.

(ولا حميم يدفع[3]): عنهم ذلك العقاب المستحق.

(ولا معذرة تنفع): فيخرجون من العذاب، كما قال تعالى[4]: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[غافر:٥٢]، ﴿وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[المرسلات:٣٦].

---

(١) في (ب): وتزلّ.

(٢) في شرح النهج: رقراقاً.

(٣) في شرح النهج: ولا حميم ينفع، ولا معذرة تدفع.

(٤) في (ب): كما قال الله تعالى.

(١٧٧) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا

(بعثه حين لا علم قائم): العلم: منار الطريق، وقيامه: نصبه.

(ولا منار ساطع): أي ظاهر، ومنه سطع الفجر إذا ظهر نوره.

(ولا منهج واضح): طريق ظاهرة لمن يسلكها.

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله): مراقبته في السر والعلانية، وخوفه في كل الأحوال.

(وأحذّركم الدنيا): أبعدّكم منها، والتحذير: التبعيد من الشيء.

(فإنها دار شُخُوص): شخص من المكان إذا فارقه، وأراد أنها دار مفارقة وزوال إلى غيرها.

(ومَحلّة تنغيص): تنغيص: تكدير، وتنغّص نومه إذا تكدر، قال:

لا أرَى الْمَـوْتَ يَسْـبِقُ الْمَـوتَ شَـيءٌ
نَغَّـصَ الْمَـوتُ ذَا الْغِنَـى والْفَقِـيْرا[1]

(ساكنها): المستقر فيها.

---

(١) لسان العرب ٣/٦٨٠، وقال في نسبته: وأنشد الأخفش لعدي بن زيد، وقيل: هو لسوادة بن زيد بن عدي، وقوله: (شيء)، في اللسان: (شيئاً).

(ظاعن): خارج، من قولهم: ظعن عن مكانه إذا كان خارجاً عنه.

(وقاطنها): المقيم فيها.

(بائن): إما ذا بينونة عنها، وإما مفارق، من قولهم: بان عن موضعه إذا فارقه.

(تميد بأهلها): تضطرب بهم، وعنى بذلك تقلبهم فيها من حال إلى حال، فبينا ترى الإنسان فيها غنياً قد صار فقيراً، وعزيزاً حتى صار ذليلاً، إلى غير ذلك من الحالات والتنقلات.

(مَيَدانَ السفينة): شبَّه اضطرابهم وتباين أحوالهم على الدنيا باضطراب السفينة الواقعة على الماء.

(تصفقها[1] العواصف): تضربها الريح الشديدة من موضع إلى موضع.

(في لجج البحار): معظمها وأعمقها.

(فمنهم الغرقُ الوبِقُ): وعند ذلك أحوالهم منقسمة إلى من غرق في الماء وهلك فيه، والوباق: الهلاك.

(ومنهم الناجي): المتخلص.

(على متون الأمواج): متن الشيء: أشده وأصلبه، ومتنا الظهر: مُكْتَنِفَا الصلب من عن[2] يمين وشمال.

(تحفزها[3] الرياح): تسوقها، وحفزه إذا دفعه من خلفه.

(١) في شرح النهج: تقصفها.
(٢) قوله: عن، سقط من (ب).
(٣) في شرح النهج: تحفزه.

(بأذيالها): ذيل الرياح: ما انسحب على الأرض منها.

(وتحمله على أهوالها): الضمير للناجي، والأهوال جمع هول وهو: ما يروع الإنسان ويخجله[1].

(فما غرق منها فليس بمستدرك): أي لا نجاة له بعد ذلك ولا يُرْجَى له فرج.

(وما نجا منها): سلم من أهوالها.

(فإلى مَهْلَكٍ): أي فلابد من هلاكه بغير ذلك، والْمَهْلَكُ: الهلاك كَالْمَضْرَب من الضرب، وهذا من التشبيه المركب، شبه حالهم في الدنيا، ونجاة من ينجو منهم بالأعمال الصالحة، وهلاك من يهلك بالأعمال السيئة، واختلاف أحوالهم فيها وتباين[2] أمورهم، بحال قوم ركبوا سفينة، وضربتها الريح واشتدبهم الموج، فمنهم الغارق ومنهم الناجي، فمن غرق منهم فلا يُرْجَى له نجاة إلى البر، كما أن من هلك في النار فلا خلاص له عنها، ومن نجا منهم فإنما ينجو على شدة وصعوبة، وأهوال عظيمة وأخطار يلاقيها في معاناة الأمواج واضطرابها، كما أن من ينجو بالأعمال فإنما ينجو على مكابدة الشدائد ومقاساة العظائم.

اللَّهُمَّ، نجنا من هذه الأخطار، وسلّمنا من هذه الأهوال يا أكرم مسئول، وأعظم مرجو.

(عباد الله): إيقاظ وتنبيه عن هذه الغفلة، وتذكير بحال العبودية

(١) أي يحيره ويدهشه.
(٢) في (ب): وسائر.

وما ينبغي لهم من ملاحظة شأنها، ومراقبة أحوالها.

(الآن): وهو عبارة عن الوقت الذي أنت فيه، وقد وقع في أول حاله بالألف[1] واللام، وعند النحاة أنه مبني على الفتح، والحق أنه معرب إلا لعارض[2] يعرض في بنائه.

(فاعملوا): فاجتهدوا في تحصيل الأعمال الصالحة.

(والألسن مطلقة): عن الاعتقال وما يعرض لها من التغير عند الموت.

(والأبدان صحيحة): عن الأمراض والأوعاك.

(والأعضاء لدنة): رمح لدن إذا كان رخواً يسهل عطفه، وأراد بذلك الإشارة إلى زمن الشباب فإن الأعضاء فيه لينة رخوة يسهل عطفها ومدُّها وبسطها، بخلاف الشيخوخة فإن ذلك متعذر فيها، وكما توصف الأعضاء باللدونة، توصف الخلائق أيضاً، يقال: فلان له خلق لدنٌ إذا كان سلساً سهلاً[3]، قال:

لَـدنٌ إذَا لُوينْـتُ سَـهَلٌ مِعْطَفِـي

أَلْوِي إذَا خُوشِنْتُ مَرْهُـوبُ الشَّـدى

(والمنقلب فسيح): يريد إما المكان وهي الدنيا قبل ضيق القبر، وإما يريد[4] الزمان قبل حضور الموت.

---

(١) قوله: بالألف، سقط من (ب).

(٢) في (ب): لا لعارض.

(٣) في (ب): سبطاً.

(٤) في (ب): وإما أن يريد.

(والمجال عريض): التجاول هو: الاضطراب، ومنه تجاول الفرسان إذا جال بعضهم على بعض، وأراد موضع التجاول، وإنما وصفه بالعرض مبالغة في سعته؛ لأن الغالب في العادة أن العرض هو[1] أقل من الطول، فإذا كان العرض فسيحاً فكيف حال الطول، وهذه الجمل الابتدائية واقعة في موضع الحال من الضمير في اعملوا.

(قبل إرهاق الفوت): متعلق بقوله: اعملوا، وأراد قبل أن يغشاكم الأمر الذي يفوت عنكم معه كل شيء، وأرهقه إذا أغشاه.

(وحلول الموت): نزوله واتصاله بكم.

(فحققوا عليكم نزوله): ليكن عندكم حقاً لا مرية فيه، فكأن قد وقع، وما هذا حاله فهو حق لا محالة فيه، وافعلوا الخيرات كلها.

(ولا تنتظروا[2] قدومه): بفعلها فإن ذلك متعذر.

---

(١) قوله: هو، سقط من (ب).

(٢) في نسخة: ولا تستبطئوا (هامش في ب).

(١٧٨) [ومن خطبة له عليه السلام][1]

(ولقد علم المستحفظون): الذين سألهم الله حفظ علوم الشريعة، وطلب ذلك من جهتهم، كما قال تعالى: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ﴾[المائدة:٤٤].

(من أصحاب محمد ﷺ، أني لم أرد على الله ولا على رسوله): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أني لم أرُدَّ خبراً من جهة الله تعالى ولا من جهة رسوله، فيما أخبرني به عن نفسه أو عن الله من أمور الدين وأحوال القيامة، وغيرذلك من الأخبار.

وثانيهما: أن يكون غرضه أني لم أخالف شيئاً مما أمر الله به ورسوله بل صدَّقت الأخبار كلها، وامتثلت الأوامر جميعها.

(ساعة قط): في[2] وقت من الأوقات، ولا وقع ذلك في ساعة من الساعات، وقط موضوعة لا ستغراق الأوقات الماضية، تروى بفتح القاف وتشديد الطاء، وفتح القاف وتخفيف الطاء.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج، ومن هامش النسخة (ب).

(٢) قوله: في، سقط من (ب).

(ولقد واسيته[1] بنفسي): آسيت فلاناً بمالي أي جعلته أسوتي فيه.

(في المواطن التي تنكص فيها الأبطال): نكص على عقبيه إذا تأخر، قال تعالى: ﴿فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ﴾[المؤمنون:٦٦]، وأراد المواضع الصعبة في الحرب، فمن ذلك نومه على فراش رسول الله حين همَّ المشركون بقتله عند خروجه من مكة، ومسيره إلى الغار[2]، ومن ذلك انهزام الناس يوم أحد، وأنه لم يبق في المعركة سوى أمير المؤمنين والعباس[3]، ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥] عتاباً لهم[4] على ذلك، ومن ذلك ما كان منه في حنين حين انهزم المسلمون وقتل أمير المؤمنين ذا الخمار صاحب راية

---

(١) في نسخة: آسيته (هامش في ب).

(٢) الخبر مشهور، وانظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص٢٢٥-٢٢٧، والروضة الندية للبدر الأمير ص٣٣-٣٦، وسيرة ابن هشام ٦/٢ تحقيق عمر محمد عبد الخالق.

(٣) قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في الروضة الندية ص٢٤: قال المحب الطبري رحمه الله تعالى: عن أبي رافع قال: لما قتل أصحاب الألوية يوم أحد أخذ علي اللواء، فقال جبريل (عليه السلام): ((إن هذه لهي المواساة يا رسول الله))، فقال النبي ﷺ: ((إنه مني وأنا منه))، فقال جبريل (عليه السلام): ((وأنا منكما يا رسول الله)) أخرجه أحمد في المناقب. وقال الفقيه حميد أيضاً: وروى أبو رافع قال: لما كان يوم أحد نظر رسول الله ﷺ إلى نفر من قريش فقال لعلي: ((احمل عليهم)) فحمل وقتل هاشم بن أمية المخزومي وفرق جماعتهم، ثم نظر إلى نفر آخر من قريش، فقال لعلي: ((احمل عليهم)) فحمل عليهم وفرق جماعتهم، وقتل فلاناً الجمحي، ثم نظر إلى نفر من قريش فقال لعلي: ((احمل عليهم)) فحمل عليهم ففرق جماعتهم، وقتل أحد بني عامر بن لؤي، فعند ذلك قال جبريل (عليه السلام) ما قدمناه.انتهى.
قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٠/ ١٨٢: وروى المحدثون أيضاً أن المسلمين سمعوا ذلك اليوم صائحاً من جهة السماء ينادي: (لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي) فقال رسول الله ﷺ لمن حضره: ((ألا تسمعون، هذا صوت جبريل)). انتهى
هذا ومتابعة أخبار أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يوم أحد يطول، ومن أراد التوسع فليبحث عن ذلك في كتب الحديث والسير والمناقب.

(٤) قوله: لهم، سقط من (ب).

المشركين[1]، ولهذا قال[2]: ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾[آل عمران:١٥٣]، ومن ذلك ما كان منه في فتح خيبر حين رُدَّ غيره وفتح الله على يديه بعد أن حزن رسول الله حزناً عظيماً لما لم يفتح على يد غيره[3]، ومن ذلك ما كان منه

---

(١) قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير رحمه الله في المصدر المذكور ص٦٣-٦٤ في شرح قوله:

وحنيناً سل بها أبطالها ... كم بها أردى من الكفر كميا

قال ما لفظه: فإنها لما حصلت الهزيمة في المسلمين -أي يوم حنين- وبقي رسول الله ﷺ في نفر قليل فيهم عمه العباس بن عبد المطلب، وابن عمه أبو سفيان بن الحارث، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يقاتل بين يدي رسول الله ﷺ لم يُعْرَفْ له فرار في موطن قط، قال في الجامع الكبير في مسند أنس بن مالك قال: لما كان يوم حنين قال النبي ﷺ: ((الآن حمي الوطيس)) وكان علي بن أبي طالب يقاتل أشد القتال بين يديه. أخرجه العسكري في الأمثال. وقال الفقيه العلامة حميد المحلي رحمه الله تعالى بإسناده إلى المنتجع بن قارظ النهدي أن أباه حدثه وكان جاهلياً قال: شهدت هوازن، وكنت امرأً ندباً -أي نجيباً وظريفاً- يسوّدني قومي، ولقينا رسول الله ﷺ، فرأيت في عسكره رجلاً لا يلقاه قرن إلا دهدهه -أي دحرجه ودهده الشيء قلب بعضه على بعض- ولا برز إليه شجاع إلا أرداه، يصمد له ويبرز إليه، وبرز له الجلموز بن قريع وكان والله ما علمته حوشي القلب -أي قويه- شديد الضرب، فأهوى له الرجل بسيفه فاختلى قحف رأسه -أي قطعه- عن أم دماغه، فَحُدْتُ عنه وجعلت أرشقه، وهو لا يقصد ركاكة ولا يؤم إلا صناديد الرجال، ولا يدنو من رجل إلا قتله، وكانت الدائرة لمحمد ﷺ علينا، وأسلمت بعد ذلك، فتعرفت الرجل، فإذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام). (وانظر سيرة ابن هشام ٤/٧٤-٧٥).

(٢) في (ب): ولهذا قال تعالى.

(٣) أخرج الفقيه ابن المغازلي في المناقب ص١٣٣-١٣٤ برقم (٢٢٠) بسنده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ حيث كان أرسل عمر بن الخطاب إلى خيبر فانهزم هو ومن معه فرجعوا إلى رسول الله ﷺ، فبات تلك الليلة وبه من الغم غير قليل، فلما أصبح خرج إلى الناس ومعه الراية فقال: ((لأعطينَّ الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله غير فرار)) فعرض لها جميع المهاجرين والأنصار، فقال رسول الله ﷺ: ((أين علي؟)) حيث فقده، فقالوا: يا رسول الله، هو أرمد، فأرسل إليه أبا ذر وسلمان، فجاءه وهو يقاد لا يقدر على أن يفتح عينيه، ثم قال: ((اللهم، أذهب عنه الرمد والحر والبرد، وانصره على عدوه وافتح عليه، فإنه عبدك ويحبك ويحب رسولك غير فرار))، ثم دفع الراية إليه. انتهى.

وقال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في الروضة الندية ص٥٣-٥٤ ما لفظه: وفي الجامع الكبير من رواية بريدة عند ابن جرير قال: لما كان يوم خيبر أخذ اللواء أبو بكر فرجع ولم يفتح له، فلما كان من الغد أخذه عمر ولم يفتح له، وقُتِلَ ابن مسلمة ورجع الناس، فقال =

رسول الله ﷺ: ((لأعطينَّ لوائي هذا إلى رجل يحبُّ الله ورسوله، ويحبُّه الله ورسوله، لن يرجع حتى يفتح الله عليه)) فبتنا طيبة أنفسنا أن الفتح غداً، فصلى رسول الله ﷺ الغداة ثم دعا باللواء، فقام قائماً، فما منّا من رجل له منزلة من رسول الله ﷺ إلا وهو يرجو أن يكون ذلك الرجل حتى تطاولت أنا لها، ورفعت رأسي لمنزلة كانت لي منه، فدعا علي بنَ أبي طالب وهو يشتكي عينيه فمسحهما، ثم دفع إليه اللواء ففتح له. انتهى.

قلت: وأخرج الحافظ ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تأريخ دمشق ١/١٩٢ برقم(٢٣٧) بسنده عن إياس بن سلمة، قال: قال سلمة: ثم إن النبي ﷺ أرسلني إلى علي فقال: ((لأعطينَّ الراية رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله)) قال: فجئت به أقوده أرمد، فبصق نبي الله ﷺ في عينيه ثم أعطاه الراية، فخرج مرحب يخطر بسيفه فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب ... شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي بن أبي طالب:

أنا الذي سمتني أمي حيدرة ... كليث غابات كريه المنظرة

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

ففلق رأس مرحب بالسيف، وكان الفتح على يديه. انتهى.

وأخرج الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص١١٠ برقم (٦٨) بسنده عن جابر بن عبد الله، قال: شق على النبي ﷺ وعلى أصحابه ما يلقون من أهل خيبر، فقال نبي الله ﷺ: ((لأبعثنَّ بالراية أو باللواء مع رجل يحبه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله)) لا أدري بأيهما بدأ، قال: فدعا علياً (عليه السلام) وإنه يومئذ لأرمد فتفل في عينيه وأعطاه اللواء أو الراية، قال: ((سر)) ففتح الله عليه، قبل أن يتام آخرنا حتى ألجأهم إلى قصر، قال: فجعل المسلمون لا يدرون كيف يأتونهم، قال: فنزع علي الباب فوضعه على عاتقه، ثم أسنده لهم وصعدوا عليه حتى مروا وفتحها الله تعالى، قال: ونظروا بعد ذلك إلى الباب فما حمله دون أربعين رجلاً. انتهى.

وعلى العموم فقضية فتح خيبر على يد أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وإعطاءه الراية وحديث الرسول ﷺ المذكور فيه من أشهر القضايا عند جميع الطوائف، وقد ورد ذلك بأسانيد عدة في مصادر جمة ومن طرق كثيرة، انظر من ذلك ترجمة أمير المؤمنين من تأريخ دمشق لابن عساكر ١/١٧٤-٢٧٤ من الرقم(٢١٨) إلى الرقم(٢٩٠)، عن سمرة بن جندب، وأبي هريرة، وسهل بن سعد، وسلمة بن الأكوع، وبريدة الأسلمي، وابن عمر، وابن عباس، وعمران بن حصين، وأبي سعيد الخدري، وأبي ليلى الأنصاري، وسعد بن أبي وقاص، وعمر بن الخطاب. وانظر مناقب الفقيه ابن المغازلي الشافعي ص١٢٩-١٣٦ =

في قتل عمرو بن عبدود.

ثم قال رسول الله: «ضربة علي تعدل عبادة الثقلين»[1] يريد قتله لعمرو، وغير ذلك من المواساة في المضايق التي يصعب الخلاص منها.

(وتتأخر فيها الأقدام): جبناً وذلاً.

(نجدة): شجاعة وجرأة.

(أكرمني الله بها): جعلها كرامة لي وفضّلني بها على غيري ممن ليس حاله مثل حالي، ونجدة يُروَى[2] منصوباً على أنه مفعول له،

تحت الأرقام (٢١٣-٢٢٤) بسنده عن بعض من ذكر، والروضة الندية ص٥١-٦٢، وانظر مصادره الكثيرة في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦/٥٤٧-٥٤٨.

وقال العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي في لوامع الأنوار ١/١٠٧ في خبر الراية قال: وهو من المتواترات التي أطبق على نقلها أرباب الروايات. (وانظر فيه الخبر وتعدد طرقه ورواياته ومخرجيه ص١٠٥-١١٢).

(١) أخرج الحاكم الجشمي رحمه الله في تنبيه الغافلين ص٩٠ الحديث بلفظ: ((لقتال علي مع عمرو بن عبد ود أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة))، قال المحقق في تخريجه: رواه الحاكم في المستدرك٢/٣٢ بسنده عن سفيان الثوري.

قلت: وأخرجه الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل٢/٩ رقم(٦٣٦) بسنده عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده باختلاف يسير.

وخبر قتل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لعمرو بن عبدود هو في يوم الخندق، والخبر مشهور، انظر الروضة الندية ص٤٦-٥٠، قال البدر الأمير في المصدر المذكور عند ذكر الخبر ما لفظه: فكفى بهذه القصة شرفاً وفضلاً، فهي أجل من أن توصف، وأعظم من أن تعظم في ذلك اليوم الذي قال الله تعالى فيه أنها ﴿بلغت القلوب الحناجر﴾ فعندها لا فخر لمفاخر. انتهى.

وقال الحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص٩٠ في تعداد مقامات أمير المؤمنين في الجهاد قال ما لفظه: ثم مقامه يوم الخندق عند اجتماع الأحزاب يوم زاغت الأبصار ﴿وبلغت القلوب الحناجر، وتظنون بالله الظنونا﴾ وقال المنافقون: ﴿ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا﴾ فقتل عمرو بن عبدود بعد أن برز وطلب البراز وكاع الناس وذلك مقام لا يعادله مقام إلى يوم الدين وذلك لعلي أمير المؤمنين. انتهى.

(٢) في (ب): روي.

ويُروَى مرفوعاً أي هذه نجدة.

(ولقد قبض رسول الله): يعني وقت موته.

(وان رأسه لعلى صدري): يريد أنه كان متّكئاً للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عند موته وقبض وهو على هذه الحالة.

(وسالت[1] نفسه من كفي): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بالنفس الدم، وقد كان ذلك يوم[2] أحد، فإن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما جرح في وجهه جعل أمير المؤمنين يزيل الدم عن وجهه، وفي الحديث: «كل ما ليست له نفس سائلة، فإنه لا ينجس الماء موته فيه»[3].

وثانيهما: أن يكون غرضه أنه قبض روحه (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجعلت في سرقة[4] من حرير الجنة عند نزعها، فيجوز أن يكون ملك الموت وضعها في كفه

(١) في (ب): وقد سالت، وفي شرح النهج: ولقد سالت نفسه في كفي.

(٢) في (ب): في يوم.

(٣) رواه الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام نهج البلاغة -خ-، والرازي في مختار الصحاح ص٦٧٢ باختلاف يسير في بعض لفظه، وروى المؤلف في كتابه الانتصار ١/٤٠٢ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن الرسول ﷺ أنه سئل عن إناء فيه طعام أو شراب فيموت فيه ما ليس له نفس سائلة؟ فقال: ((هو الحلال أكله وشربه والوضوء منه)). قال المحققان في تخريجه ما لفظه: وفي رواية: ((إن كل طعام وشراب وقعت فيه دابة ليس لها دم فهو الحلال أكله وشربه، ووضوءه)) حكاه في أصول الأحكام وجواهر الأخبار. انتهى.

قلت: وروى الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام ١/١٨٧ عن شرح التجريد بسنده عن سلمان رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: ((إن كل طعام وشراب وقعت فيه ذبابة فماتت ليس لها دم، فهو الحلال أكله وشربه ووضوؤه)) قال الإمام القاسم (عليه السلام): وهذا في أصول الأحكام وفي الشفاء. انتهى.

(٤) السَّرَقُ محركة شقق الحرير الأبيض، أو الحرير عامة، الواحدة بهاء (أي سَرَقة). (القاموس المحيط ص١١٥٣).

كرامة لأمير المؤمنين وتشريفاً لحاله، ومثل هذا غير ممتنع فإن الله تعالى قد أكرمه بأمور عظيمة، ولعل هذا من جملتها، وهذا هو المطابق لظاهر كلامه، ولهذا قال بعد ذلك:

(فأمررتها على وجهي): يريد أنه مسح وجهه بها تبركاً بذلك، وهذا هو المعمول عليه من غير حاجة إلى تعسف التأويلات.

(ولقد وليت غسله): يريد توليته.

(والملائكة أعواني): على غسله وتجهيزه بالإعطاء والمناولة لما يحتاجه في ذلك؛ لأنه لما قبض رسول الله ﷺ ترددوا فيمن يغسله فقيل: لا يغسله إلا رجل من أهل بيته ولا يجرَّد من ثيابه، فغسَّله أمير المؤمنين في قميصه لم[1] ينزعه[2].

(فضجت الدار والأفنية): الضجيج: ارتفاع الأصوات وكثرتها، والغرض أهل الدار، والأفنية: جمع فناء وهو: جانب الدار.

(ملأ يهبط): الملأ من الناس هم: الأفاضل والأشراف، والهبوط: النزول.

---

(١) في (ب): ولم.

(٢) قال الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام ٢/١٥٦ عن تلخيص ابن حجر ما لفظه: قال: وروى البزار من طريق يزيد بن بلال قال: قال علي (ع): (أوصى النبي ﷺ أن لا يغسله أحد غيري) الحديث. انتهى.
قلت: وخبر غسل أمير المؤمنين علي (ع) للنبي ﷺ رواه المحدثون، ومن ذلك ما أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في مجموعه ص١٢٧-١٢٨ عن أبيه عن جده عن علي (ع) قال: (لما أخذنا في غسل رسول الله ﷺ سمعت منادياً ينادي من جانب البيت: لا تخلعوا القميص. قال: فغسلنا رسول الله ﷺ وعليه القميص، فلقد رأيتني أغسله، وإن يد غيري لتردد عليه، وإني لأعان على تقليبه، ولقد أردت أن أكبَّه، فنوديت ألا تكبَّه). (وانظر الاعتصام٢/١٥٥-١٥٦، وشرح النهج لابن أبي الحديد١٠/١٨٥).

(وملأ يعرج): يصعد إلى السماء، كل ذلك عناية بأمر الرسول وقدوم روحه إلى السماء، ومواراة جثته في الأرض، وفقده من الدنيا، وارتفاع أخبار السماء، وزوال أحد الأمنين[1]، فلهذا كان الضجيج من أجل ذلك.

(وما فارقت سمعي هينمة): الهينمة: الصوت الخفي.

(منهم[2]): من جهتهم.

(يصلون عليه):

سؤال؛ ما الفرق بين الصلاة من جهة الله تعالى ومن جهة الملائكة والثقلين، وما حكمها؟

وجوابه؛ هو أن الصلاة من الله تعالى على الرسول إنما هي الرحمة واللطف، ومن الملائكة إنما هي الاستغفار، ومن الثقلين إنما هو الدعاء، ويجمع هذه الأشياء كلها العناية بأمر الرسول صلوات الله عليه من جهة الكل، وعلى هذا يكون لفظ الصلاة من الألفاظ المتشابهة التي تدل على المعاني المختلفة بجامع واحد، كالنور فإنه دال على نور العقل ونور الشمس، وهما مختلفان.

وأما حكم الصلاة على الرسول فليس يخلو الحال، إما أن تكون

---

(١) يشير المؤلف (ع) بقوله: وزوال أحد الأمنين، إلى ما روي عن أمير المؤمنين علي (ع) أنه قال: (كان في الأرض أمانان من عذاب الله، وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر، فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله ﷺ، وأما الأمان الباقي فالاستغفار، قال الله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾) رواه في كتاب نهج البلاغة.

(٢) قوله: منهم، سقط من (أ).

في الصلاة أوفي غيرها، فإن كان في الصلاة فالذي عليه أئمتنا (عليهم السلام) أنها واجبة ولا تكون مجزية من دونها، وهو رأي الشافعي[1]، وذهب أبو حنيفة إلى أنها غير واجبة فيها، وأما في غير الصلاة فمنهم من أوجبها في العمر مرة، ومنهم من أوجبها في كل مجلس مرة إذا تكرر ذكره، ومنهم من أوجبها عند جري ذكره وإن تكرر مرات كثيرة في المجلس الواحد، وهو ظاهر ما تقضي به الأخبار، وفي الحديث: «تعس وانتكس[2]، وإذا اشتاك فلا انتقش من ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ»، وفي حديث آخر: «من ذُكِرْتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ فدخل النار فأ بعده الله»[3].

(حتى وارينـاه في ضريحـه): لحده، وفي الحديث: «اللحد لنا، والشق لغيرنا».

(فمن ذا أحق به مني[4]): أولى به[5] وأخص في الأمور كلها.

---

(١) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي، القرشي، المطلبي [١٥٠-٢٠٤هـ] أحد أئمة الإسلام والفقهاء الأعلام، إليه تنسب الشافعية كافة، ولد في غزة، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة١٩٩هـ، وتوفي بها سنة٢٠٤هـ وقبره معروف بالقاهرة، وأثره في الفكر الإسلامي كبير، وله تصانيف منها: كتاب الأم في الفقه، والمسند في الحديث، وغيرهما. (انظر معجم رجال الاعتبار ص٣٦٩).

(٢) في (ب): وابتئس.

(٣) له شاهد أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه بسنده عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((من ذكرت عنده فلم يصلِّ عليَّ خطئ طريق الجنة)). وهو في أمالي الإمام أحمد بن عيسى بن زيد بلفظ أبي طالب، والحديث بلفظ المؤلف رواه العلامة الزمخشري في الكشاف٥٦٧/٣ وابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤٤/٦، ورواه من حديث عن علي (عليه السلام) العلامة المجتهد علي بن محمد العجري في رضاء الرحمن ص٧٦-٧٧ وعزاه إلى كتاب الذكر للإمام محمد بن منصور المرادي رحمه الله، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٧٠/٨.

(٤) في (ب): فمن ذا أحق مني به.

(٥) قوله: به، سقط من (ب).

(حياً وميتاً): في حال حياته بالنصرة والتأييد والمعونة والإخاء والمودة، وفي حال موته بالخلافة في أمته والوصية في قضاء ديونه، وحياً وميتاً انتصابهما على الحال من الضمير في قوله: به.

(فانفذوا على بصائركم): فيه روايتان:

أحدهما: بالقاف، من قولهم: نقدت الدراهم إذا أخرجت زيوفها.

وثانيهما: بالفاء والذال بنقطة من أعلاها، من[1] قولهم: نفذ أمر فلان إذا كان ماضياً، وأراد أعرضوها عليَّ لأنقدها وأخرج رديئها أو لأمضيها أو أردها.

(ولتصـدق نيـاتكم في جهـاد عدوكـم): في الصبر والإبلاء، والنصيحة والألفة.

(فوالذي لا إله إلا هو): أي المتفرِّد بالإلهية.

(إني لعلى جادة الحق): الجادة هي: أوسط الطريق.

(وإنهم): يعني معاوية وأهل الشام وأهل الجمل، وغيرهم ممن خالفه.

(لعلى مزلة الباطل): مكان الزلل.

(أقول ما تسمعون): من هذه المواعظ الواضحة.

(وأستغفر الله لي ولكم): من جميع الذنوب و المعاصي.

---

(١) من، زيادة في (ب).

(١٧٩) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الإسلام

(الحمد لله الذي يعلم عجيج الوحوش في الفلوات): العجيج هو: رفع الصوت، والفلاة هي: الموضع القفر، والوحوش: جمع وحش، وهو[١] عبارة عن جميع حيوان البر، يقال: حمار وحش، وحمار وحشي.

(ومعاصي العباد في الخلوات): في الأمكنة الخالية التي لا يشعر بها أحد.

(واختلاف النينان في البحار الغامرات): النينان: جمع نون وهو: الحوت، وبحر غامر إذا كان كبيراً واسعاً.

(وتلاطم الماء بالأمواج[٢] العاصفات): واصطكاك الماء بعضه ببعض، بتحريك الرياح الشديدة، والموج: عبارة عن حركة البحر وزفيره.

(وأشهد أن محمداً نجيب الله): مختاره من بين الخلائق كلها.

(وسفير وحيه): المتوسط بالصلاح بين الله وخلقه.

(ورسول رحمته): المبشّر بالرحمة من جهة الله تعالى.

(أما بعد، فإني أوصيكم بتقوى الله الذي ابتدأ خلقكم): أوجدكم من غير شيء، كما قال تعالى: **﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾**[النساء:١].

---

(١) في (ب): وهي.

(وإليه معادكم[١]): مرجعكم، كما أشار إليه تعالى بقوله: **﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾**[الحج:١].

(وبه نجاح طلبتكم): فراغ ما تطلبونه، وترجون حصوله من جهته.

(وإليه منتهى رغبتكم): أي وهو الغاية فيما يرغب إليه مما عنده من الفضائل.

(ونحوه قصد سبيلكم): النحو ها هنا: ظرف مكان، أي وعنده مقاصد الطرق إلى النجاة ونجاحها، بالهداية إليها واللطف فيها.

(وإليه مراقي[٢] مفزعكم): المراقي: جمع مرقاة وهي الدرجة، أي لا يُرْتَقَى في الفزع من النوائب والعظائم إلا إليه.

(فإن تقوى الله دواء داء قلوبكم): من الوَحَر[٣] والصدأ الذي يلحقها بكثرة الذنوب، وارتكاب الخطايا.

(وبصر عمى أفئدتكم): أي وهو بمنزلة البصر لعمى الأفئدة.

(وشفاء مرض أجسامكم[٤]): أراد أن الأجسام إذا عرض لها المرض فلا شفاء لها عن الأجرام المؤلمة لها إلا بالتقوى.

(وصلاح فساد صدوركم): فإن الصدور إذا فسدت بالقسوة، فصلاحها إنما يكون في تقوى الله تعالى وخوفه.

---

(٢) في شرح النهج: بالرياح العاصفات، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).
(١) في شرح النهج: وإليه يكون معادكم.
(٢) في شرح النهج: مرامي، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٣) الوحر: الغل، والصدأ: الوسخ.
(٤) في شرح النهج: أجسادكم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(وطهور دنس أنفسكم): أي أن النفوس إذا كانت متدنسة بما يلحقها من الخطايا فطهورها يكون بتقوى الله.

(وجلاء عشا[1] أبصاركم): العشا: فساد البصر، وأراد أن بالتقوى يزول العشا ويذهب عمى الأعين.

(وأمن فزع جاشكم): الجأش: القلب، يقال: فلان واسع الجأش، وأراد أنها أمنٌ من فزع القلوب.

(وضياء سواد ظلمتكم): من ظلم الكفر والشبه، وغير ذلك مما يُعَبَّر عنه بالسواد، والإخبار عن الله تعالى بكونه قصد السبيل ونجاح الطَّلِبة، إما على حذف المضاف أي ذو، وإما على جهة المبالغة على طريقة: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[البقرة:١٧٧] وهو الأخلق بالبلاغة، وأرق في المسموع، وهكذا وصف التقوى بأنه بصر العمى، وشفاء المرض، وجلاء الأبصار على جهة المبالغة أيضاً، كأنه جعلها نفس ذلك الشيء لحصوله عندها بكل حال.

(فاجعلوا تقوى الله[2] شعاراً دون دثاركم): الشعارمن الثياب: مايلي الجسم، والدثار: فوقه، وأراد أنها تكون مباشرة لكم في الأحوال كلها خاصة بكم.

(ودخيلاً دون شعاركم): الدخيل والدخلل هو: الذي يداخل الرجل ويلابسه في جميع أموره، والدخيل من الثياب: ما كان دون الشعار الملاصق للجسم.

---

(١) في شرح النهج: غشاء.

(٢) في شرح النهج: فاجعلوا طاعة الله، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(ولطيفاً بين أضلاعكم): أي وأمراً لطيفاً يدخل تحت أضلاعكم، بالغ فيها حتى جعلها شعاراً ثم دخيلاً، ثم بالغ في ذلك حتى جعلها داخلة بين الضلوع في باطن الجسد.

(وأميراً فوق أموركم): أي يريد مالكة لأموركم، كما أن الأمير ملك[1] للجند والعسكر يتصرف فيهم كيف شاء[2].

(ومنهلاً لحين وِرْدِكم[3]): تشربون منه عند عطشكم، والمنهل: مكان الماء، والورد: وقت ورود الماء لأهله، يقال: هذا وُردك أي يوم وِرْدك.

(وشفيعاً لدَرْكِ طَلِبَتِكم): وذريعة إلى إدراك ما تطلبونه من ذلك.

(وجُنَّة ليوم فزعكم) الجُنَّة: ما يستر الإنسان من ثوب ودرع وغيره، وقت خوفكم من كل ما تخافونه.

(ومصابيح لبطون قبوركم): تضيء لكم القبور لمكانها.

(وسكناً): تسكنون فيه، وتطمئن إليه نفوسكم.

(لطول وحشتكم): في القبور ونزولها.

(ونفساً لكروب[4] مواطنكم): النفس: المتنفس، والكرب: ضيق الخاطر وتعبه، والمواطن: مواضع الحرب.

(فإن طاعة الله حرز من متالف مكتنفة): الحرز: ما يُلاذ به من جبل

---

(١) في (ب): مالك.

(٢) في (ب): يشاء.

(٣) في شرح النهج: ورودكم.

(٤) في شرح النهج: لكرب.

وغيره، والمتالف هي: المهالك، والاكتناف هو[1]: الاشتمال، وأراد أنها مُسَلِّمَةٌ لصاحبها من شرور كثيرة شاملة من خلفه وقدامه، وعن يمينه وشماله.

(ومخاوف متوقعة): يتوقع حصولها، ويظن وقوعها.

(وأوار نيران موقدة[2]): الأُوار بالضم هو: حرُّ النار والشمس والعطش، تمثيله للتقوى بالأوار لأمرين:

إما لإحراقها للشبهات، وإبطالها كإبطال لهب النار وحرها للأشياء، وإما من إضاءتها ونورها، كإضاءة النيران ولهبها.

(فمن أخذ بالتقوى): في جميع أموره.

(عزبت عنه الشدائد): زالت وذهبت.

(بعد دنوها): قربها إليه قبلها.

(واحلولت له الأمور بعد مرارتها): وإنما كانت الأمور مرة من غير تقوى؛ لأدائها إلى المرارة في الآخرة.

(وانفرجت له[3] الأمواج بعد تراكمها): شبَّه كثرة الشُّبَه ومواقعة المعاصي بالأمواج العظيمة إذا تراكمت، فإذا حصلت التقوى زالت هذه الأمور كلها.

---

(١) قوله: هو، سقط من (ب).
(٢) في نسخة: متوقدة (هامش في ب).
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: عنه.

(وأسهلت له الصعاب): أي وصارت الأمور الصعبة سهلة يسهل فعلها، ويقرب أخذها على سهولة.

(بعد إنضائها[1]): تصعبها، وهو بالضاد المنقوطة.

(وهطلت عليه الكرامة): هطلت السماء إذا دام مطرها، وأراد الكرامة من الله تعالى ومن خلقه.

(بعد قحوطها): القحط: ذهاب المطر.

(وتحدَّبت عليه الرحمة): من قولهم: فلان حَدْبٌ على أقاربه إذا كان مشفقاً عليهم كثير الرحمة لهم.

(بعد نفورها): شرودها عنهم وزوالها.

(وتفجرت عليه[2] النعم): من كل جانب بالخيرات.

(بعد نضوبها): نضب الماء إذا زال عن البئر وذهب.

(وثلت[3] عليه الكرامة): أَثُل الرجل بالثاء بثلاث من أعلاها، إذا كثر ماله، وكثرت عنده الثُّلَّة وهي: الضأن الكثيرة.

(بعد إرذاذها): الرذاذ هو: قليل المطر، قال:

يوم رذاذ عليه الدجن مغيوم

---

(١) في شرح النهج: إنصابها، أي إتعابها.
(٢) في (أ): عليهم.
(٣) في (ب): وأثلت، في شرح النهج: ووبلت.

(فاتقوا الله الذي نفعكم بموعظته): وغاية النفع الوصول إلى الجنة، والعمل لها[1].

(ووعظكم برسالته[2]): على ألسنة أنبيائه، وخاصة أوليائه.

(وامتن عليكم بنعمته): إما بالهداية إلى الدين، وإما بما أعطى من هذه النعم الجزيلة في الدنيا.

(فعدوا[3] أنفسكم لطاعته): من العدد، كقولهم: فلان يعد نفسه للحروب[4] والعظائم، ويجوز أن يكون من الإعداد وهو التهيئة، من قولهم: فلان قد أعدَّ للحرب عدته أي هيَّأ له ما يحتاج إليه فيه، ومنه قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[آل عمران:١٣٣] وأراد هيئوها للطاعة لله تعالى.

(واخرجوا إليه من حق طاعته): اعطوه ما يستحق منها، أخذاً من قولهم: خرجت إلى غريمي من دَيْنِه إذا أعطيته إياه.

(ثم إن هذا الإسلام دين الله[5]): الذي هو الدين والإيمان، وهي أمور واحدة عبارة عن القول والعمل والاعتقاد.

(الذي اصطفاه الله لنفسه): أي هو حقه الذي أخذ على عباده فعله، والقيام بأمره، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾[الزمر:٥٤]،

---

(١) في (ب): بها.

(٢) في نسخة: برسالاته، (هامش في ب).

(٣) في شرح النهج: فعبدوا أنفسكم لعبادته.

(٤) في (ب): للحرب.

(٥) دين الله، زيادة من النهج.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ﴾[النساء:١٣٦] وغير ذلك من الآيات الدالة على ذلك.

(واصطنعه على عينه): أي جعله بمرأى منه ومراقبة في كل أحواله، كما قال تعالى: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[طه:٤١] أي من أجل نفسي.

(وأصفاه[1] خيرة خلقه): إما آثره به، وخيرة خلقه يعني الرسول (صلى الله عليه وآله)، والخيرة بسكون الياء هو: المختار، كما قال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾[الإسراء:٤٠] يريد آثركم بهم، وإما أخلصه من الشوائب له بأن جعله صافياً لا كدر فيه.

(وأقام دعائمه[2]): أشادها وقوَّاها ومكنها وأعلاها.

(أذل الأديان بعزِّه[3]): صارت ذليلة لا يلتفت إليها كاليهودية، والنصرانية، وسائر الملل بعزِّه، وتعلق الباء على وجهين:

أما أولاً: فبأن يكون عزه آلة في ذلها، وذلك لأنها صارت منسوخة أحكامها به، والإسلام ثابت الأحكام فذلها: نسخها به.

وأما ثانياً: فبأن يكون على جهة التعليل، أي أنه أذلها من أجل عزه، كما تقول: أعطيتك بالمعروف والإحسان أي من أجل المعروف والإحسان إليك.

(ووضع الملل برفعه): أي لا وجه في وضعها إلا رفعة له وإشادة منزلته.

(وأهان أعداءه بكرامته): صغَّرهم وأقل أعدادهم تكريماً له

---

(١) في (ب): واصطفاه.

(٢) في شرح النهج: وأقام دعائمه على محبته، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٣) في شرح النهج: بعزته.

وتشريفاً بحاله، وهذا ظاهر فإن الاستخفاف بعدوك والإهانة له هو رفع من منزلتك وغيرة عليك لا محالة.

(وخذل محاديه بنصره): أهان بالخذلان وترك النصر المعادين له والمشاقين لأمره بما جعل له من النصر والتأييد، وقوة الأمر والمكانة.

(وهدم أركان الضلالة[1]): من اليهودية والنصرانية، أو من عبادة الأوثان والأصنام وسائر الملل الكفرية.

(بركنه): بقوة جانبه، وظهور حاله.

(وسقى من عطش): أروى أهل العطش، وهو استعارة ها هنا في إنقاذ أهل الضلال عن ضلالهم به.

(من حياضه): لما استعار ذكر العطش [والسقاء منه ذكر على عقبه الحياض؛ لمناسبتها للعطش][2]، وهذا من أنواع البلاغة يسمى توشيح الاستعارة.

(وأتأق الحياض): ملأها.

(بمواتحه): الماتح: المستقي، وأراد من أجل الجماعات المواتح له، وهو جمع لماتحة، وهي: الجماعة والفرقة.

(ثم جعله): خروج من نوع من الثناء إلى نوع آخر مخالف لما ذكره أولاً.

(لا انفصام لعروته): فصم الشيء إذا كسره من غير أن يبين،

(١) في نسخة: الضلال (هامش في ب).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

قال الله تعالى: ﴿لَا انفِصَامَ لَهَا﴾[البقرة:٢٥٦]، قال ذو الرمة يصف غزالاً:

كأنه دُمْلُجٌ من فضةٍ نَبَهٌ
فِيْ مَلْعَبٍ مِنْ جَوَارِي الْحَيِّ مَفْصُومُ[1]

(ولا فك لحلقته): فككت الشيء إذا خلصته، ومنه فكُّ الرهن، وهو: خلاصه.

(ولا انهدام لأساسه): الأس والأساس هو: الأصل.

(ولا زوال لدعائمه): عن القرار والثبوت والدوام.

(ولا انقلاع لشجرته): عن أصلها وثباتها في منبتها.

(ولا انقطاع لمدته): بالنسخ والتغيير، كما عرض لغيره من الأديان.

(ولا عفاء لشرائعه): أي لا اندراس لأحكامه ومعالمه.

(ولا جذ لفروعه): قطع لأغصانه العالية المنيفة، والْجَذُّ: القطع، قال الله تعالى: ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[هود:١٠٨].

(ولا ضنك لطرقه): الضنك: الضيق، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾[طه:١٢٤].

(ولا وعوثة لسهولته): الوعث: المكان الرخو الذي تغيب فيه الأقدام، فإن المشي فيه يكون شاقاً، وأراد أنه لا يكون صعباً على من سلك طريقه، والوعث: المشقة، ومنه وعوثة السفر أي مشقته.

(١) لسان العرب ٢/١١٠٣، وقال في شرحه: شبه الغزال وهو نائم بدملج فضة قد طرح ونسي، وكل شيء سقط من إنسان فنسيه ولم يهتد له فهو نبه. إلى أن قال: وإنما جعله مفصوماً لتثنيه وانحنائه إذا نام.

(ولا سواد لوضحه): الوضح: البياض، وأراد أنه لا سواد لبياضه، وهو مجاز في ظهور حجته وبيان أمره.

(ولا عوج لانتصابه): فيحتاج إلى مقوِّم.

(ولا عصل في عوده): العصل بالصاد المهملة: التواء في عسيب الذَّنب[1]، حتى يبدو بعض باطنه، وروايته بالضاد بنقطة من أعلاها تصحيف لا وجه له.

(ولا وعث لفجه[2]): الفج: الطريق في الجبل، والوعث: المشقة والتعب، وغرضه أنه لا مشقة على من تلبَّس به.

(ولا انطفاء لمصابحه[3]): المصابح: جمع مصبح، وغرضه أن أنواره مضيئة لا يتعرض لها الذهاب والانطفاء: **﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾** [الصف:٨].

(ولا مرارة لحلاوته): إنما أطلق عليه لفظ الحلاوة؛ لكونه مؤدياً إلى ذوقها وهو الجنة.

(فهو دعائم): أقامها الله تعالى، وقوَّى أركانها.

(أساخ في الحق): ساخ الماء في الأرض إذا ذهب فيها، وأراد أذهب[4] في الأرض.

---

(١) عسيب الذَّنَب: عظمه أو منبت الشعر منه. (المعجم الوسيط ٢/٦٠٠).

(٢) في (ب): بفجه.

(٣) في شرح النهج: لمصابيحه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٤) في (ب): وأراد إذا ذهب.

(أسناخها): السنخ بالسين بثلاث من أسفلها ونون هو: الأصل، يقال: سنخ هذا العود قوي إذا كان أصله متمكناً في الأرض.

(وثبّت لها أساسها): قرَّر أصولها.

(وينابيع): جمع ينبوع، وهو: عين الماء.

(غزرت عيونها): كَثُرَ ماؤها وعَظُمَ.

(ومصابيح): جمع مصباح.

(شبّت نيرانها): فلا تطفئ لهبه، ولا تخبو أنواره.

(ومنارات اقتدى بها سُفَّارها): أعلام للطريق يهتدي بها القاصد لها من أهل السفر؛ لأن الضلال كثيراً ما يعرض في الطريق لأهل الأسفار.

(وأعلام قصد بها فجاجها): طرقها المستوية التي لا اعوجاج فيها،

(ومناهل رَوِيَ بها ورَّادها): فلايحتاجون معها إلى شيء سواها.

(جعل الله فيه[1] منتهى رضوانه): غاية المطلوب من رضاه فلا غاية بعده[2].

(وذروة دعائمه): أعلاها.

(وسنام طاعته): السنام من كل شيء: أفضله وأعلاه، تشبيه له بسنام الناقة.

(فهو عند الله وثيق الأركان): أشدها وأصلبها.

---

(١) في (ب): فيها.

(٢) في (ب): بعد.

(رفيع البنيان): مبانيه عالية، وقواعده مرتفعة.

(عزيز السلطان): إما عزيز الحجة والبرهان لا يردُّها راد، وإما عزيز الولاية لا يضام أهله.

(منير البرهان): أدلته واضحة.

(مضيء النيران): أنواره مضيئة، لا يلحقها قترة ولا غبار.

(مشرق المنار): من الإشراق وهو: الإضاءة.

(معوز المثار): فيه روايتان:

أحدهما: بالعين المهملة والزاي أي لا يقدر أحد على تحريكه وإزالته عن مكانه.

وثانيهما: مغور بالغين المنقوطة والراء، وغور كل شيء قعره، والمثار: مكان الإثارة، وأراد أن الأمكنة التي يستثار منها دقائقه وأسراره بعيدة؛ لاشتماله على الأسرار، والرموز الدينية.

(فشرّفوه): عظّموا قدره وارفعوه.

(واتبعوه): وكونوا تبعاً له في جميع أموركم وأحوالكم.

(وأدّوا إليه حقه): من التزام أحكامه، والوفاء بها.

(وضعوه مواضعه): في الأمكنة التي رفعه الله بها، وأعلا حكمه وشرّف اسمه.

واعلم: أنه فيما ذكره ها هنا من الحث على تقوى الله تعالى،

وشرف حال الإسلام والإيمان، قد بالغ في ذلك غاية المبالغة، وذكر ذلك على أنحاء متفرقة، وفنون متفاوتة من ذكر المدائح والأوصاف فيهما جميعاً، فبيناه يتكلم في أسلوب من[1] ذكر المدائح، إذ خرج إلى أسلوب آخر، دالاً بذلك على كثرة مدائحهما، وبرهاناً قاطعاً على تبحره في فنون الكلام وأساليب البلاغة.

(ثم إن الله بعث محمداً [صلى الله عليه وآله] [2] بالحق): بالتوحيد وإبطال الشرك بالله، وبما أودعه من هذه الأحكام المنيرة، والشرائع الحسنة.

(حين دنا من الدنيا الانقطاع): قَرُبَ زوالها، وأشرف نفادها.

(وأقبل من الآخرة الاطلاع): قَرُبَ طلوعها، وآن وقوعها.

(وأظلمت بهجتها): ضياؤها ونورها.

(بعد إشراق): بعد أن كانت مشرقة منيرة.

(وقامت بأهلها على ساق): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بذلك الشدة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[القلم:٤٢].

وثانيهما: أن يكون غرضه استعدادهم للزوال عنها؛ لأن من استعدَّ للمسير، يقال فيه: قام على ساق.

(وخشن منها مهاد): الضمير للآخرة، والمهاد: المستقر.

(١) قوله: من، سقط من (ب).

(٢) زيادة في شرح النهج.

(وأزف منها قياد): الأزوف هو: الإسراع والعجلة، والقِياد: مصدر من قاده يقوده قياداً وقَوْداً[1] إذا جذبه بزمامه، ومنه قولهم: فلان حسن القِياد إذا كان ليِّن العريكة[2].

(في انقطاع من مدتها): في تعلق الظرف وجهان:

أما أولاً: فبأن يكون متعلقاً بدنا في قوله: حين دنا من الدنيا الانقطاع.

وأما ثانياً: فبأن يكون متعلقاً بقامت، أي وقامت على الشدة في انقطاع عمرها ومدتها.

(واقتراب من أشراطها): أعلامها وأماراتها الصادقة الدالة على وقوعها.

(وتصرُّم من أهلها): بالموت والقتل.

(وانفصام من حلقتها): انكسار، من فصمه إذا كسره، وأراد تغيُّر من حالها.

(وانتشار من سببها): انتشر الأمر إذا تفرَّق وتشتت.

(وعفاء من أعلامها): دروس واضمحلال من آثارها.

(وتكشف من عوراتها): الغرض من ذلك بدوّ المساءات منها بما تظهر[3] من الحوادث والتغيرات[4] العظيمة.

---

(١) في (ب): أو قَوْداً.
(٢) أي سلس الخلق.
(٣) في (ب): ظهر.
(٤) في (ب): والتغييرات.

(وقصر من طولها): يشير إلى نقصانها[1] الآن بعد أن كانت تامة من قبل بالتجدد والإقبال.

(جعله الله): يريد حين بعثه إلى الخلق من الجن والإنس.

(بلاغاً لرسالته[2]): إما مُبَلِّغاً لما أرسل به، كما قال تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[المائدة:٦٧]، وإما كفاية بها لا يحتاج معه إلى غيره في الهداية إلى الدين والشريعة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾[الأنبياء:١٠٦].

(وكرامة لأمته): لما خصه[3] من الرأفة والرحمة والحنو عليهم، والتعطف على هدايتهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[التوبة:١٢٨] والعنت: التعب والمشقة ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[التوبة:١٢٨] ويقال: إن الله تعالى ما جمع اسمين من أسماء نفسه إلا هاهنا في حق الرسول[4]؛ رفعاً لمكانه وإشادة[5] لمنزلته عنده.

(وربيعاً لأهل زمانه): لما فيه من الحياة للقلوب بالعلم، وتزكية النفوس بالتذكير[6] لأمور الآخرة، كما كان الربيع حياة للنفوس بحصول الأقوات والأرزاق والثمرات.

---

(١) في (ب): انقضائها.
(٢) في نسخة: لرسالاته، (هامش في ب)
(٣) في (ب): لما خصه الله.
(٤) الكشاف ٢/٣١١.
(٥) في (ب): وإشارة.
(٦) في (ب): بالتذكرة.

(ورفعة لأعوانه): إعلاءً لمنزلة من أعانه، وإشادة لمنزلته.

(وشرفاً لأنصاره): بالإسلام والمتابعة له، والتمسك بشريعته، ولا شرف أعلا من ذلك.

(ثم أنزل عليه كتاباً[1]): يريد القرآن.

(نوراً لا تُطفأ مصابيحه): انتصاب نوراً إما على عطف البيان، أوعلى البدل من كتاب قبله، وأراد أن ما اشتمل عليه من الأحكام والأسرار والدقائق، فلا سبيل إلى تغيرها وزوالها.

(وسراجاً لا يخبو توقده): خبت النار تخبو إذا انطفت، والتوقد: التلهب للنار، وأراد أن نوره لا ينطفي استعارة في ذلك.

(وبحراً لا يدرك قعره): لا ينال منتهاه، ولهذا فإنك تجد جميع العلماء وسائر الفضلاء في كل فن على مر الأزمنة، وتكرر الدهور من يوم نزوله إلى يومنا هذا لا يزالون يستخرجون منه الأسرار والدقائق والرموز، فهي لا تزال غضة طرية.

(ومنهاجاً لا يضل من[2] نهجه): وطريقاً لا يضل عن الحق من سلكها.

(وشعاعاً لا يظلم ضوؤه): أي لايزول نوره.

(وفرقاناً لا يخمد برهانه): وتفرقة بين الحق والباطل لا يطفئ، من قولهم: خمدت النار إذا انطفت وزال لهبها.

---

(١) في شرح النهج: الكتاب.

(٢) من، سقط من شرح النهج.

(وبنياناً[1] لا تهدم أركانه): بالتغير والزوال.

(وشفاء لاتخشى أسقامه): أي لا يخاف عليه طرؤ الأسقام والأمراض.

(وعزاً لا تهزم أنصاره): يُغلبون ويُقهرون.

(وحقاً لا تخذل أعوانه): يُغلَبُ الناصرون له، ولا يقهرهم أحد .

(فهو معدن الإيمان): يريد القرآن؛ لأن منه تؤخذ أعلامه وأحكامه.

(وبحبوحته): وسط الشيء وخياره، قال جرير:

قومي تميم هم القوم الذين هم
ينفون تغلب[2] عن بحبوحة الدار[3]

(وينابيع العلم وبحوره): أي أنه صار للعلوم بمنزلة الينبوع الذي لا ينزف، والبحور التي لا تساحل[4].

(ورياض العدل وغدرانه): بمنزلة الروضة في راحة النفوس إليه، والغدير المملؤ في نشاط القلوب إلى رؤيته.

(وأثافيّ الإسلام): جمع أثفية، وهي: أفعولة، وهي: عبارة عن أحد الأحجار التي يستقرعليها القِدرُ.

(وبنيانه): الذي تستقر عليه أركانه.

(وأودية الحق): التي فيها يسلك لأخذه.

---

(١) في شرح النهج: وتبياناً.

(٢) في (ب): ثعلب، وهو تصحيف.

(٣) لسان العرب ١/١٦٤.

(٤) في (ب): الذي لا ساحل لها.

(وغيطانه): الغايط هو: المكان المطمئن، وجمعه غوط وغيطان.

(وبحر لا ينزفه المستنزفون): يُذْهِبُه ويُزِيْلُه الطالبون لإنزافه.

(وعيون لا ينضبها الماتحون): المستقون له، وقد مر تفسير الماتح.

(ومناهل لايغيضها الواردون): غاض الماء إذا ذهب، وأراد أنه لا يذهبه الواردون له وإن كثروا.

(ومنازل لا يضل نهجها[1] المسافرون): النهج هو: الطريق، وأراد أنه بيِّن واضح لا يخفى على أحد.

(وأعلام لا يعمى عنها السائرون): إليها، والسالكون طريقها.

(وإمام لا يجور عنه القاصدون[2]): لا يعدل عنه من قصده وأراده.

(جعله الله رياً لعطش العلماء): يرتوون منه عند عطش أكبادهم في العلوم كلها، فيأخذون منه هذه الأسرار، فتروى أكبادهم بأخذها منه.

(وربيعاً لقلوب الفقهاء): يأخذون منه الأحكام الشرعية التي يرتاحون إليها[3] كارتياح الخلق إلى الربيع.

(وفجاج[4] لطرق الصلحاء): يسلكون فيها إلى الجنة.

(ودواء): عن أمراض الذنوب والخطايا.

---

(١) في (ب): بها.

(٢) في شرح النهج: وآكام لا يجوز عنها القاصدون.

(٣) في (ب): إليه.

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: ومحاجّ.

(ليس بعده داء): لمن استعمله وتداوى به.

(ونوراً ليس معه ظلمة): تخالطه وتلتبس به، وأراد أنه حق لا باطل معه.

(وهدى لمن ائتم به): اقتدى به في جميع أحواله وأموره، وجعله هداية له حيث كان.

(وحبلاً وثيقاً عروته): لا تنقطع بمن استمسك بها، وكان القياس وثيقة عروته، لكن لما كان تأنيث العروة غير حقيقي جاز تذكير وثيقة.

(ومعقلاً منيعاً ذروته): المعاقل: الحصون، والذروة: أعلا الشيء، وأراد أنه حصن من الذنوب ذروته عالية منيعة.

(وعزاً لمن تولاه): تبعه، وانقاد لأمره وحكمه[1].

(وسلماً لمن دخله): أي سلامة لمن تلبس به عن جميع ما يخشاه، أو على جهة التشبيه؛ لأن السلم هو الصلح، [أي هو الصلح][2] لمن دخل فيه عن الحرب والقتل وغير ذلك من عواقب الحرب.

(وعذراً لمن انتحله): انتحل فلان كذا إذا ذهب إليه، ومنه النحلة وهي: المذهب، وأراد أنه غاية الحق لمن تلبس به وذهب إليه.

(وبرهاناً لمن تكلم به): أي حجة قاطعة[3] لمن تكلم على وفقه من غير مخالفة له.

---

(١) في (ب): وانقاد لحكمه وأمره.

(٢) سقط من (ب).

(٣) في (أ): ناطقة.

(وشاهداً لمن خاصم به): يشهد له بالفَلْج، والصحة في الأمر والدعوى.

(وَفلْجاً لمن حاجَّ به): أي أنه لمكان قوته واستمراره على الحق يَفْلُجُ[1] كل من حاجَّ به وجعله حجة له.

(وحاملاً): على الحق والطريقة المرضية، والحجة الواضحة.

(لمن حمله): اقتدى به، واهتدى بهديه.

(ومطية لمن أعمله): في طريق الحق، والمسيرإليه.

(وآية لمن توسم): للناظر الحاذق المتفرس الماهر، وأراد أنه علامة لمن أراد معرفة سمة الشيء وعلامته عن تحقق واستبصار.

(وجُنَّة لمن استسلم[2]): إليه في جميع أموره فهو حجاب له وستر عن كل مكروه في دينه ودنياه.

(وعلماً لمن وعى): حفظه لا علم أنفع منه.

(وحديثاً لمن روى): أي لا حديث أحسن منه ولا أعجب، كما قال تعالى[3]: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾[الزمر:٢٣].

(وحكماً لمن قضى): أي يحكم به من أراد إنفاذ الأشياء على وجهها وطريقها.

---

(١) يفلج: يفوز ويظفر.
(٢) في شرح النهج: وجنة لمن استلأم.
(٣) قوله: تعالى، زيادة في (ب).

(١٨٠) ومن كلام له عليه السلام يوصي به أصحابه

(تعاهدوا أمر الصلاة): اجعلوها على خواطركم وأذهانكم.

(وحافظوا عليها): إما على أركانها بالتمام، وإما على أوقاتها بالمراقبة.

(واستكثروا منها): من فعلها وأدائها.

(وتقربوا بها): إلى الله تعالى وإلى الفوز برضوانه وثوابه وغفرانه.

(فإنها كانت على المؤمنين كتاباً): مكتوبة مفروضة على من صدّق بالله، وصدّق برسوله، فلا ينكرها إلا مرتد كافر.

(موقوتاً): إما موقتة لها أوقات تخصها، وأزمنة تُؤدَّى فيها من غير مخالفة، وإما معلومة بأعلام، ومشروطة بشرائط وكيفيات مخصوصة، لا تكون مجزية إلا بتمامها وإكمالها.

(ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾[المدثر:٤٢]: يعني النار وهي[1]: اسم من أسمائها، ولها أسماء: كالجحيم، وجهنم، وسقر، ولظى، إلى غير ذلك[2] من الألقاب.

(﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾)[المدثر:٤٣]: أراد التنبيه على أن استحقاقهم

---

(١) في (ب): وهو.
(٢) في (ب): وغير ذلك.

للنار إنما كان من أجل تركهم للصلاة، ولولا قوله: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[المدثر:٤٦] لكان فيه دلالة قاطعة، وبرهان واضح على بطلان من زعم من المرجئة أن الفسَّاق بترك الصلاة [لا][١] يدخلون النار ويعذبون فيها، فالكون في سقر إنما هو في حق من جمع هذه الخصال لا غير، فلهذا لم يكن ذلك[٢] حجة عليهم.

(وإنها لتحتّ الذنوب حتّ الورق): أراد أنها تسقط ما كان من الذنوب الصغار، وتزيله كما تزول الأوراق اليابسة عن منابتها وتمحوها، فأما العقوبات المستحقة على الكبائر الموبقة فلا سبيل إلى[٣] إسقاطها إلا بالتوبة.

(وتطلقها إطلاق الرِّبَق): أراد وتزيلها عن الكتب والدواوين التي دونت[٤] فيها كإطلاق أولاد المعز عن الربق التي وضعت رءوسها فيه، والرِّبَقة: حبل تُجعل فيه حِلَقٌ تُدْخَل فيه رءوس أولاد الضأن والمعز.

(وشبهها رسول الله [ﷺ][٥] بالحَمَّة تكون على باب الرجل): الحمة هي: العين الحارة، وقوله: تكون على باب الرجل مبالغة في القرب؛ حتى لا يمشي لها مكاناً بعيداً.

(فهو يغتسل منها كل يوم خمس مرات[٦]): يريد صلاة اليوم والليلة،

(١) سقط من (أ).

(٢) قوله: ذلك، سقط من (ب).

(٣) في (ب): لإسقاطها.

(٤) في (ب): كانت.

(٥) زيادة في شرح النهج.

(٦) في شرح النهج: فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، وكذا في نسخة، ذكره في هامش في (ب).

فإنها خمس صلوات: صلاتان بالليل، وهو: المغرب، والعشاء الآخرة، وثلاث بالنهار: الظهر، والعصر، والفجر.

(فما عسى أن يبقى عليه من الدرن): من عُفونة الذنوب ودرن الخطايا، كما لا تُبْقِي الحمة من الكدر والوخم[١] شيئاً، والحديث من جهة الرسول في ذلك مشهور، فإنه قال: «مثل هذه الصلوات كمثل نهرٍ جارٍ على باب أحدكم، يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من الدرن»[٢].

(وقد عرف حقها من المؤمنين[٣]): المصدِّقين بوجوبها، والقائمين بحقها، والعارفين بفائدتها ومنفعتها.

(الذين لا تشغلهم عنها): عن تأديتها وتحصيلها.

(زينة متاع): من الدنيا ولذاتها وما تزين منها.

(ولا قرة عين): ما يقر العين ويلذها[٤].

(١) الوخم: الوباء، و في (ب): والوسخ.

(٢) انظر مسند شمس الأخبار ٢٧٦/١ الباب (٤٤)، والحديث بلفظ: ((مثل الصلوات الخمس كمثل نهر على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٦٠/٩ وعزاه إلى مسلم في المساجد٢٨٤، ومسند أحمد بن حنبل٤٢٦/٢، ٣٠٥/٣، والسنن الكبرى للبيهقي٦٣/٣ وغيرها.
وروى ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٠٤/١٠-٢٠٥ حديثاً بلفظ مغاير عند شرح قوله: (وشبهها رسول الله ﷺ بالحمة ...إلخ)، فقال ما لفظه: قال رسول الله ﷺ: ((أيسر أحدكم أن تكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات، فلا يبقى عليه من درنه شيء، قالوا: نعم، قال: فإنها الصلوات الخمس)). قال: وهذا الخبر من الأحاديث الصحاح.

(٣) في شرح النهج: وقد عرف حقها رجال من المؤمنين.

(٤) في (ب): ما تقر العين وتلذ به.

(**من ولد ولا مال**): وهما أعظم ما تقرُّ به النفوس وتطرب إليه، ثم تلا قوله تعالى: (﴿**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ**﴾)[النور:٣٧].

(**وكان رسول الله [صلى الله عليه وآله]**[1] **نَصِباً بالصلاة**): النصب: التعب، وأراد أنه كان متعباً لنفسه بالصلاة.

ويروى «أنه صلى حتى اسمغدت[2] قدماه»، وروي «حتى انتفخت قدماه»، فقيل له: يارسول الله، أليس قد غفرالله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أولا**[3] **أكون عبداً شكوراً**»[4]: يريد فهذه نعمة عظيمة فيكون شكرها العبادة لله تعالى، والقيام بحقه.

(**بعد التبشير له بالجنة**): بعد أن أعطاه الله الجنة وبشَّره بها، حيث قال تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾[الضحى:٥] وغير ذلك من الآيات.

(**لقول الله تعالى**): تعليل لما حكاه من نَصب الرسول بالصلاة.

(﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ**﴾)[طه:١٣٢]: بالقول والوعظ، والزجر لهم عن تركها.

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) اسمغدت: أي تورمت، وفي (ب): استمغدت..

(٣) في (ب): ألا.

(٤) أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٧٨ رقم (٣١) عن أنس بن مالك بلفظ: ((قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماه أو ساقاه، فقيل له: أليس قد غفر الله...إلخ)) وبرقم (٤٠) ص٨١-٨٢ عن أبي سعيد باختلاف يسير في بعض لفظه وزيادة في أوله. وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد١٠/٢٠٥، وورد منه قوله: ((أفلا أكون عبداً شكورا)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٧٧/٢ وعزاه إلى مصادر كثيرة منها البخاري٦٣/٢، ١٦٩/٦، ومسلم في صفات المنافقين٧٩، ٨٠، ٨١، وسنن الترمذي٤١٢، وسنن النسائي٢١٩/٣، وغيرها، انظر الموسوعة.

(﴿**وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾)[طه:١٣٢]: بالأداء، افتعال من الصبر، فكان الأمر لأهله باتخاذها وأدائها، وأمره[1] بالا صطبار عليها والمداومة لها.

(**فكان يأمر أهله**[2]): امتثالاً لأمرالله.

(**ويصبر عليها نفسه**): بالفعل والإكثار منها.

(**ثم إن الزكاة جعلت مع الصلاة**): أراد بهذه المعية من حيث أن الله تعالى قرنهما في كتابه الكريم، فما أمربالصلاة إلا وأمر بالزكاة معها في أكثر الآيات، كما قال تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**﴾[البقرة:٤٣] وغيرذلك، ومن ثمَّ أردف الفقهاء مسائل الزكاة على مسائل الصلاة في المصنفات الفقهية، مع تباعد أمرهما من حيث كان إحداهما[3] عبادة متعلقة بالأبدان، والأخرى عبادة متعلقة بالأموال، فجعلها الله تعالى:

(**قرباناً لأهل الإسلام**): القُرْبان: اسم لما يُتَقَرَّبُ به إلى الله تعالى من الطاعات، كما قال تعالى: ﴿**إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً**﴾[المائدة:٢٧].

(**فمن أعطاها**): أهلها، ومستحقيها من أهل المصارف الثمانية التي ذكرها الله في كتابه.

(**طيبة بها نفسه**[4]): سخية بها نفسه، من غير إكراه ولا إجبار من أحد له.

(**فإنها تُجْعَلُ له كفارة**): من خطاياه وذنوبه.

---

(١) في (ب): وأَمَرَ.

(٢) في (ب): فكان يأمر بها أهله.

(٣) في (ب): أحدهما.

(٤) في شرح النهج: طيب النفس بها.

(ومن النار حجازاً ووقاية): الحجاز: ما يكون حائلاً بين الشيئين، والوقاية: اسم لما يقي من حر أو برد أو غير ذلك.

(فلا يتبعها[1] أحد نفسه): يريد أنه إذا أعطاها[2] فلا ينظرها بعين الاستكثار ولا يمدنَّ عينيه[3] نحوها استعظاماً لأمرها، وقوله: فلا يتبعها أحد نفسه، من غريب الكلام وفصيحه.

(ولا يكثرن عليها لهفه): حزنه وتأسفه.

(وإن[4] من أعطاها): أهلها من إمام أو مستحق لها.

(غير طيب النفس بها[5]): عن كرهٍ، وشحٍّ وبخلٍ.

(يرجو بها ما هو أفضل منها): يزعمه من كثرة مال، وزيادة فيه ومحمدة الأشرار، وصرفها إلى من ليس من أهلها.

(فهو جاهل بالسنة): حيث صرفها في غير أهلها، وأعطاها من لا يكون مستحقاً لها.

(مغبون الأجر): منقوص الأجر والحظ.

(ضال العمل): لكونه عمل لغير الله فهو خاسر الصفقة.

(طويل الندم): على ذلك لكونه نادماً، ولا ينفعه ندمه لبطلانه وخسران أمره وذهابه.

---

(١) في شرح النهج: فلا يتبعنّها، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (أ): أعطاه.
(٣) في (ب): عينه.
(٤) في شرح النهج: فإن.
(٥) قوله: بها، زيادة في شرح النهج.

(ثم أداء الأمانة): ما اؤتمن عليه الإنسان من وديعة أو رسالة، أو غير ذلك من أنواع الأمانات.

(فقد خاب من ليس من أهلها): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن من ليس مؤدياً لها وهو خائن فيها، فهو خائن خاسر بالخيانة في أمانته.

وثانيهما: أن يكون غرضه أن من ليس يصلح أن يكون أميناً على وديعة، فقد خاب وخسر سعيه؛ لأن ذلك إنما كان من أجل فسادٍ في ديانته، وركةٍ في حاله.

(إنها عرضت على السماوات المبنية): بناءً عظيماً، والمحكمة إحكاماً لطيفاً بديعاً، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾[الذاريات:٤٧][1] وقال: ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[البقرة:٢٢].

(والأرضين المدحوة): المبسوطة، من قولهم: دحاه إذا بسطه، كما قال تعالى: ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[النازعات:٣٠].

(والجبال ذات الطول): البالغة في الطول كل غاية.

(المنصوبة): الذاهبة في الجوّ ذهاباً شديداً.

(فلا أطول، ولا أعرض، ولا أعلى، ولا أعظم منها): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بذلك السماء والأرض والجبال، فإنها مختصة بطول وعرض وعلو وعظم، لا يعلم حاله ووصفه إلا الله تعالى.

---

(١) سقط من (أ).

وثانيهما: أن يريد بذلك الجبال وحدها؛ لكونه أقرب المذكورين، والأول أولى؛ لأن ذلك هو المقصود.

(ولو امتنع شيء لطول[1]، أو عرض، أو قوة، أو عز): لا ختصاصهنَّ كلهنَّ[2] بهذه الأشياء.

(لا متنعن): عمَّا يعرض من الأمور، والحوادث العظيمة.

(ولكن أشفقن): خِفْنَ من تحمل الأمانة، والإشفاق هو: الخوف.

(من العقوبة): على التسهيل فيها، والخيانة في تحملها وأدائها.

(وعقلن ما جهل من هو أضعف منهن): أراد وعَقَلْنَ عاقبة الأمر في ذلك، وهو الذي جهله من هو أشد منهنَّ ضعفاً[3] في كل أموره وأحواله، بحيث لا نسبة لقوته إلى قوة أحدهن[4].

(وهو الإنسان): فإنه حملها.

(﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾)[الأحزاب:٧٢]: فظلمه[5] لنفسه بالمخالفة والمعصية، وجهله كان[6] من حيث تحمَّل ما لا يقدر عليه، ولا يعلم حاله.

سؤال؛ ماهي الأمانة، وما وجه وصف الإنسان بكونه ظلوماً جهولاً بحملها، وما موقع هذا التمثيل، وحقيقة حاله؟

(١) في شرح النهج: بطول.
(٢) قوله: كلهن، سقط من (ب).
(٣) في (ب): أشد ضعفاً منهن.
(٤) في (ب): إحداهن.
(٥) في (ب): وظلمه.
(٦) في (ب): بحال.

وجوابه؛ أما الأمانة فهي الطاعة لله تعالى بجميع ما كلف به، من أمر أو نهي من فعل أو كفّ، وسميت الطاعة أمانة لأنها لا زمة الوجود، كما أن الأمانة لا زمة الأداء، ووصف الإنسان بكونه حاملاً للأمانة؛ لأنها كأنها راكبة له وهو حامل لها، من قولهم: فلان ركبه الدين، فإذا أدَّاها لم تبق راكبة له، ولا هو حامل لها.

وأما وصف الإنسان بكونه ظلوماً جهولاً، فاعلم: أن الله تعالى وصفه بهذه الصفة على جهة المبالغة في حالة متمكنة، في هاتين الصفتين، فوصفه بكونه ظلوماً لتركه لأداء الأمانة، وإبطائه عن القيام بأمرها، ووصفه بكونه جهولاً؛ لإعراضه عن أدائها، وهو صلاح أمره وسعادة حاله.

وأما وجه التمثيل في ذلك فهو أن هذه الأجرام السماوية، والأرض والجبال لا شك في انقيادها لأمر الله انقياد مثلها من الوقوف على حسب إرادته، وإيجادها على حسب الداعية، فهذا هو القدر اللائق بالجمادات من الانقياد.

وأما الإنسان فانقياده لأمر الله بما[1] يكون صحيحاً من جهته؛ لكونه عاقلاً مكلفاً، وهو امتثال الأوامر وإيجادها، وغرضه من هذا التمثيل هو أن الإنسان لم يكن حاله في الا نقياد لأمر الله فيما يصح منه، مثل حال الجمادات فيما يصح منها؛ لانقيادها، وإعراضه، وكما نلقب[2] ما ذكرناه بالتمثيل في أنواع البديع، فقد يقال له: التخييل، وله موقع عظيم في كتاب الله تعالى، خاصة في الآيات الواردة بلفظ اليد والعين واليمين،

(١) في (ب): إنما.
(٢) في (ب): يلقب.

وغير ذلك من الآيات، فإنها واردة مورد التخييل، ومن اشتم رائحة من علوم البيان، وذاق حلاوة أنواع البديع، لم يَخْفَ عليه ذلك، وتنزيله عليه، ومن ضاق عَطَنُهُ[1]، ولم تتسع حوصلته لهذه الأسرار، أعرض عمَّا ذكرناه، وجاء بالتأويلات الباردة، كتأويل اليد بالنعمة، واليمين بالقدرة، والعين بالعلم.

ومن العجب تعويل النظار من المتكلمين على هذه التأويلات، وإكباب المفسرين على نقلها وتدوينها، وإعراضهم عمَّا هو اللائق بكتاب الله، والخليق بمعجزة رسوله، وما ذاك إلا لأنهم من علم البيان على مسافات، ومن الاطلاع على أغواره على مراحل وبُرِدٍ[2].

(إن الله سبحانه لا يخفى عليه): يغيب عن علمه، ويذهب عن حفظه ومراقبته.

(ما العباد مقترفون): ما هذه موصولة، أي الذي العباد مكتسبون له من أعمال الخير والشر، والطاعة والمعصية صغيرها وكبيرها.

(في ليلهم ونهارهم): ما يفعلونه في هذين الزمانين، وإنما سماهما؛ لأنهما هما أعم الأوقات، فلا وقت سواهما، واتصال هذا بما قبله هو أنه لما ذكر حال هذه الواجبات من الصلاة والزكاة، وبيَّن حالها[3] في الوجوب، وذكر الأمانة أيضاً، أراد أن يعرفك أن الله تعالى لا يخفى عليه شيء من أحوال هذه الواجبات من فعل أو كف في ليل أو نهار.

(١) في (ب): عطفه، ولم تتسع حوصلته لها بالأسرار. قلت: ويقال: فلان واسع العَطَنِ إذا كان رحب الذراع. (انظر أساس البلاغة ص٣٠٦).

(٢) جمع بريد، والبريد: اثنا عشر ميلاً.

(٣) في (ب): حالهما.

(لطف به خبراً): أي يخبر عنه، وإن لَطُفَ حاله وصَغُر مقداره، وانتصاب خبراً على التمييز بعد الفاعل، كقولك: طاب زيد نفساً.

(وأحاط به علماً): اشتمل عليه علمه، فلا تخفى عليه[1] منه خافية.

(أعضاؤكم شهوده): هذا تفسير لإحاطة علمه وشموله، بأن جعل الأعضاء شهوداً على ذلك.

(وجوارحكم جنوده): المراقبون لها، والحافظون.

(وضمائركم عيونه): التي يُبصركم بها، فلا يخفى عليه منكم شيء.

(وخلواتكم عيانه): يدركها بعين منه ومرأى.

(١) قوله: عليه، زيادة في (ب).

(١٨١) ومن كلام له عليه السلام يذكر فيه[1] عقوبة من مضى من الأمم والقرون

(أيها الناس، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله): أراد من هذا الكلام التنبيه على أن متبعي الحق هم قليل فلا يكون سبباً في الإعراض عنه.

(إن الناس اجتمعوا على مائدة): يعني الدنيا.

(شبعها قصير): أيام شبعها قصيرة، قليلة لا نقطاعها وزوالها.

(وجوعها طويل): يريد في الآخرة؛ لأنها باقية غير منقطعة.

سؤال؛ ما وجه حذف الفاء من إن في قوله: (إن الناس اجتمعوا) وكان القياس إثباتها بعد قوله: أيها الناس، للتنبيه على انقطاع الجملة الأولى من الثانية؟

وجوابه؛ هو أن الجملة الثانية ليس منقطعة عن الأولى، وإنما هي متصلة بها، فلهذا حذفت دلالة على ذلك، وإثباتها على جهة التعليل للأولى؛ لأن السبب في قلة أهل الهدى اجتماعهم على الدنيا، فلهذا لما كانت الجملتان كأنهما قد أفرغا في قالب واحد، لا جرم وجب طرح الفاء منها من أجل ذلك.

---

(١) في (أ): فيها.

(أيها الناس، إنما يجمع الناس الرضا والسخط): يعني في العذاب والرحمة، فإذا ارتكب أحدهم جرماً ورضي به الباقون كانوا مشتركين في ذلك الجرم، وسخط الله عليهم جميعاً، كما قال تعالى: **﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾**[الأنفال:٢٥] وإذا فعل أحدهم معروفاً، ورضي به الآخرون كانوا شركاء في ذلك الأجر، أو سخط شيئاً من القبائح ورضوا بسخطه رفع الله عنهم النقمة من أجل ذلك.

ثم ذكر ما يصدق ذلك، بقوله:

(وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد[1] منهم): وهو قدار[2].

(فعمهم الله بالعذاب): بالرجفة، فأصبحوا في دارهم جاثمين.

(لما عموه بالرضا): فلم يضربوا على يده ويكفوه[3] عن عقرها، ثم تلا قوله تعالى: (**﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ﴾**)[الشعراء:١٥٧]: لما فعلوه من الرضا، ولا ينفعهم الندم

(فما كان): عقيب ما فعلوه من العقر والرضا.

(إلا أن خارت أرضهم بالخسفة): صوتت، ومنه خُوَارُ العجل، وهو تصويته، وذلك أن الأرض إذا خسف بها صوتت كما تصوت النار عند إطفائها بالماء، وقيل: خارت انخفضت إلى أسفل، والخور: الانخفاض إلى الأرض، وهو مثل الغور.

---

(١) واحد، زيادة من شرح النهج.

(٢) قدار بن سالف، ويسمى أيضاً قدار الأحمر، أشقى الأولين، عاقر ناقة ثمود، وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿كذبت ثمود بطغواها، إذ انبعث أشقاها، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها، فكذبوها فعقروها، فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها، ولا يخاف عقباها﴾ صدق الله العظيم.

(٣) في (أ): ويكفونه.

(**خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة**): السكة: حديدة تُحرث بها الأرض، وأراد أن أرضهم ذهبت في الأرض كذهاب السكة في الأرض الرخوة اللينة، وهذا يؤيد تفسير الخوران بالذهاب والانخفاض والغور في الأرض، دون التصويت كما حكيناه.

روي أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء، ونزل بهم العذاب يوم السبت، وكانوا ألفاً وخمسمائة دار[1]، ولما مرَّ رسول الله بالحجر في غزوة تبوك، قال: «لا تسألوا الآيات، فقد سألها قوم صالح، فأخذتهم الصيحة فلم يبقَ منهم إلا رجل واحد كان في حرم الله تعالى[2]» قالوا: من هو؟ فقال: «ذاك أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه»[3].

ومرَّ رسول الله بقبره في المغمس[4] فقال: «هذا قبر أبي رغال دفن ومعه غصن من ذهب فابتدروه فوجدوا الغصن فأخذوه»[5].

(**أيها الناس، من سلك الطريق الواضح**): وهي الطريق المؤدية إلى الحق باتباع الأدلة العقلية، وما جاءت به الرسل.

(**ورد الماء**): وصل إلى غرضه من النجاة والجنة.

(**ومن خالف**): الطريق وجاء يميناً وشمالاً.

(**وقع في التيه!**): ذهب في التحير والضلال.

---

(١) الكشاف ١١٧/٢.

(٢) قوله: تعالى، زيادة في (ب).

(٣) الكشاف ١١٧/٢، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف١١٨/٧.

(٤) المغمس: موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال. (القاموس المحيط).

(٥) انظر الكشاف ١١٧/٢، وموسوعة أطراف الحديث ٢١٨/١٠.

(١٨٢) [ومن كلام له عليه السلام][1]

(**والله ما معاوية بأدهى مني**): الدهاء هو: الحذق والفتاكة في الأمور، وأراد به أنه ليس أعظم حذقاً ولافتاكة مني.

(**ولكنه يغدر**): الغدر: خلاف الوفاء.

(**ويفجر**): والفجور: إبطال العقود والمواثيق، وأراد أنه لا يفي بما يقول ويبطل ما عقد، فهذا هو الوجه في حذقه ودهائه، والدين يأبى ذلك وخوف الله.

(**ولولا كراهة[2] الغدر**): لوبال عاقبته عند الله، وإهانة صاحبه عند الخلق.

(**لكنت من أدهى الناس**): أعظمهم غدراً ومكيدة.

(**ولكن كل غُدَرَة فُجرَة**): يريد أن الواحدة من الغدر هي لا محالة واحدة من الفجور؛ لأنه لا يتم إلا به، وهو من حقيقته وجزء من أجزائه.

(**وكل فجرة كُفرَة**): والواحدة من الفجور هي واحدة من الكفر، وهذا إنما يكون فيما كان الفجور فيه كفراً، نحو تكذيب الرسل

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(٢) في النهج: كراهية.

والجحدان لله تعالى، فأما ما يكون فسقاً نحو البغي على إمام الحق، فإنه لا يكون كفراً، وإنما يكون فسقاً وخروجاً عن الدين.

(**ولكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به**[1]): وهذا حديث مشهور عن الرسول[2] قد استعمله ها هنا، والغرض أن الله تعالى يرديه رداءً يوم القيامة يكون علامة للخلائق يعرفونه به.

(**والله ما أستَغْفَلُ بالمكيدة**): الكيد والمكيدة واحد، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أني لا أكون غافلاً بالكيد فأكون خاسراً مغبوناً.

وثانيهما: أن يريد أني لا أستغفل لأجل سبب من الأسباب، فأكون مكيداً من جهة الرجال.

(**ولا أستَغْمَرُ بالشديدة**): وفيه روايتان:

أحدهما[3]: أن يكون أُستغمر بالراء، وأراد أنه لا يكون غمراً في الوقائع الشديدة، والغمر: الذي لم يجرب الأمور، ولا حنكته التجارب.

وثانيهما: أن يكون بالزاي، وغرضه أني لا أستغمز بالقرعة الشديدة لأني حازم يقظ، فيكفيني أدنى تنبيه، ولهذا يقال: فلان لا تقرع له العصا؛ لتيقظه وكثرة فهمه.

---

(١) العبارة في شرح النهج: ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة.

(٢) أورده في موسوعة موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٦٤٧/٦ وعزاه إلى البخاري ١٢٧/٤، ومسلم في باب الجهاد ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٦، ومسند أحمد بن حنبل ٤١١/١، ٤١٧، ٤٤١، والسنن الكبرى للبيهقي١٦٠/٨، والكامل لابن عدي٥٢٧/٢ وغيرها من المصادر. (انظر الموسوعة، وانظر مطمح الآمال ص٨٩)، وأخرجه الإمام أبو العباس الحسني رحمه الله تعالى في المصابيح ص٣٠٦ من حديث عن علي (عليه السلام) تمامه: ((ومن نكث بيعة لقي الله يوم القيامة أجذم)).

(٣) في (ب): إحداهما.

(١٨٣) ومن كلام له عليه السلام عند دفن [سيدة النساء][1] فاطمة عليها السلام

(**السلام عليك يا رسول الله عني و عن ابنتك**): السلام قد يرد نكرة ومعرفة، فالنكرة يرد[2] فيها منصوباً، كما في سلام الملائكة في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا سَلَامًا**﴾[هود:٦٩]، ومرفوعاً كما في سلام إبراهيم، كما قال تعالى حاكياً عنه: ﴿**قَالَ سَلَامٌ**﴾[هود:٦٩] وهو أبلغ لا نقطاعه عن التقييد بالأزمنة، وإذا كان معرفة فتعريفه قد يقال: إنه للعهد الذهني، كما يقال: أكلت الخبز وشربت الماء، وقد يكون للعهد الوجودي، وهو السلام في قوله تعالى: ﴿**صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾[الأحزاب:٥٦]، وقد يكون التعريف للجنس كأنه قال: وجنس[3] السلام عليك خاصة، ومعاني التعريف متوجهة ها هنا عنه وعن فاطمة على جهة النيابة عنها.

(**النازلة في جوارك**): يريد في بطن الأرض أو بالقرب منك؛ لأنه (عليه السلام) دفن في بيت عائشة حيث مات[4]، وهي مدفونة في البقيع على ميل من المدينة[5].

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) في (ب): فالنكرة قد يرد...إلخ.

(٣) في (ب): وحَسُنَ. وهو تصحيف.

(٤) المصابيح لأبي العباس الحسني ص٢٥١، وشرح النهج لابن أبي الحديد١٠/٢٦٨.

(٥) لوامع الأنوار ٣٢/٣، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص٢٦٨.

(والسريعة اللحاق بك): لأنها أول من مات بعد الرسول من أهله[1]، وروي أن الرسول قال لها: «أنت أول من يلحق بي من أهل بيتي»[2] فَسُرَّت بذلك، وقد كان في دفنها ما كان من الإسرار والدفن ليلاً[3].

(قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري): الصفية إما المختارة عندك من بين بناتك، وإما الخالصة بالمودة أيضاً من بينهنَّ، وأراد الإخبار عن قلة صبره بفراقها.

---

(١) وروى الحاكم الجشمي رحمه الله تعالى في تنبيه الغافلين ص٦٧ عن جابر بن يزيد سئل الباقر (عليه السلام) كم عاشت فاطمة بعد أبيها؟ فقال: أربعة أشهر، وتوفيت ولها ثلاث وعشرون سنة، وعن الصادق (عليه السلام): توفيت ولها ثمان وعشرون سنة وسبعة أشهر. انتهى.

قلت: وقال في الروضة الندية ص١٦٦: توفيت بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بستة أشهر على أصح الأقوال ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من رمضان سنة إحدى عشرة، وهي بنت تسع وعشرين سنة، قاله المدائني، وانظر لوامع الأنوار٣/٣١-٣٢.

(٢) حديث إخبار النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته فاطمة الزهراء سلام الله عليها بأنها أول أهل بيته لحوقاً به، أخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص١٣٧ برقم(١٠٢)، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ص٢٢٣ برقم(٤٠٨)، والحافظ محمد بن سليمان الكوفي في مناقب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ٢/٢٠٨ تحت رقم(٦٧٩)، ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٠/٢٦٦.

(٣) قال العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي حفظه الله في لوامع الأنوار ٣/٣١ ما لفظه: وفي تفريج الكروب: أرسلت فاطمة إلى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ((لا نورث ما تركناه صدقة)) وساق حتى قال: فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها علي رضي الله عنه. أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة. انتهى. وحكى فيه أن دفنها ليلاً كان بوصية منها. (وانظر الاعتصام٢/٢٦١، وشرح النهج لابن أبي الحديد١٦/٢١٧-٢١٨، والمصابيح لأبي العباس الحسني ص٢٦٦-٢٦٨، وفاطمة الزهراء والفاطميون للعقاد ص٥١).

(ورقّ عنها[1] تجلدي): التجلد: تكلف الجلادة، ورقة الشيء: ضعفه وهوانه.

(إلا أن لي في التأسي بعظيم فرقتك): استثناء منقطع عن الأول، يعني لكن في الاقتداء بما كان من عظيم فرقتك.

(وفادح مصيبتك): فدحه السير إذا أثقله، وأراد ما أثقل من المصيبة بفقدك[2].

(موضع تعز): مكان للتسلي عن فراقها؛ لأنه أعظم منه وأدخل في البلوى والمصيبة.

(فلقد وسدتك في ملحودة قبرك): الملحودة هي: اللحد، وهو[3] شق في أحد جانبي القبر.

(وفاضت بين نحري وصدري نفسك): واللام في لقد محققة للجمل بعدها، وأراد فهذه الأمور كلها تقطِّع الكبد وتصدعها حزناً وحسرة، وهي موضوعة بيان لقوله: موضع تعز ومفسرة له.

ثم تلا قوله تعالى: (﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾)[البقرة:١٥٦]: لأنها أعظم ما يقال عند حلول المصائب كما أشار إليه تعالى بها.

---

(١) في (ب): عنه.

(٢) وفي ذلك ما أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي (عليه السلام) في المجموع الحديثي والفقهي ص٢٥٨ برقم(٦١٠) بسنده عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الأجر على قدر المصيبة، ومن أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي، فإنكم لن تصابوا بمثلي)).

(٣) في (ب): وهي.

(فلقد استُرْجِعَتِ الوديعة): يحتمل أن يكون ذلك في حق فاطمة وهو الظاهر، ويحتمل أن يكون المراد هو الرسول.

(وأُخِذَتِ الرهينة): ممن كانت حاصلة عنده.

(أما حزني):عليكما.

(فسرمد): لا ينقطع أبداً.

(وأما ليلي فمسهد): التسهيد: ذهاب النوم، وأراد أني حزين مستمر الحزن، وأنا ذاهب النوم لا أنام، وإضافة التسهيد إلى الليل على جهة المبالغة، والسرمد إلى الحزن مبالغة أيضاً، كما قالوا: (صائم نهاره، وقائم ليله)[1].

(إلى أن يختار الله لي دارك): الدار الآخرة بالموت.

(التي أنت بها مقيم): مستقر حتى يأذن الله بخلاف ذلك.

(وستنبئك ابنتك[2]): أبهم الحال في المنبأ والمخبر به، وأراد بما كان بعدك من الأمور العظيمة، والحوادث المهمة في أمر الخلافة والا ستئثار بها.

(فأحفها السؤال): الإحفاء هو: الاستقصاء في السؤال.

(واستخبرها الحال): عن الحال، لكن حذف الجار وعدى الفعل إليه.

(فإن أنصرف): عن القبر.

---

(١) ما بين القوسين ورد في النسختين هكذا: صائم ليله وقائم نهاره، وظنن عليها في (ب) كما أثبته وهو الصواب.

(٢) العبارة في شرح النهج: وستنبئك ابنتك بتظافر أمتك على هضمها.

(فلا عن ملالة): لمن أخاطبه فيه.

(وإن أقِمْ): أستمر على الإقامة.

(فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين!): أراد إن إقامتي لو أقمت فإنما هي[1] إيناس عن وحشة القبر، وليس[2] ذلك شكاً فيما وعد الله من صبر على تحمل المكاره والأحزان وتجرعها.

(هذا ولم يَطُلِ العهد): هذا هي كلمة فصيحة، والغرض الإشارة بها إلى ما فعلوه من تلك الأفعال، والعهد بك قريب لم يَطُلْ فيقال: نسوه، كما قال الزبير لما ذكَّره أمير المؤمنين حديث بغيه عليه وقتاله له ظلماً، قال: إني أنسيت هذا الحديث.

(ولم يخلُ[3] منك الذكر): فيما ذكرته في حقي، وقلته في أمري من رفع المنزلة وإشادة الرتبة.

(والسلام عليكما): التعريف فيه قد سبق تفسيره.

(سلام مودع): بالرأفة والرحمة والرقة.

(لا قالي[4]): غير باغض.

---

(١) قوله: هي، سقط من (ب).

(٢) في (ب): فليس.

(٣) في (ب): يخمل.

(٤) في شرح النهج: لا قالٍ ولا سئم.

(١٨٤) ومن كلام له عليه السلام في ذكر الدنيا

(أيها الناس، إنما الدنيا دار مجاز): جاز إلى موضع كذا إذا عبر إليه، وأراد أنها معبر إلى الآخرة، أو يريد أن الدنيا مجاز لا حقيقة لها؛ لكونها منقطعة غير دائمة.

(وإن الآخرة دار قرار): لا انتقال عنه ولا زوال.

(فخذوا من ممركم): إما من مروركم، وإما من[1] مكان مروركم.

(لمقركم): لموضع[2] استقراركم، وإنما ظهرت اللام لفوات المصدر.

(ولا تهتكوا أستاركم): بارتكاب المعاصي، وتعدي الحدود، والهتك: الخرق[3] للستر، يريد أن الطاعة لله تعالى ستر شامل، وغطاء مسترسل، فإذا ارتكب المعاصي خرق ذلك الحجاب، وهو تمثيل بديع واستعارة حسنة.

(عند من يعلم أسراركم): ما تضمرونه في خواطركم، وتجترحونه في ذات صدوركم من كبير وصغير.

(وأخرجوا من الدنيا قلوبكم): بالرفض لها، والإهمال لأطماعها.

---

(١) قوله: من سقط من (ب).

(٢) في (ب): لمكان.

(٣) في (ب): الخزق.

(قبل[1] أن تخرج منها أبدانكم): أراد أن ذلك الإخراج إنما يكون نافعاً قبل الموت، وحين كان العمل مقبولاً، فأما بعد خروج الأبدان من الأرواح بالموت فذلك غير نافع.

(ففيها اختبرتم): الضمير للدنيا، يريد امتحنتم بالشدائد، وسائر أنواع التكاليف.

(ولغيرها خلقتم): للآخرة، وأراد أن الله تعالى خلق الخلق من أجل العبادة، فيستحقون بذلك الخلود في نعيم الآخرة ولذتها، كما قال تعالى[2]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦].

(إن المرء إذا هلك، قال الناس: ما خلّف[3]؟ وقالت الملائكة: ما قدّم؟): وهذا قد ورد عن الرسول (عليه السلام)[4] في بعض الأحاديث[5]، وإنما أورده ها هنا بياناً لقوله: أخرجوا من الدنيا قلوبكم واستحضاراً لفائدته؛ لأن الناس إذا هلك المرء يسأل الناس عمَّا خلّف بعده من الأموال، وأنواع النفائس لشغلهم بالدنيا وتهالكهم في حبها، والملائكة يسألون

---

(١) في (ب): من قبل أن ...إلخ.

(٢) تعالى، زياة في (ب).

(٣) في شرح النهج: ما ترك.

(٤) في (ب): ﷺ.

(٥) حديث الرسول ﷺ هو بلفظ: ((إذا مات ابن آدم تقول الملائكة بعضهم لبعض: ما قدّم؟ ويقول ابن آدم: ما خلّف؟)). أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين ص١٢١، قال محقق الاعتبار في تخريجه: هو في كنز العمال جـ١٥/٦٣٨ رقم(٤٢٧٣٤) بلفظ: ((إذا مات الميت تقول الملائكة: ما قدّم؟ ويقول الناس: ما أخّر؟)) وعزاه إلى البيهقي في شعب الإيمان، والديلمي عن أبي هريرة، وهو في موسوعة أطراف الحديث١/٤٠٥ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين٦/٢٣٤، والمغني للعراقي٢/١٨٤، ٣/٢٢٧.

عن أعمال الآخرة، وعمَّا ينبغي السؤال عنه وهو تقديم الأعمال الصالحة وأعمال النفس في المتاجر الرابحة، فكل واحد من الفريقين سائل عن مقصوده.

(لله آباؤكم): مدح لهم في معرض التعجب.

(فقدموا بعضاً): من أموالكم.

(يكن لكم قرضاً[1]**)**: عند الله تعالى، كما قال تعالى: **﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾**[المزمل:٢٠]، وإنما سماه قرضاً من أجل المجازاة عليه فهو بمنزلة ما يُقترض ويُقضى.

(ولا تخلفوا كُلاً): أراد كل الأموال، فطرح المضاف إليه، وجعل التنوين عوضاً عنه، كما قال تعالى: **﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾**[الفرقان:٣٩] أراد كلهم.

(فيكون عليكم كَلاً[2]**)**: ثقلاً وهو حمل وزرها بمنع[3] حقوقها، وصرفها في غير وجوهها[4].

وقوله: ولا تخلفوا كُلاً فيكون عليكم كَلاً، من أنواع البديع، يقال له: التجنيس الناقص، ثم هو على أنواع، فحيث كان متفق الأحرف، متباين الحركات يلقّب بالمختلف وهو هذا[5]، مثل قولهم: لا تُنال الغُرر إلا بركوب الغَرر.

---

(١) قوله: قرضاً، سقط من شرح النهج.
(٢) في شرح النهج: فيكون فرضاً عليكم.
(٣) في (أ): بمنعها.
(٤) في (ب): وجهها.
(٥) قوله: هذا، سقط من (ب).

(١٨٥) ومن كلام له عليه السلام يخاطب[1] به أصحابه، وكان كثيراً ما يناديهم به

(تجهزوا رحمكم الله!): التجهز هو: أخذ الأُهبة للسفر.

(فقد نودي فيكم بالرحيل): عن الدنيا والانتقال عنها، شبَّههم بحال قوم اجتمعوا في معسكر ثم صيح فيهم بالرحيل، فإنهم مرتحلون لا محالة.

(وأقلوا العُرجة على الدنيا): العُرجة بضم الفاء وفتحها هو: الإقامة على الشيء والالتفات إليه، يقال: مالي على هذا الأمر عُرجة وتعريج وتعرُّج أي إقامة والتفات، وأراد أنكم لا تلتفتوا[2] إلى الدنيا.

(وانقلبوا): إلى الآخرة.

(بصالح ما بحضركم[3] **من الزاد)**: وهي الأعمال الصالحة.

(فإن أمامكم عقبة كؤوداً): شاقّة المصعد فيها.

(ومنازل مَخُوفة): يخاف فيها العطب[4].

(مهولة): مفزعة يفزع فيها من عاينها.

---

(١) في شرح النهج: ينادي، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في (ب): لا تلتفتون.
(٣) في شرح النهج: بحضرتكم.
(٤) العطب: الهلاك.

(لا بد من الورود عليها): إتيانها، كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[مريم:٧١]، وغرضه في كلامه هذا[1] أهوال القيامة.

(والوقوف عندها): للمساءلة والحساب.

(واعلموا أن ملاحظ[2] المنية فيكم دانية): لحظه لحظاً وملحظاً، إذا نظر إليه بمؤخر عينه.

(وكأنكم بمخالبها): المِخْلَبُ هو: ظُفُرُ البُرثُن، وهو من ذوات المخلب من الطير بمنزلة الناب من السَّبُع، وفي الحديث: «نهى رسول الله عن أكل كل ذي ناب من السباع أو[3] مخلب من الطير»[4].

(وقد نشبت فيكم): تعلقت بكم فلا يمكن الخلاص منها، فهذه أوصاف المنية، وكان القياس أن تكون هائلة وخائفة، أي ذات هول وخوف، فتكون[5] على بناء اسم الفاعل، ولكنه عدل إلى بناء اسم المفعول مبالغة في ذلك؛ لتمكن الخوف والهول فيها، كأنه يخافها ويهالها[6] من رءاها ووقع فيها.

(١) هذا، زيادة في (ب).
(٢) في (ب): ملاحظة، ولفظ العبارة في شرح النهج: واعلموا أن ملاحظ المنية نحوكم دانية.
(٣) في (ب): و.
(٤) أخرجه من حديث الإمام زيد بن علي عليهما السلام في المجموع ص١٧٦ برقم(٣١٧) بسنده عن علي (عليه السلام)، ورواه الإمام أحمد بن عيسى بن زيد (عليهم السلام) في أماليه٢/٢٩١، والإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٥٢٧ برقم(٧١٩) عن ابن عباس، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٠/١٣٨ وعزاه إلى مسند أبي حنيفة١٤٢، وسنن النسائي٧/٢٠٠، وسنن ابن ماجة رقم(٣٢٣٢)، ومسند أحمد بن حنبل١/٣٣٢، والتمهيد لابن عبد البر١/١٦٠، وإلى غيرها من مصادره.
(٥) في (ب): فتكون عمل على بناء...إلخ.
(٦) في (ب): ويهابها.

(وقد دهمتكم منها مفظعات الأمور): فَظُعَ الرجل وأفظع بالفاء والظاء بنقطة من أعلاه[1] إذا نزل به أمر عظيم، وفَظُعَ الأمر إذا غلب واشتدَّ.

(ومضلعات المحذور): ضَلِعَ يَضلَع إذا مال، والمضلعات: المميلات، أي تميل ما تحذرونه إليكم وتقصدكم به.

(فقطعوا[2] علائق الدنيا): وصلها وحبائلها.

(بزاد التقوى[3]): بالا شتغال بالأعمال الصالحة فهي زاد التقوى.

وأقول: إن هذا الكلام قد بلغ في التهييج في الإقبال على الآخرة وإلهاب الأحشاء في قطع علائق الدنيا كل غاية من ذلك.

(١) في (ب): أعلا.
(٢) في نسخة: فاقطعوا (هامش في ب).
(٣) في شرح النهج: واستظهروا بزاد التقوى.

(١٨٦) ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد أن بايعه الناس بالخلافة، وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما

(**لقد نقمتما يسيراً**): يريد أن هذا الأمر[١] الذي أردتموه ليس أمراً واجباً عليَّ، ولا فيه إخلال بالإمامة إن لم يفعل فهو يسير لا أثر له ولا خطر لموقعه.

(**وأرجأتما كثيراً**): أخّرتما أمراً عظيماً لا ينبغي تأخيره، وهو متابعتي والانقياد لأمر الله وأمري، من قولهم: أرجى الأمر إذا أخّره ولم ينظر فيه، كما قال تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[الأعراف:١١١] ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾[التوبة:١٠٦] وما أخلق ما قالاه بقولهم في المثل: أريها السها وتريني القمر[٢]، والسها: كوكب صغير تمتحن فيه الأبصار، وهو مثل يضرب لمن تذكّر أدق الأمور ويغفل عن أجلاها وأوضحها.

(**ألا تخبرانني**[٣]): استفهام واقع موقع التقرير.

(**أي شيء لكما فيه حق دفعتكما عنه!**): فأكون ظالماً لكما[٤]، وأكون مستحقاً للعتاب من جهتكما.

(١) قوله: الأمر، زيادة في (ب).
(٢) لسان العرب ٢/٢٣١.
(٣) في شرح النهج: ألا تخبراني.
(٤) قوله: لكما، سقط من (ب).

(**وأي قسم**[١] **استأثرت عليكما به!**): من الأقسام التي جعلها الله لكما، وخصكما بها[٢] من الأموال.

(**أم**): هي: المنقطعة، وأراد الإضراب عمَّا يتعلق بحالهما، وذكر حال غيرهما من المسلمين.

(**أي حق رفعه إليَّ أحد من المسلمين**): مما يتعلق بأحوالهم، وفصل شجارهم في خصوماتهم وغير ذلك، مما يكون موقوفاً على أمري وأُحكّم فيه نظري.

(**ضعفت عنه**[٣]): فلم يمكني أخذه من الظالم، وإيفاء المظلوم حقه من ذلك.

(**أم جهلته**): فلم أتمكّن من إمضائه على حكم الشريعة، وأمر الله تعالى ورسوله.

(**أم أخطأت بابه**): فلم أضعه في موضعه، أو يريد أخطأت في مسألة فلم أعرف وجهها ودليلها، فهذه الأمور كلها يتوجه فيها النقم والعتاب، وليس منها واحد حاصل في حقي.

(**والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا فيها إربة**[٤]): الإِرْبَةُ: الحاجة،

(١) في شرح النهج: أم أي قسم.
(٢) في (ب): به.
(٣) في (ب): فيه.
(٤) في شرح النهج: ولا في الولاية إربة.

قال تعالى: ﴿غَيْرِ أُوْلِى الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾[النور:٣١] وأراد أن السبب فيما نقمتماه عليَّ واجترأتما عليَّ به من المعاتبة؛ إنما هو لأجل دخولي في الخلافة، وقيامي بأعبائها، فكان ذلك سبباً للطعن وتطلباً للمعائب والمثالب؛ زعماً منكما أن لي فيها رغبة وأن لي فيها حاجة، فمالي فيها رغبة وشوق، ولا لي فيها حاجة من الحوائج الدنيوية.

(ولكنكم دعوتموني): دعاء مضطر إلى ولايتي، محب لتصرفي[1] وخلافتي.

(وحملتموني عليها): بما أعطيتموني من الطاعة فوجبت الحجة عليَّ بذلك.

(فلما أفضت إليَّ): أفضى إلى فلان بسره إذا أعطاه ما عنده منه، وأراد فلما ألقت إليَّ أمورها وأعباءها.

(نظرت إلى كتاب الله): اعتمدت في جميع أموري كلها، من قولهم: لما دهمني أمر كذا نظرت إلى فلان أي اعتمدته في كل أحوالي.

(وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به فاتبعته): من غير مخالفة في ذلك.

(وما استسن رسول الله[2] فاقتديته): أراد أني جعلت الكتاب والسنة إمامين لي أقتدي بهما، وأقرر سيرتي عليهما، ولا أقدم ولا أحجم في الأمور كلها إلا بهما.

---

(١) في (ب): لنصرتي.

(٢) في شرح النهج: وما استن النبي ﷺ فاقتديته.

(فلم أحتج): في ذلك[1].

(إلى رأيكما): فآخذ به، وأصدر الأحكام عنه.

(ولا رأي غيركما): استغناء بما ذكرته[2] من الكتاب والسنة عن كل ما عداهما.

(ولا وقع حكم جهلته): في الفتاوى والأقضية.

(فأستشيركما وإخواني من المسلمين): في إصداره على وجهه.

(ولو كان ذلك): يشير إلى أنه لو وقع الجهل في حكم أو قضية.

(لم أرغب عنكما ولا عن غيركما): رغب عن الشيء إذا لم يرده، ورغب فيه إذا أراده، وغرضه أنه لو افتقر إلى رأيهما ورأي غيرهما لم يتركه زهداً فيه ورغبة عنه.

(وأما ما ذكرتما من الأسوة[3]): الأسوة هي: القدوة، وهي الاسم من التأسي، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب:٢١] فإنهما نقما ترك الاقتداء بهما وعدم التأسي بأحوالهما.

(فإن ذلك): الإشارة إلى ما هو عليه من الأمر والحل والعقد.

(أمر لم أحكم أنا فيه برأيي): فأحكِّم آراءكما فيه.

(ولا وليته هوى مني): إرادة مني له[4]، ومحبة فيه.

---

(١) في (ب): في ذلك كله.

(٢) في (ب): ذكره.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: من أمر الأسوة.

(٤) قوله: له، سقط من (ب).

(بل وجدت أنا وأنتما ما جاء به رسول الله[ﷺ] [1]): وإنما ذكر اسمهما مع اسمه ملاطفة في الخطاب لهما، وإشارة إلى إنصافهما، وأنه لم يستبد بشيء غير ما معهما كما أُلِفَ في خلائقه السَبَطة[2]، وعُهِدَ من شمائله السَلْسَة.

(قد فُرِغ فيه[3]): بالأمر والنهي، والحث والزجر، وتعريف[4] المصالح كلها والمفاسد.

(فلم أحتج إليكما فيما فرغ الله من قسمه): وإمضائه على ما قدَّره، وإحصائه على ما علمه وفرضه.

(وأمضى فيه حكمه): أنفذه على قدر ما رآه من المصلحة.

(فليس لكما والله عندي في هذا ولا لغيركما عتبى): العتبى هي[5]: الاسم من المعاتبة، يقال: تعاتبوا فأصلح بينهم العتاب، ويقال: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني، قال بشر بن أبي خازم:

غضبت تميم أن تقتَّل عامر   يوم النسار[6] فأعتبوا بالصيلم

أي أعتبناهم بالسيف، يريد أرضيناهم به.

---

(١) زيادة في (ب).

(٢) أي المتسعة.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: منه.

(٤) في (ب): وتفريق.

(٥) في (ب): هو.

(٦) في (ب): اليسار. وهو تصحيف، والبيت في لسان العرب ٢/٦٧٥.

(أخذ الله بقلوبنا وبقلوبكم[1] إلى الحق): أي جعلها مائلة إليه في كل أحوالها.

(وألهمنا وإياكم الصبر!): على ما نحن بصدده من هذه الأمور المهمة، والخطوب النازلة.

(رحم الله رجلاً رأى حقاً فأعان عليه): على فعله وأدائه.

(ورأى[2] جوراً فردَّه): ظلماً فأنكره وغيَّره.

(وكان عوناً): معيناً.

(بالحق): من غير حيف ولا عصبية.

(على صاحبه): الضمير للجور، أي على صاحب الجور ليرجع عن جوره، وإنما عقَّب الدعاء عقيب ذكره للعتاب لهما؛ جرياً على عادته في الجؤار إلى الله تعالى، واللجأ إليه في إلهام الحق لمن يقاتله كيلا يقتله على بغيه وظلمه، وقد مرَّ في كلامه غير مرة، وهكذا يكون عادة أئمة الحق والداعين إلى نصرة دين الله بالجهاد في سبيله.

---

(١) في شرح النهج: وقلوبكم.

(٢) في شرح النهج: أو رأى.

(١٨٧) ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

(إني لا أرى لكم[1] أن تكونوا سبابين): يريد أن السبَّ والأذية لا يجديان[2] شيئاً، ولا يعودان بنفع في دين ولا دنيا، وفي الحديث: «المؤمن لا يكون لعاناً»[3].

(ولكن[4] لو وصفتم أعمالهم): وهو ما كان منهم من الجرأة على الله تعالى بقتال إمام الحق والخروج عليه، ومنعه عن[5] إنفاذ أحكام الله.

(وذكرتم حالهم): وهو ما كان من التباس الحق عليهم، وغلبة الشبهات على قلوبهم.

(كان أصوب في القول): من السبِّ واللعن والأذية.

(وأبلغ في العذر): عند الله تعالى؛ لما فيه من النصيحة.

---

(١) في شرح النهج: إني أكره لكم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في (ب): لا يحدثان.

(٣) الحديث بلفظ: ((لا يكون المؤمن لعاناً)) في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٧/٤٥٣ وعزاه إلى سنن الترمذي رقم (٢٠١٩)، والترهيب والترغيب للمنذري٣/٤٧٠، وإتحاف السادة المتقين٧/٤٨٤، ومشكاة المصابيح للتبريزي رقم(٤٨٤٨).

(٤) في شرح النهج: ولكنكم.

(٥) في (ب): من.

(وقلتم مكان سبِّكم إياهم): ما يكون إصلاحاً لحالكم وحالهم، وهو الدعاء بأن تقولوا:

(اللَّهُمَّ، احقن دماءنا ودماءهم): عن أن تكون مهراقة على غير وجهها، وعلى خلاف رضوان الله وجهاداً في سبيله.

(وأصلح ذات بيننا وبينهم): بالفيء إلى الحق والارعواء إليه.

(واهدهم من ضلالهم[1]): ميلهم عن الحق، وإصرارهم على خلافه.

(حتى يعرف الحق من جهله): منَّا ومنهم.

(ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به!): ارعوى عن الغي إذا كفَّ عنه، والعدوان: التعدي، ولهج بالشيء إذا ولع به، ووزن ارعوى افعول، والواو فيه زائدة، وحكي عن بعضهم أن أصله[2] ارعوو بواوين، وهذا لا وجه له؛ لأنه من الرعاية ولامها ياء، والصحيح أن لامه ياء وأن واوه زائدة، فلهذا كان وزنه افعول، وأصله افعلل كاقشعرَّ.

---

(١) في شرح النهج: ضلالتهم، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٢) قوله: أن أصله، سقط من (ب).

(١٨٨) وقال عليه السلام بصفين وقد رأى الحسين[1] يتسرع للحرب

أي يسارع إلى القتال، ويريد الكر عليهم:

(املكوا عني هذا الغلام): أراد يحفظونه عن القتال، من قولهم: ملكت زمام الناقة إذا حفظته في يدك، واقتدرت عليه.

(لا يهدّني): إذا قُتِل، أي يكسر عظامي، من هدِّ البناء وهو كسره وإيهاؤه.

(فإني أنفس بهذين -يريد الحسن والحسين- عن الموت)[2]: أي أضنُّ بهما، من قولهم: نَفِسَ بهذا الأمر إذا كان ضنيناً به.

(على الموت[3]**)**: يريد[4] عن أن يقتلا فيموتا.

(لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله [ﷺ][5]**)**: مخافة أن يكون ذلك سبباً

(١) في شرح النهج: وقد رأى الحسن ابنه (عليه السلام) يتسرع إلى الحرب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في شرح النهج: فإنني أنفس بهذين -يعني الحسن والحسين عليهما السلام.

(٣) في (ب): عن الموت.

(٤) قوله: يريد، سقط من (ب).

(٥) زيادة في شرح النهج.

لانقطاع ذرية رسول الله؛ لأنه ﷺ لم يكن له عقب من صلبه، ولم يكن له أولاد إلا أربعة: عبد الله، وإبراهيم، والطاهر، والطيب، كلهم من خديجة، إلا إبراهيم فهو من مارية[1] درجوا صغاراً لما يعلم الله في ذلك من المصلحة، وإنما كان عقبه من ذرية فاطمة، وفي الحديث: «لكل نبي ذرية، وذريتي من صلبك يا علي»[2] يشير إلى ما ذكرناه.

(١) انظر المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ص٢١٤-٢١٦.

(٢) له شاهد أخرجه المرشد بالله يحيى بن الحسين الشجري (عليه السلام) في الأمالي الخميسية١/١٥٢، بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري بلفظ: ((إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي من صلبه، وإن الله عزّ وجلّ جعل ذريتي في صلب علي بن أبي طالب))، وأخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في المناقب ص٥٠ تحت الرقم (٧٢) عن جابر بن عبد الله الأنصاري مع اختلاف يسير في بعض لفظه، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣/١٤٨ وعزاه إلى المعجم الكبير للطبراني٣/٣٥، وأخلاق النبوة١٧٩، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي١/٣١٧، وكنز العمال(٣٢٨٩٢) وغيرها.

(١٨٩) وقال عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

(أيها الناس، إنه لم يزل أمري معكم على ما أحب): من الجهاد والنصيحة، وقبول الأمر والإعانة.

(حتى نهكتكم الحرب): بالغت في أخذكم بالقتل، يقال: نهكت الثوب إذا لبسته حتى تقطّع.

(وقد والله أخذت منكم وتركت): أراد أنه قُتِل منكم بعضكم وبقي الأكثر، ويحكى أن عدة القتلى في عسكر أمير المؤمنين سبعة عشر ألف قتيل.

(وهي لعدوكم[١] أنهك): أقطع وأكثر قتلاً.

ويحكى أن عدة القتلى من عسكر معاوية كانوا أربعة وعشرين ألف قتيل.

(لقد كنت أمس[٢] أميراً): ينفذ أمري، ويُحْتَكَمُ لقولي.

(فأصبحت اليوم مأموراً): تابعاً لغيري، سيقة لكلامه.

(وكنت أمس ناهياً): مانعاً لما أردت.

(١) في (ب): بعدوكم.

(٢) في نسخة: بالأمس (هامش في ب).

(فأصبحت اليوم منهياً): ممنوعاً عمَّا أردت، وأراد بالأمس ما مضى، وأراد باليوم ما يُسْتَقْبَلُ.

(وقد أحببتم البقاء): على ما أنتم عليه من تصويب التحكيم، والرضاء به.

(وليس لي أن أحملكم على ما تكرهون): إذ لاطاقة لي على ذلك مع مخالفتكم لي، وعصيانكم لأمري، وفي كلامه هذا دلالة على أنه قد بلغ الغاية في ترك الحكومة وإهمالها، فما كان منهم إلا المكابرة على خلاف رأيه، والاعوجاج عنه ونبذ رأيه واطّراحه.

(١٩٠) ومن كلام له عليه السلام بالبصرة، لما[1] دخل على العلاء بن زياد [الحارثي][2] يعوده

وكان من أصحابه، فلما رأى سعة داره، فقال[3] له:

(ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا): يشير إلى أن البناء فوق الكفاية لا حاجة إليه، وفي الحديث: «من بنى فوق ما يكفيه طوقه الله به إلى سبع أرضين».

(أنت[4] إليها في الآخرة كنت أحوج): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن التوسع في عمارة المساكن إنما يكون في الآخرة؛ لأنها موضع استقرار وتوطن واستمرار، فأما الدنيا فهي دارقلعة.

وثانيهما: أن يريد أن إنفاق ثمنها والذي بنيت به ابتغاء وجه الله تعالى، وإصلاح أمر الآخرة كان أحسن وأعجب؛ لكونه دائماًباقياً.

(وبلى): إضراب عما قاله من أنه لا حاجة إليها في الدنيا، وإثبات الحاجة.

---

(١) في شرح النهج: وقد.
(٢) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٣) في (ب): قال.
(٤) في (ب) وفي شرح النهج: أما أنت.

(إن شئت بلغت بها الآخرة): كانت طريقاً إلى الآخرة، ووُصلة إليها.

(تقري فيها الضيف): تطعم فيها الطعام من جائع ومسكين، وغريب وابن سبيل، وغير ذلك مما يكون قربة إلى الله تعالى، وطلباً لثوابه.

(وتصل فيها الرحم): بإعطائهم فيها ومواساتهم، وكهفهم واستقرارهم فيها.

(وتطلع الحقوق[1] مطالعها!): وتضع الحقوق فيها مواضعها، من شرائف الخصال، ومحامد الشيم، ومكارم الأخلاق، فإن هذه الأمور كلها مما يقرب إلى الله تعالى، ويرفع الدرجات عنده، وفي الحديث: «إن الله يحب مكارم الأخلاق، ويكره سفسافها»[2] يعني الدنيء منها.

ويحكى أن بنت حاتم الطائي لما أتي بها سبية إلى الرسول (ﷺ) فجعلوها مع غيرها من السبايا في حظيرة، ومرَّ الرسول (ﷺ) للصلاة فأومؤا إليها أن تكلمه في إطلاقها عن الإسار، فلما بصرت به قالت: يارسول الله، إن أبي كان يطعم الجائع[3]، ويفك العاني، ويقري الضيف، ويحب مكارم الأخلاق، فقال لها: «ياجارية، ومن أبوك؟ هذه صفة المؤمنين» فقالت له: أنا بنت حاتم الطائي[4]، فقال لها: «لو كان أبوك

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: وتطلع منها الحقوق مطالعها.
(٢) رواه الإمام المرتضى محمد بن الإمام الهادي إلى الحق في مجموعه ١/١١٥ في كتاب الإيضاح، وأخرجه من حديث بسنده عن كريب مولى ابن عباس، الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/٧٧، وانظره في مسند شمس الأخبار٢/٢٠، وورد منه قوله: «إن الله يحب مكارم الأخلاق» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣/٢١٩ وعزاه إلى إتحاف السادة المتقين٧/٩٣، ٩٤.
(٣) في (ب): الحاج.
(٤) في (ب): فقالت: أبي حاتم الطائي.

إسلامياً لترحمنا عليه»، ثم قال لهم: «أطلقوا إسارها» وكساها وألحقها[1] بأخيها عدي بن حاتم[2] بعد أن هرب وتركها فأخذوها، فإذا فعلت ذلك:

(**فإذاً أنت قد بلغت الآخرة بها**): لأن هذه الأشياء إذا كانت مفعولة على هذه الأوجه، فهي من أعمال الآخرة والمقربات إليها.

(**فقال له العلاء**[3]): يعني العلاء بن زياد:

(**يا أمير المؤمنين، أشكو إليك أخي عاصم بن زياد**): شكوت فلاناً أشكوه إذا أخبرت عنه بسوء فعله معك شكواً، والاسم منه الشكوى.

(**فقال: ماله**[4]): أي شيء عرض في حاله[5] حتى شكوته.

(**فقال: لبس العباء**): جمع عباءة على حد تمرة وتمر، وهو: جبة من صوف.

(**وتخلى عن**[6] **الدنيا**): تركها واطّرحها زهداً فيها.

---

(١) انظر أمالي الإمام أبي طالب ص٤٤٩-٤٥١ تحت الرقم(٥٨٨)، والاعتبار للإمام الموفق بالله ص٦٤٧-٦٤٨ برقم(٥١٠).

(٢) هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي، أبو وهب، وأبو طريف، المتوفى سنة٦٨هـ الجواد بن الجواد، أمير صحابي، قدم على رسول الله ﷺ سنة ٩هـ فأكرمه وفرح بإسلامه، وشهد فتوح العراق وكسرى وفتوح الشام، وشهد مع أمير المؤمنين (عليه السلام) حروبه، وكان من خلص أصحابه ومحبيه، ونزل الكوفة ومات بها عن مائة وعشرين سنة، روى عنه المحدثون ستة وستين حديثاً. (لوامع الأنوار٣/١٤١، والأعلام٤/٢٢٠).

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: العلاء، كما أثبته، وفي (أ): الغلام..

(٤) في شرح النهج: قال: وما له؟

(٥) في (ب): حالته.

(٦) في شرح النهج: من.

(**فقال: عليَّ به**): أي أحضروه، وعلي اسم فعل كما تقول: عليك زيداً أي ألزمه، وعليَّ زيداً أي أولنيه.

(**فلما جاء**): قعد بحضرته.

(**فقال**[1] **له: يا عُدَيّ نفسه!**): العدي: تصغير العدو، وإنما كانت عدواً له، لأن غاية العدو وقصارى أمره هو الاجتهاد في إتلاف النفس، والنفس حالها هذا، فإنها أمّارة بالسوء، وهو هلاك الدين وإفساده، وفي ذلك استحقاق العذاب السرمد، فلا عداوة أعظم من ذاك[2].

(**لقد استهام بك الخبيث**): هام على وجهه من شدة العشق، والهيام: أشد العطش، والهيام كالجنون من العشق، والخبيث: الشيطان، وسمي خبيثاً لكثرة خبثه ورداءته.

(**أما رحمت أولادك وأهلك!**[3]): فتهجرهم وتستوحش منهم، وتكدّر عليهم معيشتهم وتنغّصها.

(**أترى أن الله أحل لك الطيبات**): من الأكل والشرب، والملاذ الحسنة وأباحها بما قرر من الأدلة العقلية والنقلية.

(**وهو يكره أن تأخذها!**): تستعملها، وتتنعم فيها.

(**أنت أهون على الله من ذاك**[4]): من أن يبيح الله لك شيئاً ثم ينهاك

---

(١) في (ب) وشرح النهج: قال له.

(٢) في (ب): ذلك..

(٣) في شرح النهج: أما رحمت أهلك وولدك.

(٤) في شرح النهج: ذلك.

عنه، أو من أن يحل شيئاً ثم يحرمه، أو غير ذلك مما يكون مناقضة في الحكمة، وطعناً فيها، أو يبدو له من ذلك خلاف ما علمه، فهذه الأمور كلها مستحيلة على الله تعالى، فأمرك أقل وأحقر من أن يجري فيه ذلك.

(قال: يا أمير المؤمنين، هذا أنت في خشونة ملبسك): فيما تلبسه من ملابسك الخشنة، كالْمِدْرَعَةِ[1] التي رقعها حتى استحيا من راقعها[2].

(وجشوبة مأكلك): فكان يأكل الشعير بغير نخل، فقيل لخادمته يوماً: ألا تنخلينه؟ فقالت: يأكله وهو المهنأ قد أمرني ألاَّ أنخله[3].

(قال: ويحك!): كلمة دعاء، وهي منصوبة على المصدرية.

(إني لست كأنت): أي إن حالك مخالف لحالي في ذلك؛ لأني إمام للخلق، وأنت لست إماماً لهم.

(إن الله فرض على أئمة الحق): من اختصه بالإمامة، واصطفاه لها.

(أن يقدِّروا نفوسهم): أن يجعلوا حالهم مثل حال الضعفاء في لباسهم

---

(١) المدرعة: الثوب.

(٢) روى الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص١١٧ في باب ترك التنعم، عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: (لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها).

(٣) روى الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني (عليه السلام) في الاعتبار ص٨٤ في باب القناعة والحرص، بسنده عن الأسود بن علقمة، قال: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) وبين يديه طبق من خوص، عليه قرص أو قرصان من خبز شعير، وإن أشطان النخالة لتبين في الخبز وهو يكسره على ركبتيه، ويأكله على جريش، فقلنا لجارية له سوداء اسمها فضة: ألا نخلت هذا الدقيق لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فقالت: يأكل هو المهنّى، ويكون الوزر في عنقي، فتبسم (عليه السلام) وقال: أنا أمرتها أن لا تنخله، فقلت: فلِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال: ذلك أحرى أن تذل النفس، ويقتدي بي المؤمنون، وألحق بأصحابي.

وأكلهم، وسائر تصرفاتهم ويمثلوا حالهم:

(بضعفة الناس): أهل الفاقة والمسكنة، ويكون في ذلك غرضان:

أحدهما: أن يكون ذلك طريقاً للخلق إلى ترك الدنيا والزهد فيها.

وثانيهما: تهوين الحال على الضعفاء وأهل المسكنة، في التأسي بالأفاضل من الخلق؛ لأن ذلك يهوِّن ما في نفوسهم من الفقر والحاجة، فإذا ضاقت عليه المسالك كان له أن يقول: هذا الإمام على عظم قدره، وارتفاع خطره عند الله على مثل حالتي، فيسكن عند ذلك جزعه وتطمئن نفسه.

(كيلا يتبيغ على الفقير فقره![1]**)**: فيه روايتان:

أحدهما: يتبيغ من قولهم: تبيغ الدم إذا هاج، وكثر به[2].

وثانيهما: يتسيع بالسين بثلاث من أسفلها، والاتساع: خلاف الضيق، أي لا يكبر عليه حال فقره فتضيق نفسه من أجله.

---

(١) في شرح النهج: كيلا يتبيغ بالفقير فقره.

(٢) قوله: به، سقط من (ب).

(١٩١) ومن كلام له عليه السلام وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الأخبار، فقال:

(إن في أيدي الناس حقا وباطلاً): يريد من أحاديث الرسول ما هو حق يعمل به، وما هو باطل مكذوب على الرسول فيه.

(وصدقاً وكذباً): بعضها على ما هو به، وبعضها على غير ما هو به.

(وناسخاً ومنسوخاً): أي وبعضها ناسخ لغيره تستمر فيه المصلحة، وبعضها منسوخ لا مصلحة فيه.

(وعاماً وخاصاً): فالخاص: ما لم يكن مندرجا[1] فيه غيره، والعام: ما كان شاملاً لأفراد متعددة، وصور متماثلة.

(ومحكماً): أريد به ظاهره، فلا يحتاج إلى تفسير وبيان.

(ومتشابهاً): يحتاج فيه إلى تفسير.

(وحفظاً): أُخِذَ على جهته وقصده.

(ووهماً): أُخِذَ على غير وجهه.

---

(١) في (ب): موضوعاً.

(وقد[1] كذب على رسول الله): أُبْلِغَ عنه ما لا يقوله، ولهذا قال (عليه السلام): ((إنه سيكذب علي))[2].

(على عهده): في زمنه من غير مبالاة ولا مراعاة لجلالة منصبه في النبوة.

(حتى قام خطيباً): حتى هذه متعلقة بكلام تقديره: فأزعجه ذلك حتى قام خطيباً:

(فقال: ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))[3].

(وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال): أراد أن الرواة وإن كثروا واضطربوا فيما نقلوه من هذه الأخبار، فلا يخرجون عن[4] هذه العدة، وهي جامعة لكثرة أعدادهم.

(ليس لهم خامس): مبالغة في الحصر والضبط.

---

(١) في (ب): ولقد.

(٢) رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في كتاب تثبيت إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ص٤٣٦ من مجموع رسائله من حديث لفظه: ((أيها الناس، إنه سيكذب عليَّ من بعدي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما جاءكم عني من حديث فاعرضوه على كتاب الله، فما شاكل كتاب الله فهو مني وأنا قلته، وما لم يشاكل كتاب الله فليس مني ولم أقله))، ورواه أيضاً في الرد على أهل الزيغ من المشبهين ص١٤٩ من المجموع، وفي كتاب تفسير معاني السنة ص٤٨٠ من نفس المجموع، وفي كتاب القياس ص٤٩٢ من المجموع أيضاً، وهو في الاعتصام للإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) ٢١/١.

(٣) حديث: ((من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)) هو من الأحاديث المتواترة، ورواه الإمام القاسم بن محمد في الاعتصام١/٢٣، والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص١٨٢، وأورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥٢٤/٨-٥٢٥ وعزاه إلى ثمانية وأربعين مصدراً منها البخاري ومسلم، وابن ماجة، وأبو داود، والترمذي، ومسند أحمد بن حنبل، والسنن الكبرى للبيهقي وغيرها كثير، انظر الموسوعة.

(٤) في (ب): من.

(رجل منافق مظهر للإيمان): بلسانه، وهو يبطن الكفر.

(متصنّع بالإسلام): التصنّع: إظهارحسن السمت[1]، وأراد أنه مظهر للإسلام، والأمر على خلاف ذلك.

(لا يتأثم[2]): لا يجانب الإثم.

(ولا يتحرّج): أي لا يجانب الحرج، وهو الإثم، بل يقع فيهما من غير مبالاة.

(يكذب على رسول الله متعمداً): من غير شبهة له في ذلك.

(فلو علم الناس أنه منافق[3] لم يقبلوا منه): قوله ولا خبره الذي يخبر به.

(ولم يصدّقوا قوله): فيما نقل إليهم.

(ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله): كان معه مدة من الزمان ورافقه.

(رآه): بعينه.

(وسمع منه): أخباره التي نقلها.

(ولقف عنه): لقف الشيء وتلقفه إذا أخذه بسرعة.

(فيأخذون بقوله): يقبلونه ويعملون عليه في هذه الأحكام كلها، في التحليل والتحريم لما قرر من حاله، وبما يظهر من أمره، ثم أخذ

---

(١) السمت: الطريق، وهو أيضاً هيئة أهل الخير. (مختار الصحاح ص٣١٢).

(٢) في (ب): ولا يتأثم.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: منافق كاذب.

في شرح حال المنافقين، وبيان حالهم، بقوله:

(وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك): حيث كانوا نهاية في الخبث والرداءة والعداوة في الدين والفساد.

(ووصفهم بما وصفهم به[1] لك): فتارة بالكذب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾[المنافقون:١] ومرة بالعداوة، حيث قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾[المنافقون:٤] ومرة بالخدع، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾[النساء:١٤٢] وغير ذلك من الصفات الدالة على فساد بواطنهم، واشتمال قلوبهم على الغل والحسد والعداوة.

(ثم بقوا بعده (عليه السلام)): يريد من كانت هذه صفته من رواة الأحاديث من إظهار الدين، وإبطان النفاق.

(فتقربوا إلى أئمة الضلالة): إلى أئمة الجور، وأخدان الظلم وأعوانه، وأهل البدع، وسائر الأهواء الضالة.

(والدعاة إلى النار): بالبدع، وسائر الضلالات.

(بالزور والبهتان): متعلق بقوله: تقربوا، أي تقربوا إليهم بتزويرهم لهم الأحاديث الكاذبة، والبهتانات الباطلة، ويجوز أن يكون متعلقاً بقوله: الدعاة إلى النار، بما كان من جهتهم من الكذب والباطل.

(فولوهم الأعمال): الخراجات العظيمة والجبايات من الأقطار والأقاليم.

---

(١) به، زيادة في شرح النهج.

(وجعلوهم حكاماً[1] على رقاب الناس): بأن جعلوهم أمراء على الخلق، وملكوهم رقاب الناس بالقهر، والاستظهار عليهم في ذلك.

(وأكلوا[2] بهم الدنيا): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن الآكلين هم أئمة الضلال من الملوك والسلاطين، وسائر الجورة وأعوان الظلمة، والمعنى: أن العلماء وأهل الرواية سهّلوا لهم الحال، وجرّأوهم على أخذ أموال الناس بالباطل، والشُّبَه الفاسدة.

وثانيهما: أن يكون الآكل هم الرواة، والمعنى أن الرواة أكلوا بالملوك الدنيا، لما استندوا إليهم، وعوَّلوا في أمورهم عليهم.

(وإنما الناس مع الملوك والدنيا[3]): يريد أن أكثر ميل الناس إلى من كان ملكاً لأجل قهره ودولته، وإلى من كان معه شيء من الدنيا فتراهم حوله، وكلمتهم قوة لكلمته، وفي كلامه هذا نعي على علماء السوء أفعالهم، وتسجيل عليهم بسوء صنيعهم، وتحذير عن الوقوع في مثل هذه المزال الزلقة، والعظائم الموبقة، ومبالغة في الحث على منافرة الظلمة والبُعد عنهم بمبلغ الجهد؛ لما في مخالطتهم من الفساد في الدين وهلاكه.

واعلم: أن كلام أمير المؤمنين ها هنا دالٌّ على ردِّ أخبار أهل التصريح بالكفر، كأهل النفاق والملاحدة والثنوية وغيرهم، والمصرِّحين[4] بالفسق، فأما أهل التأويل من أهل الكفر كالمجبرة والمشبهة عند القائلين بإكفارهم،

(١) حكاماً، زيادة في شرح النهج.

(٢) في شرح النهج: فأكلوا.

(٣) بعده في النهج: إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة، وكذا ذكره في هامش (ب).

(٤) في (أ): والمصرحون.

فهي مسألة خلاف بين أهل القبلة، وهكذا القول فيمن كان فسقه من جهة التأويل، والمختار تفريعاً على القول بالإكفار في التأويل، إذ لا تهمة لهم في أديانهم، قبول أخبارهم في تأويلهم بالكفر والفسق.

(ورجل سمع من رسول الله شيئاً لم يحفظه على وجهه): إما بالزيادة عليه، وإما بالنقصان منه.

(فوَهِمَ فيه): فتطرق إليه الوهم فيه في بعض وجوهه.

(ولم يتعمد كذباً): يقصد رواية ما لم يكن قط، ولكنه روى شيئاً وأخطأ فيه من غير قصد إلى الخطأ فيه.

(فهو في يديه): من قولهم: حديث فلان على يديك، أي أنه حافظ له، ومحتكم عليه.

(يرويه): يأثره عن الرسول.

(ويعمل به): في الإقدام والإحجام من أفعاله.

(ويقول): من لسانه[1]:

(أنا سمعته من رسول الله): ينطق به ويتكلم.

(فلو علم المسلمون أنه وَهِمَ فيه): بزيادة أو نقصان، أو تحريف أو تبديل أو تغيير أو غير ذلك مما يُطرق تهمة في حقه:

(لم يقبلوه منه): لم يرووه عنه، ولا عملوا به؛ حراسة لحديث رسول الله عن النقص والتغيير.

(١) في (ب): بلسانه.

(ولو علم ذلك[1]): يشير إلى الوهم الذي وقع منه في الحديث.

(لرفضه): تركه عن الرواية والعمل به، وكلامه ها هنا دال على أن كل من كان من الرواة يتطرق إليه الوهم في روايته بالزيادة والنقصان، فإنه مردود لا محالة، وهذا محصول كلام الأصوليين على الجملة في ردِّ من كان يعتريه الوهم.

(ورجل ثالث): يريد من الأربعة الذي ذكرهم أولاً.

(سمع من رسول الله شيئاً يأمر به ثم نهى عنه وهو لا يعلم): النهي فيرويه، أو يكفُّ عن رواية ما أمربه.

(أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم): الأمر فيرويه، أو يكفُّ عن رواية المنهي عنه.

(فحفظ المنسوخ): ورواه، وحدَّث به غيره.

(ولم يحفظ الناسخ): لأنه لم يعلمه ولا طرق سمعه، وهذا كثير ما يعرض في الأخبار، ومن ثَمَّ كثر اختلاف الفقهاء، ونشأ النزاع في المسائل الشرعية.

سؤال؛ فإذا كان الشرط في العمل على الخبر، هو ألاَّ يكون منسوخاً، فمتى يعلم كونه غير منسوخ فيعمل عليه[2]؟

وجوابه؛ هو أن مستند العمل على الأخبار الأحادية إنما هو غلبة الظن بالصدق فيما تناولته من مخبراتها، وإذا كان الأمر كما قلناه فلا بد

(١) في شرح النهج: ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.
(٢) في (ب): به.

من ضرب من العناية ليغلب على الظن، كون الخبر غير منسوخ خاصة مع ضبط الأخبار، وتدوينها في هذه الصحاح، فإنه يسهل إدراك ذلك مع العناية والاجتهاد في طلبه.

(فلو علم أنه منسوخ): أراد الراوي له.

(لرفضه): تركه عن الرواية.

(ولو علم المسلمون إذ سمعوه[1]): وقت سماعهم له.

(أنه منسوخ لرفضوه): تركوا العمل به أيضاً، لما قد فهموه من جري النسخ في هذه الشريعة في الكتاب والسنة، وأن كل ما كان قد نسخ، فلا وجه للعمل به بحال.

(وآخر رابع لم يكذب على الله تعالى، ولا على رسوله، مبغض للكذب).

سؤال؛ ليس لكلام الله تعالى ها هنا ذكر، فما وجه قوله: لم يكذب على الله تعالى، وإنما كلامنا في كلام الرسول وأخباره؟

وجوابه؛ هو أنه (صلى الله عليه وآله) لا ينطق عن الهوى، ولا يقول ما يقول إلا عن وحي من الله تعالى وعصمة فيما يقوله وتأييد، فهو في الحقيقة مخبر عن الله، فالكذب عليه في الحقيقة هو كذب على الله تعالى، كما أن الطاعة له طاعة لله تعالى، كما قال تعالى: و﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾[النساء:٨٠].

(خوفاً لله تعالى[2]): عن أن يكذب عليه.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: إذ سمعوه منه.
(٢) في شرح النهج: خوفاً من الله.

(وتعظيماً لرسوله [صلى الله عليه وآله وسلم][1]): في أن يكذب عليه، وإنما قال: خوفاً لله تعالى؛ لأن الله هو المتولي للعقوبة على ذلك والإهانة العظيمة، وأما الرسول فترك الكذب في حقه إنما يكون تعظيماً له أن يقال عليه ما لم يقله، ولا يخطر له على بال.

(ولم يهم): يتطرق إليه الوهم في شيء من روايته.

(بل حفظ ما سمع على وجهه): من غير زيادة فيه[2]، ولا نقصان عنه.

(فجاء به على ما سمعه): من غير تحريف، ولا تبديل.

(لم يزد فيه، ولا ينقص[3]).

سؤال؛ ظاهر كلامه هاهنا يدل على تأدية الحديث بلفظه على ما سمعه من الرسول، وأنتم تجيزون الرواية بالمعنى؟

وجوابه؛ هو أن ماقاله مسألة خلاف بين العلماء، فأما من منع من ذلك فهو مطابق لما قاله، وأما من جوّز الرواية بالمعنى فليس في كلامه ما يخالف ذلك؛ لأن الرواية بالمعنى ليس فيها زيادة ولا نقصان، وللنظار من الأصوليين فيه تفاصيل مذكورة في كتبهم.

(وحفظ الناسخ فعمل به): يريد اعتمده فيما تناوله من الأحكام تحليلاًكان أو تحريماً.

(وحفظ المنسوخ فجنّب عنه): زال عنه وعدل، من قولهم: جنب

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) قوله: فيه، سقط من (ب).

(٣) في شرح النهج: ولم ينقص منه.

عن كذا إذا مال عنه، ونزل فلان جنبه إذا اعتزل الناس وتركهم.

(وعرف الخاص والعام): ماهيتهما، فالعام: ما اندرج تحته أفراد متعددة على جهة الاستغراق لها، كالناس والرجال، والخاص: ما كان موضوعاً على معنى واحد، كزيد وعمرو.

(فوضع كل شيء موضعه): فجعل العام محكوم[1] عليه بالشمول، إلا لدلالة تخص، والخاص محكوم[2] عليه بألاّ يتجاوز معناه الذي وضع من أجله، ثم إذا كانا مجتمعين فالعام حجة فيما تناوله، والخاص معمول على حكمه فيما تناوله أيضاً.

(وعرف المتشابه ومحكمه): فالمتشابه: ما أريد به غير ظاهره، والمحكم: ما أريد به ظاهره، فيحمل قوله صلى الله عليه وآله: «ستروν ربكم»[3]

---

(١) كذا في النسخ: محكوم، بالرفع، فلعله خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير فيه: هو محكوم فيه.

(٢) كذا في النسخ: محكوم، بالرفع، فلعله خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير فيه: هو محكوم فيه.

(٣) خبر ((سترون ربكم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر)) هو من الأخبار التي أنكرها بعض المتكلمين وتأولها بعض منهم، وأورده الإمام القاسم بن محمد (عليه السلام) في الأساس لعقائد الأكياس ص٥٠ وذكر أن الخبر هذا مقدوح فيه، وقال: وإن صح فمعناه: ستعلمون ربكم، كقوله تعال: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾، وقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم﴾ أي ألم تعلم، وقول الشاعر:

رأيت الله إذ سمى نزاراً   وأسكنهم بمكة قاطنينا

أي علمت.

قال: ولنا قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ وقوله تعالى: ﴿لن تراني﴾ ولم يفصل. انتهى.

وقال المنصور بالله عبد الله بن حمزة (عليه السلام) في المجموع المنصوري القسم الثاني ص١٢١-١٢٢ في (الأجوبة الشافية)، قال ما لفظه: وأما ما روي عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: ((سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته)) فإن هذا خبر مطعون في سنده، مختل في لفظه، أما سنده فإنه ينتهي إلى قيس بن أبي حازم، وكان باغضاً لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقيل: إنه اختل في آخر أيامه، ولا ندري روايته قبل الاختلال أو بعده.

وأما في لفظ الخبر: فإنه قضى أن يكون تعالى على هيئة القمر ليلة البدر في الاستدارة =

على قوله: «لن يرى الله أحد في الدنيا ولا في الآخرة»(١) وغير ذلك من الأحاديث المتشابهة.

(وقد كان يكون من رسول الله [ﷺ](٢) الكلام له وجهان):

كان الأولى ناقصة، والثانية تامة، أي وقد كان يقع من رسول الله إطلاق الكلام على وجهين:

(فكلام عام): يكون شاملاً لغيره.

(وكلام خاص): لا يتجاوز معناه الذي وضع له، وربما يطلق(٣) العام، والغرض به الخصوص.

(فيسمعه من لا يعرف ما عنى الله(٤)، ولا ما عنى به رسول الله[ﷺ](٥)): أراد على خلاف مرادهما، وغرضهما منه.

(فيحمله السامع): له على غير معناه.

والصورة وذلك دليل الحدوث ولا كل قائل به ...إلخ كلامه.
وذكره الحاكم الجشمي في تحكيم العقول ص١١٤، وقال فيه: ظاهره يوجب التشبيه، والمراد أنكم ستعلمونه ضرورة من غير كلفة نظر ومن غير دخول شك أو شبهة. انتهى.
وذكره القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس الصعدي في الإيضاح شرح المصباح ص١٥٠، وقال فيه: فنقول: هذا الخبر مقدوح في راويه، لأنه مسند إلى قيس بن أبي حازم، وقيس يرويه عن جرير بن عبد الله البجلي، وكلاهما مطعون في دينه. انتهى.

(١) روى قريباً منه القاضي العلامة أحمد بن يحيى حابس الصعدي رحمه الله في الإيضاح شرح المصباح ص١٤٧ بلفظ: «إنكم لن تروا الله في الدنيا ولا في الآخرة» عن جابر بن عبد الله الأنصاري، وذكر أن إسناده موثوق به، وانظر ينابيع النصيحة للأمير الحسين بن بدر الدين، ومعيار العقول للإمام المهدي أحمد بن يحيى المرتضى (ع).

(٢) زيادة في شرح النهج.

(٣) في (ب): يصلق، وهو تحريف.

(٤) في (ب): ما عنى الله به، وفي شرح النهج: ما عنى الله سبحانه به.

(٥) زيادة في شرح النهج.

(ويُوَجِّهُهُ على غير معرفة بمعناه، وما قصد منه(١)): من المقاصد اللائقة بالحكمة، وما خرج من أجله هل كان حكاية عن قوم، كما روي أن الرسول (ع) قال: «الطيرة في ثلاث: الفرس، والمرأة، والدار»(٢) ولم يجعل هذا شرعاً، وإنما حكاه عن سفاهة الجاهلية، فسمعه الراوي له ولم يعرف غرضه فيه، وما روي عنه (ع) أن قال: «ولد الزنا شر الثلاثة»(٣) فإنه لم يقصد به عمومه، وإنما أراد ذلك في رجل خاص، لم يكن لرشده، فقام من فوره فسبَّ أمه، فقال (ع): «ولد الزنا شر الثلاثة» يشير به إلى هذا المخصوص، أو كان منسوخاً فلم يعلم ناسخه، أو غير ذلك من الاختلافات والمقاصد والأغراض.

(وليس كل أصحاب رسول الله كان يسأله ويستفهمه): إجلالاً له وتعظيماً لحاله، وامتثالاً لما قاله وأمر به، حيث قال: «اتركوني ما تركتكم»(٤) يريد من السؤال، وإنما يكون الاستفهام والاستعلام للفضلاء من الصحابة، وأهل الفطانة كأمير المؤمنين وغيره.

---

(١) في شرح النهج: به، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) الحديث بلفظ: «الطيرة في الدار والمرأة والفرس» في موسوعة أطراف الحديث٥/٤٢٣ وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل٦/٢٤٠، ومجمع الزوائد٥/١٠٤، وكنز العمال برقم(٢٨٥٥٩).

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي ١٠/٤٤٣ إلى السنن الكبرى للبيهقي٣/٩١، ١٠/٥٧، ٥٨، ٥٩، ومجمع الزوائد للهيثمي٦/٢٥٧، والعلل المتناهية لابن الجوزي ٢/٢٨٣ وغيرها.

(٤) عزاه في موسوعة أطراف الحديث ١/٧٨ إلى سنن الترمذي برقم (٢٦٧٩)، وتفسير ابن كثير٣/٢٠٢، وتفسير الطبري٧/٥٤، والدر المنثور للسيوطي٢/٣٣٦، والسلسلة الصحيحة للألباني٨٥٠.

(حتى إنهم[1] كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي والطارئ): الجلف من الأعراب أو الوارد المحتاج إلى المسألة.

(فيسأله): ويلحف في سؤاله، ويغلظ عليه.

(حتى يسمعوا): كلامه، فيعلموا ما قال، كما كان من حديث ضمام بن ثعلبة، فإنه لما ورد إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قال له[2]: إني سائلك ومغلظ عليك في المسألة، فلا تجد في نفسك، قال له الرسول: «سل عمَّا بدا لك» ثم إنه أخذ يكرر عليه شرائع الإسلام واحدة واحدة، ويستنطقه عن صحتها، والرسول يقول: «اللَّهُمَّ، نعم» فلما فرغ، قال: فوحقك لا أزيد عليها ولا أنقص، فقال له[3] النبي: «أفلح وأبيه إن صدق»[4].

(وكان لا يمر بي شيء[5] إلا سألت عنه وحفظته): يشير إلى مكانته عند الرسول، وإلى حسن إتقانه للعلوم، وتفهمه لها.

(فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم): في الأحاديث.

(وعللهم في رواياتهم): لها على هذه الأوجه المتفاوتة.

واعلم: أن لله تعالى سراً ومصلحة في تعبدات خلقه بغلبة الظنون لا يطلع عليها سواه، فهذه النكتة التي ذكرها أمير المؤمنين جامعة لأكثر

(١) في شرح النهج: إن، وكذا في نسخة، ذكره في هامش (ب).

(٢) قوله: له، سقط من (ب).

(٣) قوله: له، سقط من (ب).

(٤) وانظر الخبر بتمامه في سيرة ابن هشام ٤/٢٤١-٢٤٢ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

(٥) في (ب): وكان لا يمر بي شيء من ذلك...إلخ، والعبارة في شرح النهج: وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته.

أحكام الأخبار التي يذكرها الأصوليون، ويطنبون[1] في تفصيلها قد جمعها بأخصر لفظ وأقلّه، ومن أجل هذه الاختلافات في روايات هذه الأخبار نشأ الخلاف في الأحكام الفقهية، وصعب نيل منصب الاجتهاد خاصة في مثل زماننا هذا، لكثرة ما يحتاج إلى العلوم، وتطويل الطرق، ومعرفة أحوال الرجال، وتمييز ما يُرَدُّ منها وما يُقْبَل. وبالله التوفيق.

(١) في (ب): وتطنبوا.

(١٩٢) ومن كلام له عليه السلام يذكر فيه خلق السماء

(وكان من اقتدار جبروته): الجبروت: من التجبر، كما أن الملكوت من الملك، وزيدت الواو والتاء من أجل المبالغة.

(وبدائع[١] لطائف صنعته): دقائقها وأسرارها التي عجز عنها الوصف.

(أن جعل من ماء البحر[٢]): أن هذه هي المصدرية، وصلتها هو الفعل الماضي، ورفعها على أنها اسم لكان[٣]، ومن هذه هي المبعضة.

(الزاخر): المرتفع موجه.

(المتراكم): الذي يكون بعضه فوق بعض.

(المتقاصف): المتكسِّر، من قولهم: قصف العود إذا كسره، وأراد المتكسر في حركته واضطرابه.

(يَبَساً جامداً): جسما صلباً.

(ثم فطر منه[٤] أطباقاً): خلقها، والفطر هو: الخلق.

(ففتقها): شقَّها.

(١) في شرح النهج: وبديع.
(٢) في نسخة: اليم، (هامش في ب).
(٣) في (ب): كان.
(٤) قوله: منه، زيادة في شرح النهج.

(سبع سماوات بعد ارتتاقها): تلاؤمها حتى كانت كالطبق الواحد.

(فاستمسكت بأمره): الباء ها هنا تعلقها إما على جهة الآلة، كما تقول: كتبت بالقلم، فالأمر ها هنا كأنه آلة لا ستمساكها، كما أن القلم آلة للكتابة، وإما على جهة الحالية، كأنه قال: خاضعة لأمره كقولك[١]: جاء بسلاحه، أي متسلحاً.

(وقامت على حده): الذي قدَّره لها، وعلمه من صلاحها فيه.

(يحملها): الضمير للسماوات، وأراد أنها مع عظم خلقها واشتمالها على المكونات العجيبة، والمخلوقات العظيمة فإنها محمولة يحملها:

(الأخضر): يعني البحر؛ لأن ماء البحر لصفائه ورقته يُرَى كأنه أخضر.

(المُثْعَنجِرُ): أراد بالْمُثْعَنْجِرِ إما المنصبُ من أعلى إلى أسفل، وإما الكثير المتدافق.

(والقَمْقَام): اسم من أسماء البحر.

(المسخَّر): للحمل أي المذلل له، والتسخير: التذليل.

(قد ذلَّ لأمره): أي من أجل أن[٢] أمره بالحمل، ولا يستطيع مخالفة.

(وأذعن لهيبته): انقاد من أجل ذلك.

(ووقف الجاري منه بخشيته[٣]): فيه وجهان:

(١) في (ب): كقوله.
(٢) أن، سقط من (ب).
(٣) في شرح النهج: لخشيته.

أحدهما: أن يريد أنه كان[1] قبل ذلك -أعني وضع السماوات عليه- جارياً مضطربا اضطراباً عظيماً، فلما حمل ما فوقه من هذه السماوات، سكن من أجل حمله لها.

وثانيهما: أن يريد إنما كان منه ذا حركة، فإنه إذا أمره بالسكون سكن لا محالة امتثالاً لأمره.

سؤال؛ كيف جعل البحر حاملاً للسماوات كلها، والهواء متوسط بينهما؟

وجوابه؛ هو أن هذا الجو وإن كان متوسطاً، فإنها تؤول في الاستقرار إلى البحر بلا إشكال؛ لأنه هو الغاية والمستقر لها.

(**جبل**[2] **جلاميدها**): أي خلق صخورها، واحدها جلمود.

(**ونشوز متونها**): النشز: المكان المرتفع، وجمعه نشوز، والمتن: جانب الظهر، وهما متنان.

(**وأطوادها**): جبالها، أي وخلق أطوادها.

(**فأرساها مراسيها**[3]): أقرَّها في مواضعها، كما قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[النازعات:٣٢].

(**وألزمها قراراتها**): مواضعها التي هي مستقرة فيها من غير أن تنتقل وتزول.

---

(١) في (ب): أنه قد كان.

(٢) في شرح النهج: وجبل.

(٣) في شرح النهج: فأرساها في مراسيها.

(**فمضت رءوسها في الهواء**): نفذت أعاليها في الجو، من قولهم: مضى في حاجته، إذا نفذ فيها لا يلوي على شيء ولا يعرِّج عليه.

(**ورست أصولها في الماء**): استقرت على البحر كاستقرار السماء عليه كما ذكره أولاً.

(**فأنهد جبالها عن سهولها**): رفع جبالها على ما كان سهلاً من الأرض ووطئاً من مواضعها.

(**أساخ**[1] **قواعدها**): أدخلها في الأرض.

(**في متون أقطارها**): جوانب أنحائها.

(**ومواضع أنصابها**): جمع نُصُب، وهو: المنصوب، أي وخلق المواضع المنتصبة منها.

(**فأشهق قلالها**): أعلا رءوسها، والقُلّة: الموضع المرتفع، ومنه قُلّة الجبل أي أعلاه.

(**وأطال أنشازها**): أي ورفع ما كان منها طويلاً.

(**وجعلها**): الضمير للجبال.

(**للأرض عماداً**): تعتمد عليها كيلا تتحرك وتضطرب، كما قال تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً﴾[النبأ:٧].

(**وأرزها فيها أوتاداً**): أدخلها في الأرض، وانتصاب أوتاداً على الحال أي وأدخلها فيها[2] شادة لها.

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: وأساخ.

(٢) في (ب): فيه.

(فسكنت على حركتها): فيه وجهان:

أحدهما: فأسكنها وهي خليقة بالتحرك، لما كانت على وجه الماء ومن طبعه الحركة.

وثانيهما: أن يريد فسكنت ومن طبعها الحركة؛ لثقلها، فقال: على حركتها، يشير به إلى ما ذكرناه.

(من أن تميد بأهلها): من هذه لابتداء الغاية، وأراد فسكنت بقدرته مع استحقاقها للحركة مخافة أن تميد بأهلها، وتضطرب عليهم من فوقها.

(أو تسيخ بحملها): ساخ إذا ذهب في الأرض، أي بما فوقها مما حمل عليها من جميع المخلوقات من الحيوانات وغيرها.

(أو تزول عن موضعها[1]): مستقرها، ومكانها التي هي فيه.

(فسبحان من أمسكها بعد موجان مياهها): فتنزَّه من هذه حاله، يشير إلى ما حكاه من اضطراب البحر وزفيره، واختلاف أمواجه.

(وأجمدها): صيرها جامدة في غاية الصلابة، لا يستطاع الحفر عليها إلا على صعوبة وتعب.

(بعد رطوبة أكنافها!): يشير به إلى قوله: (كبس الأرض على مور أمواج مستفحلة)، وقد تقدم شرحها فلا وجه لتكريره، والأكناف: الأنحاء والجوانب.

(فجعلها لخلقه مهاداً): يتصرفون عليها، وقد فسرنا المهاد من قبل، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾[النبأ:٦].

---

(١) في شرح النهج: مواضعها.

(وبسطها): مدَّها كما يمدُّ البساط.

(لهم): من أجلهم.

(فراشاً): يفترشونه.

(فوق بحر لجي): عظيم الماء.

(راكد): ساكن.

(لا يجري): ممنوع عن الجريان.

(وقائم): أي منتصب على حاله لا يتغير.

(لا يسري): لا يذهب عن حالته ولا يزول عنها، من قولهم: سرى الثوب عن الجنب[1] إذا ذهب وزال، قال العجاج:

في بئر لا جور سرى وما شعر

(تكركره الرياح[العواصف][2]): ترده من جانب إلى جانب، والعواصف: الشديدة الهبوب.

(وتمخضه الغمام الذوارف): تحركه، والذوارف: التي تذرف بالماء أي تسكبه، من قولهم: عين ذارفة أي ساكبة الدمع[3]، ثم تلا قوله تعالى:

(﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾[النازعات:٢٦]): أي معتبراً ومتعظاً لمن يخشى عقاب الله، وقد وقعت هذه الآية من كلامه هذا موضع المقلة من إنسانها، واليد من كفها وبنانها.

---

(١) في (ب): سرى النون عن الجب.

(٢) زيادة في شرح النهج، وهو الصواب ويدل على ثبوتها ما ذكره المؤلف رحمه الله في شرح الجملة.

(٣) في (ب): للدمع.

(١٩٣) [ومن خطبة له عليه السلام، كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه][1]

ثم قال حضاً لأصحابه على الجهاد:

(اللّهمّ، أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا): وهي الأمر بالجهاد والحث عليه، وقتال الأعداء وجهادهم.

(العادلة): السالكة مسلك الحق، والمستقيمة أحوالها في الدين.

(غير الجائرة): المخالفة لغيرها في الجور، والظلم والفساد واتباع الهوى.

(والمصلحة في الدين والدنيا): إما وذات الصلاح في الأمور الدينية والأمور الدنيوية، من إقامة حدود الله تعالى[2]، وإنصاف المظلوم ممن ظلمه، وإما الفاعلة للصلاح والعدل على جهة المبالغة.

(غير المفسدة): المخالفة لغيرها في الفساد، والبغي والهلاك في الدين.

سؤال؛ غير الجائر إنما هو العادل، وغير المفسدة إنما هي المصلحة، فما وجه اتباع أحدهما بالآخر، وهلا كان أحدهما مغنياً عن الآخر؟

وجوابه؛ هو أن قوله: العادلة، والمصلحة، وصف لما هي عليه

(١) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.
(٢) تعالى، زيادة في (ب).

من الاستقامة على الدين، واتباع رضوان الله تعالى، وقوله: غير الجائرة، وغير المفسدة، تعريض بحال من خالفه ونكص على عقبيه في مخالفته، ورده عمّا هو أهل للتصرف فيه، فلأجل هذا أتى بالوصفين جميعاً دلالة على ما ذكرناه من المعنيين.

(فأبى بعد سمعه لها): توجه[1] الحجة عليه بها.

(إلا النكوص): التأخر على عقبيه، وهو مجاز ها هنا، والغرض تركه للجهاد والتخلف عنه.

(عن نصرتك): قتال البغاة من أعدائك، والمتمردين عن الدين ممن خالفك.

(والإبطاء عن إعزاز دينك): التثاقل عن الجهاد الذي هو إعزاز للدين بتدمير من يخالفه ويضاده، ويظهر من نفسه خلافه.

(فإنا نستشهدك عليه): نطلب أن تكون شهيداً، وهذا كلام وارد على جهة التقرير على من خالفه، وغاية في إيجاب الحجة عليه، وبذلاً للنصيحة له.

(يا أكبر الشاهدين شهادة): إشارة إلى ما قاله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾[الأنعام:١٩].

(ونستشهد عليه جميع من[2] أسكنته أرضك وسماواتك): ونطلبهم

(١) في (ب): بوجه.
(٢) في شرح النهج: ما.

أن يكونوا شهداء معك؛ لأنهم أفضل خليقتك وأعدلهم عندك، من الملائكة والأنبياء، وسائر الأولياء والصالحين.

(ثم أنت بعد): هذا الظرف مقطوع عن الإضافة ولهذا بُنِيَ، أي وأنت بعدما ذكرته من هذه الشهادة:

(المغني عن نصره): بإمدادك لنا بالنصر، وهو كافٍ عن ذلك.

(والآخذ له بذنبه): المكافئ له على قدر ما تراه من معصيته، وتعلم استحقاقه من ذلك، ومع اشتمال هذا الكلام على غاية الإنصاف، وبذل النصيحة والمبالغة في أخذ الحق وإعطائه مَنْ طلبه، فإنه مشتمل أيضاً على أنه كلام من لارغبة له في غير الحق، ولا طمع له في غير العدل، والإفراط والتهالك محبة وإرادة في نجاة الخلق، وحملهم على أحسن المسالك وأرشد الطرق.

(١٩٤) ومن خطبة له عليه السلام

(الحمدلله العلي عن شَبَهِ المخلوقين): علا وتعالى إذا ارتفع، وأراد المرتفع عن مشابهة الممكنات في أحوالها كلها فلا تجري بينهما مشابهة على حال؛ لكونها حادثة، وهو تعالى لا أول له.

(الغالب لمقال الواصفين): فلا يستولي عليه مدح مادح، ولا يحصره وصف واصف.

(الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين): يريد أنه لمكان ما خلق من عجائب المكونات، وبدائع التدبيرات في غاية الظهور لمن استدل بها عليه، وجعلها برهاناً على وجوده وحكمته.

(الباطن[1] بجلال عزته عن فِكْر المتوهمين): يريد أنه وإن ظهر بالبراهين الباهرة، فإنه في غاية البطون عن أن تقع عليه وتحيط به أفكار أهل الظن والتوهم، فتكون مستولية على كُنْهِ حقيقة ذاته.

(العالم بلا اكتساب ولا ازدياد): المختص بالعالمية الكاملة، المحيطة بكل المعلومات الكلية والجزئية من جهة ذاته، فلا يكسبها[2] من غيره، ولا تكون متكاثرة بممارسة العلوم وتعاطيها.

(١) في شرح النهج: والباطن.
(٢) في (ب): فلا يكتسبها.

(ولا علم مستفاد): أي وليس بذي علم، فيكون علمه هذا مستفاداً من غيره؛ كما أن من كان له علم من الحيوانات فإنه مستفاد من جهة غيره لا محالة.

(المقدّر لجميع الأمور): إما الخالق لها، من قولهم: قدَّره إذا خلقه، وإما المحكم لجميع أفعاله كلها، الموقع لها على وفق المصالح من غير زيادة ولا نقصان.

(بلا روية): تفكر وتأمل.

(ولا ضمير): ولا حدس يقع في ضميره، ويقدره في نفسه.

(الذي لا تغشاه الظلم): تستولي عليه بظلامها، من قولهم: غشيهم[1] الليل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ﴾[لقمان:٣٢] لأن الاستيلاء إنما يكون في حق من كان جسماً، وهو يتعالى عن الجسمية.

(ولا يستضيء بالأنوار): أي لا يكون منتفعاً بها في الإضاءة في الإدراك وسائر التصرفات؛ كغيره من سائر المخلوقات، فإن تصرفهم من دون هذه الأنوار متعذر لا محالة.

(ولا يرهقه ليل): يغشاه بظلامه.

(ولا يجري عليه نهار): إما لا يخالطه ولا يلابسه، من قولهم: جرى عليه الموت إذا خالطه، وإما لا يقدر وجوده بنهار؛ لتقدمه على وجود النهار والليل.

(١) في (ب): غشيه.

(ليس إدراكه بالأبصار): ليس رؤيته لما يرى من هذه المرئيات، وإحاطته به[1] بحاسة ولا حدقة.

(ولا علمه بالإخبار): ولا كان علمه المحيط بكل المعلومات، حاصلاً بالخبر من جهة غيره.

(أرسل محمداً بالضياء): بالشرائع والأحكام المضيئة، واستعار الضياء لها بياناً لما اشتملت عليه من الهدايات والمصالح العظيمة.

(وقدّمه في الاصطفاء): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد تقديم الفضل، فإن الله تعالى قد رفع منزلته على منزلة سائر الأنبياء وشرَّفه وكرَّمه.

وثانيهما: أن يكون غرضه علو أمره وإشادة ذكره، وكثرة أتباعه، بخلاف غيره من الأنبياء فإنه لم يكن له مثل ما كان للرسول من ذلك.

(فرتق به المفاتق): الرتق: التلاؤم، والفتق: الشق، وأراد أنه لأم به ما كان متخرقاً من أمور الدين، وأحكام الشريعة، وأحيا به مَوَاتَها، وعَمَرَ به دَارِسَها.

(وساور به المغالب): المساورة: المواثبة، وأراد أنه واثب به من غالبه وقهره.

(وذلل به الصعوبة): ما كان من القوة من الشرك، وعبادة الأوثان والأصنام.

(١) به، سقط من (ب).

(وسهل به الحُزُونة): الْحَزْنُ: المكان الجُـرُز، وغرضـه أنـه مهَّـد بـه ما كان جُرُزاً، وهو استعارة فيما حصل ببركته من العناية، والخير والبركة.

(حتى سرَّح الضلالـة): حتى هـذه متعلقـة بكـلام محـذوف تقديـره: فجاهد في أمر الله وصابر في إيضاح الحق، حتى فرَّق ما كان[1] من أمر الضلالة من مخالفة التوحيد، وعبادة غير الله.

(عن يمين وشمال): هاهنا وها هنا، وإنما عبَّر باليمين والشمال لتفاوت الجهتين وبُعْدِ ناحيتهما.

(١) قوله: ما كان، سقط من (ب).

(١٩٥) [ومن كلام له عليه السلام يصف جوهر الرسول ويصف العلماء ويعظ بالتقوى][1]

(وأشهد أنه عدل): أي موصوف بالعدل.

(عَدَلَ): فعل ماض أي لم يَحِفْ في أفعاله، ولا جار على أحد من عباده، هذا على هذه الرواية، وعلى الأخرى:

(وأشهد أنه عَدْل عَدِلٍ): بإضافة المصدر إلى اسم الفاعل، أي وأشهد أن الأمر عدل عادل.

(وَحَكَمٌ فصل): فيه روايتان:

أحدهما: أن يكون حَكَم بفتح الكاف، أي حاكم فصل أي ذو فصل، وأراد به الله، والضمير له في قوله: أنه.

وثانيهما: أن يكون حُكم بضم الحاء، أي وأشهد أن الأمر حُكْمٌ مقطوع به مفصول عليه، لايمكن فيه تغيير[2] ولا تحريف.

(وأشهد أن محمداً عبده[3] وسيد عباده): أعظمهم حالاً عنده، وأرفعهم منزلة لديه.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من النهج.
(٢) في (ب): تفسير.
(٣) في شرح النهج: عبده ورسوله.

(كلما نسخ الله الخلق فرقتين): النسخ هو: الإزالة، وأراد كلما خلق الله الخلق وأزالهم قرناً قرناً.

(جعله في خيرهما): أفضلهما وأكرمهما، وأعلاهما قدراً ومنزلة.

(لم يسهم فيه عاهر): أي لم يكن للعاهر وهو الزاني نصيب فيه ولا شَرِكَة.

(ولا ضرب فيه فاجر): بنصيب ولا حق، وقد روي أنه لم يكن في أسلافه عاهر ولا فاجر[1].

(ألا وإن الله جعل للخير أهلاً[2]): يقتدى بهم في أخذه، ويكونون أئمة في الاهتداء بهم.

(وللحق دعائم): ينبني عليها، وتشيَّد أركانه على أساسها.

(وللطاعة عِصَماً): جمع عِصْمَة، والعصمة إما المنع، من قولهم: عصمه إذا منعه، وإما الحفظ، يقال: عصمته فانعصم أي حفظته، وأراد أن الطاعة تفتقر إلى منع وحراسة لها[3]، وحفظ عن أن يشوبها ما يبطلها ويزيل ثوابها من ملابسة المعاصي.

---

(١) ومن ذلك ما رواه ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج ١١/٧٠ قال: قال رسول الله ﷺ: ((ما مسني عرق سفاح قط، وما زلت أنقل من الأصلاب السليمة من الوصوم -أي العيوب- والأرحام البريئة من العيوب)). ومنه ما رواه الحاكم الجشمي رحمه الله في تنبيه الغافلين ص١٧٥ عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن النبي ﷺ قال: ((أخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم، لم يصبني سفاح الجاهلية، ولم أخرج إلا من طهر)).

(٢) في شرح النهج: ألا وإن الله سبحانه قد جعل للخير أهلاً.

(٣) لها، سقط من (ب).

(وإن لكم عند كل طاعة عوناً من الله سبحانه[1]): لطفاً من ألطافه الخفية.

(يقول على الألسنة): ينطق عنها كأنها لا تنطق إلا به[2].

(ويثبِّت به[3] الأفئدة): عن أن تزيغ عن الحق وتميل عنه، وفيه مبالغة في شرح حقيقة هذا العون، وبيان حكمه، وظهور أثره.

(فيه كفاية لمكتفي[4]): لمن[5] استكفى به، وجعله نهاية لأمره.

(وشفاء لمشتفي): لمن استشفى به من العاهات.

(واعلموا أن عباد الله الْمُسْتَحْفَظِيْنَ علمه): اسم فاعل أي الحافظين لعلمه، وما تعبد به من الشرائع والأحكام كلها، أو اسم مفعول أي المجعولين حفظة.

(يصونون مصونه): يحفظون ما حفظّهم الله منه.

(ويفجّرون عيونه): تمثيل بحالهم في أخذ ما يأخذونه من هذه العلوم، ويحتكمون في تحصيلها وإيجادها، بحال من يفجِّر نهراً فيأخذ منه ما أحب وما أراد.

(ويتواصلون بالولاية): يريد أن الموالاة فيما بينهم هي السبب الداعي إلى التواصل فيما بينهم والتحابّ.

---

(١) سبحانه، زيادة في شرح النهج.

(٢) في (ب): كأنها لا تنطق به.

(٣) به، زيادة في شرح النهج.

(٤) في شرح النهج: فيه كفاء لمكتف، وشفاء لمشتف، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٥) في (ب): من.

(ويتلاقون بالمحبة): أي يلقى بعضهم بعضاً ملاقاة محبة ومصافاة.

(ويتساقون بكأس رويّة): من المودة، والمؤاخاة الصادقة.

(ويصدرون بريّه): أي بالإرتواء، والضمير للعلم.

(لا تشوبهم الريبة): يريد[1] لا يلحقهم الشك، ولا يختلط بهم.

(ولا تسرع فيهم الغيبة): ولا يبادرون إلى ذكر بعض منهم، بما يكون نقصاً له، وبهتاناً عليه.

(على ذلك): الإشارة إلى المذكور أولاً، من المواصلة والمحابّة، والتباذل والموالاة.

(عقدت خلقتهم[2]): كأنهم لاستمرار داعيتهم إلى ذلك، ووجود صارفهم عن خلافه عقدت خلائقهم عليه، وطبعت سجاياهم على التزامه فكأنه خلقة فيهم.

(وخلائقهم[3]): الخلقة: ما فطر عليه الإنسان من أصل وجوده، والخليقة هي: هذه السجايا والطبائع، من الشرس واللين، والنشاط والضيق، وغير ذلك من الخلائق.

(فعليه يتحابون): الضمير لله أي فعلى الله تكون محبتهم، والغرض أن الباعث على تحابِّهم فيما بينهم، هو لطف الله وحسن رعايته لهم.

(١) يريد، سقط من (ب).
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: خلقهم.
(٣) في شرح النهج: وأخلاقهم.

(وبه يتواصلون): أي ومن أجله كانت مواصلتهم لبعضهم بعضاً[1].

(فكانوا كتفاضل البذر): كالحب الذي يبذر[2] في الأرض، المتفاضل بعضه على بعض.

(يُنتقى): يُختار ويُطلب أفضله، وأغلاه.

(فيؤخذ منه): أغلاه وأطيبه، والأفضل منه.

(ويُلقى): أي ويُلْقَى ما عدا ذلك.

(قد ميَّزه التلخيص[3]): التلخيص هو: التبيين، أي قد ميَّزه عن غيره بيانه، وعظم قدره ومعرفته.

(وهذّبه التمحيص): جرَّده عن جميع الشوائب كلها، والتمحيص: الا بتلاء والاختبار.

سؤال؛ قوله: قد ميَّزه التلخيص، وهذّبه التمحيص، منافر لما تقدمه من الكلام الأول قبله، فما وجه الملاءمة بينهما؟

وجوابه؛ هو أنه لما ذكر أولياء الله المستحفظين علمه، ووصفهم بالتحابّ والموالاة والتناصر وغير ذلك من الصفات، فكأنه قال على أثر ذلك: فالواحد منهم قد ميَّزه التلخيص، وهذّبه التمحيص، ومع هذا يرتفع التنافر بين الكلامين، ويصير كأنهما أفرغا[4] في قالب واحد.

(١) في (ب): لبعض.
(٢) في (ب): تبذره.
(٣) في شرح النهج: التخليص، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٤) في (ب): قد أفرغا.

(فليقبل امرؤ كرامة): أراد فليقبل ما أكرمه الله به من النعمة العظيمة بالإسلام، والهداية إلى الدين اللتين هما النهاية في الكرامة.

(بقبولها): بما ينبغي لها من القبول، ويستحق لمثلها منه.

(وليحذر قارعة): أي وليكن خائفاً من نوازل الدهر، وحوادثه فيستعد[1] لنزولها.

(قبل حلولها): وقوعها وحصولها؛ لأن المحذور إنما يكون محذوراً قبل وقوعه، فأما بعد وقوعه فليس محذوراً، فلهذا قال: يحذرها قبل حلولها.

(ولينظر امرؤ في قصير أيامه): في أيام دنياه القليلة المتقاصرة، وإنما سماها قصاراً، لأن الأيام الكثيرة إذا كان لها غاية وانقطاع فهي متقاصرة، فضلاً إذا كانت حقيرة قليلة، فوصفها بالقصر أحق وأولى.

(وقليل مُقامه): لبثه في الدنيا.

(في منزل): وهو الدنيا.

(حتى يستبدل به منزلاً): وهو الآخرة.

(فليصنع لمتحوله): إما لمكان متحوله وهو القبر، وإما لزمان متحوله وهو القيامة، وأراد فليصنع[2] الأعمال الصالحة من أجل ذلك.

(ومعارف منتقله): أي وليصنع[3] للأهوال المعروفة المتحققة بانتقاله إليها ومعرفته لها.

---

(١) في (ب): فتستعد.

(٢) في (ب): فليضع.

(٣) في (ب): وليضع.

(طُوْبَى[1] لذي قلب سليم): طُوْبَى فُعْلَى من الطيب وقد مرَّ تفسيره، لصاحب قلب سالم عن الغل والحسد، وسائر ما يلحق القلوب من العاهات.

(أطاع من يهديه): باتباعه والا قتداء بآثاره.

(وتجنَّب من يُرْدِيه): جانبه: عدل عنه، مخافة أن يقع في الرَّدى.

(فأصاب طرق السلامة[2]): سلكها واهتدى إليها.

(ببصر من بصَّره): بهداية من هداه إليها، ودلّه عليها.

(وطاعة هادٍ أمره): ومن أجل طاعته لذي هدى أمره بذلك، وحثه عليه.

(وبادر الهدى): عاجله وواثبه.

(قبل أن تغلق أبوابه): استعارة وتمثيل بحال من له متاع قد غلقت عنه[3] الأبواب، ووضعت عليه الأقفال فلا يمكن نيله.

(وتُقَطَّعَ أسبابه): فلا يمكن الوصول إليه.

(واستفتح باب[4] التوبة): طلب انفتاحها عليه.

(وأماط الحوبة): أزال الحوب والإثم عنه، بما كان منه من استعمال التوبة وفعلها.

---

(١) في شرح النهج: فطوبى.

(٢) في شرح النهج: وأصاب سبيل السلامة.

(٣) في (ب): عليه.

(٤) باب، سقط من شرح النهج.

(وقد[1] أقيم على الطريق): على المحجة الواضحة لو سلكها.

(وهدي نهج السبيل): ودُلَّ على أبين الطرق وأوضحها، بما قُرر في عقله من الأدلة العقلية، وبما كان من جهة الأنبياء من البيان والإيضاح للخلق في أمر دينهم، وإرشادهم إلى أمر الآخرة وطريقها.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: فقد.

(١٩٦) ومن دعاء له عليه السلام كان كثيراً ما يتضرع به

(الحمدلله الذي لم يصبح بي ميتاً، ولا سقيماً): يصبح ها هنا له وجهان:

أحدهما: أن تكون تامة، وانتصاب ميتاً وسقيماً على الحال، أي لم أصبح على هاتين الحالتين.

وثانيهما: أن تكون ناقصة، وانتصابهما على الخبرية لها.

سؤال؛ فهل من تفرقة بين المعنيين في كونها ناقصة وتامة؟

وجوابه؛ هو أنها إذا قُدِّرت تامة كان معنى أصبح أي دخل في الصباح، وأراد أني لم[1] أدخل في هذا الوقت وأنا على هاتين الحالتين، فأما إذا كانت ناقصة كان معناها اقتران مضمون الجملة بزمنها لا غير من غير حاجة إلى الحال كما ترى.

(ولا مضروباً على عروقي بسوء): ضربه المرض وضربته الريح إذا أصابته، وأراد ولامصاباً في عروقي بعاهة من العاهات المبطلة لها، المفسدة لصحتها.

(ولا مأخوذاً بأسوإ عملي): ولا معاقباً بنوع من العقوبات من أجل ما اجترحته من أسوإ الأعمال، وأحقها بالجزاء والعقوبة من الله تعالى.

(١) في (ب): لا.

(ولا مقطوعاً دابري): الدابر: آخر من يبقى من الأهل، فإذا قيل: قطع الله دابرهم أي آخر من بقي منهم.

(ولا مرتداً عن ديني): خارجاً عن دين الإسلام مدبراً عنه.

(ولا منكراً لربي): جاحداً له نافياً لوجوده.

(ولا مستوحشاً من إيماني): كلام فيه مبالغة، وذلك أن من استوحش من شيء فإنه ينفر عنه ولا يلابسه، وأراد أن من جملة ما أنعم الله عليَّ أني لست نافراً عمَّا يكون حقيقة في الإيمان وأصلاً فيه من الأعمال الصالحة، والقربات المتقبلة.

(ولا ملتبساً عقلي): أي مختلطاً بغيره، من قولهم: التبس الأمر إذا اختلط، والتباس الظلام: اختلاطه أيضاً، وأراد أنه لم يصبه الله بجنون ولا مسٍّ من الشيطان فيفسد ويتغير.

(ولا معذباً بعذاب الأمم من[1] قبلي): من المسخ والصاعقة، والرجفة والخسف، وغير ذلك من أنواع البلايا التي أصاب الله بها الأمم الماضية جزاء على ما فعلوه من تكذيب أنبيائه فيما جاءوا به، وما ذاك إلا رحمة من الله تعالى لهذه الأمة بهذا الرسول وإكراماً لهم ببركته، وقد أشار تعالى بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[الأنفال:٣٣] ولن يزال فينا قد كان[2] حياً مع الأحياء، وقد صار ميتاً مع الأموات من أمته، فلن يصابوا بعذاب حتى يأتي أمر الله.

(١) من، زيادة من شرح النهج.
(٢) كان، سقط من (ب).

(أصبحت عبداً مملوكاً): لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً، ولا تدبيراً ولا مصلحة، كما يكون حالة العبد المملوك مع سيده.

(ظالماً لنفسي): بما كان مني من ملابسة المعاصي، وإهمالي لتقوى الله، وطلب مراده من الطاعة الواجبة له عليَّ لمكان نعمته.

(لك الحجة عليَّ): بما أوضحت من الأدلة وقررته من البراهين، وأزحت العلل كلها.

(لا[1] حجة لي): لا أجد حجة أحتجّ بها عليك، كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾[الأنعام:١٤٩].

(لا[2] أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني): مما قسمته لي من الأرزاق، ومكنتني من أخذه من غير أن أقدر أن أزيد عليه، أو أنقص منه ذرة أو شعيرة.

(ولا أتقي): [من الشرور والبلاوي، والمصائب][3].

(إلا ما وقيتني): كفيتني وجنَّبته عني.

(اللَّهُمَّ، إني أعوذ بك): ألجأ إليك.

(أن أفتقر في غناك): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن أفتقر وأنت غني، ومن المحال أن يكون عبد ذليل له مولى عزيز، بل يُعَزُّ بعزِّه.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: ولا حجة لي.
(٢) في شرح النهج: ولا.
(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

وثانيهما: أن يكون غرضه أن أفتقر وأنا في غناك أتقلّب، ومنه أسأل وعليه أُعوِّل.

(أو أذلّ في عزك): أي أذل وأنت عزيز.

(أو أضِلّ في هداك): أي أضل وأنت الهادي عن الضلال.

(أو أضام في سلطانك): الضيم: الظلم أي وأظلم ولك السلطنة والقدرة والإلهية.

(أو أضطهد والأمر لك!): أُقهر، والأمر في الانتصاف والأخذ وغيره لك لا أمر لأحد معك، من قولهم: فلان له الأمر في رعيته، أي ما شاء أمضاه في حالهم.

(اللّهُمّ، اجعل نفسي أول كريمة): الكريمة: المال النفيس، وفي حديث المصدِّق: «إياك وكرائم الأموال»[1] يريد نفائسها، وأغلاها وأشرفها، فعبَّر بها عن النفس[2] ها هنا لشرفها وكرمها.

(تنتزعها من كرائمي): التي أودعتنيها، وأكرمتني بها.

(وأول وديعة ترتجعها من ودائعك[3] عندي!): من النعم العظيمة.

(اللّهُمّ، إنا نعوذبك أن نذهب عن قولك): بالرد له، والمخالفة لما تضمنته أوامرك ونواهيك.

---

(١) الحديث بلفظ: «إياك وكرائم أموالهم» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف٤/١٣٨ وعزاه إلى السنن الكبرى للبيهقي٤/٩٦، ٧/٧، ٨، وصحيح ابن خزيمة برقم(٢٢٧٥) ورقم(٢٣٤٦)، وشرح السنة للبغوي٦/٦٥ وغيرها.

(٢) في (ب): النفيس.

(٣) في شرح النهج: من ودائع نعمك عندي، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(أو أن[1] نفتتن عن دينك): فنرتدّ عنه وننقلب على أعقابنا عنه خاسرين.

(أو تتابع[2] بنا أهواؤنا دون الهدى): التتايع بالياء المثناة من أسفلها، هو: التهافت في الشر، وأراد أن تجذبنا أهواؤنا فتنقطع بنا دون أخذ الهدى واستعماله.

(الذي جاء من عندك!): إما بتقريره في العقول من التوحيد والإقرار بالإلهية له، وإما بما بلَّغته الرسل، وجاءنا على ألسنة الأنبياء صلوات الله عليهم[3] من ذلك.

فليعمل الناظر نظره في هذا الدعاء يجده دعاء من خضع لربه بالاستكانة، وبخع[4] له بالمذلة والضراعة، عائذاً به، لاجئاً إليه.

---

(١) أن، زيادة في شرح النهج.

(٢) في شرح النهج: تتابع.

(٣) في (ب): صلوات الله وسلامه عليهم.

(٤) بخع له: أي خضع له. (انظر القاموس المحيط ص٩٠٦).

(١٩٧) ومن خطبة له عليه السلام بصفين

(أما بعد، فقد جعل الله سبحانه[1] لي عليكم حقاً): أمراً مقدراً، وحكماً نافذاً.

(بولاية أمركم): من أجل قيامي بأموركم، وعنايتي في إصلاحكم، والباء ها هنا للمعادلة، كقولك: أخذت هذا بهذا.

(ولكم عليّ[2] من الحق مثل الذي[3] عليكم): أي لا حق نطلب منكم، وتؤخذون بفعله إلا ولكم مثله.

(فالحق أوسع الأشياء في التواصف، وأضيقها في التناصف): التواصف هو: أن يصف كل واحد من القوم شيئاً، وتناصف القوم إذا أنصف بعضهم بعضاً من نفسه، والمعنى في هذا هو أن الناس كلهم يصفون الحق بألسنتهم، ويقولونه بأفواههم، ولكن لا ينصف الحق أحد من نفسه من الخلق إلا قليل، وذلك من خشي الله وخاف مقام ربه.

(ولا[4] يجري عليه إلا جرى له): ولا يؤخذ منه حق، إلا ويؤخذ عليه

(١) سبحانه، زيادة في شرح النهج.
(٢) عليّ، زيادة في شرح النهج.
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: مثل الذي لي عليكم.
(٤) قبله في (ب) وفي شرح النهج: لايجري لأحد إلا جرى عليه.

مثله لاستوائهم في ذلك، ولأن حكم الله هو جري المناصفة في كل شيء من حقوق الخلق.

(ولو كان لأحد أن يجري له ولا يجرى عليه): فيكون مُسْتَحِقاً لذلك، ولا يكون مُسْتَحَقاً عليه، أو يكون آخذاً ولا يكون معطياً.

(لكان ذلك خالصاً لله تعالى دون خلقه): يريد أن هذا إنما يكون على جهة الفرض والتقدير لا غير، وإلا فالأمر على خلاف ذلك في حقه تعالى، فإنه لما أوجب لنفسه حقاً، أوجب عليه حقاً آخر كما أشار إليه في آخر كلامه، فهو تعالى مختص بهذا الفرض دون غيره من الخلق.

(لقدرته على عباده): لكونه رباً لهم، وهم عبيد له، والمالك له أن يفعل في عبيده ما شاء[1].

(ولعدله فيما[2] جرت عليه ضروب[3] قضائه): ولكونه مختصاً بالحكمة فلا يقع في أفعاله إلا ما هو حكمة وصواب، فإذا أوجب لنفسه حقاً ولم يوجب عليها مثله، فهو حق لا محالة لا يمكن مخالفته ولايسع إنكاره.

(ولكنه سبحانه[4] جعل حقه على العباد أن يطيعوه): بفعل مراده في كل ما طلب منهم فعله، أو الكفّ عنه، وأن يجعلوا ذلك من جهة أنفسهم خالصاً لوجهه.

(١) في (ب): ما يشاء.
(٢) في شرح النهج: في كل ما جرت ...إلخ.
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: صروف.
(٤) سبحانه، زيادة في شرح النهج.

(وجعل جزاءهم عليه مضاعفة الثواب منه[1]): أي: وأوجب على نفسه بعد ذلك مكافأتهم عليه بما وعدهم من الثواب على الطاعة، والكف عن المعصية على جهة الاستحقاق الواجب، والفرض اللازم.

(تفضلاً منه[2] وتوسعاً): يريد إنعاماً واحساناً، وليس أمراً واجباً عليه.

سؤال؛ أليس قد ذكرت أن الله تعالى لا يجب عليه حقاً إلا ويجب له، فكيف قال هاهنا: توسعاً وتفضلاً، وهذا يناقض كونه واجباً، فإنما كان واجباً لا يقال فيه: إن حصوله على جهة التوسع والتفضل؟

وجوابه؛ هو أن قوله: تفضلاً وتوسعاً، يتعلقان بقوله: مضاعفة الثواب، فإنهما يرجعان إليه، إذ ليس يكون التفضل والتوسع إلا فيما كان على جهة المضاعفة، فأما القدر المستحق من الثواب فإنه أمر واجب وفرض حتم، لامقال فيه للتوسع والتفضل، كما قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[الأنعام:١٦٠] وعن هذا قال النُظار من المتكلمين: إن تسعة أجزاء تكون تفضلاً، وجزءاً واحداً يكون واجباً جزاءً على العمل.

(بما هو من المزيد أهله): الباء متعلقة بتفضلاً وتوسعاً، وأراد من أجل أنه أهل للزيادة على القدر الواجب؛ لعموم إحسانه وعظيم تفضله.

(ثم جعل سبحانه من حقوقه): مما اختصه لنفسه، وارتضاه من خلقه.

(حقوقاً افترضها): أوجبها وأوعد على تركها بالعقوبة.

---

(١) منه، سقط من (ب)، ومن شرح النهج.
(٢) منه، زيادة في شرح النهج.

(لبعض الناس على بعض): كالوالد على الولد، والولد على والده، والقريب على قريبه في الأنكحة والمعاوضات، وسائر أنواع المعاملات، فإنهم لا ينفكون عن وجوب واجب لبعضهم على بعض.

(فجعلها تتكافأ في وجوهها): يعني في كونها واجبة؛ لأن من عليه حق لغيره فله مثل ذلك، فإذاً هما متكافآن في ذلك.

(ويوجب[1] بعضها بعضاً): كما أن النكاح يوجب المهر ويوجب النفقة، والعقد على البيع يوجب تسليم الثمن، واستيفاء المنافع يوجب تسليم الإجارة[2]، إلى غير ذلك من الأسباب الموجبة.

(ولا يستوجب بعضها إلا ببعض): يريد أنه لولا وجوب الزكاة في نفسها من جهة الله تعالى[3] لما وجب دفعها إلى الفقراء، ولولا وجوب الصلاة لما وجب قضاؤها إذا فاتت وغير ذلك.

(وأعظم[4] ما افترض الله سبحانه من تلك الحقوق): التي فرض وجوبها على الخلق.

(حق الوالي على الرعية): في الانقياد لأمره، والاحتكام لما قاله من غير مخالفة.

(وحق الرعية على الوالي): في النصيحة لهم، والتعهد لمصالحهم.

---

(١) في (ب): أو يوجب.
(٢) في (ب): الأجرة.
(٣) تعالى، زيادة في (ب).
(٤) في (ب): فأعظم.

(فريضة فرضها الله سبحانه[1]): يجوز نصبها على المصدرية، كما قال تعالى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾[النساء:١١] ويجوز رفعها على: هذه فريضة من الله.

(لكل على كل): أي: لكل واحد منهم على كل واحد، ما من واحد إلا وكما فرض له فرض عليه.

(نظاماً لألفتهم[2]): أي من أجل انتظام الألفة، وهي اتفاق الخواطر، واجتماع الدواعي في نصرة الدين والإسلام، يقال: أَلِفَ هذا الموضع إِلْفاً وإلافاً، والاسم منه الأُلْفَة، ومنه قوله تعالى ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾[الأنفال:٦٣].

(وعزاً لدينهم): قوة له، وهيبة عليه.

(فليست[3] تصلح الرعية إلا بصلاح الولاة): بجمع شملهم، وإنصاف مظلومهم من ظالمهم، وكفّ أعدائهم بما يكون من اجتماعهم، وقد أشار الشرع إلى ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[الأنفال:٤٦].

(ولا تصلح الولاة إلا بصلاح[4] الرعية): لما في ذلك من إنفاذ أمره، وتقوية سلطانه بانضمامهم إليه، فإن أمرهم بالمسير ساروا، وإن أمرهم بالوقوف وقفوا، لينتظم الأمر بذلك وينصلح[5] الحال.

(فإذا أدّت الرعية إلى الوالي حقه): الذي أوجبه الله عليهم من امتثال أمره، والنصيحة له في كل الأمور.

---

(١) سبحانه، زيادة في شرح النهج.
(٢) في شرح النهج: فجعلها نظاماً لألفتهم.
(٣) في (ب): فليس.
(٤) في شرح النهج: إلا باستقامة الرعية.
(٥) في (ب): ويصلح.

(وأدّى الوالي[1] إليها حقها): الذي فرضه الله عليه من الرفق بهم، وتعليمهم معالم دينهم.

(عزّ الحق بينهم): كان الحق عزيزاً لا يمكن أن يضام.

(وقامت مناهج الدين): استقامت طرق الدين عن اعوجاجها.

(واعتدلت معالم العدل): عن أن تكون مائلة، أو يجري فيها نقص.

(وجرت على إذلالها السنن): جرت الأمور على مجاريها وطرقها، منقادة سلسلة غير متصعبة، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾[الملك:١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾[النحل:٦٩]، فذللاً حال إما من النحل، وإما من السُّبُل، وقوله: على إذلالها بكسر الهمزة من فصيح الكلام وغريبه.

(فصلح[2] بذلك الزمان): يشير إلى استقامة الرعية والوالي، وصلاحه سلامته عن الفتن والمحن، والحروب وسائر العوارض.

(وطَمِعَ في بقاء الدولة): [وطمع الطامع في بقاء الدولة][3]؛ لانتظام أحوالها بالعدل ورعاية السياسة، واستقامت الإيالة.

(ويئست مطامع الأعداء): بطلت وتلاشت فلم ينبض منها عرق؛ لما يرون من استقامة الأحوال.

(وإذا غلبت الرعية واليها): بالمخالفة له، والعصيان لأمره.

---

(١) الوالي، زيادة في شرح النهج.
(٢) في (ب): ويصلح.
(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(أو أجحف الوالي برعيته): بالظلم لهم والجور، ونقص الحقوق وغير ذلك.

(اختلفت هناك[1] الكلمة): يريد كان لكل واحد[2] منهم غرض ومقصد خلاف الآخر.

(وظهرت معالم الجور): في الرعية بأخذ ما ليس مستحقاً عليهم.

(وكثر الإدغال في الدين): الفساد فيه بدال منقوطة من أسفل، يقال: أدغل في الأمر إذا أدخل فيه ما ليس منه.

(وتركت محاجّ السنن): المحاجُّ: جمع محجة، وهي الطريق، وأراد تُرِكَت عن السلوك لها[3].

(فعُمِلَ بالهوى): اتُّبع كلٌّ رأيه فعمل به.

(وعطِّلت الأحكام): خلت عن العمل بها، واندرست أعلامها.

(وكثرت علل النفوس): صار لا ختلاف أهوائهم، وتشتت الكلمة يعتل كل واحد منهم بعلة فيما هو فيه يخالف علة الآخر، فصارت على خلائق سيئة، وطبائع فاسدة.

(فلا يُستَوحَشُ لعظم[4] حق عطِّل): فلا تلحقها وحشة لما تراه[5] من تعطيل الحقوق العظيمة الدينية.

(١) في شرح النهج: هنالك.
(٢) واحد، سقط من (ب).
(٣) في (ب): بها.
(٤) في شرح النهج: لعظيم.
(٥) في (ب): يراه.

(ولا لعظم[1] باطل فُعِل): ولا تلحقها مشقة لظهور الباطل وعلوه.

(فهنالك): أي في ذلك المقام، وفي تلك الحالة:

(تذل الأبرار): بسبب ذل الحق، وضعف دولته.

(وتعزُّ الأشرار): لقوة أعوانهم، وكثرة أنصارهم.

(وتعظم تبعات الله سبحانه[2] على[3] العباد): مآخذه التي تَخِذها[4] عليهم، ومناقمه التي ينكرها بفعلهم لها، وتسلطهم عليها ظلماً وعدواناً.

(فعليكم بالتناصح في ذلك): يريد إما في ذلك[5] الزمان، وإما في ذلك الأمر.

(وحسن التعاون عليه[6]): على تأدية الواجبات فيه، أو على التخلص منه.

(فليس أحد وإن اشتد على رضا الله حرصه): هذا نفي على جهة العموم والاستغراق، واشتداد الحرص إنما يكون بفعل الأعمال الصالحة، والانكفاف عن كلما يكرهه[7] الله تعالى.

(١) في النهج: لعظيم.
(٢) سبحانه، زيادة في شرح النهج.
(٣) في شرح النهج: عند.
(٤) أي أخذها عليهم بسبب ذنوبهم والاتخاذ افتعال من الأخذ إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة وإبدال التاء ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه فَعِل يفعَل فقالوا: تخِذ يتخَذ. (انظر مختار الصحاح ص٩).
(٥) في ذلك، زيادة في (ب).
(٦) عليه، زيادة في شرح النهج.
(٧) في (ب): يكره.

(وطال في العمل اجتهاده): وامتد في تحصيل العمل المرضي لله تعالى[1] جده واجتهاده، فمن هذه حاله وأبلغ فيها ليس:

(ببالغ حقيقة ما الله أهله من الطاعة[2]): إما بالإضافة إلى استحقاقه الصفات الإلهية فلا يبلغ كُنْهَ ذلك لمكانها، وإما لمكان نعمته[3] في الدين والدنيا، فهو لمكان هذين الأمرين لا يبلغ غاية طاعته، ولا يقدرها أحد من الخلق.

(ولكن من واجب[4] حقوق الله على العباد[5]): من أعظمها وجوباً، وآكدها في التحصيل والفعل.

(النصيحة لله): في كلما تعبدهم به وإتيانهم به على أعظم الوجوه وأبلغها، في التعظيم لحاله، سواء كان ذلك حقاً له خالصاً كالعبادات كلها، أو كان حقاً متعلقاً بالعباد كالطاعة لأهل الأمر، والانقياد لحكمهم، كما أشار إليه تعالىبقوله: **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾**[النساء:59].

(بمبلغ جهدهم): لا يتركون غاية من ذلك يمكنهم الوصول إليها إلا فعلوها.

(والتعاون على إقامة الحق بينهم): على نصرته حتى يقوم وتشتد أركانه بين أظهرهم، وحيث يكونون.

(1) تعالى، زيادة في (ب).
(2) في (ب) وفي شرح النهج: من الطاعة له.
(3) في (ب): نعمه.
(4) في نسخة: أوجب، هامش في (ب).
(5) في شرح النهج: عباده.

(وليس امرؤ وإن عظمت في الحق منزلته): بالدعاء إليه والمثابرة على فعله.

(وتقدمت في الدين فضيلته): وكان إماماً فيه يُقتدى به ويُؤتم بفعله.

(بفوق أن يُعان على ما حمَّله الله من حقه): من واجباته التي كلَّفه فعلها والعبادات التي أمره بأدائها، وفي هذا دلالة على صعوبة أمر التكليف وعسرة الخلاص عنه، وعلى ضعف حال الإنسان وكثرة عجزه عن ذلك، ولهذا قال هذه المقالة مشيراً بها إلى ما قلناه.

(ولا امرؤ ولو[1] صغرته النفوس): لهوانه لاحتقاره وذله عندها.

(واقتحمته[2] العيون): ازدرته وهان عندها.

(بدون أن يعين على ذلك): يَنْصر هو عليه.

(أو يعان عليه[3]): يُنْصر هو عليه.

فأجابه رجل من أصحابه بكلام طويل يذكر[4] فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له، فقال (عليه السلام):

(إن من حق من عَظُمَ جلال الله سبحانه[5] في نفسه): كبر موقعه عنده لمكان قدرته الإلهية، ونعمته الكاملة الوافية البالغة كل نهاية في الكمال.

(وجلَّ موضعه من قلبه): رسخ وتمكَّن.

(1) في شرح النهج: وإن.
(2) في (ب): فاقتحمته.
(3) عليه، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(4) في شرح النهج: يكثر.
(5) سبحانه، زيادة في شرح النهج.

(أن يصغر ذلك عنده كل ما سواه)[1]؛ لأن الله تعالى لا يشبهه شيء في العظمة والكبرياء واستحقاق الشكر على النعمة، فلهذا أطلق ذلك على جهة العموم، وأتى بما دون من ليكون شاملاً في أولي العلم وغيرهم من المخلوقات مما عبد من دونه وعظم أمره جهلاً بحاله.

(وإن أحق من كان كذلك): يريد على تعظيم حال الله تعالى، واطّراح ما عداه.

(من[2] عظمت نعمة الله عليه): إما لمكان إنعامه عليه فلهذا لم ير أحداً مستحقاً للتعظيم مثل ماله منه، وإما لمكان إنعام الله تعالى عليه بتقرير عظمته في قلبه وتحقيق كُنْهِ كبريائه في نفسه، وهذه من أعظم النعم وأعلاها.

(ولطف إحسانه إليه): يريد إما ما يقربه إلى الطاعة من الألطاف المتفضل بها عليه، وإما يريد دقيق النعم وأخفاها وأغمضها فإن المنّة بها أيضاً عظيمة على الإنسان.

(فإنه): الضمير للشأن والأمر، وتفسيره بالجملة بعدها.

(لم تعظُمْ نعمة الله على أحد، إلا ازداد حق الله عليه عِظَماً): يريد أن كل من كثرت نعم الله عليه في الدين والدنيا توجه عليه حقوق كثيرة لله تعالى في ماله ونفسه، ولهذا ترى العلماء وسائر الأفاضل الذين أنعم عليهم بالبصيرة ومعرفة الله تعالى أعظم حالاً في التكليف من غيرهم من سائر العوام، ولا من كان ذا يسار وبسطة في المال كحال من هو فقير لا يملك البلغة لنفسه ولا لمن تحت يده.

(١) العبارة في (ب) وفي شرح النهج: أن يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: لمن.

(وإن من أسخف حالات الولاة): أنقصها وأسفلها منزلة.

(عند صالح الناس): أهل التقوى والدين، وإنما خصَّ هؤلاء لأن من عداهم لا عبرة بكلامهم ولا أثر لمدحهم ولا ذمهم.

(أن يُظَنَّ بهم حب الفخر): إرادة التفاخر لما في ذلك من النقص عند الله وإسقاط الحالة.

(ويوضع أمرهم على الكبر): يكون أمرهم في جميع تصرفهم مؤسساً ومقرراً على التكبر والخيلاء.

(وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم): قوله: جال، فيه روايات:

إما بالجيم من قولهم: جال كذا في ظني إذا تحرك واضطرب، وإما بالحاء المهملة والكاف، من قولهم: هذا[1] الأمر يحيك في صدري، وإما بالخاء المنقوطة، من قولهم: خلت هذا الأمر صواباً.

(أني أحب الإطراء): المدح والتفاخر.

(واستماع الثناء): ممن يذكره لي من أصحابي وأهل ولايتي.

(ولست بحمدالله كذلك): كالذي توهمتموه من ذلك.

(فلو[2] كنت أحب أن يقال ذلك): على جهة الفرض والتقدير.

(لتركته): نهيت عن فعله وكرهته.

(انحطاطاً لله تعالى): تواضعاً لجلاله، وتصاغراً عن ذلك.

(١) في (ب): غدا.

(٢) في شرح النهج: ولو.

(عن تناول ما هو أحق به): أخص وأولى، فلا إنفاذ له ولا يجري في حقي.

(من العظمة والكبرياء): اللذين يختصانه[1]، ولا يكنفان[2] بغيره.

(وربما استحلى الناس الثناء بعد البلاء): يريد بالبلاء الشر والمحنة، ويريد بالثناء إما العطاء وإما المدح، وغرضه من ذلك هو أن موقعهما بعد البلاء يكون أشد وأعظم.

(فلا تثنوا عليَّ بجميل ثناء): عظيمه وأعلاه.

(لإ خراجي نفسي إلى الله سبحانه[3] وإليكم): من أجل أني لم أخرج نفسي إلى الله بما يخصه، وإليكم بما يخصكم.

(من التقية[4]): يريد التقوى والورع.

(في حقوق): عليَّ لله تعالى ولخلقه.

(لم أفْرُغ من أدائها): تحصيلها على الوجه المرضي لله تعالى.

(وفرائض): عبادات وغيرها.

(لابد من إمضائها): تأديتها وتحصيلها، والمعنى أن الثناء إنما يكون حقيقة وصدقاً في حال من اتقى الله تعالى في تأدية الحقوق وتحصيل

(١) في (ب): يختصا به.
(٢) أي ولا يليقان بغيره، أو لا يتستر بهما ويلبسهما أحد غيره، وفي الحديث القدسي: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني في أحدهما قصمته».
(٣) سبحانه، زيادة في شرح النهج.
(٤) في شرح النهج: البقية.

الفرائض، فأما من لم يُعْلَم ذلك من حاله فالثناء عليه يكون مشكوكاً فيه.

(فلا تكلموني بما تُكَلَّمُ به الجبابرة): أهل الغلظة والتجبر، فإنه[1] يقال لهم قول العظمة، ويخاطبون خطاب العزة، وذلك كله خاص لله لا يصلح لغيره.

(ولا تتحفظوا مني[2]): التحفظ هو: التيقظ في الأمور والمراقبة لها.

(بما يتحفظ به عند أهل البادرة): الشدة والحدة؛ لأن الغالب فيمن كان يخاف منه الحدة والسطوة، فإنه يتحفظ في مكالمته؛ مخافة أن يزل في بعض النطق بما يكره فلا يأمن سطوته وعقابه.

(ولاتخالطوني بالمصانعة): يريد بالرشوة كما يفعل للولاة[3].

وفي بعض النسخ: **(ولا تخاطبوني)**: يريد ولا تكلموني بتقديم الأطماع وتحصيل الرشا.

(ولا تظنوا بي استثقالاً في حق قيل لي): أي لا تحك[4] في ظنونكم ويَلِجُ في صدوركم وأسماعكم أني أتأذى بقول الحق لي وأنه يثقل عليَّ.

(ولا التماس إعظام لنفسي): ولا أطلب تكبيراً لنفسي وتعظيماً لها منكم.

(فإنه): الضمير للأمر والشأن.

(من استثقل الحق أن يقال له): يريد من كان قول الحق عليه صعباً.

(١) في (ب): فإنهم.
(٢) مني، سقط من شرح النهج.
(٣) في (ب): الولاة.
(٤) في (ب): لا تحيك.

(والعــدل[1] أن يعــرض عليــه): واسـتثقل أيضـاً إذا عـرض عليـه العدل والإنصاف.

(كان العمل بهما أثقل عليه): لأن فعلهما والاجتهاد في الصبر على أدائهما أشق لا محالة من سماعهما فإذا كان السماع يشق فالفعل أشق.

(فلا تكفوا عن مقالـة بحق[2]): عن أن تقولوا لي في حق أفعله، ولا تتأخروا عن ذلك.

(أو مشـورة بعــدل): أو أن تشـيروا علـيَّ بـالعدل في الرعيـة أو في الأمور كلها.

(فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ)[3]: لم أبلغ إلى حالة العصمة[4] عن الخطأ.

(ولا آمن ذلك من فعلي): يريد لا آمن الخطأ أن يكون واقعاً في فعلي وفي تصرفي، وفي هذا دلالة على كونه غير معصوم؛ لأنه لو كان معصوماً

(١) في (ب) وفي شرح النهج: أو العدل.
(٢) في نسخة: الحق (هامش في ب).
(٣) في (ب): أن أخطئ فيه.
(٤) وقال ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج١١/١٠٧-١٠٨ في شرح قوله: (فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ) ما لفظه: أو يكون قاله على سبيل هضم النفس، كما قال رسول الله ﷺ: ((ولا أنا إلا أن يتداركني الله برحمته))، وقال العلامة يحيى بن إبراهيم جحاف رحمه الله في كتابه (إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين) ٢/٦١٥، في شرح قول الإمام علي (عليه السلام): (فإني لست في نفسي بفوق أن أخطئ)، ما لفظه: (هذا هضم لنفسه، أي لست بالنظر إلى نفسي بفوق أن أخطئ، ولا آمن من ذلك من فعلي لو وكلت إلى تحفظي، لا أدفع ذلك إلا بكفاية الله لي ما هو ملك له كقوله تعالى: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ ونحوها من آي القرآن الدالة على أن العصمة تكون بتأييد الله وألطافه، فلا يدل كلامه (عليه السلام) على اعترافه بعدم العصمة، والله أعلم). انتهى.

كما يقوله بعض الزيدية، وليست مقالة المحققين منهم[1] لكان آمناً لذلك في قوله وفعله، كما كان ذلك في حق الرسول (صلى الله عليه وآله).

(إلا أن يكفي الله من نفسي): من شرها وأمرها بالسوء.

(ما هو أملك به مني): أقدر عليه وأقوى على إنفاذه.

(فإنما أنا وأنتم عبيد مملوكون لرب): حالي وأحوالكم بمنزلة عبيد رق لمالك:

(لا رب غيره): لا إله سواه.

(يملك منّا): من التصرف والقبض والبسط والأخذ والكف.

(ما لا نملكه[2] من أنفسنا): من ذلك كله.

(فأخرجنا مما كنّا فيه): قبل النبوة من البدع والضلالة.

(إلى ما صلحنا عليه): إلى ما يظهر صلاحنا فيه.

(فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى): يريدبالضلالة ما كان قبل النبوة وقبل نزول القرآن والوحي، وبالهدى يشير إلى هذه الأمور كلها.

(وأعطانا البصيرة بعد العمى): بالقرآن والنبوة عوضاً عن أعمال الجاهلية وضلالاتهم[3].

(١) سبق التعليق على هذا الموضوع في الجزء الأول في الخطبة رقم (١٥) في شرح قوله: (ما كذبت كذبة).
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: ما لا نملك.
(٣) في (ب): وضلالتهم.

(١٩٨) ومن كلام له عليه السلام على جهة الدعاء

(اللَّهُمَّ، إني أستعديك على قريش): أطلبك أن تكون ناصراً لي، من قولهم: استعدى فلان الأمير إذا طلب منه أن ينصره على عدوه، يريد به جميع من خالفه من قريش، وأجمع على حربه ومنابذته.

(فإنهم قطعوا[١] رحمي): بما كان منهم من الشقاق والخلاف والعداوة لي، فإن هذه الأمور كلها تؤذن بقطيعة الرحم وتشهد لها[٢] بالمباينة.

(وأكفؤوا إنائي): كفأ الإناء وأكفأه إذا قَلَبَه، وجعل هذا كناية عن إهدار حقه الذي يستحقه وإذهابه.

(وأجمعوا): واتفقت كلمتهم.

(على منازعتي حقاً): أخذهم لحقٍّ مني.

(كنت أولى به من غيري): من جميع من تولاه قبلي.

(وقالوا): بعد المنازعة والشجار الطويل.

(ألا إن في الحق أن نأخذه[٣]): إن الدين والبصيرة وتقوى الله أن نستبد به دونك.

---

(١) في شرح النهج: فإنهم قد قطعوا رحمي.

(٢) لها، سقط من (ب)، وفي نسخة: لهم.

(٣) في شرح النهج: تأخذه.

(وفي الحق أن تتركه[١]): والأقرب عند الله تعالى إعراضك عنه، ثم قالوا:

(فاصبر مغموماً): على ما يلحقك من ذلك من الغمّ.

(أو مت متأسفاً): الأسف: شدة الحزن.

(فنظرت): تفكرت في أمري وما يؤول إليه حالي.

(فإذا ليس لي رافد): معين ولا من أستند إليه في أموري، وأجعله ملاذاً لي عند الشدائد.

(ولا ذابٌّ): ولا من يزيل عني المساوئ والشرور، والآفات والعوارض.

(ولا مساعد): ولا من يسعدني على رأيي، وتكون كلمته موافقة لي.

(إلا أهل بيتي): يريد بني هاشم، وبني عبد المطلب.

(فضننت بهم عن المنية): من الضِّنَّة وهي: البخل، عن أن أجعلهم بصدد المنايا، وأعرضهم للموت بالقتل في الحرب.

(فأغضيت على القذى): الإغضاء هو: إدناء الجفون وإطباقها، والقذى: ما يقع في العين فيؤلمها، وجعله كناية عن كتمانه لما يؤلمه في قلبه[٢] ويجرح صدره.

(وجرعت ريقي): ازدردته.

---

(١) في شرح النهج: أن تمنعه، وكذا في نسخة ذكره في هامش في (ب).

(٢) قوله: في قلبه، سقط من (ب)، وأشار في الهامش إلى وجودها في نسخة أخرى.

(على الشجا): وهو ما يعترض في الحلق فيكون مانعاً عن جري المأكول في الحلق.

(وصبرت من كظم الغيظ): أي من أجل كظم الغيظ.

(على أمرّ من العلقم): نبت فيه مرارة شديدة.

(وآلم للقلب من حزّ[1] الشفار): جمع شفرة وهي: السكين الطويلة.

---

(١) في شرح النهج: وخز.

(١٩٩) [ومن كلام له عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه عليه السلام][1]

ثم ذكر حال السائرين إلى البصرة منهم:

(فقدموا على عمالي): المتصرفين في البلاد للجباية لخراجات الأموال.

(وخزان مال المسلمين[2]): والمجعولين خزنة لهذه الأموال التي وضعها الله في المسلمين.

(الذي في يديّ): أتصرف فيه بالقبض والبسط والإعطاء والمنع.

(وعلى أهل مصر): من الأمصار وناحية من النواحي.

(كلهم في طاعتي): مستقيم عليها.

(وعلى بيعتي): غير ناكث فيها ولا خائن ولا غادر.

(فشتتوا كلمتهم): فرقوا آراءهم.

(وأفسدوا عليّ جماعتهم): بالطرد و التشريد، والإخراج عن المصر الذي كانوا فيه مجتمعين.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.

(٢) في شرح النهج: وخزان بيت مال المسلمين.

(ووثبوا على شيعتي): المتابعين لي على ما أنا فيه، والمناصرين لي عليه.

(فقتلوا طائفة منهم غدراً): أمَّنوهم أولاً فلما اطمأنوا إلى أمانهم قتلوهم فذاك[1] هو الغدر.

(وطائفة عضُّوا على أسيافهم): أراد عضُّوا نواجذهم، والعضُّ على الناجذ إنما يكون عند شدة الأمر، وفي الحديث: «عضُّوا عليه النواجذ»[2].

(فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين): النية في جهاد عدوهم، أو صادقين الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله تعالى.

(١) في (ب): فذلك.

(٢) رواه من حديث طويل عن أنس بن مالك في مسند شمس الأخبار ٤٧٠/١ الباب (٨٦)، وعزاه إلى الأربعين السيلقية، وذكر ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر٢٥٢/٣ في مادة عضض فقال ما لفظه: في حديث العِرْباض: ((وعضوا عليها بالنواجذ)) وقال في شرحه: هذا مثل في شدة الاستمساك بأمر الدين، لأن العض بالنواجذ عض بجميع الفم والأسنان، وهي أواخر الأسنان، وقيل: التي بعد الأنياب. انتهى.

(٢٠٠) [ومن كلام له عليه السلام لما مرَّ بطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وهما قتيلان يوم الجمل][1]

ثم قال (عليه السلام) يوم الجمل وقد مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتَّاب بن أسيد وهما قتيلان:

(لقد أصبح أبو محمد): يعني طلحة، كنَّاه[2] بابنه محمد بن طلحة، وكان من أصحاب أمير المؤمنين ومتابعيه، بخلاف عبد الله بن الزبير فإنه كان خارجاً على أمير المؤمنين مع أصحاب الجمل.

(بهذا المكان غريباً): وهذه منه (عليه السلام) إشارة إلى ندامته وتوبته، وأن مصرعه هذا مخالف لمصرع غيره ممن قتل على الفتنة والبغي، والشبهة الفاسدة في التأويل، ولهذا قال: أصبح غريباً، أي لا أحد معه مثل ما هو عليه من الندامة.

(أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى): حمية وغِيرَةٌ عليهم وأنفة عن أن يلحقهم الصغار والذلة[3] بالقتل بالسيف والطرد.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.

(٢) في (ب): كناية، وكذا في نسخة أخرى.

(٣) في (ب): والذل.

(**تحت بطون الكواكب**): يريد في الصحاري والمعارك وتجاول الخيول.

(**أدركت وَتْري من بني عبد مناف**): الوَتْرُ هو: الذَّحْلُ[1]، وأراد ما كان من قتل طلحة وعبد الرحمن[2].

(**وأفلتني أعنان[3] بني جمح**): الأعنان جمع عنن: وهو ما يعرض في السماء، واستعاره ها هنا للأشراف والرؤساء منهم، وأراد بذلك الزبير[4]؛ لأنه نجا هارباً وأفلت، وتداركه الله تعالى.

---

(١) الذَّحل: الثأر.

(٢) وذكر الشريف علي بن ناصر الحسيني في أعلام النهج في هذا الموضع أنه يريد بقوله: وتري، الزبير وطلحة. قلت: لكنه يقال: إن طلحة بن عبيد الله هو من تيم بن مرة، وطلحة ليس من بني عبد مناف، لأن ولد عبد مناف أربعة: هاشم، وعبد شمس، ونوفل، والمطلب، فكل من لم يكن من ولد هؤلاء الأربعة فليس من ولد عبد مناف. (وانظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد١١/١٢٣-١٢٤).

(٣) في شرح النهج: أعيار، جمع عير وهو: الحمار.

(٤) وقال ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح نهج البلاغة ١١/١٢٥ ما لفظه: واعلم أنه (عليه السلام) أخرج هذا الكلام مخرج الذم لمن حضر الجمل مع عائشة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بني جمح فقال: (وأفلتني أعيار بني جمح) جمع عير وهو: الحمار، وقد كان معها منهم يوم الجمل جماعة هربوا، ولم يقتل منهم إلا اثنان، فممن هرب ونجا بنفسه: عبد الله الطويل بن صفوان بن أمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وكان شريفاً وابن شريف، وعاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة. ومنهم يحيى بن حكيم بن صفوان بن أمية بن خلف، عاش حتى استعمله عمرو بن سعيد الأشدق على مكة، لما جمع له بين مكة والمدينة، فأقام عمرو بالمدينة ويحيى بمكة، ومنهم عامر بن مسعود بن أمية بن خلف كان يسمى دحروجة الجُعَل لقصره، وسواده، وعاش حتى ولاه زياد صدقات بكر بن وائل، وولاه عبد الله بن الزبير بن العوام الكوفة. ومنهم أيوب بن حبيب بن علقمة بن ربيعة بن الأعور بن أهيب بن حذافة بن جمح، عاش حتى قتل بقرية قتلته الخوارج.
فهؤلاء الذين أعرف حضورهم الجمل مع عائشة من بني جمح، وقتل من بني جمح مع عائشة عبد الرحمن بن وهب بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وعبد الله بن ربيعة بن درّاج العنبس بن وهبان بن وهب بن حذافة بن جمح، لا أعرف أنه قتل من بني جمح ذلك اليوم غيرهما، فإن صحت الرواية (وأفلتني أعيان بني جمح) بالنون فالمراد رؤساؤهم وساداتهم. انتهى ما ذكره ابن أبي الحديد.

(**لقد أتلعوا أعناقهم**): مدُّوها وأطالوا مدَّها.

(**إلى أمر**): وهو الخلافة والإمامة.

(**لم يكونوا أهله**): لنقصانهم عن دركه[1]، وتقاعدهم عن أحواله.

(**فوُقِصُوا دونه**): فكسرت أعناقهم دون الوصول إليه.

---

(١) أي بلوغه.

(٢٠١) [ومن كلام له عليه السلام][1]

ثم قال (عليه السلام) في صفة بعض المؤمنين:

(قد أحيا عقله): بالإيمان وخوف الآخرة وذكر العرض على الله تعالى.

(وأمات نفسه): بالخضوع والذلة والصغار لنفسه.

(حتى دق جليله): يريد نَحُفَ[2] عَظْمُهُ همّاً وهرماً.

(ولطف غليظه[3]): من ذكر أهوال الآخرة.

(وبرق له لامع[4]): أراد إما الاستبصار[5] بماقرره الله في عقله، ومنحه من الألطاف الخفية، وإما أن يريد ما كان من العناية بالخلق بالرسول (عليه السلام).

(فأبان له الطريق): طريق السلامة ومنهاج الفوز.

(وسلك به السبيل): طريق الحق.

(١) ما بين المعقوفين زيادة من شرح النهج.

(٢) في (ب): نحل.

(٣) لطف غليظه: تلطفت أخلاقه، وصفت نفسه، فإن كدر النفس في الأكثر إنما يكون من كدر الجسد، والبطنة -كما قيل- تذهب الفطنة. (شرح ابن أبي الحديد ١١/١٢٧).

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: وبرق له لامع كثير البرق.

(٥) في (ب): بالاستبصار.

(وتدافعته الأبواب): انسدت[1] عنه بلطف الله[2] سائر الأبواب المردية.

(إلى باب السلامة): حتى دخل باب السلامة وسلك طريقها.

(ودار الإقامة): واستوطن دار الإقامة.

(وثبتت رجلاه): استقرتا ورسختا.

(بطمأنينة بدنه): فاستقر شبحه من أجل ذلك؛ لأن الرِّجْلَيْنِ مهما كان الحال بهما مستقراً فالجسم مستقر، ومتى كانتا على غير قرار فالجسم كذلك، وهذا كله جعله كناية عن ثبوت أصول الديانة، فلا جَرَم كانت فروعها مستقيمة.

(في قرار الأمن والراحة): حيث لا خوف ولا تنغيص وهي الجنة.

(بما استعمل قلبه): في الإفكار في عظمة الله وجلال ملكوته.

(وأرضى ربه): بالأعمال الصالحة.

(١) في (ب): اشتدت.

(٢) في (ب): بلطف الله تعالى.

(٢٠٢) ومن كلام له عليه السلام بعد تلاوته:

﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾[التكاثر:١-٢]

(**يا له مراماً ما أبعده!**[١]): التقدير فيه: يا قوم انظروا مراماً أي مقصداً ما أبعده.

(**وزوراً ما أغفله!**): الزَّوْرُ: البئر البعيدة القعر، قال الشاعر:

إذ تجعل الجار في زوراء مظلمة

زلخ المقام وتطوي دونها المرسا[٢]

وأراد وأمراً بعيداً ما أغفله أي ما أعظم غفلتهم عنه.

(**وخطراً ما أفظعه!**): الخطر: الإشراف على الهلاك، وأراد وهلاكاً ما أصعبه وأعظمه، والمعنى من هذا كله هو إكبار الأمر وإعظامه حيث افتخروا وتكاثروا بأهل القبور.

ويحكى أن بني عبد مناف وبني سهم تماروا أيهم أكثر عدداً وأعظم جمعاً، فكثرهم بنو عبد مناف، فقالت بنو سهم: إن البغي أهلكنا

(١)في (أ): يا مراماً ما أبعد.

(٢) لسان العرب ٦٢/٢ بدون نسبة إلى قائله، والزلخ: المزلة تزل منها الأقدام لتداوتها لأنها صفاة ملساء، وبئر زلوخ وزلوج وهي المتزلقة الرأس. والمرس: الحبل.

في الجاهلية فعاودونا[١] بالأحياء والأموات فكثرهم بنو سهم، يريد أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بها، ثم عبَّر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة القبور تهكماً بهم[٢].

(**لقد استخلوا منهم أي مُدَّكر**): يقال[٣]: استخلاه مجلسه إذا سأله أن يخليه، يريد أن كل من مات وأخلى مكانه عنه فهو مُدَّكر قوي للباقين بعده، وأي هذه صفة لموصوف محذوف تقديره: استخلوا منهم أمراً أي مُدَّكر.

(**وتناوشوهم من مكان بعيد**): التناوش: التناول، وأراد أنهم تناولوهم بالذكر والافتخار، وأراد بالمكان البعيد الغاية التي بين الحي والميت، فإنه لا غاية أبعد منها لعظم الانقطاع بينهما.

(**أفبمصارع آبائهم يفخرون**): عنى بالمصارع في الموت والقتل أي يجعلونها فخراً، ولأن تكون استهانة أحق من أن تكون مفخراً.

(**أم بعديد[٤] الموتى يتكاثرون**): إنكار عليهم حيث جعلوا الموتى مما يكاثرهم.

(**يرتجعون منهم أجساداً**): افتعال من الرجوع، وأراد إما أنهم يسألون رجوع أجساد خلت ومضت، وإما أن يريد يطلبون منهم جواباً لخطابهم، والجواب يسمى رجعاً.

(١) في الكشاف: فعادونا.

(٢) الكشاف ٧٩٨/٤.

(٣) قوله: يقال، سقط من (ب).

(٤) في (ب): بتعديد، و في شرح النهج: بعديد الهلكى.

(خوت): خوى النجم إذا سقط، وأخوت الدار إذا أقوت[1]، قال تعالى: **﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً﴾**[النمل:52].

(وحركات سكنت): أي وذوي حركات قد[2] سكنت بالموت والبلاء.

(ولأن يكونوا عبراً): جمع عبرة وهي: الاتعاظ والانزجار.

(أحق من أن يكونوا مفتخراً): كما زعموا؛ لأن من هذه حاله فلا مفخر بحاله، وإنما الاتعاظ واقع به.

(ولأن يهبطوا بهم جناب ذلة): الهبوط: يكون عبارة عن النزول من أعلى إلى أسفل، والجَنَابُ: فناء الدار، وأراد ولأن يكونوا بذكرهم الموتى هابطين إلى أمكنة الذلة ومواضعها.

(أحجى من أن يقوموا بهم[3] مقام عزة): أدخل في الحجى وهو العقل من أن يقوموا بهم معتزين مكاثرين[4].

(لقد نظروا إليهم بأبصار العشوة): ناقة عشواء إذا كانت سيئة النظر، وأراد لقد نظروا إليهم بأبصار سيئة البصر حيث لم يتحققوا حالهم ولا تيقّنوا أمرهم.

(وضربوا منهم في غمرة[5]): ضرب في الأرض إذا ذهب فيها، وأراد أنهم ذهبوا عمّا هم فيه من الشدة في حالهم.

(1) أقوت الدار أي خلت.
(2) قد، سقط من (ب).
(3) بهم، سقط من (ب).
(4) في (ب) وفي نسخة أخرى: متكاثرين.
(5) في شرح النهج: في غمرة جهالة.

(ولو استنطقوا عنهم[1] عرصات تلك الديار الخالية[2]): يريد التي كانوا سكاناً فيها، وناعمين بها ومطمئنين إليها.

(والربوع الخاوية): التي لا أنيس فيها بعدهم.

(لقالت): لنطقت مجيبة بلسان حالها وموضحة لمقالها:

(ذهبوا في الأرض ضلّالاً): ضل في الأرض إذا ذهب فيها، قال الله تعالى: **﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾**[السجدة:10] وأراد بذلك تلاشيهم وبطلانهم فيها.

(وذهبتم في أعقابهم جهّالاً): إما بأحوالهم التي كانوا عليها في الحياة، وإما بما هم عليه في قبورهم.

(تطئون في هامهم): يعني رءوسهم إذا صارت تراباً.

(وتستنبتون في أجسادهم): أي تطلبون الزراعة وما يستنبت من الأشجار في أجسادهم التي صارت تراباً.

(وترتعون ما لفظوا[3]): أي تأكلون ما رموه وخلّفوه لكم بالميراث.

(وتسكنون فيما خربوا): بالاستعمال والسكنى فيه، أو فيما خربوه وعمروه بعد خرابه.

(وإنما الأيام بواك بينكم وبينهم[4] ونوائح عليكم): يريد أن الأيام

(1) عنهم، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(2) لفظ العبارة في شرح النهج: ولو استنطقوا عنهم عرصات تلك الديار الخاوية، والربوع الخالية.
(3) في شرح النهج: فيما لفظوا.

التي بينكم وبينهم وهي مدة الحياة لا تزال باكية عليكم، ونوائح حتى تلحقكم بهم وتكونون على مثل حالهم وطريقتهم.

(أولئك): يريد من ذكرنا حاله من الأموات، ووصفناه بهذه الصفات.

(سلف غايتكم): المتقدمون إلى غايتكم وهي الموت.

(وفرّاطُ مناهلكم): الفارط: السابق إلى الماء.

(الذين كانت لهم مقاوم العز): مقاوم: جمع مقوم جمعه على أصله، وقياسه مقامات.

(وحَلَبات الفخـر): جمع حَلَبَة، والحَلَبَة: خيـل تجمـع للسـباق مـن جهات مختلفة، ولا تخرج من مكان واحد.

(ملوكاً): حال من الضمير في لهم.

(وسُوَقاً): جمع سوقة، وهـم خلاف الملوك، وأراد[1] ذكـر النوعـين جميعاً السوقة والملوك.

(سلكوا في بطـن البـرزخ سبيلاً): البرزخ: ما بين الدنيا والآخـرة إلى البعث، وقيل: هو القبر.

(سلطت الأرض عليهم): سلطها الله عليهم وأقدرها.

(فيه): يريد البرزخ، يعني هذه المدة المقدرة المعلومة.

(فأكلت من لحومهم): من ها هنا للتبعيض.

---

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: وإنما الأيام بينكم وبينهم بواك ونوائح عليكم.

(١) في (ب): فأراد.

(وشربت من دمائهم): أي بعض دمائهم.

سؤال؛ المعلوم من حال الأرض أنها آكلة لكل اللحوم وشاربة لكل الدماء، فما معنى التبعيض ها هنا؟

وجوابه؛ هو[1] أن الغرض أنها أكلت منه قليلاً قليلاً، وبعضاً بعضاً حتى أتت على آخره، كما تقول: أكلت مـن الرغيف وإن كنت مستولياً عليه أجمع، والمراد أنك أكلت منه لقمة لقمة حتى أتيت على آخره.

(فأصبحوا في فجوات قبورهم): الفجوة: الشق بين الشيئين.

(جماداً لا ينْمُوْن): بمنزلة الحجارة في كونها لا تزيد ولا تنقص.

(وضماراً): الضمار: كل أمر لاتكون منه على ثقة من وجوده، ودين ضِمَار إذا كان لا يرجى قضاؤه.

(لا يُوْجَـدُوْن): أي لاتوجـد أشـباحهم؛ لذهابهـا وزوالهـا بتقطيـع الأرض لها.

(لا يفزعهم[2]): ينالهم خوف وفزع.

(ورود الأهوال): حصولها ووجودها.

(ولا يحزنهم): يغمُّهم.

(تنكر الأحوال): تغيرها عما كانت عليه.

(ولا يحفلـون بـالرواجف): الراجفـة هـي: الصـوت الشـديد،

---

(١) هو، سقط من (ب).

(٢) في (ب): ولا يفزعهم.

واحتفل بالشيء إذا كان له عنده موقع ومحل، وأراد أنهم لا يجدون لها وإن عظمت واشتد أمرها موقعاً لا شتغالهم بما هو أعظم من ذلك.

(ولا يأذنون للقواصف): القاصفة هي: الريح الشديدة؛ لأنها تقصف ما قابلته أي تكسره، وأراد أنهم لا يسمعون الريح الشديدة.

(غيَّباً): جمع غائب، أي هم أغياب عن كل مشهد.

(لا يُنتَظَرُوْن): بخلاف كل غائب فإنه ما من غائب إلا ويُنْتَظَرُ إيابه وروده، إلا من غاب بالموت فإنه لا يُنْتَظَرُ إيابه.

(وشهوداً): أي وهم حاصلون في قبورهم شهود فيها.

(لا يحضرون): لنفع ولا دفع ضرر كما تحضر الأحياء وينتفع بحضورهم.

(وإنما كانوا جميعاً): وحقيقة حالهم هو أنهم كانوا على صفة الاجتماع والألفة والصحبة، والتحابّ والتناصر.

(فتشتتوا): بالموت، فصار[1] كل واحد منهم في موضع غير موضع الآخر.

(وألافاً): إما وأعداداً كثيرة، وإما مؤتلفين في القلوب.

(فافترقوا): عن هذه الألفة وزالت عنهم هذه المودة، ثم عميت أخبارهم واندرست آثارهم.

(وما عن طول عهدهم): تطاول الأزمان لهم.

---

(١) في (ب): وصار.

(ولا بُعْد محلتهم[1]): تنائي ديارهم.

(عميت أخبارهم): فلا يوجد منها خبر، ولا يحسُّ لها حسّ.

(وصمّت ديارهم): فلا ينطق منها ناطق بما كانوا فيه من آثارهم.

(ولكنهم سقوا كأساً): يريد الموت.

(بدلتهم بالنطق خرساً): يريد أنهم كانوا قبل الموت في غاية الفصاحة في النطق، فصاروا عجماً لا ينطقون.

(وبالسمع صمماً): أي وكانوا يسمعون أي سمع، فصاروا صمّاً لا يسمعون شيئاً.

(وبالحركات سكوناً): وبالتصرفات العظيمة في الأعضاء والجوارح سكونها فلا تستطيع حراكاً.

(فكأنهم في ارتجال الصفة): ارتجل فلان الخطبة والشعر، إذا قالها من غير رويّة، وأراد أن الواصف إذا وصفهم من غير تأمل لأحوالهم ولابحث عنها فإنه يقول: هم:

(صرعى): على وجوههم وجنوبهم:

(سُبَات): لا حراك بهم ولا حياة فيهم، من السبت وهو: القطع.

(جيران لا يتأنّسون): أي أنهم متلاصقوا البيوت، ومع ذلك فإنهم[2] لا أنس لبعضهم من بعض لفوات ذلك بالموت.

---

(١) في شرح النهج: محلهم.
(٢) في (ب): فإنه.

(وأحباء): أهل مودة وإخاء.

(لا يتزاورون): كما يفعل أهل المودة والأخوة والصحبة.

(بليت بينهم عرا التعارف): العُرا: جمع عروة وهو: كل ما تُمسك به، وما أرشقها من استعارة وأعجب موقعها.

(وانقطعت عنهم[1] أسباب الإخاء): فلا يصلون تلك الحبال ولا يجددون تلك العُرا، فهي في غاية البلاء والدروس والامحاء.

(فكلهم وحيد): أي في قبر وحده على انفراده لا أنيس معه.

(وهم جميع[2]): إما مجتمعون في المَجَنَّة[3]، وإما مجتمعون في البلاء.

(وبجانب الهجر): على حظ من الهجر ونصيب منه، وغاية الهجر أن كل واحد منهم لا يرى صاحبه بعينه ولا يحسه بطرفه.

(وهم أخلاء): إما كانوا أخلاء في الدنيا، وإما وهم الآن أخلاء إذ لايسمع أحد من صاحبه ما يؤذيه.

(لا يتعارفون لليل صباحاً): فليلهم كله لا انقضاء لآخره.

(ولا لنهار مساءً): أي نهارهم كله لا انقضاء لآخره.

(أي الجديدين ظعنوا فيه كان عليهم سرمداً): هذا أورده على جهة البيان لقوله: (لا يتعارفون لليل صباحاً ولا لنهار مساء) والجديدان هما: الليل والنهار، فمن مات في الليل فليله لا انقضاء له، ومن مات في النهار

(١) في شرح النهج: منهم.
(٢) في (ب): جمع.
(٣) المجنة: المقبرة.

فنهاره لا انقضاء له، فلهذا أورده على إثره لما فيه من البيان لمعناه.

(شاهدوا من أخطار دارهم): يعني دار الآخرة التي صاروا فيها حقاً.

(أفظع): أعظم.

(مما خافوا): في الدنيا منها.

(ورأوا من آياتها): مشاهدة الملائكة، وأمكنتهم من الجنة والنار.

(أعظم مما قدروا): كانوا يتوهمونه في الدنيا.

(فكلا الغايتين): يعني الليل والنهار الذين ذكرهما بلفظ الجديدين.

(مدت لهم): طوِّلت، والضمير للموتى الموصوف حالهم بهذه الصفات.

(إلى مباءات): جمع مباءة وهي: المكان، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾[يونس:٩٣] وأراد أمكنة في الآخرة ومنازل.

(فاتت مبالغ الفوت[1] والرجاء): أي بلغت مبلغاً لا يعلم حال ما يفوت منه وما يُرْجَى لفظاعة أمره وشدة حاله.

(فلو كانوا ينطقون فيها[2]): على جهة الفرض والتقدير.

(لعيوا): لخرسوا وتحيروا فشلاً وعياً.

(بصفة ما شاهدوا): عن أن يصفوا ما شاهدوا من تلك الأحوال.

(وما عاينوا): من تلك الأخطار.

(١) في شرح النهج: الخوف.
(٢) في شرح النهج: بها.

(ولئن عميت آثارهم): فلا يمكن سلوكها.

(وانقطعت أخبارهم): فلا يسمع منها نبأ ولا أثر، واللام في لئن هي الموطئة للشرط، وقوله:

(لقد رجعت فيهم): اللام فيه جواب القسم المضمر المدلول عليه باللام.

(أبصار العبر[1]): بالنظر في أحوالهم[2] والا عتبار بها.

(وسمعت عنهم آذان العقول): لوعقلت ذلك ووعته.

(وتكلموا من غير جهات النطق): أي ليس ذلك من ألسنتهم وأفواههم ولكن بلسان الحال وما يظهر من مشاهدة أحوالهم.

(فقالوا: كلحت الوجوه النواضر): الكلوح: تكشُّرٌ في عُبُوس، والنواضر: النواعم الحسان.

(وخوَت الأجساد[3]): سقطت وتزايلت قطعاً، أو ذهبت وتفرقت بلاء ودروساً.

(النواعم): الطيبة.

(ولبسنا أهدام البلى): الأهدام جمع هدم، وهو: الثوب البالي، والاستعارة ها هنا في رشاقتها وحسنها، مثلها في قوله تعالى: **﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾**[النحل:١١٢] فجعل للبلى أهداماً كما جعل للخوف والجوع لباساً.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: العبر، كما أثبته، وفي (أ): العين.
(٢) في (ب): أقوالهم.
(٣) في شرح النهج: الأجسام.

(وتكاءدنا ضيق المضجع): تكاءدني الشيء إذا شقَّ عليَّ فعله، وأراد شقَّ عليهم ضيق المضجع.

(وتوارثنا الوحشة): وقعنا فيها من غير كلفة ولا مشقة ولا طلب كالمال الموروث.

(وتهكمت[1] علينا الرُّبُوعُ الصُّمُوتُ): التهكم: شدة الغضب، والربوع: القبور، وصفها بالصمت لأنها لا تنطق، وأراد اشتد ضجرها عليهم لسأمتها لهم وتشجرها[2] عنهم.

(فامحت[3] محاسن أجسادنا): زالت غضارتها ورونقها.

(وتنكرت معارف صورنا): وصار ما كان من صورنا لمن أبصره معلوماً لا يجهله عند إبصاره منكراً لما يلحقه من كثرة التغيرات، والاستحالات اللاحقة به، ومن ثَمَّ كان سبب الزلل لمنكري الإعادة فيما كان تراباً كيف يعود خلقاً آدمياً لكثرة ما بينهما من الاختلافات.

(وطالت في مساكن الوحشة إقامتنا): يريد القبور فإنهامنازل الوحشة لعدم الأنس بها.

(ولم نجد من كرب فرجاً): ولم نجد مما لحقنا مما لحق نفوسنا من الضيق الذي يكربها ويرد نَفَسَهَا من شدته ما يفرج عنها ذلك الكرب.

(ومن[4] ضيق متسعاً): ولا وجدنا مكاناً واسعاً فنكون فيه عوضاً عنه.

(١) في شرح النهج: وتهدمت.
(٢) كذا في (أ)، وفي نسخة أخرى وفي (ب): وشجرها عليهم.
(٣) في شرح النهج: فانمحت.
(٤) في شرح النهج: ولا من ضيق.

(**فلو مثلتهم بعقلك**): لما فرغ من أسلوب الوصف بالقول لأحوالهم وصفاتهم، وقرره بما نقلناه[١]، شرع في أسلوب آخر على جهة التمثيل للعقول، وأراد فلو مثّلتهم بمثال يفهمه عقلك، ويستولي عليه لُبُّك.

(**أو كشف لك محجوب الغطاء عنهم**): أو أزيلت الحوائل والموانع عن الإدراكات والرؤية لكان أكثر علماً وأعظم تحققاً، ثم أخذ في أوصافهم، حتى كأنها مرئية لكثرة تحققها وصدق ما أخبر به[٢] عنها وعن أحوالها المتغيرة وأوصافها المتنكرة.

(**وقد ارتسخت أسماعهم بالهوام**): رسخ الشيء وارتسخ إذا ثبت واستقر، والهوام: جمع هامة وهي الأحناش والأفاعي، وأراد أنها ثابتة مستقرة لا زوال لها عن منافذ أسماعهم.

(**فاستكت**): ستكَّ سمعه إذا صم فلا يسمع، وأراد أنها سكتها فأصمَّتها لشدِّها لها.

(**واكتحلت أبصارهم بالتراب**): أي صار التراب كحالاً[٣] لها مملوءة منه.

(**فخسفت**): أي غارت وذهبت في الأرض، وكأنها من جملة أجزائها.

(**وتقطعت الألسنة في أفواههم**): أي ذهبت قطعاً قطعاً ومزعة مزعة[٤] بتحكم الأرض عليها حتى صيَّرتها كذلك.

---

(١) في (ب): قلناه.
(٢) به، سقط من (ب).
(٣) في (ب): وفي نسخة أخرى: كحلاً.
(٤) المزعة: القطعة.

(**بعد ذلاقتها**): حدَّتها وتسلطها على الكلام الغريب الوحشي الفصيح، وتوجدها له على سهولة من طبعها.

(**وهمدت القلوب في صدورهم**): همدت النار إذا خبت وسكن تلهبها وفورانها، وأراد أنها هامدة عن التفكرات و الاستنباطات والتخيلات الكثيرة التي تكون سبباً في تحركها.

(**بعد يقظتها**): اليقظة: الهبوب من النوم، وأراد أنها صارت هامدة ساكنة بعد أن كانت متيقظة نابهة.

(**وعاث في كل جارحة**[١]): عاث الذئب في الغنم إذا أفسدها.

(**جديد بلىً**): من باب إضافة الصفة إلى موصوفها أي بلى جديد، نحو قولهم: سحق عمامة وجرد قطيفة، ووصفه بالجد إشارة إلى قوته وشدته.

(**سمَّجها**): إما بالجيم، من قولهم: صورة سامجة أي قبيحة، وإما بالخاء، من قولهم: طعام سمخ إذا كان رديئاً، والرواية فيه بالجيم.

(**وسهَّل طرق الآفة إليها**): يريد أن جديد البلى قد صار طريقاً لكل آفة فهي تسرع إليه لا محالة لما يظهر من عظم تأثيرها فيها وتغييرها لها على القرب والسرعة.

(**مستسلمات**[٢]): يريد الأسماع والأبصار وسائر الحواس أو الأجسام وما تشتمل عليه.

---

(١) في شرح النهج: في كل جارحة منهم.
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: مستسلمات.

(فلا أيدي[1] تدفع): ما يعتريها ويلم بها[2] من الآفات والمصائب والتغيرات.

(ولا قلوب تجزع[3]): تخاف وتشفق مما أصابها، كما يفعل الأحياء عند أن يصيبهم ذلك.

(لرأيتم[4] أشجان قلوب): أحزانها وما يؤلمها ويقطّعها ألماً.

(وأقذاء عيون): القذى: ما يؤلم العين ويؤذيها.

(لهم في كل فظاعة صفة حال): أي لهم في كل تغير من أحوالهم صفة حال فظيعة لا يمكن وصفها فلا[5] يطلع على حدها وحقيقتها.

(لا تنتقل): عن حالتها تلك لدوامها واستمرارها.

(وغمرة): شدة عظيمة في أحوالهم.

(لا تنجلي): ينكشف غمُّها ويزول عذابها.

(وكم[6] أكلت الأرض): مثّل تغييرها للأجسام بما يؤكـل لكثرة تغيره في البطون واستحالته إلى حالات مختلفة.

(من عزيز جسد): كانت الفرش ممهَّدة له واللباسات الرقيقة موطأة لمستقره في جميع حالاته.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: أيد.
(٢) بها، زيادة في (ب).
(٣) في (أ) تجرح، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.
(٤) في شرح النهج: لرأيت.
(٥) في (ب): ولا يطلع على حقيقتها.
(٦) في شرح النهج: فكم.

(وأنيق لون): إما بياض جسم ورونقه وطلاوته، وإما سواد مقلة وشعر، وإما خضرة الشارب في رشاقة الخد، وغير ذلك من أنيقات الألوان ورشيقها.

(كان في الدنيا غذيّ ترف): حالته في الدنيا مغذى بترفه[1] العيش ورقيقه من أكل الطيبات والتنعم فيها.

(وربيب شرف): له عز شامخ، ومجد أثيل[2]، ورئاسة سامية.

(يتعلل بالسرور): تعلل الصبي بشيء من الطعام إذا تجزّأ به عن اللبن، وأردا أنه يتلهى بالسرور.

(في ساعة حزنه): عند نزول الأحزان به.

(ويفزع إلى السلوة): يلجأ إلى ما يسليه.

(إن مصيبة نزلت به): إن أصابته حادثة من حوادث الدهر وفجائعه.

(ضناً): أي بخلاً، وانتصابه على المفعول له ولم تبرز اللام لكونه مصدراً.

(بغضارة[3] عيشه): أطيبه وأهنأه.

(وشحاحة بلهوه): عن أن يكدِّره ويغيِّره شيء من الحوادث فهو يحاذر ذلك.

(ولعبه): ومخافة على لعبه أن يتغيّر ويزول.

(١) في (ب): بترف.
(٢) أي أصيل، أي مجد كأنه الجبل.
(٣) في (أ): لغضارة، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.

(فبينا): هي[1] بين أشبعت الفتحة فنشأت عنها الألف، وقد يزاد عليها ما فيقال: بينما[2]، وأراد بين أوقات ضحكه إلى الدنيا وضحكها إليه، وطئه الدهر وهو مضاف إلى ما بعده من الجملة الابتدائية، وهي قوله:

(هو يضحك إلى الدنيا): بلهوه ولعبه وشدة طربه وعلو مراحه وزهوه[3].

(وتضحك إليه): بالإقبال عليه من إعارة البهجة وانفتاح الزهرة.

(في ظل عيش غفول): إنما وصف العيش بالغفلة مبالغة في هنائه كأنه غافل عن أكثر الحوادث التي تكدِّره، فلا يلتفت إليها ولا يحتفل بها، وظل العيش: أنعمه وأهنأه.

(إذ): وقت لما مضى، والمعنى بين أوقات ضحكه إلى الدنيا وضحكها إليه وقت وطئ الدهر فيكون الوقت المقدرة[4] به إذ مبتدأ، وبين وما بعده خبر له، وبين متعلقه باستقرار محذوف.

(وطئ الدهر به حسكه): جعل الدهر ها هنا هو الواطئ كأنه أوطأه حسكه، والحسك هو: الشوك، ومنه حسك السعدان يضرب به المثل في حدة شوكه.

---

(١) العبارة في شرح النهج: فبينا هو يضحك إلى الدنيا وتضحك إليه.

(٢) في (ب): فبينما.

(٣) في (ب): ولهوه.

(٤) في (ب): المقدر.

(ونقصت[1] الأيام قواه): غيّرتها وأزالتها عن تركيب الصحة والاعتدال.

(ونظرت إليه الحتوف): يريد الموت، وإنما أنّثه لكونه جمعاً لحتف.

(من[2] كثب): أي من[3] قرب.

(فخالطه): اتصل به ومازجه حتى صار ملا بساً له.

(بثٌ لا يعرفه): حزن لا يعرف حاله، ولا يدرك حقيقته لما فيه من الغم، أوحزن لم يصبه قط، فهو جاهل لأمره.

(ونجيُّ همٍّ): إما اسم فاعل ومعناه وهمٌّ مناجي له، وإما بمعنى المصدر وهو التناجي كأنه قال: وتناجي همٍّ، والغرض مناجاة الهمِّ ومسارته[4] له.

(ما كان يجده): قبل هذه الحالة أصلاً.

(وتولدت منه[5] فترات علل): الضمير للبثِّ أوالنجيِّ، وتولّدت أي حصل بعضها من بعض، والفترات: جمع فترة وهي العلة المفترة للأعضاء المرخية لها، وفترات علل من باب إضافة الصفة إلى موصوفها أي علل مفترة للعظام.

(آنس ما كان بصحته): يريد أن مخالطته للبثّ والهمّ[6] وتولّد الفترات آنس أي أعلم شيء كان من حال صحته وقوة حاله.

---

(١) في شرح النهج: ونقضت.

(٢) في (ب): عن.

(٣) في (ب): عن.

(٤) أي ومناجاته له.

(٥) في شرح النهج: فيه.

(٦) في (ب): والحزن.

(ففزع): عند إصابة هذه الأشياء.

(إلى ما كان عوده الأطباء): إلى ما كان يعتاده منهم في أمراض متقدمة قد حدثت عليه من قبل هذا.

(من تسكين الحار بالقار): يعني البارد، وتسكينه إطفاء حرارته به.

(وتعديل[1] البارد بالحار): التعديل: التسوية بينهما لئلا يغلب أحد هما الآخر؛ لأن مع التعديل فقوام الصحة باقي ومع غلبة أحدهما للآخر يختل الأمر في ذلك.

(فلم يطف ببارد): فانعكس الأمر في ذلك، فما أراد الإطفاء بالبارد.

(إلا ثوّر حرارة): هيَّجها وأقامها.

(ولا حرّك بحارّ): ولا أراد تحريك الحرارة لنفع.

(إلا هيّج برودة): يكون من أجلها زوال الصحة وذهابها.

(ولا اعتدل): هذا المريض.

(بممازج): بأمر يكون ممازجاً معدلاً[2].

(لتلك الطبائع): الصفراء والسوداء والبلغم والدم.

(إلا أمدّ منها كل ذات داء): أمدَّ من الإمداد، ومنه أمدَّه بالمال إذا أعانه وقوّاه به، وفي فاعل أمدَّ وجهان:

أحدهما: أن يكون مضمراً يرجع إلى الممازج؛ كأنه قال: إلا أمدَّ الممازج كل علة ذات داء.

(١) في شرح النهج: وتحريك البارد بالحار.

(٢) في (ب): معتدلاً.

وثانيهما: أن يكون فاعله مظهراً وهو كل، وتقديره: إلا أمدَّ كل ذات داء ذلك الممازج بالفساد والتغيّر.

(حتى فتر معلله): حتى هذه متعلقة بشيء محذوف تقديره فلم ينفك عن هذه الحالة، والفترة: ذهاب القوة لكثرة الاعتمال[1]، وأراد أنه أصابه الضعف لكثرة المعالجة.

(وذهل ممرضه): فشل وتحير لكثرة ما يصيبه من ذاك[2] ويعتريه.

(وتعايا أهله): من العيّ وهو: الفهاهة، وأراد أنه أعياهم وأدهشهم لصعوبته.

(بصفة دائه): من أجل صفتها، أي لم يمكنهم وصف هذا الداء لاختلاطه وذهابه في كل أعضائه وحواسه، إذ ليس مرضاً واحداً وإنما هي أمراض كثيرة لا يستطاع وصفها.

(وخرسوا عن جواب السائلين عنه): كلما سألهم سائل عن حاله لم يعيدوا عليه حلوة ولا مرة لتحيرهم في ذلك.

(وتنازعوا دونه): أي وأخذوا أخباراً يذكرونها لمن يسأل عن حاله يخبر كل واحد منهم بخبر كأنهم يتنازعونها، ويغفلون:

(شجيّ خبر يكتمونه): الشجا: ما يعترض في الحلق، والشجا: ما يشجي أيضاً ويبكي، وأراد أنهم لا يذكرون الخبر الصحيح من حاله

(١) في (ب): الأعمال.

(٢) في (ب): ذلك.

المورث للشجا والحزن بفقده، وإنما يذكرون أموراً ثانية غير ذلك:

(فقائل: هو لما به): أي هو على حاله من غير زيادة أي خالطه هذا المرض ولم يزدد فيه.

(وممنٍّ لهم إياب عافيته): يقول لهم: مرضه خفيف وهو إلى عافية ولعله يزول، وغير ذلك من الأماني.

(ومصبّر لهم على فقده): ومن الناس من قد يئس من حاله وعرف تلافه فهو يقول: اصبروا على موته، فإن الله عنده حسن الجزاء وعظيم الأجر.

(يذكّرهم أسى الماضين قبله): الأسى جمع أسوة وهي: القدوة، وأراد أنه يذكر لهم من مضى من الأنبياء والصالحين وأهل القدوة.

(فبينا هو كذلك): أي حالته التي هو عليها.

(على جناح من فراق الدنيا): مثّل حاله بما يكون على طرف الجناح؛ لأنه على قرب في السقوط والزوال.

(وترك الأحبة): إهمالهم وإطراحهم من ولد وأخ وصاحب وغيرذلك.

(إذعرض له عارض من غصصه): الأحزان والغموم[1] اللاحقة بالقلب، وأضافها إليه لما لها من الاختصاص به.

(فتحيرت نوافذ فطنته): جزعاً وفشلاً من شدة ما لحقه من ذلك.

(١) في (ب): والهموم.

(ويبست رطوبة لسانه): وذلك لأن الإنسان إذا وقع في أمر يزعجه انقطعت الرطوبة من شفاته ولسانه.

(فكم من مهم من جوابه): كم هذه هي الخبرية، ومن هذه للتبيين، وانجرار مهم إما بكم، ومن ها هنا زائدة وهي في التقدير غيرمنونة، وإما يكون جره[1] بمن، وكم ها هنا في التقدير منونة على خلاف بين النحاة، وليس فيه كثير فائدة، أي كثير من الأجوبة:

(عرفه): تحققه في خاطره.

(فعَيَّ عن ردّه!): تحيّر عن إجابته وبيانه.

(ودعاء مؤلم لقلبه): موجع له من أجل دعاء من يدعوه.

(سمعه بأذنه فتصام عنه): لم يقدر على إجابته فكأن به صمم عنه.

(من كبير): بيان لقوله: ودعاء مؤلم لقلبه.

(كان يعظمه): أي له عظمة وقدر عنده.

(أو صغير كان يرحمه): تلحق قلبه من أجله رقّة ورأفة.

(وإن للموت لسكرات[2]): إنما أتى بالواو ها هنا دون الفاء لما كانت هذه الجملة كالمنقطعة عما قبلها من غير إشارة فيها إلى تسبيب[3]، والفاء وإن أشعرت بالانقطاع كالواو، ففيها دلالة على السببية، وقد مرّ في نظائره.

(١) في (ب): جرت.
(٢) في شرح النهج: لغمرات، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٣) في (ب): تسبب.

(هي أفظع): أعظم وأبلغ.

(من أن تستغرق بصفة): يستولي على صفاتها أحد.

(أو تعتدل): تستوي بالتحقق والثبوت.

(على عقول أهل الدنيا): لفظاعتها وعلو أمرها.

(٢٠٣) ومن كلام له عليه السلام عند تلاوته

﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[النور:٣٧]

(إن الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب): الذي[١] يزيل عنها ما علقها من الكدورة والدَّرَن.

(تسمع به بعد الوقرة): يعني الصمم.

(وتبصر به بعد العشوة[٢]): وهي فساد البصر، وحكى السيد علي بن ناصر الحسيني عن بعض الشارحين لهذا الكتاب: أن المراد بالعشوة هي الربع الأول من الليل[٣]، وهذا ركيك، فإنه لا يناسب قوله: بعد الوقرة.

(وما برح لله عزت آلاؤه): يريد أن الله تعالى سبق في علمه، أن يكون:

(في البرهة بعد البرهة): يعني مدة طويلة بعد مدة طويلة.

(وفي أزمان[٤] الفترات): المدد التي تكون خالية عن بعثة الأنبياء.

(عباد): إنما جاء به على جهة التنكير مبالغة في شأنهم كأنه قال: عباد وأي عباد.

---

(١) ظنن فوقها في (ب)، بقوله: ظ: أي.
(٢) بعده في شرح النهج: وتنقاد به بعد المعاندة.
(٣) أعلام نهج البلاغة -خ- ص٥٨.
(٤) في نسخة: أوقات، (هامش في ب).

(ناجاهم في فِكَرِهم): هذه المناجاة ليس من قبيل الكلام كما كان في حق الأنبياء، وإنما الغرض أن الله تعالى ألقى في فِكَرِهِم أموراً اطمأنوا إليها وسكنت خواطرهم إليها، وانشرحت صدورهم بها.

(وكلَّمهم في ذات عقولهم): الكلام ها هنا مجاز، والغرض ها هنا هو: خلق العلوم في العقل لهم، بمعرفته وتقرير جلاله في أفهامهم؛ بحيث لا يخالطهم فيه شك ولا يعتريهم من أجلها ريب.

(فاستصبحوا بنور يقظة): استعارة ممن يستصبح في طريقة عظيمة بنور يمكنه السير معه، وإنما قال: يقظة؛ لأن الغرض بالنور هو المعرفة، فلهذا أنَّثها حملاً على معناها.

(في الأسماع والأبصار والأفئدة): يريد أن أسماعهم واعية لما سمعته من أمر الوعيد وأحوال الآخرة، وأبصارهم نافذة فيما رأته دلالة على توحيد الصانع ومعرفة عظمته وجلاله، وأفئدتهم مطمئنة إلى ما قد عرفوه من خوف الله، والفرار عن معصيته والتزام ما يستحقه من الطاعة التي هو أهل لها.

(يذكِّرون بأيام الله): يريد وقائعه في الأمم الماضية، والقرون الخالية بما أهلكهم بضروب المُثُلاتِ وأنواع العقوبات، ويحذرون وقوع مثلها، ومنه قولهم: أيام العرب يريدون أياماً كانت لهم فيها ملاحم وحروب[1]

(١) قوله: وحروب، سقط من (ب).

كيوم الفجار[١]، ويوم الهباءة[٢]، ويوم ذي قار[٣]، وغيرها من الأيام.

(ويخوِّفون مقامه): الوقوف بين يديه للحساب، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[النازعات:٤٠] ولهذا ترى كثيراً من الأشخاص يحضر إلى بين يدي بعض الجبابرة والظلمة وأهل البغي والفسوق، فلا يثبت في كلامه وترعد فرائصه خوفاً من مقامه وفشلاً، ويقف بين يدي ربه للصلاة، فلا يُرَى عليه من تلك الحالة أثر ولا خبر، ومن عَظُمَ جلال الله عنده فإنه لا يحتفل بأحد وإن جلَّ قدره.

(بمنزلة الأدلة في الفلوات): أي هم بمنزلة الأعلام المنصوبة في القفار والبراري التي يضل فيها[٤] من سار لولاها.

(من أخذ القصد): من الأمور كلها الدينية والدنيوية.

(حمدوا إليه طريقه): أثنوا عليه بحسن الثناء وبشَّروه بالنجاة من النار، وأمَّنوه من الوقوع في المهالك.

(ومن أخذ يميناً وشمالاً): يريد غير الطريق المعلومة المسلوكة للدين كما قد[٥] تقدم في كلام مضى.

(١) قال الجوهري: الفجار يوم من أيام العرب، وهي أربعة أفجرة، كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان في الجاهلية، وكانت الدبرة على قيس، وإنما سمت قريش هذه الحرب فجاراً لأنها كانت في الأشهر الحرم، فلما قاتلوا فيها قالوا: قد فجرنا، فسميت فجاراً. (لسان العرب ١٠٥٥/٢)

(٢) الهباءة: أرض بلاد غطفان، ومنه يوم الهباءة لقيس بن زهير العبسي على حذيفة بن بدر الفزاري، قتله في جفر الهباءة وهو مستنقع ماء بها. (لسان العرب ٧٦٦/٣).

(٣) يوم ذي قار: يوم لبني شيبان، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً، فظفرت بنو شيبان وهو أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم. (المصدر السابق ١٨٦/٣).

(٤) في (ب): بها.

(٥) قد، سقط من (ب).

(**اليمين والشمال مضلتان، وما بينهما هو الجادة**): يريد النجاة فيه.

(**ذموا إليه الطريق**): التي سلكها.

(**وحذروه من الهلكة**): الوقوع في النار من أجل ذلك.

(**وكانوا كذلك**): يريد على هذه الحالة من غير مخالفة لها ولا مجانبة عنها.

(**مصابيح تلك الظلمات**): يريد أن كلما أظلم من أمور الدين فهم فيه بمنزلة المصباح[1].

(**وأدلة تلك الشبهات**): يريد أنه لا شبهة واردة في الدين إلا وهم أدلتها وهم الذين يستوضح منهم مسالكها.

سؤال؛ لم يسبق شيء من ذكر الظلم، ولا تقدم شيء من ذكر الشبه، فما وجه الإشارة بقوله: تلك الظلمات وتلك الشبهات؟

وجوابه؛ هو أنه ليس الغرض بهذه الإشارة إلى شيء معين موجود، وإنما هي إشارة إلى معهود في الذهن، كما تقول: أكلت الخبز، فليس غرضك العموم لا ستحالة ذلك، ولا غرضك أمراً معيناً إذ لم يكن هناك شيء، وإنما الغرض الحقيقة المعقولة في الذهن، فلهذا أشار إليها بقوله: (تلك): فيهما جميعاً.

(**وإن للذكر أهلاً**[2]): ناساً اختصوا به حتى صاروا أهلاً له.

(**أخذوه من الدنيا بدلاً**): جعلوه نصيبهم من الدنيا، فلا نصيب لهم منها سواه.

---

(١) في (ب): المصابيح.

(٢) في شرح النهج: لأهلاً.

(**فلم تشغلهم تجارة ولا بيع عنه**): أي فكان اشتغالهم به دون سائر الأغراض من البيع والشراء وأنواع التجارات.

(**يقطعون به أيام الحياة**): أي أنهم لا شغل لهم بغيره فأيامهم ولياليهم مستغرقة فيه منقطعة به.

(**يهتفون**[1] **بالزواجر**): يصيحون بالوعيدات العظيمة، والقوارع الشديدة.

(**عن محارم الله**): عن مواقعتها، والتلبس بها وتعدي حدود الله، وانتهاك حرم الله.

(**في أسماع الغافلين**): لولوجها في أسماعهم من أجل وجوب الحجة عليهم.

(**ويأمرون بالقسط**): وهو العدل في الأمور.

(**ويأتمرون به**): إما يفعلونه، وإما يأمرون به أنفسهم.

(**وينهون عن المنكر**): عمَّا أنكره الله على الخليقة وكرهه لهم، ونهاهم عنه، وأوعدهم على ارتكابه.

(**ويتناهون**): يمتنعون.

(**عنه**): فلا يفعلونه.

(**فكأنما**[2] **قطعوا الدنيا إلى الآخرة وهم فيها**): يريد أنهم فيما هم فيه

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: ويهتفون.

(٢) في شرح النهج: فكأنهم.

من القيام بأمر الله والخوف منه، وتحذير الناس من وعيده، بمنزلة من قد قطع الدنيا ثم جازها إلى الآخرة وهو فيها معاين لأحوالها كلها.

(فشاهدوا ما وراء ذلك): ممَّا أعد الله فيها لأوليائه، وممَّا هيَّأ لأعدائه.

(وكأنما[1] اطلعوا غيوب[2] أهل البرزخ): أي وكأنهم لمكان قلقهم وفشلهم قد علموا ورأوا ماكان من علوم البرزخ، وهو ما بين الدنيا والآخرة أو القبر كما مرَّ شرحه، غائباً عن غيرهم.

(في طول الإقامة فيه): أي وعلموا طول الإقامة في البرزخ.

(وحققت القيامة عليهم عداتها): أي وتحققوا ما كان من أخبار القيامة وما وعدتهم من أهوالها وفجائعها.

(فكشفوا غطاء ذلك لأهل الدنيا): بالإخبار والوصف.

(حتى كأنهم يرون ما لا يرى الناس): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: إنهم بالغوا في ذلك، وحققوه حتى كأنهم يرون ما لا يرونه.

(ويسمعون ما لا يسمعونه): فيحثهم ذلك على ما فعلوه.

(فلو مثلتهم لعقلك): حيث لم تكن مدركاً لهم بعينك فتكون كافياً عن ذلك.

(في مقاومهم المحمودة): التي يحمدهم الله تعالى عليها.

(ومجالسهم المشهودة): التي يشهدها غيرهم.

---

(١) في شرح النهج: فكأنما.

(٢) في (ب): على غيوب.

(وقد نشروا دواوين أعمالهم): صحفها وقراطيسها.

(وفرغوا لمحاسبة أنفسهم): تحقيق الحساب عليها.

(على كل صغيرة وكبيرة): من الأعمال.

(أمروا بها فقصَّروا عنها): إما عن تأديتها مطلقاً، وإما عن تأديتها على الوجه المرضي منهم لله تعالى.

(أو نهوا عنها ففرطوا فيها): في الانكفاف عنها.

(وحمّلوا ثقل أوزارهم ظهورهم): ولم يُحمِّلُوهَا غيرهم ممن لا جرم له فيها.

(فضعفوا عن الاستقلال بها): عن حملها خفيفة مقلين لها.

(فنشجوا نشيجاً): يريد غصُّوا بالبكاء في حلوقهم من غير انتحاب.

(وتجاوبوا نحيباً): هذا ينحب فنحبته هذا أيضاً ناحباً، والنحيب: علو الصوت بالبكاء.

(يعجون إلى ربهم من مقام ندم واعتراف عجيجاً[1]): يتضرعون إلى ربهم رافعين أصواتهم معتذرين من مقام ندموا على قيامهم فيه واعترفوا بالخطأ في ذلك.

(لرأيت): اللام هذه هي جواب لو في قوله: فلو مثلتهم لعقلك.

(أعلام هدى): يهتدي بها السائر في الظلمات والقفار من[2] الأرض.

---

(١) قوله: عجيجاً، سقط من (ب)، ومن شرح النهج.

(٢) في (ب): في.

(ومصابيح دجى): الدجى هي: الظلمة أي وهم مصابيح كل ظلام، وكل هذه الأمور استعارات رشيقة يعقلها من ضرب في صناعة البيان بنصيب وافر، وكان له فيه قدح قامر[1].

(قد حفت بهم الملائكة): المحفوف هو: المستدار حوله تعظيماً لحاله وتبجيلاً له.

(وتنزلت عليهم السكينة): من الله تعالى كرامة لهم، كما قال تعالى: ﴿وأنزل[2] السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾[الفتح:١٨] في معرض المدح.

(وفتحت لهم أبواب السماء): إما عند موتهم، أو عند دخولهم الجنة في الآخرة.

(وأعد[3] لهم مقامات[4] الكرامات): كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾[الدخان:٥١] و﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾[القمر:٥٥] وغير ذلك مِمَّا يصدِّق ما قاله فيهم.

(في مقعد[5] اطلع الله عليهم فيه، فرضي سعيهم): إما في الدنيا وإما في الآخرة كل ذلك محتمل.

(وحمد مقامهم): ورضيه لهم وأعطاهم إياه من جوده.

---

(١) أي غالب.

(٢) هكذا في النسختين بالواو، ولعلها قراءة، وفي المصحف الذي بين أيدينا: ﴿فأنزل﴾ بالفاء.

(٣) في (ب) وشرح النهج: وأُعدت.

(٤) في شرح النهج: مقاعد، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٥) في نسخة: مقام، (هامش في ب).

(يتنسَّمُون دعاءه): أي يتنفسون[1] من أجل دعائه، وفي الحديث: «لما تنسَّمُوا رَوْحَ الحياة»[2] أي وجدوا نسيمها.

(رَوْح التجاوز): ألذُّ ما يكون من الأشياء وأطيبها.

(رهائن فاقة إلى فضله): يريد كأنهم لكثرة طلبهم وإلحاحهم على جوده مرتهنين من أجل الحاجة إلى كرمه وجوده.

(وأسارى ذلة): وبمنزلة من هو أسير في رِبْقَة[3] الذل.

(لعظمته): التي ينبغي لكل شيء أن يذل لها ويتصاغر لجلالها.

(جرح طول الأسى قلوبهم): الأسى بفتح الهمزة اسم للصبر.

(وطول البكاء عيونهم): فالقلوب مجروحة، والأعين مجروحة، رغبة إلى الله تعالى وشوقاً إلى لقائه.

(لكل باب رغبة إلى الله منهم يد قارعة): يريد أنه لا باب من أبواب الرغبة وأنواع الفضائل وضروب المزيد من فضله إلا ولهم فيه سؤال ورغبة، لا يكتفون بباب دون باب ولا بإحراز فضيلة دون فضيلة.

(يسألون من لا تضيق لديه المنادح): المنادح هي: المواضع المتسعة، وفي حديث أم سلمة لعائشة: قد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه[4]،

---

(١) في (ب)، وفي نسخة أخرى: ينفسون.

(٢) نهاية ابن الأثير ٤٩/٥، ولسان العرب ٦٢٩/٣، ومختار الصحاح ص٦٥٨.

(٣) الرُّبقة واحدة الرِّبَق، وهي عرا تشدُّ بها البَهْم. (مختار الصحاح ص٢٣١).

(٤) نهاية ابن الأثير ٣٥/٥، وحديث أم سلمة لعائشة والذي ذكر المؤلف منه هذا القول، (انظره كاملاً في شرح النهج ٢١٩/٦-٢٢٠).

وقوله: فلا تندحيه، يروى بالنون كما أورده المؤلف هنا، ويروى بالباء أي فلا تبدحيه، من البداح وهو المتسع من الأرض. (راجع المصدرين المذكورين).

أي توسعيه بالخروج إلى البصرة، تنصحها وتعظها عن الخروج على أمير المؤمنين، وأراد من لا تتسع لعطاياه الأراضي والمفاوز العظيمة، والغرض أن عطاياه بغير نهاية، وما هذا حاله فليس يتسع له شيء.

(**ولا يخيب عليه**[1] **الراغبون**): أي لا ينقطع رجاؤهم عنه.

(**فحاسب نفسك لنفسك**): يريد فحاسب نفسك من أجل عافية نفسك؛ لأن مع المحاسبة تحصل المراقبة، ومع ذلك ظنّ النجاة ووقوع السلامة.

(**فإن غيرها من الأنفس لها حسيب غيرك**): يريد كما كان في حقك، والغرض من هذا التنبيه على أن أعظم ما على الإنسان وأضر ما يكون عليه نفسه لا غير، وانظر إلى قوله: (فحاسب نفسك...) إلى آخره مع قصره كيف جمع إلى حسن البلاغة فيه أبلغ الوعظ وأحسنه.

---

(١) في (ب): عنده.

(٢٠٤) ومن كلام له عليه السلام قاله عند تلاوته:

﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾[الانفطار:٦]

(**أدحض مسؤول حجة**): دحضت حجته[1] إذا كانت باطلة لا سلطان عليها.

(**وأقطع مغتر معذرة**): يريد أن عذره منقطع فاسد، والغرض من هذا هو المبالغة في أن الإنسان أعظم ما يكون في إدحاض الحجة، وأبلغ ما يكون في الاعتذار وانقطاع المعذرة، فجاء به على هذا السياق ليكون أبلغ وأوقع.

(**لقد أبرح جهالة بنفسه**): إما لقد اشتدت جهالة الإنسان بنفسه، من قولهم: قتلوهم أبرح قتل أي أشده، وإما لقد أعجب الإنسان جهالة بنفسه، من قولهم: ما أبرح هذا الأمر أي أعجبه.

(**يا أيها الإنسان**): تنويهاً بذكره وتشهيراً بجرأته واعترافاً بانقطاع عذره، وقد مر تفسير أي وإعرابها غير مرة.

(**ما جرّأك على ذنبك**): مع ما يقرع سمعك من القوارع الشديدة.

(**وما غرك بربك**): مع علمك باطلاعه عليه[2] وإحاطته بعلمك[3].

---

(١) في نسخة: الحجة، (هامش في ب).
(٢) في (ب): عليك.
(٣) في (ب): بعملك.

(وما أنسك بهلكة نفسك؟): لإقدامك على ما يهلكها في كل ساعة من المعصية.

(أما من دائك بلول): أي برء، من قولهم: بلّ[1] الرجل من مرضه إذا شفي منه.

(أم ليس من نومتك[2] يقظة): تيقّظ وتنبّه.

(أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك!): يريد أن نفسك أخص من نفس غيرك فنزلها في هذه الحال منزلة الغير من غير أن تكون مختصة بك ولازمة لك.

(فربما ترى الضاحي بحرّ الشمس فتظله): الضاحي هو: المتكشف لحرّ[3] الشمس.

(أو ترى المبتلى بألم يمضّ جسده): حكى ثعلب: مضّني الجرح وأمضني إذا أوجعك وهو: بالضاد المنقوطة، يريد فمن تراه على هذه الأحوال ترقّ له وترحمه.

(فتبكي رحمة له): إما من أجل الرحمة له، وإما راحماً له فيكون نصبها إما على المفعول له، وإما على الحال كما ترى.

(فما صبرك على دائك): استفهام فيه معنى التعجب من صبره على فعل المعاصي[4] التي هي بمنزلة الداء.

---

(١) ويجوز أبلّ. (هامش في ب)
(٢) في شرح النهج: نومك.
(٣) في (أ): بحر.
(٤) في (ب): الماضي.

(وجلدك على مصابك): إما على الإصابة لك، وإما على موضع الإصابة.

(وعزّاك عن البكاء على نفسك): أي وما صبّرك عن[1] البكاء على نفسك.

(وهي أعز الأنفس عندك[2]): من باب قولهم: أتضرب زيداً وهو أخوك.

(وكيف لا يوقظك خوف بيات نقمة): أيقظه إذا أنبهه، والبيات: ما كان لاحقاً من المصائب بالليل، يقال: جاءوهم بياتاً إذا هجموهم ليلاً، قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾[الأعراف:٩٧] ثم قال بعد ذلك: ﴿بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ﴾[الأعراف:٩٧].

(وقد تورطت في معاصيه): الورطة: الهلاك، وقد تورّط أي وقع في المهالك.

(مدارج سطواته): المدرجة هي: المذهب والمسلك، وأراد أنك قد وقعت في مسالك سطواته ومذاهبها باقتحامك الحدود، ووقوعك فيها.

(فتداو من داء هذه الفترة في قلبك بعزيمة): أي فقابل هذه الفترات والتواني بما يعاكسها و يناقضها من العزائم الحاملة على محافظة حدود الله، ومراقبة خوفه.

(ومن كرى الغفلة في ناظرك بيقظة): أي ومن نوم الغفلة في عينيك بانتباه يشذ به النوم في ذلك.

---

(١) في (ب): على.
(٢) في شرح النهج: عليك.

(وكن لله مطيعاً): تقرير لما سبق من هذه الجمل وتوكيد لها وإعطاء لمعناها لأن حاصلها وإن كانت مختلفة هو الأمر بالطاعة على كل وجوهها.

(وبذكره انساً): في كل الأوقات وعلى جميع الأحوال.

(وتمثّل في حال توليك عنه، إقباله عليك): يقول في كلامه هذا: مثّل حالك وحاله[1] كيف أنت مُوَلّي عنه مصرٌّ على عصيانك له وإدبارك عنه، وهو مع ذلك في غاية الإقبال عليك.

(يدعوك): يستدنيك بالملاطفة.

(إلى عفوه): صفحه وغفرانه عنك.

(ويتغمدك): إما يغمرك، وإما يسترك.

(بفضله): تفضلاً منه عليك وإنعاماً عليك.

(وأنت متولٍ عنه إلى غيره): يريد أنه معرض عن الله تعالى بالمعصية إلى مساعدة نفسه وموافقة الشيطان.

(فتعالى من قوي): ارتفع عن كل ما نسب إليه مما[2] لا يليق به من أجل قوته.

(ما أكرمه[3]!): ما أشد كرمه وأعظمه عليك.

(وتواضعت): انحططت.

(من ضعيف): من هذه لابتداء الغاية.

---

(١) قوله: وحاله، سقط من (ب).
(٢) في (ب): ما.
(٣) في نسخة: ما أحلمه، (هامش في ب).

(ما أجراك على معصيته![1]): ما أعظم إقدامك من غير مراقبة على مواقعة معصيته فخالفته في كل أمر.

(وأنت في كنف ستره): الكنف: الجانب، وأراد وأنت في جانب من ستره.

(مقيم): واقف مستقر.

(وفي سعة فضله متقلب): وفي جوده وعافيته وأمنه مضطرب يميناً وشمالاً.

(فلم يمنعك فضله): من أجل مخالفتك له وتركك لأمره.

(ولم يهتك عنك ستره): يزل عنك رداء[2] العافية وغطاء الستر من أجل شرودك عنه ومواقعة حدوده.

(بل لم تخل من لطفه): بك[3] في كل أحوالك وجميع أفعالك.

(مطرف عين): مضى تفسيره.

(في نعمة): متجددة من جهته.

(يحدثها لك): من غير استحقاق منك لها.

(أو سيئة يسترها عليك): يغطّيها بحلمه عن أن يؤاخذك بعقوبتِها جهراً.

(أو بلية): محنة من المحن، وعظيمة من العظائم.

(يصرفها عنك): يزيلها وينحِّيها عنك.

---

(١) في (ب): معصيتك.
(٢) في (ب): بُرْد
(٣) بك، سقط من (ب).

(فما ظنك به لو أطعته): يقول (عليه السلام): فكّر في نفسك وانظر في أمرك هذا إذا كان الله تعالى حاله في إدرار النعم واللطف والرحمة والرأفة، ودفع البلاء والشر في كل جهة بالإنسان وهو في غاية ما يكون من الإصرار على المعصية، والمحادّة لله وارتكاب محارمه، فكيف حاله إذا كان منقاداً لأمره موافقاً لطاعته يكون لا محالة[1] هذا أكبر، والرحمة والرأفة أعظم وأوفر.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن فاز بطاعتك، وكان من أهل محبتك.

(وايم الله): مضى تفسيره.

(لو كانت هذه الصفة): وهي قُرْبُ الله باللطف والرحمة، وبُعْدُ العبد بالمخالفة والمعصية.

(في مُتَّفِقَيْنِ في القوة): لامزية لأحدهما على الآخر[2] في البطش والتقوّي.

(متوازيين[3] في القدرة): متماثلين فيها.

(لكنت أول حاكم على نفسك بذميم الأخلاق): أسوأها وأدناها، حيث قابلت الإحسان بالإساءة، والمعروف بالقطيعة، والمودة بالبغض والقلا وغير ذلك من النقائص.

(ومساوئ الأعمال): وبالأعمال السيئة الشنيعة البشعة.

---

(١) في (ب): يكون حاله لا محالة.

(٢) في (أ): الآخرة.

(٣) في (ب): متوازنين.

(وحقاً): انتصابه على المصدرية.

(أقول: ما الدنيا غرتك): ما هي الفاعلة للغرور بك فليس لها مُكْنَةٌ في ذلك، ولاقدرة عليه، ولا لها في ذلك ورد ولا صدر.

(ولكن بها اغتررت): فظننت دوامها فعملت لها وهي زائلة، فلهذا كان هذا سبباً في الاغترار.

(ولقد كاشفتك العظات): أي أظهرت لك المواعظ من أحوال الأمم الماضين ومن يكون فيه متعظ ومعتبر لمن يعتبر ويتعظ.

(وآذنتك على سواء): من قوله تعالى: ﴿فَقُلْ آذَنتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾[الأنبياء:١٠٩] أي مستوين[1] في الإعلام لم أخدع بإعلام بعضكم دون بعض.

(وهي بما تَعِدُك من نزول البلاء): الضمير للدنيا يريد أنها بما تمسّك من نزول المصائب.

(بجسمك): كالأمراض وسائر الأسقام.

(والنقص في قوتك): إما بالشيخوخة إن طال العمر، وإما بالمرض.

(أصدق وأوفى من أن تكذبك): في هذه الأشياء كلها.

(أو تغرك): تقول قولاً وعندها خلافه، وأراد أن هذه الأمور كلها حق من جهتها لا كذب فيه.

---

(١) في (أ): مستويين، وما أثبته من (ب) ومن نسخة أخرى.

(ولرب ناصح لها عندك متهم): يريد أنها قد نصحت بما يحصل فيها من البلاوي و المحن وسائر الآفات من جهتها، ولكنّها متهمة؛ لأنّا لا نستنصحها.

(وصادق من خَبَرها): وكم أخبرتنا عمَّن مضى من الأمم الماضية بإهلاكها لهم.

(مكذَّب): لم نصدّقه، وكنّا في غاية الولوع بها والمحبة لها.

(ولئن تعرفتها في الديار الخاوية): يريد تعرفت فعلها بأهل الديار المتهدمة[1] الساقطة.

(والربوع الخالية): والمواضع المندرسة.

(لتجدنها من حسن تذكيرك): لتعرفنها بالوجدان من نفسه[2] في غاية الحسن والمبالغة في التذكير.

(وبلاغ مو عظتك): وعظم البلاغ للموعظة[3] لك.

(بمحلة الشفيق عليك): في محل من هو محبٌّ لك مشفق عليك كالوالد وغيره.

(والشحيح بك!): عن أن تهلك.

(ولنعم دار من لم يرض بها داراً): المخصوص بالمدح محذوف تقديره: هي، وقوله: دار من لم يرضَ بها هو فاعلها، ومن لعمومها جاز أن تكون فاعله لها كقولك: نعم من جاءك زيد.

(١) في (ب): المنهدمة.
(٢) في (ب): نفسك.
(٣) في (ب): الموعظة.

(ومحل من لم يوطنّها محلاً!): يريد من لم يستوطنها ويجعلها مستقراً له، لأنه إذا كان فيها على نية الانتقال عنها والإعراض إلى دار أخرى سواهافرغبته فيها قليلة، وأمره فيها على عجلة ووفاز[1]، فإنه يستكثر فيها الأعمال الصالحة، ويغتنم[2] فيها المتاجر الرابحة فيفوز بها في الآخرة، فلهذا كانت نِعْمَ الدار في حقه لما كان أمره فيها كما ذكرناه، ولعمري إن من كانت هذه حاله فهو الفائز فيها بعينه.

(وإن السعداء بالدنيا غداً): يريد وإن الأكثرين فيها سعادة:

(هم الهاربون منها اليوم): لأنهم إذا هربوا منها قل تعلقهم بها فكان ذلك سبباً للإقبال إلى الآخرة والتعلق بها.

(إذا رجفت الراجفة): يشير بذلك إلى الأفزاع العظيمة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾[النازعات:٦].

(وحقت[3] بجلائلها القيامة): وتحققت: أي علمت وقطع على القيامة بجلائلها وهي أمورها العظيمة الصعبة الجليلة.

(ولحق بكل مَنْسَكٍ أهله): المَنْسَكُ: الطريقة، أي ولحق كل أهل[4] طريقة بطريقتهم.

(وبكل معبود عبدته): نحو عُبَّاد الشمس، وعباد القمر والنجوم وغيرذلك من سائر المعبودات من دون الله، ولحق العابدون لله والساجدون

(١) الوفاز: العجلة أيضاً.
(٢) في (ب): ويغنم.
(٣) في (ب): وتحققت.
(٤) في (ب): ذي.

لوجهه به، فأنجاهم حيث لا نجاة إلا من عنده وبأمره، وعند هذا تعظم نعمة الله على الموحِّدين بما ألهمهم من حسن توحيده وهداهم إلى طريقه.

اللَّهُـمَّ، اجعلنـا ممـن زينتـه بعبـادتك، وشـرفته بـالخضوع والذلـة لوجهك وعظمتك.

(وبكل مطاع أهل طاعته): فأهل الضـلال والزيغ يلحقون بالشياطين والأبالسة، وأهل الطاعة يلحقون بالأنبياء والأفاضل.

(فلم يجر في عدله وقسطه): في حكمته البالغة وأمره المحكم عند وقـوع هذه الأهوال كلها.

(يومئذ[1] خرق بصر في الهواء): مقدار ما ينفذ فيه البصر.

(ولا همس قدم في الأرض): الهمس: الصوت الذي لا يدرك حسُّه.

(إلا بحقه): من غير زيادة فيه ولا نقصان، والغرض بذلك هـو الكناية عن شدة التحفظ.

(فكم حجة): كم هذه للتكثير، وهي الخبرية.

(يوم ذاك): الإشارة بذلك إلى ما تقدم من وجود هذه الأهوال.

(داحضة): ساقطة باطلة.

(وعلائق عـذر منقطعـة): لا أثر لها عند الله، ولا تزن عنده قلامة ظفر، ولا مثقال ذرة.

---

(١) يومئذ، زيادة في شرح النهج.

(فتحرَّ): أمر بالتحري.

(في[1] أمرك): شأنك كله.

(ما يقـوم بـه عـذرك): عند الله يمضي ويكون ثابتاً غيرمردود كغـيره من الأعذار.

(وتثبت به حجتك): قوٍّ به ما تحتج به.

(وخذ ما يبقى لك): في الآخرة أجره.

(مما لا بقاء[2] له): وهي الدنيا.

(وشم برق النجاة[3]): شمت البرق إذا نظرت إلى سحابه حيث تمطر، وهو ها هنا مجاز واستعارة، وأراد تبيُّن مسلك النجاة.

(وارحل مطايا التشمير): أي اجعل عليها رحالها لتكون على الأُهْبَة للمسير، وهذه كلها استعارات رشيقة في الحثّ على الإقبال على الآخرة، والإعراض عن الدنيا بمقدار الوسع.

---

(١) في شرح النهج: من.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: مما لا تبقى له.

(٣) قبله في شرح النهج: وتيسر لسفرك.

(٢٠٥) ومن كلام له عليه السلام يخاطب به أخاه عقيل بن أبي طالب[(١)]

(والله لأن أبيت): أمسي بائتاً.

(على حسك السعدان): شوكه، وهو: يضرب مثلاً في الحدة.

(مسهداً): السُّهاد: الأرق، وهو: قلة النوم.

(وأجر[(٢)] في الأغلال): الأغلال: جمع غُلّ، وهو بالضم عبارة عمَّا يكون في العنق.

(مصفداً): والأصفاد: القيود.

---

(١) هو عقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو زيد، المتوفى سنة٦٠هـ، أخو أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، صحابي، فصيح، عالم بأيام قريش وأنسابها، أسلم يوم بدر هو والعباس ونوفل بن الحارث في رواية الإمام أبي طالب، وقيل: أسلم يوم الحديبية، وهاجر إلى المدينة سنة٨هـ، وشهد غزوة مؤتة، وهو ممن ثبت مع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم حنين، وقد قيل: إنه فارق أمير المؤمنين في خلافته ووصل إلى معاوية في دَيْنٍ لحقه.

قال العلامة الحجة مجد الدين المؤيدي: والصحيح أنه لم يصل إلى معاوية إلا بعد وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام). قال شارح النهج: وهذا هو الأظهر عندي، وعرض نفسه وولده على أمير المؤمنين (عليه السلام) فأعفاه، وجوابه عليه في النهج وغيره، وله جوابات على معاوية مسكتة، منها: قوله وقد سأله أين يكون عمك أبو لهب؟ قال: إذا دخلت جهنم فاطلبه تجده مضاجعاً لعمتك أم جميل بنت حرب بن أمية، يعني حمالة الحطب. (لوامع الأنوار١٤٤/٣، ومعجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص٢٩٣-٢٩٤).

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: أو أجر.

(أحبُّ إلي من أن ألقى الله ورسوله): أحبُّ مرفوع؛ لأنه خبر لقوله: لأن أبيت؛ لأنه مبتدأ.

(يوم القيامة ظالماً لبعض العباد): آخذاً لحقه من غير وجه ولا استحقاق، وهذا هو الظلم حقيقة؛ لأن حاصله أنه إضرار بالغير من غير جناية سابقة ولا عوض لاحق.

(وغاصباً لشيء من الحطام): يريد ما في الدنيا، فإنه يسمى حطاماً لسرعة زواله وتحطمه وهلاكه، والغصب أيضاً: أخذ مال الغير من غير استحقاق في ذلك.

(وكيف): تعجب عظيم من حاله في ظلمه لغيره.

(أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلى قفولها): كيف يتصور أن آخذ متاع أحد لنفع نفس تكون في غاية الإسراع إلى البلى إقفالها، يقال: قفل إلى بلاده إذا أسرع إليها، ومنه القافلة، وحقيقة القفول هو: الرجوع من السفر.

(ويطول في البلاء[(١)] حلولها): الطول هو: كثرة الإقامة، وأراد أن حلولها في البلاء كثير لا يعلم مقداره إلا الله.

(والله لقد رأيت عقيلاً): يريد أخاه.

(وقد أملق): افتقر واحتاج.

(حتى استماحني): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فكثر إملاقه وحاجته حتى استعطاني.

---

(١) في شرح النهج: الثرى، وكذا في نسخة أخرى (ذكره في هامش ب).

(من بركم صاعاً[١]): إنما أضافه إليهم لأنه حق لهم، وأراد به الزكاة وسائرالأموال المحرَّم أخذها على بني هاشم كالصدقات والكفارات وغير ذلك من الأموال المصروفة في الفقراء في المصارف الثمانية في كتاب الله تعالى[٢].

(ورأيت صبيانه): أولاده الصغار.

(شعث الألوان[٣]): الأشعث هو: الأغبر، في لسان العرب.

(من فقرهم): يريد من الجوع اللاحق لهم، وذلك لأن الجوع إذا كثر مع الإنسان فإنه ربما يغبر لونه ويتغيَّر حاله وصار إلى صفات كثيرة.

(كأنما سودت وجوههم بالعِظْلِم): العِظْلِم: نبت يسودُّ به، ويقال له بالفارسية: نيل[٤]، ويقال له: الوسمة التي يصبغ بها.

(وعاودني مؤكداً): يريد أنه عاود عليه الكلام في الاستماحة مؤكداً فيها.

(وكرر عليَّ القول مردداً): يردده ساعة بعد ساعة، ومرة بعد مرة.

(فأصغيت إليه سمعي): الإصغاء في السماع بمنزلة التحديق في البصر.

(فظن[٥]): لما أصغيت إليه سمعي.

---

(١) صاعاً، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.
(٢) تعالى، زيادة في (ب).
(٣) في شرح النهج: شعث الشعور، غبر الألوان.
(٤) في (أ) وفي نسخة أخرى: بقل، وهو خطأ، والصواب كما أثبته من (ب) ومن القاموس المحيط، ومن أعلام نهج البلاغة -خ-.
(٥) في شرح النهج: فظن وكذا في (ب)، وفي نسخة أخرى كما أثبته، وفي (أ): وظن.

(أني أبيعه ديني): أصانعه فيما أعطيه، كما قال تعالى: ﴿اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[البقرة:١٦] فليس ثَمَّ مبيع ولا مشترى ولكنه على جهة الاستعارة.

(وأتبع قياده): أي وأنقاد له فيما قال لي.

(مفارقاً طريقي[١]): لما أنا فيه من الورع، وحماية النفس عن الدنيا وعمَّا يشونها في الآخرة.

(فأحميت له حديدة): أصليتها النار لتكون حامية.

(ثم أدنيتها من جسمه): قربتها منه.

(ليعتبر بها): لتكون له عبرة ومثالاً فينزع عما هو فيه.

(فضج ضجيج ذي دنف): فصاح صيحة مُدْنفٍ قربت نفسه من الخروج .

(من ألمها): من أجل حرِّها وألمها.

(وكاد أن[٢] يحترق): قرب احتراقه.

(من ميسمها): وسمها وتأثيرها في جسمه.

(فقلت له: ثكلتك الثواكل يا عقيل!): امرأة ثكول إذا فقدت ولدها، وحاصل الدعاء جعلك الله ميتاً فتثكلك الثواكل من أمهاتك.

(أتئنُ من حديدة أحماها إنسانها لِلَعِبِهِ): الأنين هو: الصوت عند الألم، وأراد الإنكار عليه في الأنين من نحو هذا الألم الضعيف الذي يستحقر بالإضافة إلى ما هو أعلا منه.

---

(١) في شرح النهج: طريقتي.
(٢) أن، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(وتجرني إلى نار سجرها جبّارها لغضبه!): جعل الإقدام على المعصية والدعاء إليها جراً إلى النار؛ لما كان يؤدي إليه، والتسجير: الإحماء، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[التكوير:٦]، ومنه تسجير التنور وهو: إحماؤها، وإنما قال: جبارها، يشير بذلك إلى عظم حالها وحال خالقها، وأراد لغضبه أي من أجل غضبه.

(أتئنُّ من الأذى): أيعلو صوتك من الأحقر في الألم.

(ولا أئنُّ من لظى): أي ولا أئنُّ من الأعظم ألماً، ولظى: اسم من أعلام جهنم، واشتقاقه من التلظي والتلهب.

(وأعجب من ذلك): يشير إلى قصة عقيل يقول: وأدخل منها في العجب.

(طارق طرقنا): الطارق: الذي يأتي أهله بالليل، وقوله: طارق طرقنا من باب قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[الروم:٤٣] وهو من باب الا شتقاق، وقد مرَّ غيرمرة.

(بملفوفة في وعائها): أي بخبيص، وهو نوع من أنواع الحلوى[1]، وإنما أغفل ذكرها استهانة بحالها.

---

(١) وقال ابن أبي الحديد رحمة الله عليه في شرح النهج١١/٢٤٧-٢٤٨، في شرح قوله: (بملفوفة في وعائها) قال ما لفظه: كان أهدى له الأشعث بن قيس نوعاً من الحلوى تأنق فيه، وكان (عليه السلام) يبغض الأشعث؛ لأن الأشعث كان يبغضه، وظن الأشعث أنه يستميله بالمهاداة لغرض دنيوي كان في نفس الأشعث، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يفطن لذلك ويعلمه، ولذلك رد هدية الأشعث، ولولا ذلك لقبلها، لأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قَبِلَ الهدية، وقد قَبِلَ علي (عليه السلام) هدايا جماعة من أصحابه، ودعاه بعض من كان يأنس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فأكل، فقال: لِمَ عملت هذا؟ فقال: لأنه يوم نوروز، فضحك وقال: نوروزوا لنا في كل يوم إن استطعتم، وكان (عليه السلام) من لطافة الأخلاق وسجاحة الشيم على قاعدة عجيبة جميلة، ولكنه كان ينفر عن قوم كان يعلم من حالهم الشنآن له، وعمن يحاول أن يصانعه بذلك عن مال المسلمين، وهيهات حتى يلين لضرس الماضغ الحجر. انتهى.

(ومعجونة[1] كأنما عجنت بريق حية أو قيئها): عجنه إذا ردَّ بعضه على بعض شبهها فيما عجنت به كأنه لعاب الحية[2] أو ما تخرجه من بطنها في كونه قاتلاً؛ لأن كل ما يؤدي إلى الهلاك فهو مهلك لا محالة، فلما كانت هذه الحلوى مؤدية إلى النار صار كأنهاسماً قاتلاً.

(فقلت له): يريد الْمُهْدِي لها، والواصل بها.

(أصلة): هدية يوصل بها، وإنما سميت الهدية صلة لما يحصل فيها من التواصل والتحابِّ، وفي الحديث: ((تهادوا تحابُّوا))[3] وفي حديث آخر: ((الهدية تذهب سخيمة[4] القلب)).

(أم زكاة): مما يكون موضعه الفقراء.

(أم صدقة؟): من أنواع الصدقات.

---

(١) في شرح النهج: ومعجونة شنئتها كأنما ...إلأخ.

(٢) في (ب): حية.

(٣) أورده العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام في تتمة الاعتصام للإمام القاسم بن محمد ٤/٢١٣، وقال: وقد أخرجه أبو يعلى في مسنده، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٤/٤٢٦ إلى السنن الكبرى للبيهقي ٦/٨٦٩، ومجمع الزوائد للهيثمي٤/١٤٦، وموطأ مالك(٩٠٨)، والتمهيد لابن عبد البر٦/١١٦، وإتحاف السادة المتقين٦/١٥٩، ١٦٠ وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر، انظر الموسوعة.

(٤) السخيمة: الحقد في النفس، وللحديث شاهد أورده من حديث العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام٤/٢١٣ من حديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((تهادوا إن الهدية تذهب وحر الصدر)) الحديث وعزاه إلى أحمد والترمذي، وروى الحديث القاضي العلامة جعفر بن أحمد بن عبد السلام رحمة الله عليه في شرح نكت العبادات ص٢٦٠ بلفظ: ((الهدية تذهب بالسخيمة))، وروى قريباً منه العلامة علي بن حميد القرشي في مسند شمس الأخبار٢/٣١ الباب (١٠٧) بلفظ: ((تهادوا فإن الهدية تذهب بالضغائن)) وعزاه إلى مسند الشهاب.

(فذلك محرّم علينا أهل البيت!): يشير إلى نفسه وزوجته وولديه إذ ليس أهل البيت في ذلك اليوم سواهم.

سؤال؛ الصدقة والزكاة لا يحلان لأهل البيت، فما بال الهدية لا تحل لهم؟ فَلِمَ حرمها عليهم ها هنا، وما وجه ذلك؟

وجوابه؛ هو أن الهدية في مثل هذه الحالة محظورة لكونه (عليه السلام) والياً لأمور المسلمين، وقد قال الرسول (عليه السلام): «هدايا الأمراء غلول»[1] فلهذا كرهها لما ذكرناه، فأما الهدية على خلاف هذه الصفة فهذا مما لا خلاف فيه، ولهذا فإن الرسول (عليه السلام) قبل الهدية، كما كان من حديث المقوقس فيما أهدى له[2]، وردّه لما ردَّ من أجل الهدية.

(فقال: لا ذا ولا ذاك): يريد لا صدقة ولا زكاة.

(ولكنها هدية): ظنَّ بجهله أن بين الصلة والهدية تفرقة، ولم يدرِ أنهما شيء واحد، ولهذا أنكر عليه.

---

(١) الغلول: الخيانة، والحديث عزاه إلى موسوعة أطراف الحديث النبوي للشريف١٠/١٩٥ إلى السنن الكبرى للبيهقي١٠/١٣٨، والتمهيد لابن عبد البر٢/٩، ١٠، ١٦، وإتحاف السادة المتقين٦/١٦٢، ١٦٣، وتلخيص الحبير لابن حجر٤/١٨٩، ومجمع الزوائد للهيثمي٤/١٥١ وعزاه أيضاً إلى غيرها.

(٢) وذلك أن المقوقس وهو ملك قبط مصر، في أيام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، أهدى إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة السابعة من الهجرة جاريتين وبغلة وحللاً من حلل مصر، فقبل ذلك كله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فاتخذ إحدى الجاريتين، ويقال: إنهما كانتا أختين، فدعاهما إلى الإسلام، فأسلمت واحدة، وهي أم المؤمنين مارية القبطية فولدت له إبراهيم صلى الله عليه، ووهب الأخرى لحسان بن ثابت الأنصاري، وروى حديث إهداء المقوقس إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين في مجموع رسائله ص٦١٢ في جواب مسائل محمد بن عبيد الله، ورواه عن الهادي العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام٤/٢١٣، وقال: ورواه مختصراً ابن خزيمة من حديث بريدة.

(فقلت: هبلتك الهبول!): أي ثكلتك الثكول، والإهبال: الإثكال، وإما أن يريد أن الهبول من أسماء الداهية أي أخذتك الهبول.

(أعن دين الله أتيتني لتخدعني!): بالإيقاع في المعصية بالرشوة وأكل ما لا يحل أكله أو أن أدخل بطني لقمة حراماً لا أرضاها، ولقد بالغ (عليه السلام) في التحفظ فيما يأكله ويدخله بطنه حتى كان يختم وقال: (والله ما ختمت عليه ضنة به، ولكن مخافة أن ينزل عليه ما لا أرضاه).

(أمختبط): الخابط هو: الذي يمشي بلا توق في مشيه لما يكره، وقد يكون في الفعل[1] والقول أعني الاختباط، وفي العقل[2] أيضاً، وأراد الكلام ها هنا.

(أم ذو جنة): أي جنون، كما قال تعالى: ﴿بِهِ جِنَّةٌ﴾[المؤمنون:٢٥].

(أم تهجر!): هجر يهجر هجراً إذا قال فحشاً وقولاً[3] باطلاً.

(والله لو أعطيت الأقاليم السبعة): يشير إلى جميع أقطار الدنيا، ونواحيها.

(بما تحت أفلاكها): أعمالها ومتصرفاتها.

(على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته): الجلب: جلدة رقيقة بين القلب وبين سواد البطن، وأراد ها هنا بجلب الشعيرة الغشاوة الرقيقة فوق ظهرها، ولقد بالغ (عليه السلام) فيما ذكر في ضعف النملة وفي حقارة ما يؤخذ منها، وفي عظم ما يبذل في مقابلة الأخذ،

---

(١) في (ب): العقل.

(٢) في (ب): وفي الفعل.

(٣) في (ب): إذا قال قولاً فحشاً، وقولاً باطلاً.

فالمبالغة[1] ظاهرة من هذه الأوجه الثلاثة.

(وإن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها): وفي هذا دلالة منه على تحقير الدنيا وهونها؛ إذ لا أحقر من ورقة في فم جرادة قد استهلكتها أكلاً بِفِيْها، وكم له في هذه الأمثال الزهدية والأشباه المحقرِّة للدنيا في عينه.

(ما لعلي ولنعيم لا يفنى[2]): يريد نعيم الآخرة.

(ولذة لا تبقى): يريد ما كان في الدنيا، وأراد كيف يليق بحال علي على ما اختص به[3] من العقل الوافر والذهن الصافي والورع الشحيح الحاجز، والتوفيق التام من جهة الله بأن يؤثر نعيماً لا يفنى على لذة حقيرة منقطعة، مثل هذا لا يصدِّقه عقل ولا يقبله ذهن.

(نعوذ بالله من سُبَاتِ العقل): تغيُّره، والسُّبات: النوم أيضاً، وهو مفسد للعقل.

(وقبح الزلل): في إيثار ما يفنى على ما يبقى.

(وبه نستعين): على شرور الأنفس وسيئات الأعمال، وحق لمن تولى شيئاً من أمور الدين وكان والياً على رقاب المسلمين وأموالهم، إماماً كان أو أميراً أوحاكماً أن يكتب هذا الكلام على كفه، محافظة عليه فيكون نصب عينيه كيلا يسارع[4] إلى أموال المسلمين بالإتلاف بالخضم[5] والقضم.

---

(١) في (ب): والمبالغة.
(٢) في شرح النهج: ما لعلي ولنعيم يفنى.
(٣) به، زيادة في (ب).
(٤) في (ب): كيلا يتسارع.
(٥) في (أ): في الخضم.

(٢٠٦) ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به

(اللَّهُمَّ، صن وجهي باليسار): المعنى في هذا مكِّني مما أحتاج إليه في الدنيا، واجعلني ذا يسار من المال لكي يكون وجهي مصوناً عن سؤال الخلق في حوائجي.

(ولا تبذل جاهي بالإقتار): الإقتار: الفقر والحاجة[1]، وأراد لا تجعلني فقيراً فأبذل وجهي فيستخف بحالي وأكون ملوماً عند الناس مستحقراً.

(فأسترزق طالبي رزقك): فاسترزق منصوب على أنه جواب لقوله: ولا تبذل جاهي أي فأكون طالباً لمن يطلب من خيرك.

(وأستعطف شرار خلقك): أطلب انعطافهم علي بالخير وإقبالهم إلى جهتي بالرزق.

(وأبتلى بحمد من أعطاني): لأن إسداء الإحسان يفتقر إلى الشكر، وشكر المنعم واجب، وما كان زيادة في التكليف فهو من جملة البلوى.

(وأفتتن بذم من منعني[2]): يكون لي فتنة في تركه وفعله.

(وأنت من وراء ذلك كله): أي وأنت المرجو للإغناء فلا أحتاج

---

(١) قوله: والحاجة، سقط من (ب).
(٢) في (ب): يمنعني.

مع معروفك وسعة إحسانك إلى حمد لأحد من الخلق، ولا إلى ذمه، فقوله: (وأنت من وراء ذلك كله) متكفل بما شرحناه من هذه الفوائد، ومشير إليه وما أشرفها من كلمة، وأعظم موقعها، ولله در منشئها ومعيدها ومبديها.

(ولي الإعطاء والمنع): فما أعطاه فلا ما نع له، وما منعه فلا معطي له فمن أجل هذا كان ولياً لهما أي مستولياً عليهما قادراً عليهما.

(إنك على كل شيء قدير): من المقدورات كلها وسائر الممكنات.

ولم يذكر الشريف علي بن ناصر الحسيني شيئاً من هذا الدعاء في شرحه ولكنه أغفله كله، وليس يذكر في شرحه لهذاالكتاب إلا نتفاً يسيرة، ويشرح ألفاظاً قليلة، لا ينفع من علة، ولا ينقع من غلة.

ونِعْمَ ما قال خلا أنه ربما ذكر في بعض كلامات أمير المؤمنين الجارية في خلق السماء، وربما جرى في بعض كلامه إضافة شيء من هذه الآثار إلى الأمور السماوية من العقول والنفوس الفلكية، والمواد العنصرية، وهذا ليس مذهباً لأحد من أئمة الآل، ولا عليه أحد من الآباء (عليهم السلام)، وإنما مذهبهم إضافة هذه الآثار الأرضية كلها إلى قدرة الله تعالى ومعلّقة بها، من حدوث الأمطار والزروع والثمرات والفواكه وغير ذلك من الحوادث، لا يختلفون في ذلك، وإليه تشير النصوص القرآنية، والظواهر الشرعية مع ما له من استمداد العقل والبرهان عليه من جهته، وهذا وإن لم يكن عندنا إكفاراً، أعني إضافة هذه الآثار إلى هذه الوسائط؛ لأن صاحب هذه المقالة معترف بالاختيار لله تعالى ومقرٌّ بالفاعلية له، وإنما يقول: إنه وكل هذه الآثار إلى وسائط، هي حادثة عنها وهي تنتهي في التأثير إليه،

فلهذا لم يكن كفراً، وقد ذهب إليها طوائف، ولكني أردت لهذا السيد ألاّ يخالف رأي أهل البيت في ذلك.

فأما القول المنكر والمذهب الشنيع فهو ما عليه الفلاسفة أولهم وآخرهم، وهو القول بالإيجاب عن ذاته تعالى لهذه العقول، ثم هذه العقول مو جبة لهذه الأفلاك، ثم هذه الأفلاك موجبة لهذه العناصر الأرضية، إلى غيرذلك من الهذيانات الفاحشة، والمذاهب الوحشة التي استحقوا بها من الله النيار ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [إبراهيم:٢٩].

(٢٠٧) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا

(دار بالبلاء محفوفة): مستدار حولها بالمصائب والآفات من كل جانب.

(وبالغدر معروفة): أي أنها تغدر بأهلها، بينا هم فيها في أطيب عيش وأهنأه، إذ غيَّرت أحوالهم وكدَّرت معائشهم، وهذا هو غاية الغدر(١).

(لا تدوم أحوالها): في غنى ولا فقر ولا مرض ولا صحة، ولكن تنتقل في أحوالها تنقلاً من حالة إلى حالة.

(ولا يسلم نزّالها): النازل فيها من أهلها من إصابتها لهم بحوادثها وفجائعها.

(أحوال مختلفة): أي لها أحوال مختلفة.

(وتارات متصرفة): مرات، تتصرف من ها هنا إلى ها هنا.

(العيش فيها مذموم): لانقطاعه وزواله على أهله وتغيّر حاله عليهم.

(والأمان فيها(٢) معدوم): أي مستحيل لا يوجد، وكيف حالها وهي لا تزال في كل ساعة خادعة لأهلها ماكرة بهم بالموت وسائر الحوادث.

---

(١) في (ب): الغرور.

(٢) في شرح النهج: منها.

(وإنما أهلها أغراض(١) مستهدفة): الغرض: ما يرمى، ومستهدفه أي منصوبة في الهدف.

(ترميهم بسهامها): المجعولة للإصابة فلا تخطئهم برميها.

(وتفنيهم بحمامها): الحِمام بالكسر هو: الموت، وأراد أنها تفنيهم بالموت.

(واعلموا عباد الله أنكم(٢) وما أنتم عليه(٣) من هذه الدنيا): ما هذه موصولة والواو قبلها(٤) واو مع، وما في موضع نصب على المفعول معه، ومن هذه لابتداء الغاية.

(على سبيل من قد مضى قبلكم): يريد على مثل حالهم وطريقهم من غير مخالفة.

(ممن كان أطول منكم أعماراً): أكثر مدة ولبثاً فيها.

(وأعمر دياراً): من تشييد القصور المزخرفة، والأبنية القوية الشديدة.

(وأبعد آثاراً): يريد أن آثارهم لكثرتها وطولها متباعدة الأطراف كما كان من عاد وغيرهم من القرون.

(أصبحت أصواتهم هامدة): أي ساكنة لا حس لها.

(ورياحهم راكدة): ركدت الريح إذا سكن هبوبها، وكنى بذلك

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: وإنما أهلها فيها أغراض.

(٢) أنكم، زيادة في شرح النهج.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: فيه.

(٤) قبلها، سقط من (ب).

عن بطلان ما كانوا فيه من التصرفات العظيمة.

(وأجسادهم بالية): يتحكم التراب فيها بأكلها.

(وديارهم خالية): لا أنيس بها.

(وآثارهم عافية): أي زائلة، من قولهم: عفت الرياح آثارهم إذا أزالتها فلايوجد لها أثر.

(فاستبدلوا بالقصور المشيَّدة): المزخرفة العالية.

(وبالنمارق الممهَّدة): النمارق هي: الطنافس، الممهَّدة: المرصوفة.

(الصخور والأحجار المسندة): على اللحود لتكون ساترة لها.

(والقبور اللاطئة): بالأرض المشقوقة فيها.

(الملحدة): المجعول فيها لحود مائلة عن صوب شقها.

(التي قد بني على الخراب فناؤها): الفناء: ساحة الدار، وأراد بها[1] جانب الدار، سماه[2] فناءً لاتصاله به، وأراد بني على الخراب جانبها.

(وشيِّد بالتراب بناؤها): يشير إلى[3] أنها لا تحتاج إلى أحجار ولازخرفة في التشييد، وإنما يكون إشادتها بالتراب لا غير وهو تسنيمها[4].

(فمحلُّها مقترب): يريد أن سمك القبر قريب لا محالة.

---

(١) في (ب): أنها.

(٢) في (ب): سماها.

(٣) إلى، زيادة في (ب).

(٤) تسنيم القبر ضد تسطيحه.

(وساكنها مغترب): بعيد الغربة لكثرة الانقطاع عنه.

(بين أهل محلَّة موحشين): بين أهل القبور، موحَشين بفتح الحاء أي مجعولين في مكان وحش، وبكسرها أي ذوي[1] وحشة في أحوالهم.

(وأهل فراغ): بحيث لا شغل لهم.

(متشاغلين): بما هم فيه من خير وشر.

(لا يستأنسون بالأوطان): لأن كل وطن فالإنسان آنس به ونفسه قارَّة به.

(ولا يتواصلون تواصل الجيران): بالتناصر، والمباذلة، وإعطاء المعروف وأخذه وغير ذلك.

(على ما بينهم من قرب الجوار): تلاصق البيوت وهي القبور.

(ودنو الدار): قربها من بعضها بعض.

(وكيف يكون تزاور[2]): تعجب من حالهم، أي وكيف يكون بينهم التواصل والتودد[3] والتراحم.

(وقد طحنهم بكلكله البلى): الكلكل: الصدر، واستعاره ها هنا.

(وأكلتهم الجنادل والثرى): الجنادل جمع جندل وهي: الصخور والحجارة، والثرى: التراب.

(وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه): من تلك الأحوال التي وصفناها من غير مخالفة.

---

(١) في (ب): ذو.

(٢) في شرح النهج: وكيف يكون بينهم تزاور.

(٣) في (ب): والتوادد.

(وارتهنكم ذلك المضجع): [المضجع](1): مكان الا ضطجاع، وأراد مرتهنين فيه.

(وضمكم ذلك المستودع): حيث تكونون فيه بمنزلة الوديعة.

(فكيف بكم): أي فهذه حالكم في الدنيا، فكيف حالكم ليت شعري:

(لو تناهت بكم الأمور): انتهت الأمور إلى حدها وميقاتها الذي قدره الله تعالى.

(وبعثرت القبور): أخرج من فيها من الموتى.

ثم تلا قوله تعالى: (﴿هُنَالِكَ﴾): أي في ذلك المقام؛ لأن هنا إشارة إلى الأمكنة.

(﴿تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾)[يونس:٣٠]: ومن لا يصغي سمعه إلى هذا الكلام، ويرق طبعه عند سماعه، ويُمِيلُ قلبه إليه، فذاك معدود في عساكر الموتى، وبالله التوفيق.

(١) سقط من (ب).

(٢٠٨) ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به

(اللَّهُمَّ، إنك آنس الآنسين لأوليائك): أراد أنك أعظم المؤنسين للأولياء لك، والمراد بالأنس ها هنا هو اللطف والتقرب إليهم بما منحهم من الألطاف الخفية.

(وأحضرهم بالكفاية للمتوكلين عليك): وأعظمهم إحضاراً لما يكفيهم أعني المتوكلين عليك، فأهل التوكل مخصوصون من بين الخلق بأن الله تعالى قد ضمن لهم وأحضر ما كان يغنيهم من الدنيا ومكّنهم منه.

(تشاهدهم في سرائرهم): تشاهد ما هم عليه في السرائر من ضمائرهم، وتعلمها وتحيط بها، وتعلم موقع أمورهم منها.

(وتطلع عليهم في ضمائرهم): أي وتكون مطلعاً عليهم في ذات قلوبهم لا يخفى(1) عليك منها خافية.

(وتعلم مبلغ بصائرهم): منتهى عقائدهم.

(فأسرارهم لك مكشوفة): لا يسترها عنك ساتر، ولا يحجبها لديك حاجب.

(وقلوبهم إليك ملهوفة): اللهف: أشد الحزن، وأراد أنهم كثيرون

(١) في (ب): ولا يخفى.

في أحوالهم كلها ما يفزعون إلى الله تعالى، ويلجأون إليه في مصادر أمورهم ومواردها.

سؤال؛ هذه الصفات من المشاهدة للضمائر، ثم الاطلاع على السرائر، ثم الإحاطة بالأحوال كما هي حاصلة في حق الأولياء، فهي حاصلة في حق غيرهم، فما وجه تخصيصها بحال الأولياء مع وجودها في غيرهم؟

وجوابه؛ لا ولا كرامة ما نسلم[1] ذلك، فإن الأنس من الله تعالى، وإحضار الكفاية إنما هو خاص في حق الأولياء من عباده الصالحين، وهكذا لهف القلوب فإنه خاص في حقهم أيضاً، فأما مشاهدة السرائر والاطلاع على الضمائر فإنها وإن كانت حاصلة في حق غيرهم، فإن الله تعالى مطلع على كل سر، لا يخفى عليه خافية، ولكن الغرض أن تلك السرائر والمطالعة على تلك الضمائر إنما هي في حق الأولياء، خاصة فيما يتعلق بعظمته ومعرفة خوفه وجلال هيبته، وليس متعلقه بغيره، بخلاف غيرهم من العباد فإن ضمائرهم وسرائرهم أمور غير ما ذكرناه، فلا جرم وقع الاختصاص في حق الأولياء بما ذكرناه دون غيرهم من سائر الخلق بما قررناه.

(إن أوحشتهم العزلة[2]): انعزالهم[3] عن الناس ومجانبتهم لهم.

(انسهم ذكرك): فزعوا إلى ذكرك فأنسوابه.

(وإن صبت عليهم المصائب): توالت عليهم أحزان الدنيا ومتاعبها.

(لجؤوا إلى الاستجارة بك): فغايتهم اللجأ إلى الاستجارة بك.

---

(١) في (ب): ما يسلم.
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: الغربة.
(٣) في (ب): انغرابهم.

(علماً): تحققاً منهم وقطعاً.

(بأن أزمة الأمور): الزمام ها هنا استعارة، وأراد كثرة الانقياد والمطاوعة؛ لأن الجمل إذا كان مخزوماً بزمامه فهو أطوع ما يكون وأسلس للقياد في سيره، فلهذا استعار الزمام ها هنا.

(بيدك): ممسكة بيدك مشدودة بها.

(وأن[1] مصادرها): تصديراتها أوزمان صدورها.

(عن قضائك): عن علمك وأحكامك، وحفظك لها في كتابك.

(اللَّهُمَّ، فإن[2] فههت عن مسألتي): فههت بالكسر إذا عييت بالأمر، والفهاهة: العي، قال الشاعر:

فلم تلفني فهاً ولم تَقْفُ حجتي
ملجلجة أبغي لها من يقيمها[3]

(وعمهت[4] عن طلبتي): العمه: التحير، قال رؤبة:

ومهمه أطرافه في مهمه
أعمى الهدى بالجاهلين العُمهِ[5]

(فدلني على مصالحي): على ما يكون صلاحاً لي[6] في أمور الدين والدنيا.

---

(١) أن، سقط من شرح النهج.
(٢) في شرح النهج: إن.
(٣) لسان العرب ٢/١١٤١ بدون نسبة إلى قائله، وقوله هنا: ولم تقف، في اللسان: ولم تلف، وبرواية اللسان أورده ابن أبي الحديد في شرح النهج ١١/٢٦٨.
(٤) في شرح النهج: أو عميت.
(٥) لسان العرب ٢/٨٩١.
(٦) لي، سقط من (ب).

(وخذ بقلبي): كما يقال: خذ بناصيتي، والغرض أقمني من عثار الزلل، شبَّه حاله بمنزلة من تعثر فيأخذه غيره بناصيته ليقيمه عن عثاره، والغرض ها هنا الإلهام للقلب.

(إلى مراشدي): إلى ما يرشدني في أمور ديني ودنياي، والمراشد جمع مرشد، وهو الرشاد إلى الخير.

(فليس ذلك): الإشارة إلى الأخذ بالناصية، والأخذ بالقلب.

(بنكر من هداياتك): يريد أنا لا ننكره؛ لأنه مفعول على جهة الاستمرار، وهو أن الله تعالى مرشد للعبد إلى أحمد الطرق وأوضحها، وأبين السُّبُل وأرشدها.

(ولا ببدع من كفاياتك): أي ليس أمرا مبتدعاً وإنما هو جاري على جهة الاستمرار من جهتك، وهذا الكلام يصلح أن يسوِّد به وجوه المجبرة، [وأن ترجم به أقفيتهم][1] ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُوراً﴾[الصافات:٨-٩] لزعمهم أن الله تعالى خذل الكفار عن الإيمان، وعقد الكفر بنواصيهم، وسدَّ عليهم السُّبُل، وحال بينهم وبين الإيمان.

(اللَّهُمَّ، احملني على عفوك): لأن مع العفو فالقلب مطمئن بالنجاة والسلامة لا محالة.

(ولا تحملني على عدلك): ومع العدل والإنصاف لا يُؤْمَنُ العطب لا محالة؛ لأن الحجة لله على خلقه، ولا يقام له بحق، ومن العدل القيام بحقه فيحصل الهلاك مع المعادلة والإنصاف.

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢٠٩) ومن كلامه عليه السلام

(لله بلاد فلان[1]): مدح له بحسن بلاده، كما يمدح الإنسان بحسن أصحابه وحسن جيرانه.

وفي نسخة أخرى: **(لله بلاء فلان)**: أي حسن أفعاله.

(فلقد أقام[2] الأود): المعوج من الأمور بحسن نظره وصبره.

(وداوى العمد): وهو داء ينشدخ باطن سنام البعير وظاهره باقٍ على الصحة، وقد فسرناه في الجزء الأول في خطبة غير هذه.

(أقام[3] السنة): سار على منهاجها وسلك طريقها.

(وخلف الفتنة): لم يكن له في هذه الفتن أمر ولا ورد ولا صدر، وأراد به بعض أصحابه ممن مات قبل ظهور الفتن بقتل عثمان وحرب الجمل وصفين وغيرها.

(ذهب نقي الثوب): هذا كلام يقال على جهة الكناية عن التلبس بالقبائح، كما يقال: شريف المئزر إذا كان محصناً لفرجه.

(١) في (ب): لله در بلاد فلان.

(٢) في (ب): أقْوَم، و في شرح النهج: قوَّم.

(٣) في شرح النهج: وأقام.

(قليل العيب): يقلُّ خدعه ومُنْكَرُه[1] وخيانته في أمور دينه.

(أصاب خيرها): الضمير للأمور، وإصابته للخير بسلوك منهاج السلامة.

(وسبق شرها): مات قبل وقوع هذه الشرور، واختاره الله تعالى قبل وقوعها.

(أدى إلى الله طاعته): سلَّمها إليه تسليماًتاماً على ما أمر وعلى الحد الذي نهى.

(واتقاه بحقه): الذي فرضه عليه وأوجبه.

(رحل): عن الدنيا بالموت.

(وتركهم في طرق متشعبة): وترك من وراءه في طرق صعبة منتشرة[2]، لا تُهتدى لها سبيل، ولا يعرف لها طريق.

(لا يهتدي فيها[3] الضال): أي لا ينجو فيها من لابصيرة له لضنكها وصعوبة مسلكها.

(ولا يستيقن للهدى[4]): فيسلكه ويكون من أمره على قطع.

---

(١) في (ب): ومكره.

(٢) في (ب): متيسرة، وهو تصحيف.

(٣) في شرح النهج: بها.

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: المهتدي.

(٢١٠) ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة، وقد تقدمت هذه بغير هذه الألفاظ[1]

(وبسطتم يدي فكففتها): رغبة عنها وزهداً فيها، فكففتها أريد بذلك زوالها عني والراحة عنها.

(ومددتموها): على كره مني.

(فقبضتها): أريكم أنه لا رغبة لي فيها.

(ثم تداككتم عليَّ تداكَّ الإبل الهيم): تداكت الإبل إذا ركب بعضها بعضاً.

(على حياضها)[2]: حين تسقى؛ لأن أعظم ازدحامها إنما يكون هناك.

(حتى انقطعت النعل): يريد نعله من كثرة وطئهم لها على أعقابه.

(وسقط الرداء): فشلاً ود هشاً وازدحاماً عليه.

(ووُطِئ الضعيف): من كثرة الازدحام

(وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي): وفرحهم بذلك ونشاطهم إليه.

(أن ابتهج بها الصغير): البهجة هي: الحسن والنضارة.

---

(١) في شرح النهج: وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة.

(٢) في شرح النهج: على حياضها يوم وردها.

(وهدج إليها الكبير): مشية الكبير، يقال لها: الهدجان.

(وتحامل نحوها العليل): يقال: تحامل في سيره إذا تكلفه على مشقة.

(وحسرت إليها الكعاب): أي كشفت وجهها[1]، والكعاب: الامرأة الناعمة الحسناء.

(١) في (ب): وجوهها.

(٢١١) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت

(فإن تقوى الله مفتاح سداد): تسدد بها الأعمال الصالحة ويكثر خيرها.

(وذخيرة[1] معاد): وأعظم ما يذخر ليوم المعاد وهو يوم القيامة.

(وعتق من كل ملكة): يشير إلى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[المدثر:٣٨] فالنفوس أسرى للذنوب، فمن عمل صالحاً فكأنه قد فكَّ نفسه عن هذه الوثيقة.

(ونجاة من كل هلكة): وفيها النجاة من كل ما يخافه الإنسان ويحذره من الأمور.

(بها ينجح الطالب[2]): ما يطلبه؛ لأنها هي غاية المطالب فإذا حصلت فلا مطلوب وراءها.

(وتنال الرغائب): الدرجات العالية المرغوب فيها.

(فاعملوا والعمل يرفع): ترفعه الحفظة إلى الله تعالى، ويصعدون به.

(والتوبة تنفع): في إسقاط الذنوب ومحوها.

(١) في شرح النهج: وذخيرة.
(٢) في شرح النهج: بها ينجح الطالب وينجو الهارب.

(والدعاء يسمع): من جهة الله بالتضرع[1] إليه.

(والحال هادية): أي ساكنة من قولهم: هدأ في صوته إذا سكن، وأراد هاهنا والقوارع والزلازل غير متحركة ولا مضطربة، ومنه قولهم: فلان له هَدْي الصلحاء هذا برواية اليا ء بنقطتين، وإما على رواية النون[2] فهو ظاهر أيضاً، ومنه هدن البعير إذا سكن عن زفيره، ومنه الهدنه، ومنه المثل: هدنة على دُخْنٍ، أي سكون على غلّ.

(والأقلام جارية): بالكتابة للخير والشر.

(وبادروا بالأعمال عمراً ناكساً): أراد قبل الكبر فإنه ينكس الرءوس أو ذا نكس للحالة والصورة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾**[يس:٦٨] يريد يرجع إلى حال الطفولية في قلة العقل والمعالجة لأحواله، ومعاناتها في ضعفها.

(أو مرضاً حابساً): يحبسكم عن الأعمال الصالحة، ويربطكم عن فعلها.

(أو موتاً خالساً): سالباً يختلس[3] الأرواح أي يستلبها.

(فإن الموت هادم اللذات[4]): مسقطها ومزيلها عن مستقرها.

(ومكدّر شهواتكم): مانع لها عن الكمال والاستيفاء.

(ومباعد طياتكم): الطية: النية، والطية: الحاجة، وأراد أنه في غاية البعد لما تنوونه من أنفسكم، ولكل حاجة تقصدونها من أموركم.

(١) في (ب): والتضرع إليه.
(٢) أي هادنة.
(٣) في (ب): يخلس الأرواح أي يسلبها.
(٤) في شرح النهج: لذاتكم.

(زائر): يأتي على غفلة.

(غير محبوب[1]): لمن زاره؛ لأنه لا يَرِدُ إلا بالمكروه من الأمور.

(وقِرْن): القِرن بالكسر: المثل.

(غير مغلوب): لا يقهره أحد ولا يغالبه.

(وواتر): الواتر: القاتل، يقال: وتره فلان إذا قتل له قتيلاً يخصُّه.

(غير مطلوب): يريد أنه لا يطلب في وتره هذا، ولا يمكن ذلك في حقه.

(قد أعلقتكم حبائله): صارت متعلقة بكم لا تبارحكم، أو صارت ذا اعتلاق بكم.

(وتكنفتكم غوائله): أي أحاطت بكم واستولت عليكم، والغوائل من قولهم: غال واغتاله[2] إذا خدعه من حيث لا يدري ولا يشعر.

(وأقصدتكم): الإقصاد هو: القتل.

(معابله): بالعين المهملة والباء بنقطة واحدة، جمع المعبل وهو: نصل طويل عريض.

(وعظمت فيكم سطوته): السطوة: واحدة السطوات، بالقهر والبطش.

(وتتابعت عليكم عدوته): عدا يعدو إذا وثب، ومنه عدوة الأسد أي وثبته، وأراد لا تزال هذه العدوات مرة بعد أخرى متتابعة.

(١) في نسخة: محجوب (هامش في ب).
(٢) في (ب): واغتال.

(وقلت عنكم نبوته): أي لم توافقكم، من قوله: نبا بفلان منزله إذا لم يوافقه.

(فيوشك): من أفعال المقاربة، وقد مرَّ تفسيره.

(أن تغشاكم): تختلط بكم وتلتبس، من قولهم: غشيه الليل.

(دواجي ظلله): دجى الليل إذا أظلم، وأراد قَرُبَ أن تغشاكم ظُلَمُهُ وظُلَلُه.

(واحتدام[1] علله): إسراعها من قولهم: حدم في قراءته إذا أسرع فيها، قال أبو عمرو: إذا أذنت فترسل[2] في أذانك، وإذا أقمت فاحدم أي أسرع فيها.

(وحنادس غمراته): الحندس: أشد الظلمة، والغمرة هي: الكرب التي تغمر قلب المريض.

(وغواشي سكراته): وهي ما يغشى عند الموت.

(وأليم إرهاقه): وشدة الوجع، إما إعجاله من قولهم: أرهقه إذا أعجله، وإما غشيانه من قولهم: أرهقته إذا غشيته.

(١) قوله: واحتدام، بالميم في آخره، هكذا في النسخ، والاحتدام هو: شدة الحر، لكن المؤلف (عليه السلام) في قوله: (واحتدام علله) يذكر في شرحه ما لفظه: إسراعها، من قولهم: حدم في قراءته إذا أسرع فيها ...إلى آخر ما ذكره، وهذا لا يستقيم إلا أن تكون الكلمة: واحتدار، بالراء المهملة، ويدل على ذلك شرح المؤلف لها، لكنه وقع التحريف من النساخ في الكلمة وشرحها، وعليه يكون الصواب كما أراده المؤلف هكذا: (واحتدار علله): إسراعها، من قولهم: حدر في قراءته إذا أسرع فيها، قال أبو عمرو: إذا أذُنت فترسل في أذانك، وإذا أقمت فاحدر أي أسرع فيها، وقول أبي عمرو الذي ذكره المؤلف هنا في الأذان، ذكره أيضاً ابن منظور في لسان العرب ٥٨٦/١ في مادة حدر، وليس في مادة حدم، وهذا مما يؤكد أن صواب العبارة المشروحة هو: (واحتدار علله) وليس (واحتدام علله). والله أعلم.

(٢) في (أ): فتوسل، وفي (ب): فرتل، وما أثبته من لسان العرب.

(ودجوّ إطباقه): وظلم تراكمه، وأراد أنه يطبق على الإنسان حتى يستلَّ روحه.

(وخشونة مذاقه): إما بالخاء والنون من قولهم: طعام خشن إذا كان ضعيفاً، وإما بالجيم والباء بنقطة [من أسفلها][1] من قولهم: طعام جشب إذا لم يكن ناعماً، وكله قريب، وأراد أن المذاق منه كريه.

(فكأن قد أتاكم بغتة): كأن هذه لما خففت بطل عملها، وقد تعمل مع الخفة على القلة، قال النابغة:

وكأن ركابنا لما تـزل برحالنا وكأن قد[2]

والبغتة: ما كان من غير شعور ولا تفكر.

(فأسكت نَجِيَّكم): ذا[3] النجوى فيكم والمفوَّه بالكلام

(وفرَّق نديَّكم): النديّ: هو النادي، وهو مجلس القوم الذي يتحدثون فيه.

(وعفى آثاركم): محاها وأزال أثرها.

(وعطّل دياركم): عن الساكن فيها وأخلاها عمَّن كان فيها من الأنيس.

(وبعث ورّاثكم): حرَّكهم وأمرهم من أقاصي البلاد.

(١) زيادة في (ب).

(٢) لفظ البيت في لسان العرب ٢٩/٣:

أفد الترحل غير أن ركابنا لما تـزل برحالنا وكأن قد

قال: أي وكأن قد زالت، فحذف الجملة.

(٣) في (ب): ذي.

(يقتسمون تراثكم): ما خلفتموه وراء ظهوركم بعد موتكم.

(بين[١] حميم خاص): تفسير للوراث، أي هم بين حميم محب مختص بالميت لقرب من يكون إليه[٢].

(لم ينفع): يرد عنه[٣] ما أصابه.

(وقريب محزون): قد قطَّعه الحزن.

(لم يمنع): منه ما دهمه من الموت.

(وآخر شامت): مُسْتَرٌّ فارحٌ بهذه المصيبة.

(لم يجزع): لم يحزن لها ولا لها وقع على قلبه.

(فعليكم بالجد والاجتهاد): جدَّ في الأمر واجتهد إذا بالغ فيه بجهده وطاقته.

(والتأهب والاستعداد): أخذ الأهبة وأخذ العدة.

(والتزود في منزل الزاد): وأخذ الزاد من موضعه ومكانه وهو الدنيا فإنها موضع العمل، ومنزلة[٤] التجارة الرابحة.

(ولا تغرّنكم الدنيا[٥]): تخدعكم بأمانيها الكاذبة.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: بين، كما أثبته، وفي (أ) وفي نسخة أخرى: من..
(٢) في (ب): إلى الميت.
(٣) عنه، سقط من (ب).
(٤) في (ب): وموضع.
(٥) في شرح النهج: الحياة الدنيا.

(كما غرت من كان قبلكم من الأمم الماضية، والقرون الخالية): كخدعها لمن كان قبلكم ممن عرفتموهم بالأخبار من الأمم العظيمة، والقرون الجمَّة الذين مضت أخبارهم، وخلت آثارهم، وقرع أسماعكم ما كانوا فيه وكيف كانوا.

(الذين احتلبوا درتها): أخذوا مختارها، وكنى عن ذلك بالدرة؛ لأنه أعظم اللبن وأكثره، والدرة بالكسر[١]: هي الحالة من الحلب كالجِلسة.

(وأصابوا غِرّتها): الغِرة بالكسر: هي الغفلة، وهي الاسم من الاغترار.

(وأفنوا عدتها): أفسدوا آلاتها بكثرة استعمالهم لها.

(وأخلقوا جدّتها): ما كان منها جديداً.

(أصبحت مساكنهم): التي كانوا يسكنونها المعمورة والمزخرفة، والأبنية المشيدة العالية.

(أجداثاً): قبوراً خالية ضيقة، وَحِشَة مدعثرة.

(وأموالهم ميراثاً): مقتسمة[٢] بين الورثة.

(لا يعرفون من أتاهم): للزيارة ولا من مرَّ بهم لغير الزيارة، كما كانوا في الدنيا أحياءً.

(ولا يحفلون من نكاهم[٣]): أي يبالون[٤] بمن نكاهم من النكاية، أو **(بكاهم)**: سالت دموعه عليهم، وعدد صفاتهم.

(١) في (أ): بالكسرة.
(٢) في (ب): مقسمة.
(٣) في النهج: بكاهم.
(٤) في (ب): لا يبالون.

(ولا يجيبون من دعاهم): إلى خير أو شر، أو لمكرمة أو لغيرها.

(فاحذروا الدنيا فإنها غرارة خدوع): كثيرة الغرر لأهلها، والخدع لهم والمكر.

(معطية منوع): إما لقوم دون آخرين، وإما في حالة دون حالة، وإنما ذكر فعولاً لأنه مما يستوي فيه المذكر والمؤنث، إذا كان بمعنى فاعل كقولك[1]: امرأة ضحوك ورجل ضحوك.

(ملبسة نزوع): تلبس هذا رونقها وتكسوه طلاوتها، وتنزع من هذا ما كانت أعطته من لباسها ورونقها.

(لا يدوم رخاؤها): نعومة عيشها وغضارته.

(ولا ينقضي عناؤها): مشقتها وتعبها.

(ولا يَرْكُدُ بلاؤها): أي لا يسكن بل يتحرك في كل حالة.

ثم ذكر الزهاد ووصف حالهم بقوله:

(كانوا قوماً من أهل الدنيا): من الذين خلقوا فيها، ومشوا عليها، وتزودوا منها.

(وليسوا من أهلها): في جمعها وادخارها، والمنافسة فيها.

(وكانوا[2] فيها): في لبثهم فيها وتصرفهم عليها.

(١) في (ب): كقوله.

(٢) في شرح النهج: فكانوا فيها كمن ليس منها.

(كمن ليس فيها): في خفة الحال وشدة العجلة عنها.

(عملوا[1] فيها بما يبصرون): إما بما يكون بصيرة لهم في الآخرة، وإما على حد ما يبصرون من انقطاعها وزوالها.

(وبادروا فيها ما يحذرون): وهو الموت أن يكون حائلاً بينهم وبين الأعمال الصالحة.

(تقلّب أبدانهم بين ظهراني أهل الآخرة): يقال: هو نازل بين ظهرانَيْ القوم بفتح النون، ولا يقال بكسرها أي بين جوانبهم، يريد أنهم لبُعدهم عن الدنيا كأنهم مع أهل الآخرة.

(يرون[2] أهل الدنيا يعظّمون موت أجسادهم): ترتفع أصواتهم على من مات ونزعت روحه عنه، وكان جسده خالياً عن روحه، ولا يحتفلون بموت الأفئدة وحياتها.

(وهم): الضمير للزهاد.

(أشد إعظاماً لموت قلوب أحبائهم[3]): يريد أن حزنهم على موت الأفئدة، والقلوب في حق الأحبة وأهل المودة أكثر من حزن أهل الدنيا على موت الأجساد، ومفارقة الأرواح لها.

(١) في (ب): وعملوا.

(٢) في شرح النهج: ويرون.

(٣) في شرح النهج: أحيائهم.

(٢١٢) ومن خطبة له عليه السلام بذي قار[1]، وهو متوجه إلى البصرة، ذكرها الواقدي[2] في كتاب (الجَمَلِ)

(فصدع بما[3] أمر بـه): يريد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وصدع به أي أظهره[4]، وأعلن به.

(وبلغ رسالة[5] ربـه): ما أرسله الله به من الشرائع كلها، وأودعه من الأحكام.

(فلمَّ الله به الصدع): يعني ما كان من صدع الدين، وانشقاقه قبل بعثه.

(ورتـق بـه الفتـق): ولأم بـه الشق وهـو مـا كـان مـن تخرم الديـن، وانهدام أركانه.

(١) ذو قار: اسم موضع قريب من البصرة، وفيه كانت وقعة للعرب مع الفرس قبل الإسلام. (شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣/١٩).

(٢) هو: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله الواقدي [١٣٠-٢٠٧هـ] من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، ولد بالمدينة، وانتقل إلى العراق سنة ١٨٠هـ في أيام هارون العباسي، فولي القضاء ببغداد، وتوفي بها، وله تصانيف منها: المغازي النبوية، وفتح أفريقية، وتفسير القرآن، والجَمَلُ، وكتاب صفين، وكتاب مقتل الحسين بن علي (عليه السلام)، وفتوح الشام وغيرها. (انظر الأعلام ٦/٣١١).

(٣) في نسخة: كما (هامش في ب).

(٤) في (ب): أظهر.

(٥) في شرح النهج: رسالات.

(وألف به الشمل[1]): جمع به.

(بين ذوي الأرحام): الأقارب.

(بعد العداوة الواغرة في الصدور): الوغرة: شدة توقد الحر، ويقال: في صدره عليَّ وَغَرٌ أي حقد، والمصدر منه وغر بالتسكين، والواغرة: اسم فاعلة، إما بمعنى الوغر كالكاذبة بمعنى الكذب، وإما صفة على حالها أي ذات الوغر، وهي ها هنا صفة لتقدم موصوفها عليها فلا يحتمل سواه.

(والضغـائن): وهـو: عبارة عمَّا يكنُّـه الواحـد ويستره مـن العـداوة في صدره.

(القادحـة في القلـوب): يريـد كأنها من فرط تمكنها وعظمها[2] كأنهـا تقدح النار في الأفئدة غيظاً وحنقاً.

(١) الشمل، زيادة في شرح النهج.

(٢) في (ب): وتعظمها.

(٢١٣) ومن كلام له عليه السلام كلم به عبد الله بن زمعة[١] وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً

فقال له[٢] (عليه السلام):

(إن هذا المال ليس لي ولا لك): أي لا هو ملك لي [ولا هو ملك لك][٣] فأعطيك منه، أو تكون أنت الآخذ له.

(وإنما هو فيء للمسلمين): أفاءه الله عليهم، وأطعمهم إياه، وأباحه لهم.

(وجلب أسيافهم): الجَلَبُ بالتحريك: ما يجلب، وأراد أن سيوفهم جلبته إليهم وحازته عليهم، وليس لأحد شيء فيه[٤] إلا من شاركهم في سبب الاستحقاق.

(فإن شركتهم في حربهم): شاركتهم في أن حاربت معهم أعداءهم[٥] من الكفار.

(١) هو عبد الله بن زمعة بفتح الميم بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وكان عبد الله بن زمعة شيعة لعلي (عليه السلام) ومن أصحابه. (انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣/١٠-١١).

(٢) له، زيادة في (ب).

(٣) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٤) في (ب): منه.

(٥) في (ب): عدوهم.

(كان لك مثل حظهم): مثل قسم من أقسامهم.

(وإلا): يريد إذا لم تكن أنت مشاركاً لهم في حربهم فلا نصيب لك فيه، ولا حظ لك منه.

(فجناة أيديهم): أي فما[١] تجنيه أيديهم.

(لا تكون لغير أفواههم): بل من اجتنى شيئاً فهو أحق به، ويقال: لكل مجتني جناته، ولكل قدح نصيب، ولكل عمل أجر، لا يستحقه سواه، ولا يكون أحد أولى به منه.

(١) في (ب): فمما.

(٢١٤) ومن كلام له عليه السلام

(ألا إن[١] اللسان بَضْعَةٌ مـن الإنسان): الْبَضْعَةُ: القطعة من اللحم، وفيه من عجائب الحكمة ولطائف[٢] الصنعة ما لا يحيط بوصفه إلا الله، فانظر إلى كونها قطعة واحدة من لحم، وقد اشتملت على مدارج ومخارج للأحرف[٣] المختلفة، كل واحد منها له مخرج يخالف مخرج الآخر، ولو لم تكن من الدلالة على حكمة الله من خلقة الإنسان إلا لسانه لكان ذلك كافياً.

(فلا يسعده القول إذا امتنع): أراد أن اللسان إذا وقع فيه عارض عن الكلام إما لعدم الداعي إليه، وإما لمكان حصول عاهة فيه، وعاهاته كثيرة، فإنه لايساعده القول ولايمكنه بحال، وذلك لأن اللسان هو الآلة في الكلام كالعين للبصر والأذن للسماع، فإن تعذرت تعذر ماهو وصلة إليه لا محالة.

(ولا يمهله النطق إذا اتسع): يريد أن اللسان إذا كان مفوهاً ذرباً[٤]

(١) في شرح النهج: ألا وإن ...إلخ.

(٢) في (ب): وبدائع.

(٣) في (ب): الأحرف.

(٤) يقال: لسان ذرب، وفي لسانه ذرب وذرابة، أي حدة وبذاء (انظر أساس البلاغة ص١٤٢)، والكلمة في (ب): ردياً.

لا عاهة به وكان له داعي إلى الكلام فإنه يتسع الكلام، وتطول ذيوله[١]، ولا يتوقف عن النطق، بل يكون ملجئاً له إلى الكلام لما ذكرناه.

ويحكى أن الفصيح هو الذي يرمي بالبيت الكامل من أوله إلى آخره دفعة واحدة من قريحته، ومن هو دونه فإنه يرمي بنصف البيت وبمصراع دون مصراع، وأما المتكلف فهو الذي يضم كلمة إلى كلمة حتى يستكمل البيت الواحد.

(وإنّا لأمراء الكلام): أهل التمكن فيه، والبسطة واليد الطولى فيه.

(وفينا تنشبت عروقه): نشب عرق الشجرة إذا رسخ في الأرض، وتعذر نزعه.

(وعلينا تهدلت أغصانه[٢]): تهدلت أغصان الشجرة إذا مالت.

واعلم: أن أمير المؤمنين قد بلغ مكانة في البلاغة مبلغاً عظيماً إلى حدٍّ لم يزاحم عليه، ولم ينافس فيه، حتى صار أباً لعذرتها[٣]، ودعي ابناً لنجدتها، وحتى صار كلامه إماماً لكل كلام، وحائزاً لقصب السبق في كل مقصد ومرام.

ولولوع الناس بالبلاغة ووصفها حكى الشيخ أبو إسحاق بن علي الحصري[٤] أنه اجتمع قوم من أهل الصناعات فوصفوا البلاغة على قدر

(١) يقال: ذيل كلامه تذييلاً، وتذيل في كلامه وتسرح أي تبسط فيه غير محتشم. (المرجع السابق ص١٤٨).

(٢) في شرح النهج: غصونه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) يقال: فلان أبو عُذْرها، أي مفتضّها.

(٤) هو: إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحصري، المتوفى سنة٤٥٣هـ، أديب نقاد من أهل القيروان نسبته إلى عمل الحصر، له مصنفات منها: زهر الآداب وثمر الألباب، وجمع الجواهر في الملح والنوادر وغيرهما. (انظر الأعلام١/٥٠-٥١).

صناعاتهم، وأخذوا معانيها من معاني تلك الصناعات.

فقال الجوهري: أحسن الكلام نظاماً ما ثقبته يد الفكرة، ونظمته الفطنة، وفصّلت جواهر معانيه في سموط[1] ألفاظه فاحتملته نحور الرواة.

وقال العطّار: أحسن الكلام ما كان لعوقه الأفهام، وذرورة الحلاوة، ولا بسه جسد[2] اللفظ، وروح المعنى.

وقال القزّاز: أحسن الكلام ما اتصلت لحمة ألفاظه بسدى[3] معانيه، فخرج مفوفاً[4] منيراً، وموشحاً[5] محبّراً.

وقال الجمّار: أبلغ الكلام ما طبخته في مراجل[6] العلم، وصفيته من راووق[7] الفهم، وضمنته ديوان الحكمة، فتمشت في المفاصل عذوبته، وفي الأفكار رقته، وفي العقول جدته[8].

وقال الطبيب[9]: خير الكلام إذا باشر بيانه سقم الشبه استطلقت طبيعة[10] الغباوة، فشفي من سوء التوهم، وأورث صحة التفهم.

(١) السمط: الخيط ما دام فيه الخرز وإلا فهو سلك. (مختار الصحاح ص٣١٣).
(٢) في (ب): ولابّه حسن اللفظ، أقول: ويقال: لوّبه به أي خلطه به..
(٣) السدى من الثوب ما مدّ منه.
(٤) أي أبيضاً، من قولهم: بُرْدٌ مُفَوَّفٌ إذا كانت فيه خطوط بيض.
(٥) الوشاح بالكسر شيء ينسج من أديم عريضاً، ويرصّع بالجواهر، وتشدُّه المرأة بين عاتقها وكشحها. (مختار الصحاح ص٧٢٣)، والمحبَّر أي المحسَّن والمزيَّن.
(٦) جمع مرجل بكسر الميم وهو قدر من نحاس.
(٧) الراووق: المصفاة.
(٨) أي حسنه.
(٩) في نسخة: الطيب (هامش في ب).
(١٠) في نسخة: طبيعته. (هامش في ب).

وقال الجمّال: البليغ من أخذ بخطام كلامه فأناخه في مبرك[1] المعنى، ثم جعل الاختصار له عقالاً، والإيجاز له مجالاً، لم يند[2] عن الآذان، ولم يشذ عن الأذهان.

وقال الكحّال: كما أن الرمد قيد الإبصار فهكذا تكون الشبهة قيد البصائر، خير الكلام ما كحل عين اللكنة[3] بميل البلاغة، وحل رمص[4] الغفلة بمرود اليقظة.

وقال القفاعي: خير الكلام ما روجت ألفاظه غبآءة الشك، ورفعت رقته فضاضة[5] الجهل، فطاب حسا[6] قطره، وعذُب مصُّ جرعه.

ثم أجمعوا عن آخرهم على أن الكلام البليغ هو الذي إذا شرقت[7] شمسه كشفت لبسه.

فانظر إلى أهل هذه الصناعات كيف فسروا البلاغة على حد ما يفهم كل واحد منهم من جيد صناعته، وما من واحدة من هذه الصفات إلا وتراها في كلام أميرالمؤمنين على أوفى شيء، وأتمه وأبلغه وأكمله.

(١) المبرك: مكان استناخة البعير.
(٢) ند البعير نفر وذهب على وجهه شارداً.
(٣) اللكنة: عجمة في اللسان وعيٌّ، يقال: رجل ألكن بيِّن اللكن وقد لكِن من باب طرب. (مختار الصحاح ص٦٠٣).
(٤) الرَّمص بفتحتين: وسخ يجتمع في الموق، فإن سال فهو غمص، وإن جمد فهو رمص. (مختار الصحاح ص٢٥٦)، وفي (ب): رمض، بالضاد، فيكون المعنى شدة الغفلة، والمرود: الميل.
(٥) هكذا في النسخ: فضاضة، بالضاد المعجمة، فلعل المعنى في ذلك أي إطباقه وإغلاقه، ويمكن أن يكون بالظاء المعجمة: أي فظاظته، والمعنى فيه أي غلظته.
(٦) في (أ): حشا، وما أثبته من (ب).
(٧) في (ب): أشرقت.

وقوله في الخطبة: اتسع وامتنع، من باب التجنيس الناقص، وهو في كلامه كثير لا يمكن عده ولا إحصاؤه.

(واعلموا رحمكم الله): الرحمة من الله تعالى: لطف للخلق، ودعاء لهم إلى الخير.

(أنكم في زمان القائل بالحق فيه قليل): لصعوبة الحق ومرارته على كل أحد، فلا يكاد يقوله إلا موفق منصف على نفسه، وعلى غيرها.

(واللسان عن الصدق كليل): كلَّ السيف إذا لم يكن ماضياً في مضاربه ونبا عنها، وأراد أن اللسان غير ماضٍ في الصدق.

(واللازم للحق ذليل): يريد أنه لايقدر على إمضائه لقلة من ينصره ويعينه.

(أهله معتكفون على العصيان): الضمير للزمان، وغرضه أنهم دائمون على المنكرات لا يقلعون[1] عنها وعن فعلها.

(مصطلحون على الإدهان): يريد أنهم تواطئوا من جهة أنفسهم على المصانعة، يريد أن أفعالهم ليس حاصلها لله وإنما هم متداهنون فيها، وحقيقة المصانعة آيلة إلى أنك إنما تفعل الفعل ليس لوجه الله تعالى، وإنما هو لما ترجوه من نفع أو دفع ضر[2] لا غير.

(فتاهم عارم): يريد الصغير سنه منهم سيء الخلق شكيس[3] الخلائق.

---

(١) في (ب): لاينفلون.
(٢) في (ب): ضرر.
(٣) في (ب): شكس.

(وشابهم[1] آثم): يريد ومن كان سنه منهم[2] بالغ فهو راكب للمعاصي وأنواع الفسوق.

(وعالمهم[3] منافق): يظهر من أفعاله خلاف ما يبطنها.

(وقارنهم مماذق): أي ليس إيمانه خالصاً لله تعالى.

(لا يعظم صغيرهم كبيرهم): كما هو المأخوذ على الصغير ذلك، وأراد أن كل واحد منهم جاهل بحق صاحبه لفرط جهلهم.

(ولا يعول غنيهم فقيرهم): لأن هذا هو المأخوذ على الأغنياء الرحمة للفقراء وصلتهم بما أمكنهم من الصلة، وفي الحديث: «الفقراء عالة الأغنياء».

---

(١) في شرح النهج: وشائبهم.
(٢) منهم، سقط من (ب).
(٣) في نسخة: وعاملهم (هامش في ب).

(٢١٥) ومن كلام له عليه السلام[1]

روى اليماني[2] عن أحمد بن قتيبة، عن عبد الله بن يزيد، عن مالك بن دحية[3]، قال: كنا عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وقد ذكر عنده اختلاف الناس، فقال (عليه السلام):

(إنما فرق بينهم مفارق[4] طينهم): الطين: جمع طينة على حد تمرة وتمر، يشير بهذا الكلام إلى أن الله تعالى جمع خلقة آدم (عليه السلام) من أنواع من الترب مختلفة كما قررنا من قبل كيفية خلقتها، والتُربيَّة جامعة لها فهم متفقون فيها ومختلفون في خلائق أُخَر، فلهذا قال (عليه السلام):

(وذلك): أي والأمر في خلقهم واختلافه هو:

(أنهم كانوا فِلقةً من سبخ أرض): السبخ بالباء: ما لا ينبت، والفلقة: بعض الشيء، وأراد أنهم مجموعون من أصل[5] الأرض وهو التراب.

(وعذبها): العذب: خلاف المالح.

(١) في (ب): ومن كلام له (عليه السلام) في ذكر اختلاف الناس.
(٢) في شرح النهج: روى ذُعْلب اليمامي.
(٣) قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٨/١٣: ذعلب، وأحمد، وعبد الله، ومالك: رجال من رجال الشيعة ومحدثيهم.
(٤) في (ب) وفي شرح النهج: مبادئ.
(٥) في (ب): أجزاء.

(وحزن تربة): الحزن: المكان الجرز.

(وسهلها): لينها ورخوها.

(فهم على حسب قرب أرضهم): يريد أنهم على حسب قربهم في أصل الخلقة من الأجزاء التُربيَّة الأرضية.

(يتقاربون): في الخلائق والأوصاف، والطباع[1] والهيئات، والأشكال، والمقادير والحالات.

(وعلى قدر اختلافها): في سبخها وعذبها، وسهلها وحزنها كما أشار إليه.

(يتفاوتون): في الخلائق والطباع، والأشكال والحالات.

ثم إنه أخذ عقيب ذكر التقارب والتفاوت على جهة الإجمال يذكر التوافق والاختلاف[2] بضرب من التفصيل فقال:

(فتام الرواء): فيه روايتان:

أحدهما: الرواء بالراء المهملة مخففاً، يقال: رجل له رواء[3] إذا كان له منطق حسن، وفي هذا المعنى قال بعضهم:

لا تغررنك الثياب والصور ... تسعة أعشار من ترى بقر
في خشيب السرو[4] منهم مثل ... له رُوَاء وماله ثمر

(١) في (ب): والطبائع.
(٢) في (ب): والاختلافات.
(٣) في (ب): يقالك رجل أرواء.
(٤) السرو: شجر واحدته سروة، والسراء، واحدته سراءة، قال أبو عبيدة: هو من كبار الشجر، ينبت في الجبال، وربما اتخذ منها القسي العربية. (انظر لسان العرب ٢/١٤٠).

وثانيهما: الزواء بالزاي، يقال: هذا زوٌّ علينا أي قدر وحتم وقضاء، فعلى الرواية الأولى فتامُّ المنظر، وعلى الرواية الثانية فتامُّ القدر، والرواية الأولى أعجب وهي أقعد في المعنى وأتمّ.

(ناقص العقل): لا تمام في عقله، ولا رجحان فيه، أي منهم من له منظر حسن ولا عقل له.

(وماذ القامة): أي ذو مدد في قامته، يريد طويلها.

(قصير الهمة): لا همة له في أعالي الأمور ونفائسها، والسامي فيها.

(وزاكي العمل): يريد أن عمله طيب زاك، مرضٍ لله تعالى في كل أحواله.

(قبيح المنظر): صورته قبيحة في رأي العين.

(وقريب القعر): أي ومنهم من يفهم من ظاهره أنه ليس له باطن يخالف ظاهره ولا غور له.

(بعيد السبر): السبر: الامتحان، وأراد أن الامتحان لسره يوجب خلاف ذلك من خلائقه ويعرفك أن باطنه ينطوي على أشياء لا يمكن الوقوف عليها.

(ومعروف الضريبة، [منكر الجليبة](1)**)**: الضريبة هي: السجية والطبيعة، والجليبة بمعنى المجلوبة أي المكتسبة، والمعنى في هذا أن منهم من تكون سجيته الفطرية حسنة ولكنه اكتسب أخلاقاً رديئة.

---

(١) سقط من (أ)، وهو في (ب) وشرح النهج.

(وتائه القلب): تاه: إذا تحيَّر، أي ومنهم من هو في غاية التحيّر في أعمال قلبه، وترددات خاطره.

(متفرق اللبّ): اللُّبُّ: العقل، وأراد أنه ليس له فطانة في أموره، ولا يقف منها على حد واحد، بل هو كثير الفشل والطيش، والعجلة في الأمور.

(وطليق اللسان): فصيحه، لا لُكْنَة في لسانه، ولا شيء من العاهات العارضة.

(حديد الجنان): شجاع القلب لا يبالي بما وقع من المخافات والأمور الهائلة، وهذه أمور وسجايا يجعلها الله تعالى من الشجاعة والجبن، والفصاحة والبلاغة واللكنَة والعي والفهاهة من عباده على حد ما يعلم من المصلحة، وقد أشار الله تعالى إلى ما ذكره بألطف إشارة وأوجزها حيث قال: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾[فاطر:١] وفيها أقوال كثيرة للمفسرين، والآية مطلقة فلا حاجة بنا إلى تخصيصها بنوع من الزيادة دون نوع، بل تتناول كل زيادة فاضلة، من تمام الخلقة وطول القامة، وحسن العقل، وتمام التدبير، وجودة الفطنة، وملاحة الفم، وحسن القد، إلى غير ذلك من الصفات الفاضلة التي لا يحيط بها الوصف.

(٢١٦) ومن كلام له عليه السلام قاله وهو يلي غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه

(**بأبي أنت وأمي يا رسول الله**[١]): أراد أني أفديك بأبي وأمي، وهي كلمة تستعمل كثيراً على جهة الترحم في كلام الرسول وكلام غيره.

(**لقد انقطع بموتك**): زال وبطل من أجل موتك.

(**مالم ينقطع بموت غيرك**): يشير إلى أن حاله في ذلك بخلاف[٢] حال غيره، وأنه انقطع بموته أمور كثيرة كانت حاصلة في حياته.

(**من النبوة**): المرتبة العالية من جهة الله تعالى، والشرف الذي لا شرف فوقه، ولا منزلة وراءه.

(**والإنباء**): وهو الإعلام بجلائل الأمور وأعلاها من الحكم[٣] الدينية، والأسرار الإلهية وغير ذلك.

(**وأخبار السماء**): وما يقضي الله في السماء من الأقضية التي يريد إنفاذها في الأرض من الأمر والنهي، والنسخ والتثبيت،

---

(١) قوله: أنت، وقوله: يا رسول الله، زيادة من النهج.

(٢) في (ب): يخالف.

(٣) في (ب): الحكمة.

والقبض والبسط لقد:

(**خصصت حتى صرت مسلياً عمّن سواك**): يريد أن الله تعالى خصك بأمر وأعطاك فضيلة حتى صار من صحبك لا يرضى بصحبة غيرك، ويسلو بك عمن سواك، وهذه خاصية لا توجد في سواك، ولم يعطها الله أحداً غيرك.

(**وعممت حتى صار الناس فيك سواء**): أراد وعمَّت مصيبتك الخلق؛ إذ لا أحد يقوم مقامك، فكان الناس في مصيبتك سواء لا يختص أحد منهم بزيادة دون الآخر فيها.

(**ولولا أنك أمرت بالصبر**): على مصائب الدهر وقوارعه، وحوادثه العظيمة.

(**ونهيت عن الجزع**): الجزع: شدة الوجد في المصيبة، وفي الحديث: «الصبر عند الصدمة الأولى»[١]، وفي حديث آخر: «الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر» وفي حديث آخر: «الصبر أمير جنود المؤمن»[٢].

(**لأنفدنا عليك ماء الشؤون**): نفد العمر: إذا ذهب وزال، والشؤون هي[٣]: مواصل قبائل الرأس وملتقاها، ومنها تكون الدموع وانحدارها.

---

(١) رواه من حديث الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار ص٤١٩ برقم(٣٠٨) (انظر تخريجه فيه) وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٣٧٧/٥ إلى البخاري ١٠٥/٢، ومسلم في الجنائز١٤، وسنن الترمذي٩٨٧، وسنن المجتبى في الجنائز ب(٢١)، ومسند أحمد بن حنبل٢١٧/٣، والسنن الكبرى للبيهقي٩٥/٤، وإلى غيرها.

(٢) وروى مثله من حديث لأمير المؤمنين علي (عليه السلام) الإمام المرشد بالله (عليه السلام) في الأمالي الخميسية٦٨/١ بسنده عن عباس بن بزيع الأزردي قال: قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): (العلم خليل المؤمن، والعقل دليله، والحلم وزيره، والرفق قيده، والصبر أمير جنوده).

(٣) في (ب): هو فواصل.

(ولكان الداء مُماطلاً): يريد ولكان ما يصيبنا من التغير والفساد بفقدك مماطلاً أي طويلاً لا انقضاء له، من قولهم: مطلت الحديدة إذا طوَّلتها، وكل ممدود ممطول، ويحتمل أن يكون من المطال وهو تأخير الموعد يعني أن الداء مماطل غير ذاهب عنا ولا زائل.

(والكمد محالفاً): الكمد: هو الحزن المكتوم بالحاء المهملة، وأراد أنه لا زوال له ولا انقضاء لوقوعه.

(وقلاً[1] لك!): يريد الداء والكمد، فإنهما حقيران بالإضافة إلى ما يتوجه لك من الحق.

(ولكنه): الضمير للأمر أي ولكن الأمر من ذلك من الأسف عليك، والفقد لك.

(ما لا يمكن[2] رده): لعظمه وتفاقمه.

(ولا يستطاع دفعه): عمَّن وقع به.

(بأبي أنت وأمي): نفتديك[3] أنت بالآباء والأمهات التي هي أعزُّ ما يكون، وأعلا قدراً ومنزلة.

(اذكرنا عند ربك): بالشفاعة والرحمة.

(واجعلنا من بالك!): أراد إما اجعلنا من الأمور التي تبالي بها وتهتم بأمرها وتكترث لها، وإما اجعلنا على خاطرك واخطرنا بقلبك عند ربك، فأنت مسموعُ الدَّعوة، مجابُ الكلمة.

---

(١) من القلة.

(٢) في (ب): لا يمكن، و في شرح النهج: ما لايملك رده.

(٣) في (ب): نفديك.

(٢١٧) ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد

(الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد): يريد بالشواهد هذه الحواس كلها، فإن الله يتعالى[1] عن أن يكون مدركاً بها من حيث كان الإدراك إنما يكون في حق الأمور الجسمية أوالعرضية وهو متعالي عنهما بحقيقة ذاته.

(ولا تحويه المشاهد): المشاهد: جمع مشهد وهو المحضر، وإنما[2] سمي ما يجمع الناس مشهداً لأنه يجمعهم ويشاهدونه، وإنما كان لا يحويه شيء من ذلك؛ لأن الاحتواء إنما يكون في حق الأجسام، فأما من كان غير جسم فلا يضاف إليه الاحتواء في مكان دون مكان، ولا جهة دون جهة.

(ولا تراه النواظر): جمع ناظرة وهي العين المبصرة.

(ولا تحيط به السواتر): الساتر: ما كان مُغَطِّياً عن الإدراك، وإنما جمعه على فواعل؛ لأنه قد صار اسماً غير صفة فهو بمنزلة حواجز، وأراد أنه لا يحيط به ما كان ساتراً من هذه السواتر العظيمة كالسماء والأرض والجبال فإنها على عظمها وكبرها[3] لا تحيط به؛ لأن الإحاطة

---

(١) في (ب): تعالى.

(٢) في (ب): فإنما.

(٣) في (ب): وكثرها.

إنما تكون في حق من كان جسماً فإنه ولو عظم حاله فإنه مما يمكن[1] الإحاطة به.

وفي نسخة أخرى: (**ولا تحجبه السواتر**) وهما قريبان فإن الحجبة والإحاطة إنما تجوز في حق الأجسام لا غير.

(**الدال على قدمه بحدوث خلقه**): يريد أن هذه الحوادث لابد من انتهائها إلى قديم خالق لها.

(**وبحدوث خلقه على وجوده**): يريد أن الحادث لا بد له من مُحْدِثٍ موجود؛ لأنه يستحيل فيما كان معدوماً أن يكون موجداً خالقاً مُحْدِثاً.

(**وباشتباههم على ألا شبه له**): يريد أنه لأجل مماثلته بين الخلق ومشابهته بين خلوقهم وصورهم، فإنه يعلم بذلك من جهة البرهان على أنه لايشبههم؛ إذ لو كان مشبهاً لهم لم يكن قادراً على خلقهم، وقد قدَّمنا شرح هذا الكلام في خطبة أخرى.

(**الذي صدق في ميعاده**): في جميع ما وعد به وأوعد، وإنما كان موصوفاً بالصدق لاستحالة الكذب على ذاته تعالى؛ لأن من كان حكيماً في أفعاله كلها وأقواله فإنه لا يجوز عليه القبيح ويستحيل في حقه، فلهذا استحال أن يكو ن كاذباً في أخباره كلها.

(**وارتفع عن ظلم عباده**): الغرض بالارتفاع هاهنا هو التعالي والامتناع دون علو الجهة وارتفاعها، فذلك مستحيل في حقه كما مضى غير مرة، وأراد أنه متعالي لمكان الحكمة عن ظلم أحد من العباد، كما قال تعالى: **﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ﴾**[غافر:٣١].

(١) في (ب): مما لا تمكن.

(**وقام بالقسط في خلقه**): من قولهم: قام فلان علينا بالرفق والرحمة، فأراد أن الله تعالى هو المتصرف على خلقه بالعدل في حقوقهم والإنصاف في أمورهم من غير حيف، ولا ميل من جهته.

(**وعدل عليهم في حكمه**): بمعنى أنه لا يصدرعليهم شيء من الأحكام إلا بحكمة وتقدير وإتقان، وليس ذلك جارياً على جهة الحدس والاتفاق.

(**يستشهد**[1] **بحدوث الأشياء على أزليته**): أراد أنه يطلب الشهادة على كونه أزلياً من جهة حدوث الأشياء كلها، لأنه لو لم يكن أزلياً بل كان محدثاً مثلها استحال أن تكون حادثة من جهته، وقد قررنا هذا الكلام بأبلغ من هذا التقرير فيما سلف.

(**وبما وسمها من العجز**[2] **على قدرته**): الوسم والسمة[3] هو: العلامة، وأراد أنها بما قرر فيها من العجز على إبداع هذه المكونات وجعلها مستحيلة من جهتها فذلك من أقوى ما يكون من الأدلة على باهر قدرته.

(**وبما اضطرها من الفناء على دوامه**): يريد وبما ألزمها بالضرورة من الحكم عليها بالفناء والعدم، فهو بعينه دلالة على كونه دائماً، لأنه لو لم يكن دائماً لجاز عليه العدم مثلها.

(**واحد لا بعدد**): أي هو في نفسه واحد وليس من جملة الآحاد، وإنما هو خارج عنها؛ لأن من شرط العدد الجنسية وهو غير مجانس المعدودات.

(**ودائم**): لا انقضاء لوجوده.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: مستشهد.
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: وبما وسمها به من العجز... إلخ.
(٣) والسمة، سقط من (ب).

(لا بأمد): أي ليس لدوامه غاية ولا حد ولا نهاية.

(وقائم): ثابت الوجود.

(لا بعمد): أي ليس مستنداً إلى شيء ولا يفتقر إليه.

(تتلقاه الأذهان): يريد أن العقول قابلة لوجود الله تعالى وثبوته.

(لا بمشاعرة): يريد أن الأذهان تثبته وتتلقاه لا بواسطة شعور الحواس، لأن ذلك مستحيل في حق الله تعالى، وإنما قال: مشاعرة لأن الحواس مشتركة في الشعور بالأشياء، فلهذا كان اشتراكها في الشعور مشاعرة.

(ويشهد له المرأى[1]**)**: المرأى: مكان الرؤية وموضعها، من قولهم: فلان مني بمرأى ومسمع أي حيث أراه وأسمع قوله، ويجوز أن يكون المراد بالمرأى النفس؛ لأن المرأى موضع الرؤية، والنفس مرأى الأشياء أي موضع رؤيتها.

(لا بمحاضرة): يريد أن الأذهان والعقول وإن شهدت له بالوجود فإن ذلك من دون أن تكون حاضرة له أو يكون حاضراً لها؛ لأن المحاضرة إنما تكون في حق الأجسام لا غير.

(لم تحط به الأوهام): يريد أن العقول لا تدرك حقيقة ذاته ولا تتصل إلى ذلك.

(بل): إضراب عن عدم الإحاطة وإثبات علمها به.

(تجلى بها لها): يريد أنه بخلقه إياها ظهر لها بالوجود والثبوت.

---

(١) في شرح النهج: وتشهد له المرائي.

(وبها امتنع منها): يريد أن الأوهام من حقها أن تكون مدركة لهذه المحسوسات، وهو تعالى ليس من قبيل المحسوسات، فلهذا كان[1] ممتنعاً بها منها على هذا الوجه، ويجوز أن يكون مراده أيضاً أنها لما كانت محدثة امتنع بها عن الحدوث في نفسه لما كا نت محدثة، فهو ممتنع عن الحدوث لأجل حدوثها.

(وإليها حاكمها): هذا من باب التخييل والتمثيل، وفيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن الله تعالى لو سأل هذه الأذهان وقال لها بلسان الحال: هل أنت مدركة حقيقة ذاتي وكنهها؟ لاعترفت بالعجز عن ذلك، وقالت: لا يبلغ إلا أني أعرف وجودك، فأما معرفة حقيقة ذاتك فذاك ليس من شأني ولا أقدر عليه.

وثانيهما: أن يكون غرضه أنه قال للأذهان مثلاً إن كنت مدركة حقيقة نفسك فأنت مدركة بحقيقة ذاتي، فإذا كانت معترفة بأنها غير مدركة حقيقة نفسها فهي عن إدراك حقيقة ذات الله أعجز لا محالة.

(ليس بذي كبر): في حجمه.

(امتدت به النهايات): طالت به نهايات الكبر.

(فكبرته تجسيماً): فعظم كبره من جهة الجسمية.

(ولا بذي عظم): فخامة وكبر.

(تناهت به الغايات): بلغت كل غاية في العظم والفخامة.

---

(١) في (ب): قال.

(فعظمته تجسيداً): فعظم من جهة التجسيد والحجمية.

(بل): إضراب عما ذكره ها هنا من الكبر والعظم، ونصبهما على ما ذكره من هذا الوجه.

(كبرشاناً): إنما كبر من جهة كبرشأنه لا من جهة كبر حجمه.

(وعظم سلطاناً): وعظمه إنما كان من جهة سلطانه لا غير.

(وأشهد أن محمداً عبده المصطفى[1]): المختار من بين سائر الخلق للنبوة والإرسال إلى الخلق.

(وأمينه الرضي [صلى الله عليه وآله][2]): إما على جهة المبالغة كما قالوا: رجل عدل وثوب[3] زور، وإنما يكون على حذف مضاف تقديره: ذو[4] الرضى.

(أرسله بوجوب الحجج): إثباتها وإظهارها من جهة العقل والشرع.

(وظهور الفلج): الفَلْجُ بالسكون وفتح الفاء هو: الفوز والظفر، وبالضم هو الاسم من التفلج، وفي المثل: من يأت الحكم وحده يفلج[5].

(وإيضاح المنهج): وبيان الطريق الواضح.

(فبلغ الرسالة صادعاً بها): صادعاً منصوب على الحال من الضمير في بلّغ، وأراد أنه بلغها على جهة الظهور والانكشاف.

---

(١) في شرح النهج: وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصفي.
(٢) زيادة في شرح النهج.
(٣) ثوب، زيادة في (ب).
(٤) في (ب): وذو.
(٥) مختار الصحاح ص٥١٠.

(وحمل على الحجة دالاً عليها): حملته على كذا إذا أكرهته على فعله، وأراد أنه أكره على سلوك طريق الدين من تخلّف عنها.

(فأقام أعلام الاهتداء): شيَّدها وقرَّر قواعدها، والأعلام: جمع علم وهو منار الطريق.

(ومنار الضياء): أي وأوضح منار الضياء، والمنار: ما يهتدى به عند الالتباس.

(وجعل أمراس الإسلام متينة): الأمراس: جمع مرس وهو الحبل.

(وعرا الإيمان وثيقة): العرا: جمع عروة وهو ما يمسك به الإناء، وأراد أنه قوَّاها، وهذا كله من باب التمثيل والتخييل وإلا فالحقيقة ألاَّ مرس ولا عروة.

ثم ذكر عجائب أصناف الحيوانات:

(ولو فكروا في عظيم القدرة): يريد لو أنهم أخطروا على قلوبهم عجائب هذه المصنوعات الباهرة.

(وجسيم النعمة): وما منَّ الله به على الخلق من عظائم النعم وجسيمها.

(لرجعوا إلى الطريق): طريق خوف الله تعالى وتعظيمه، والقيام بواجباته، والكف عن مناهيه.

(وخافوا عذاب الحريق): وتفكروا في عظيم عذاب الله المؤلم الذي لا يمكن وصف ألمه، ولا مزيد عقابه.

(لكن[1] القلوب عليلة): معتلة لا قوام لصحتها ولا لثبوتها.

(والأبصار[2] مدخولة): يريد أن بصرها ليس حاصلاً على جهة الاستقامة وإنما فيه خلل وفساد.

(ألا ترون[3] إلى صغير ما خلق الله): ما قدره من هذه المخلوقات الحيوانية الصغار.

(كيف أحكم خلقه): قدَّره وصوَّره.

(وأتقن تركيبه): على أكمل شيء وأحسنه.

(وفلق له السمع والبصر): أي شقَّهما، فله سمع وله بصر يهتدي بهما إلى منافعه، وإحراز قُوْتِه.

(وسوّى له العظم والبشر): ليمكنه التصرف ؛ لأنه لو كان عظماً على انفراده أولحماً على انفراده لما أمكنه الوصول إلى المنافع وإتقانها.

(وانظروا إلى النملة في صغر جثتها): في الحيوانات ما هو أدق وأصغر حجماً من النملة، ولكنها جارية على الألسنة كثيراً فلهذا مثلَّ بها.

(ولطافة هيئاتها[4]): أطرافها وأوصالها.

(لا تكاد تنال[5] بلحظ النظر[6]): لمحة، واللحظ هو: مؤخر العين.

---

(١) في شرح النهج: ولكن.
(٢) في شرح النهج: والبصائر.
(٣) في شرح النهج: ألا تنظرون.
(٤) في شرح النهج: هيئتها.
(٥) في (ب): لايكاد ينال.
(٦) في شرح النهج: البصر.

(ولا بمستدرك الفكر): ولا بما يكون للفكر فيه مجال.

(كيف دبت على أرضها): الدبيب لكل حيوان على الأرض المجعولة مستقراً لها ولغيرها من الحيوانات.

(وصُبَّت على رزقها): دُلَّت عليه.

(تنقل الحبة إلى جحرها): إلى مغاراتها ومواضع[1] استقراراتها.

(وتعدُّها في مستقرها): أي تخبئه لوقت حاجتها من ذلك.

(تجمع في حرها لبردها): يريد أنها[2] تجمع الأرزاق كلها في أيام الحر[3] لأنه سهل عليها التصرف في هذه الأوقات، وتأكله في أيام بردها حيث يصعب عليها التصرف في أيام البرد.

(وفي ورودها[4] لصدرها): يريد أنها تدخل هذه الأوقات فإذا همت بالخروج إلى مكان لشيء من مآربها وحوائجها فإنها تقتات من ذلك المدخر عند خروجها.

(مكفول برزقها): أي أن الله تعالى قد تكفل بأرزاقها وضمنه، فلا يفوت منه شيء وإن خفي ودقَّ.

(مرزوقة بوفقها): أي على حسب حاجتها ومصالحها.

(لا يغفلها المنّان): أي لا يتركها عن تحصيل المصالح وإحراز الأرزاق والأقوات.

---

(١) في (ب): وموضع.
(٢) في (ب): أنه.
(٣) في (ب): الخير، وظنن فوقها بقوله: ظ: الحر.
(٤) في شرح النهج: وردها.

(ولا يحرمها الديّان): عمَّا قدَّره وفرضه لها.

(ولو في الصفا اليابس): الذي لاندى فيه ولا بلل.

(والحجر الجامس): بالجيم هو: الصلد الجامد، يريد فإنها وإن كانت في هذين الموضعين فإن الله تعالى لا يغفلها عمَّا يصلحها، ويوفي عليها برزقها.

(ولو فكرت في مجاري أكلها): مسالكها لِقُوْتِها، ومجاري أقواتها إلى بطنها.

(وفي علوها): أحوال الرأس وما حوى من الإحكام العجيب، والإتقان البليغ.

(وسفلها): وانصباب غذائها إلى آلات قابلة ومنافذ معتدلة.

(وما في الجوف من شراسيف بطنها): الشراسيف: أطراف الأضلاع، واحدها شرسوف.

(وما في الرأس من عينها وأذنها): يريد من عجائب هذه المنافذ وأسرار هذه المخارق التي يقع بها السمع والبصر، والإدراك والنظر.

(لقضيت من خلقها عجباً): لقلت: هذا هو العجب كله.

(ولقيت من وصفها تعباً): مشقة من حيث رُمْتَ ما لا يمكن حصوله ولا حصره.

(فتعالى): ارتفع حاله عن كل ما لا يليق نسبته به[1].

(الذي أقامها على قوائمها): شدَّها حتى استقامت على أرجلها.

---

(١) في (ب): إليه.

(وبناها على دعائمها): جعل إمساكها على قوائمها بمنزلة البناء مبالغة في ثبوتها واستقرارها وتمكنها من التصرفات عليها.

(لم[1] يشركه في فطرها[2]): يريد غيره لم يكن مشاركاً فيما خلق من ذلك ولا أعانه عليه.

(فاطر): أي خالق من قولهم: فطرت هذا إذا خلقته.

(ولم يعنه على خلقها): تقديرها وإحكامها.

(قادر): واحد من القادرين.

(ولو ضربت في مذاهب فكرك): أخذت في ذلك، من قولهم: ضربت في الأرض أبغي التجارة.

(لتبلغ غاياته): منتهاه وقصاراه وغايته.

(ما دلتك الدلالة): ما حصلت منها على شيء ولا وقفت منها:

(إلا أن فاطر النملة[3] هو فاطر النخلة): يريد أن المبدع لهذه الأشياء كلها كبيرها وصغيرها ودقيقها وجليلها هو فاعل واحد ومقدر واحد، وأن خالق أصغر الأشياء وهو النملة هو الخالق لما هو أعظم منها من المخلوقات وهي النخلة.

(الباسقة في السماء): الطويلة العظيمة الطول، وأن خالق العصفور هو خالق الفيل.

---

(١) في (ب): ولم.

(٢) في شرح النهج: فطرتها.

(٣) في (ب)، ونسخة أخرى، وشرح النهج: إلا على أن فاطر النملة...إلخ.

(لدقيق تفصيل كل شيء): تعليل لقوله: ما دلتك الدلالة، والاستثناء في قوله: (إلا أن فاطر النملة) هو استثناء مفرغ، وأن في موضع نصب بنزع الجار كأنه قال: ما دلتك الدلالة إلا بأن فاطر النملة من أجل أن الدقة في خلقهما واحدة.

(وغامض أخلاف[1] كل حي): الخلف: أطراف الضلوع من الحيوانات كلها، وأراد وما غمض من أخلاف الحيوانات كلها.

(وما الجليل واللطيف): كالجبال والصخور، والفيلة والجمال وغير ذلك مما كان خلقه عظيماً، واللطيف أيضاً كالحيوانات الصغار التي لا تدركها الأبصار إلا على صعوبة.

(والثقيل[2]): كالأرض والسماء والعرش والكرسي.

(والقوي): كالملائكة من حملة العرش وغيرهم فإن الله تعالى أعطاهم من القوة ما لم يعط أحداً من المخلوقات كلها، وعن رسول الله ﷺ: «أنه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح»[3].

وحكي أنه سأل جبريل أن يتراءى له في صورته، فقال له: «إنك لن تطيق ذلك»، فقال: «إني أحب أن تفعل»، فخرج رسول الله [ﷺ][4]

(١) في شرح النهج: اختلاف.

(٢) في شرح النهج: والثقيل والخفيف والقوي والضعيف.

(٣) رواه بلفظه الزمخشري في الكشاف ٣/٦٠٥، وأخرج نحوه الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح في السيرة ص١٣٢ رقم(٢٣) بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: ((رأيت جبريل (عليه السلام) له ستمائة جناح، يتناثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت)). وأخرج الإمام المرشد بالله في الأمالي الخميسية ١/٣٤ بسنده عن زر بن حبيش عن عبد الله في قوله تعالى: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ والرائي محمد ﷺ جبريل (عليه السلام) في صورة له ستمائة جناح، منها جناح قد سد ما بين المشرق والمغرب.

(٤) سقط من (أ).

في ليلة مقمرة، فأتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله [ﷺ][1] ثم أفاق وجبريل إحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال: «سبحان الله ما كنت أرى أن شيئاً من الخلق هكذا»، فقال جبريل: «فكيف لو رأيت إسرافيل له اثنا عشر جناحاً، جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب، وإنه ليتضاءل الأحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوَصَع وهو العصفور الصغير»[2].

(والضعيف): من الحيوانات كلها.

(في خلقه)[3]: بالإضافة إلى إيجاده وتقديره.

(إلا سواء): مستوية في ذلك لأن من كان أمره بين الكاف والنون، فليس الجليل وإن جلَّ بالإضافة إليه في نفسه إلا كالحقير بالإضافة إليه في نفسه.

(وكذلك السماء والهواء): على اختلافهما وتباين أحوالهما.

(والرياح والماء): على تشاكلهما في الرقة واللطافة.

(فانظروا إلى الشمس والقمر): في تنورهما وطلوعهما وغروبهما، وجريهما على هذه المجاري المقدرة، وما اشتملا عليه من هذه المنافع العظيمة للخلق.

(والنبات والشجر): وجميع أنواع النباتات المأكولة وغير المأكولة وجميع ضروب هذه الأشجار.

(١) سقط من (أ).

(٢) رواه العلامة المفسر الزمخشري في الكشاف ٣/٦٠٥، قال ابن حجر العسقلاني، في الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ما لفظه: أخرجه ابن المبارك في الزهد، والثعلبي من طريقه، أخبرنا الليث، عن عقيل، عن الزهري بهذا.

(٣) في (ب): في خلقته.

(والماء والحجر): وما في الأمواء من الحكم البديعة فمنها العذب الفرات، ومنها الملح الزعاق، ومنها ما ينزل من السماء، ومنها ما ينبع من الأرض كالأنهار والعيون والآبار وغير ذلك.

(واختلاف هذا الليل والنهار): تكررهما وجريهما إتقاناً لمصالح العباد، ورعاية لحقوقهم واستدامة لمصالحهم واستمراراً لقوام التكاليف، ومعرفة الأزمنة والحسابات إلى غير ذلك[1] من اللطائف.

(وتفجر هذه البحار): أراد إما العيون الجارية فإنها تسمى بحاراً لعظمها، وإما أن يريد هذه البحار العظيمة التي تُعْبَرُ بالسفن والمراكب العظيمة.

(وكثرة هذه الجبال): عظمها وما فيها من المنافع العظيمة للخلق.

(وطول هذه القلال[2]): القلة: أعلى الجبل.

(وتفرق هذه اللغات): فمنها العربية، ومنها الفارسية، والتركية، والرومية، والحميرية إلى غير ذلك من الاختلافات العظيمة في الألسنة.

(والألسن المختلفات): التي لا يجمعها جامع ولاتتفق على لغة واحدة.

(فالويل): بعذاب الله وأليم عقابه.

(لمن أنكر المقدّر): الفاعل لهذه التقديرات، وأنواع هذه الإحكامات.

(وجحد المدبّر): المسخّر لهذه الأشياء العظيمة من أجل هذه المصلحة

(١) في (ب): وغير ذلك.

(٢) في (ب): وطول هذه القلال العالية.

للخلق، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾[إبراهيم:٣٣] وهذه الإشارة منه (عليه السلام) إنما تليق بمن أنكر الفاعل المختار وأثبت موجباً، أولم يكن مثبتاً لشيء كما هو المحكي عن الفلاسفة عن آخرهم فإنهم متفقون على إبطال الفاعل المختار، وإضافة هذه المبدعات والمكونات إلى العقول السماوية والنفوس الفلكية، والمواد العنصرية، وزعموا أن الفاعل المختار لا يعقل أصلاً ولا له ثبوت بحال، وهكذا من نحا نحوهم، وقال بهذه المقالة من الدهرية[1]، وأنواع أهل التنجيم، وأصحاب علم الهيئة وغير ذلك من أهل البدع والضلالات، فأما من خالف في أمور أخر مع إثبات الفاعل المختار المتقن لهذه الأشياء فكلامه (عليه السلام) لا يتناوله ها هنا، وإنما يبطل بأمور أُخر غير ذلك.

(زعموا): قالوا بألسنتهم.

(أنهم كالنبات ماله[2] زارع): أراد بما ذكره من هذا المثال إبطالاً لمقالتهم وتهكماً بحالهم، وغرضه فهل يمكن في بداية العقول وحقائق الأفهام أ ن يوجد زرع لا زارع له!

(ولا لاختلاف صورهم صانع): أراد وهل يمكن في الصور المختلفة التي تأتي على أشكال وهيئات وتقديرات متفاوتة أن تكون من غير فاعل ولا مقدر، ولا صانع لها، هذا من المحال أيضاً التي[3] لا تقبله العقول ولا يعرج عليه.

(١) الدهرية: فرقة من الفرق الكفرية، منسوبة إلى القول بالدهر أي قدمه وتأثيره في العالم وتدبيره، وأنه ما أبلى الدهر من شيء أحدث شيئاً آخر، وقد حكى الله ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾. (المنية والأمل ص٦٣-٦٤).

(٢) في شرح النهج: ما لهم.

(٣) في (ب): الذي.

(لم يلجؤوا إلى حجة فيما ادعوا): يريد أن أمارة كذبهم على أنفسهم وتزويرهم على عقولهم وأفهامهم، هو أنهم لم يستندوا فيما ادعوه من بطلان إضافة الفعل إلى غير صانع ولا إضافة الإحكام إلى غير محكم إلى حجة قاطعة، ولا برهان واضح.

(ولا تحقيق لما وعوا[1]): ولا إيضاح لما اعتقدوه ووعوه في صدورهم من ذاك.

(وهل يكون بناء من غير بان): يريد انظر في عقلك وفكّر، وهو أنك إذا دخلت بعض القفار وجدته عرصة بيضاء لا بناء فيها، ثم جئت بعد ذلك بمدة إلى تلك العرصة فوجدت فيها قصراً عالياً فيه من أنواع البناء وضروب الأفنية[2]، والمنازل الرفيعة العالية، والقصور المشيدة، أليس يضطرك عقلك إلا أنه لابد لهذه الأبنية من بانٍ بناها ومقدِّرٍ قدَّرها؟ وأنها لا تحصل من جهة ذاتها ولا بفعل نفسها، فهذا أمر ضروري لا ينكره إلا من لا سلامة في عقله!

(أوجناية من غير جاني[3]): ثم فكّر في عقلك أيضاً وهو أنك إذا رأيت رجلاً شاباً مليح المنظر ناعم الجسم، ثم رأيته مرة ثانية وقد قطعت أوصاله واحتز رأسه، فإن بديهة العقل قاضية على أن هذه الجناية لا بد لها من جاني وفاعل لها، ومؤثر فيها.

(وإن شئت قلت في الجرادة): يريد وإن أردت إعمال النظر والفكر في الجرادة واشتمالها على الإحكام البديع في خلقها، وإلهامها لمنافعها.

(١) في شرح النهج: دعوا.
(٢) في (ب): الأبنية.
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: جان.

(إذ خلق لها عينين حمراوين): تهتدي بهما إلى منافعها واجتناب المضار.

(وأشرج[1] لها حدقتين قمراوين): أي شقَّ لها حدقتين، من قولهم: انشرجت القوس إذا انشقت، أو جعلهما لها[2] كالسراجين تهتدي بهما في تصرفاتها، ووصفهما[3] بالحمرة لما فيهما من حدة البصر، ووصفهما بالتقمر لما فيهما من الضياء والتلألؤ، وموضعهما فوق مغرز الجناحين فيها، ولهذا[4] تراها في طيرانها تطير على نحو بصرها عرضاً وليس على جهة الاستقبال كما يفعله ما كان عينه في رأسه من الطير.

(وجعل لها السمع الخفي): أراد إما أنها تسمع ما خفي من الأصوات وكان دقيقاً، أو يريد أن موضع سمعها خفي لا يمكن الاطلاع عليها[5] من أعضائها.

(وفتح لها[6] الفم السوي): الحاصل على جهة الاستقامة في تحصيل المنفعة.

(وجعل لها الحس القوي): إما القدرة القوية، وإما الإحساس القوي؛ لأنها تختص بهذين الأمرين اختصاصاً كلياً لا يعلم حالهما في ذلك إلا خالقها[7].

(١) في (ب) وفي شرح النهج: وأسرج.
(٢) لها، سقط من (ب).
(٣) في (ب): ووصفها.
(٤) في (ب): فلهذا.
(٥) ظن فوقها في (ب) بقوله: ظ: عليه.
(٦) في (أ) وفي نسخة أخرى: له، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.
(٧) في (ب): خالقهما.

(ونابين بهما تقرض): تقطع الزروع[1] والأثمار وسائر ما ينبت في الأرض، وهما نابان أسودان اشتملا على حصافة[2] عظيمة وشدة قوية.

(ومنجلين بهما تقبض): ما تأكل وتهشمه، والمنجل: ما يحصد به الزرع من شريم[3] وغيره.

(يرهبها الزُّرّاع في زروعهم[4]): أي من أجل أكل زرعهم واستئصاله، يقال: رهبته في كذا إذا كان خشيتك[5] من أجله.

(ولا يستطيعون ذبَّها): أي دفعها.

(ولو أجلبوا بجمعهم): أي ولو اجتمعوا بالجموع الكثيرة، كما قال تعالى: **﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾**[الإسراء:٦٤].

(حتى تَرِدَ الحرث في نزواتها): حتى هذه بمعنى إلى أن، والمعنى إلى أن ترد الزرع في وثباتها مبادرة إليه، وحتى هذه متعلقة بيستطيعون، وإذ في قوله: (إذ خلق لها) متعلقة بما دل عليه قوله: (وإن شئت قلت) لأن المعنى وإن شئت تفكرت ونظرت.

(وتقضي فيه[6] شهواتها): أي تأكل منه حتى لا يكون لها إليه إرب[7] ولا حاجة.

(١) في (ب): الزرع.
(٢) الحصافة: الإحكام والشدة.
(٣) الشريم: آلة يقطع بها الزرع والنبات.
(٤) في شرح النهج: زرعهم.
(٥) في (ب): إذا خشيته من أجله.
(٦) في شرح النهج: منه.
(٧) الإرب: الحاجة.

(وخلقها كله لا يَكَوِّن إصبعاً مستدقة): يريد ومع هذه الصفات والقوة والبطش، فإن خلقها ليس حجماً عظيماً، وإنما هو مقدار الإصبع الدقيقة طولاً وعرضاً.

(فتبارك الذي يسجد له من في السماوات والأرض): البركة: كثرة الخير وزيادة، وقد مضى تفسيره في حق الله تعالى، خصَّ العقلاء ها هنا بقوله: من؛ لأن حقيقة السجود حاصلة من جهتهم بالخضوع والذلة، والخشوع لجلاله وعظمته من الإنس والجن[1] والملائكة.

(طوعاً): بالاختيار والإرادة من جهة المكلفين بالسجود من الملائكة والثقلين.

(وكرهاً): ممن لا يكون مكلفاً به وهو سائر الجمادات، لأن معنى سجودها انقيادها لأمر الله ومطاوعتها لداعيته في الإيجاد.

سؤال؛ هل يكون قوله: (يسجد من في السماوات والأرض) عام في العقلاء وغيرهم، أو يكون خاصاً في العقلاء لا غير؟

وجوابه؛ أنه وارد على جهة العموم لمن يعقل ولمن لا يعقل، وعبَّر عنه بمن على جهة التغليب لحال العقلاء على غيرهم، كما قال تعالى: **﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلَالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾**[الرعد:١٥].

سؤال؛ فإذا كان عاماً هذا السجود في العقلاء وغيرهم، فلا شك أن سجود العقلاء مخالف لسجود غيرهم، فكيف جازت العبارة عنهما بلفظة واحدة وهما مختلفان؟

(١) في (ب): من الجن والإنس.

وجوابه: هو أن السجودين وإن كانا مختلفين، فالعقلاء سجودهم طاعتهم وعبادتهم، وسجود غير العقلاء موافقتهم لداعيته، لكنهم يجتمعون[1] في معنى الانقياد لأمره، فلهذا جاز أن يعبِّر عن ذلك بلفظة واحدة؛ لاجتماعهم في معنى واحد وهو الانقياد.

(ويُعفِّر له خدّاً ووجهاً): تعفير الوجه والخد: تمريغهما بالتراب، وهذا خاص في حق العقلاء؛ لأن ذلك لا يتأتى إلا فيهم.

(ويلقي بالطاعة إليه): أي يسلّمها إليه، من قولهم: ألقى إليه بأمره إذا سلّمه إليه.

(سلماً وضعفاً): حالان من قوله: يلقي بالطاعة أي في حال سلامته وضعفه.

(ويعطي القياد[2] رهبة وخوفاً): فلان يعطي القياد إذا خضع وذل، وانتصابهما على المفعول له أي من أجل الرهبة والخوف، ويجوز أن يكون نصبهما على الحال أيضاً أي راهباً وخائفاً، فأما سلماً وضعفاً فلا وجه فيهما إلا الحال؛ لفساد المفعولية فيهما.

(فالطير مسخرة لأمره): التسخير هو: التذليل، وأراد أنها تدفُّ بين السماء والأرض بالطيران من أجل أمره لها بذلك، ومن أجل إمساكه لها في الجو، كما قال تعالى: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلاَّ اللَّهُ﴾[النحل:٧٩].

سؤال: التسخير هو نفوذ الأمر والقضاء في كل ماسخر، وهذا عام في كل الحيوانات، فما وجه تخصيص الطير؟

(١) في (ب): مجتمعون.
(٢) في (ب): ويعطي القياد له...إلخ.

وجوابه: هو أن الله تعالى لما كان هو المتولي لإمساكهنَّ في جو السماء، كما أشار إليه، بخلاف سائر الحيوانات، فإن تصرفه من جهة قدرته على ذلك فهو متصرف لنفسه للنفع ودفع الضرر، فلهذا كان التسخير فيها أتمَّ وأوقع.

(أحصى عدد الريش منها): القوادم منها والخوافي، فالقوادم عشر في كل جناح، والخوافي ما عدا ذلك.

(والنَّفَس): أي ومقدار متنفسها في الجو، أو وعدد[1] أنفاسها الجارية في حلوقها.

(وأرسى قوائمها): أسكن أرجلها حين تدنو من الأرض لطلب المتاع لها.

(على الندى واليَبَس): على ما كان مبتلاً بالماء وعلى ما كان يابساً فإنها تدبُّ فوقه لا يضرها ذلك، أو يريد أن منها ما يكون متاعه في الماء، ومنها ما يكون متاعه في البر، فأجرى أقواتها وثبَّتها على الماء لتأخذ متاعها منه مثل حيوان الماء كلها على اختلاف أنواعها، فإنها تمشي على ظهره مشياً ظاهراً لا يمنعها رقته ولا رخاوته، ومنها ما يكون متاعه في البر وحيث لاماء وهو المراد باليبس.

(قدّر أقواتها): على حسب ما يعلم من مصالحها واستقامة أحوالها، فمنها ما يكون معاشه اللحوم وهذه هي ذوات المخلب كالنسر والعقاب والشاهين، وغير ذلك، ومنها ما يكون معاشه الحبوب وما أنبتت الأرض، وهو ما عدا ما ذكرناه.

(وأحصى أجناسها): حصرها مع اختلاف أنواعها، وافتراق أجناسها، فلا يغيب عن علمه وحفظه منها شيء وإن دق وصغر.

(١) في (ب): أو عدد.

(فهذا غراب، وهذا عُقَاب، وهذا حمام، وهذا نعام): أشار بما ذكره إلى أكثر أنواعها، فذكر من ذوات المخلب العقاب، وذكر مما يلتقط الحب الغراب، وذكر من ذوات الأطواق الحمام، وذكرالنعام من جملة الطير، وفيه نظر، لأن حقيقة الطير ما كان مرتفعاً في الجو غير واقع على الأرض، سواء كان دافًّا[1] أو مُحَلِّقاً في الجو، وأما النعام فهو في سيره السريع تقع رجلاه على الأرض، فأما إذا كان متردداً فهو مما يدبُّ على وجه الأرض برجليه، ولعل أمير المؤمنين قصد أن الحقيقة في الطير ما كان له جناحان يستعملهما، ولهذا في أمثالهم: كاد النعام يطير مبالغة في سرعة جريه ولو كان طيراً على الحقيقة لم يقولوا: كاد يطير، ولهذا لا يقولون: كاد الحمام يطير لما كان طيراً على الحقيقة.

(دعا كل طائر باسمه): يريد إما سمى كل جنس منها اسماً يخالف اسم الجنس الآخر، وإما أن كل واحد منها وكل فرد من أفرادها له اسم عنده لما يرى في ذلك من المصلحة.

(وكفل[2] برزقه): وضمن برزقه حتى أوصله إليه، وأبلغه إياه.

(وأنشأ السحاب الثقال): الحاملة أوقارهنَّ من الماء بقدرته.

(فأهطل دِيَمَها): الديمة: المطر الدائم، والديم جمع ديمة، وسحاب هطَّال أي يسكب الماء كثيراً.

---

(١) دفَّ الطائر دفيفاً: حرك جناحيه ورجلاه على الأرض. (أساس البلاغة ص١٣٢).

(٢) في نسخة: وتكفل (هامش في ب)، والعبارة في شرح النهج: وكفل له برزقه.

(وَعَدَّدَ قِسَمَهَا): يشير إلى السحاب أي أنه قسمه على حسب المصلحة، وساقه على قدر الحاجة، كما أشار إليه: ﴿سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ﴾[الأعراف:٥٧].

(فبلَّ الأرض): الضمير في بلَّ إما لله تعالى، وإما للسحاب [المتقدم ذكره أي ماء السحاب][1].

(بعد جفوفها): [جفَّ الماء إذا يبس][2]، وأراد أنها صارت مبتلة بالماء بعد أن كانت جرزاً يابسة.

(وأخرج نبتها): ما تختص به من النبات على اختلاف أنواعه وضروبه.

(بعد جدوبها): الجدب: نقيض الخصب، أي بعد إقحالها وذهاب خضرتها ونضارتها.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).

(٢١٨) ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة غيرها، قال فيها:

(ما وحَّده من كيَّفه): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد بالكيفية المثلية، ولا شك أن المثلية رافعة للوحدة.

وثانيهما: أن يكون مراده أن الكيفية هيئة قارَّة في الأجسام، وكل هيئة تتمكن في ذات شيء فإنها تكون أمراً وراء ذاته فيلزم من تعقلها الأثنينية وذلك رافع للوحدة.

(ولا إياه عنى من شبَّهه): لأن الله تعالى حقيقته مخالفة لسائر الحقائق كلها فمن مثَّله بغيره من سائر المخلوقات فقد أخرجه شَبَهُهُ ذلك عن أن يكون هو الْمَعْنِي بما يشار إليه من الإلهية والمعبودية، فلهذا قال: ولا إياه عنى من شبهه، يشير إلى ما ذكرناه.

(ولا حقيقته أصاب من مثَّله): يريد أن حقيقة الله تعالى ممتازة من بين سائر الحقائق كلها، فمن جعل لها مثلاً فهو جهل بها وبحالها، فمن مثَّلها فما وقع على حقيقة حالها في اعتقاده وتصوره لها.

(ولا صمده من أشار إليه): الصمد هو: القصد، فإذا كانت الإشارة إنما

تليق بما يختص الأمكنة والجهات، والله[1] تعالى منزه عن ذلك كله، وإذا كان الأمر هكذا فمن أشار إليه، فهو لاشك غيرقاصد إلى ذاته وحقيقته.

(وتوهمه): والتوهمات أيضاً منفية عنه؛ لأن الوهم إنما يكون متعلقاً بالأمور المحسوسة، والله تعالى بخلاف ذلك فلا يتعلق به الإحساس بحال.

(كل معروف بنفسه مصنوع): أراد في هذا أن كل ما كان طريق معرفة ذاته من جهة نفسه فهو مصنوع كالإنسان مثلاً، فإن طريق معرفته إنما هو من جهة الحد والحقيقة، وهو كونه حيواناً ناطقاً فقد حصل معرفة حاله من جهة ذاته إذ ليس للإنسان حقيقة سوى ما ذكرناه، فلهذا كان معروفاً من جهة ذاته ونفسه، فأما الله تعالى فذاته تعالى ليس طريق معرفتها الحد والحقيقة، وإنما طريق معرفتها هو البراهين والأدلة، فلهذا لم يكن معروفاً بنفسه كسائر المخلوقات، فلهذا قال: (كل معروف بنفسه فهو مخلوق) يشير إلى ما قلناه.

(وكل قائم في سواه معلول): يريد أن كل ما كان محتاجاً في وجوده إلى محل أو مكان أو جهة فإنه معلول يفتقر إلى غيره كافتقار المعلول إلى علته، وهذا إنما يكون في الأجسام والأعراض لافتقارها إلى المحل والجهة والمكان، فلهذا كانت معلولة.

(فاعل لا باضطراب آلة): موجد للأشياء كلها ومخترع للمكونات من غير أن يكون مضطرباً[2] في فعله لها إلى آلة يفعلها بها ويزاولها لمكانها.

---

(١) في (ب): فالله.

(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: مضطراً.

(مقدِّر لا بجول فكرة): محكم لأفعاله كلها من غير أن يكون محتاجاً في إحكامها إلى جولان الفكرة وجريها ساعة بعد ساعة.

(غني لا باستفادة): أراد أنه غني في ذاته ولا يكون غنياً باستفادة شيء يكون به غنياً، إذ لو كان الأمر كذلك لكان فقيراً إلى ذلك الشيء[1] الذي يكون به غنياً، وفي ذلك وصف ذاته بالحاجة وهو محال.

(لا تصحبه الأوقات): أي لا تكون مصاحبة لذاته مقارنة لها، وكيف تكون مصاحبة له وهو سابق عليها وهي متأخرة عن وجوده.

(ولا ترفده الأدوات): تعينه وتقويه الآلات على ما يفعله من الأفعال المحكمة.

(سبق الأوقات كونه): لأن الأوقات عبارة عن حركات الأفلاك، والأفلاك مخلوقة حادثة، وذاته تعالى واجبة الوجود، فلهذا كانت ذاته سابقة للأوقات.

(والعدم وجوده): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مراده أن وجوده سابق على العدم سبق الرتبة، لا سبق الزمان كما نقوله في سبق العلة على معلولها، وسبق الشمس على نورها؛ لأن ذاته تعالى متحققة المعلومية والوجود، بخلاف العدم فإنه نفي صرف ليس أمراً متحققاً معلوماً فإذا كان تعالى متحقق الوجود في الأزل كان العدم[2] مضافاً إلى ذاته؛ لأن حقيقته آيلة إلى وجوده تعالى

(١) الشيء، سقط من (ب).
(٢) العدم، سقط من (ب).

ولا شيء معه، والعدم لا يعقل استقلاله بنفسه، وإنما يعقل مضافاً إلى غيره، فلا جرم كانت ذاته سابقة بالرتبة عليه لما ذكرناه.

وثانيهما: أن يكون مراده أن ذاته سابقة سبق الأزمنة؛ لأن العدم لايخلو حاله إما أن يسبقه غيره أو لا يسبقه، فإن سبقه غيره فهو ممكن وإن لم يسبقه غيره وكان بلا أول، فما من معدوم من الممكنات عدمه لا أول له إلا ويمكن وجوده فيكون متناهي العدم من جهة أخرى، وإن كان لا ابتداء له من جهة أوله. والقديم تعالى وجوده، بلا أول على الإطلاق لا يسبقه غيره، فلهذا قال: سبق العدم وجوده.

(والابتداء أزله): لأن الابتداء في كل شيء له أول، فأما الأزل فإن حقيقته نفي الأولية عنها بكل حال.

(بتشعير[1] المشاعر): أي بجعله الحواس شاعرة مدركة لهذه المدركات.

(عرف أنه لا مَشْعَرَ له): علم أن علمه وإدراكه للمعلومات[2] والمدركات ليس بوساطة[3] الحواس ولا هو حاصلاً من جهة، وإنما ذلك حاصل من جهة ذاته لا غير.

(وبمضادته بين الأمور): يعني أنه جعل التضاد بين أمرين[4] يتعاقبان على محل واحد، وبينهما غاية المخالفة، والله تعالى وإن كان مخالفاً لها في الحقيقة والماهية فليس ضداً لها، ولايعاقبها في محالها لاستحالة ذلك على ذاته.

(١) في شرح النهج: وبتشعيره.
(٢) في (ب): المعلومات.
(٣) في (ب): بواسطة.
(٤) في (ب): الأمرين.

(عرف أنه لاضد له): إذ لو كان ضداً لها لم يمكن اجتماعها[1] في الوجود، فكان يلزم على هذا عدم ذاته، وهي واجبة الوجود، فلهذا استحال أن يقال له: ضد.

(وبمقارنته بين الأشياء): المقارنة بين الأشياء لا يخلو حالها، إما أن تكون في الزمان أو في المكان، أو في المعنى، والزمان والمكان أحوال عارضة، وإما المقارنة في المعاني وهي المشابهة، فالمقارنة لا تخلو من هذه المعاني أو ما شاكلها.

(عرف أنه[2] لا قرين له): لأن هذه المعاني كلها منتفية في حقه فلهذا قارنها[3] واستحالت المقارنة في حقه لما ذكرناه.

(ضاد النوربالظلمة): يريد أنه جعل هذا ضداً لهذا فلا يمكن أن يكون الشيء الواحد مظلماً مضيئاً ولا يكون أسوداً أبيضاً.

(والوضوح بالبهمة): درهم وضح إذا كان أبيض خالصاً، والبهمة: السواد، ومنه قولهم: ليل بهيم إذا كان شديد السواد.

(والجمود بالبلل): أي وجعل الجامد ضداً لما يكون مائعاً يظهر بلله ورقته.

---

(١) في (ب): اجتماعهما.

(٢) في شرح النهج: أن.

(٣) كتب فوقها في (ب) علامة تشكيك (ت) وكتب في حاشيتها ما لفظه: وجه التشكيك أن المقارنة لما انتفت في حقه تعالى لم يصح أن يقال: فلهذا قارنها، ولعل ذلك زيادة من الناسخ وأن الأصل: فلهذا استحالت المقارنة في حقه، أو أن المعنى فلهذا قارنها أي قارن بين بعضها بعضاً والله أعلم. تمت.

(والحر[1] بالصرد): يريد والحر بالبرد، والصرد: البرد فارسي معرب.

(مؤلف بين متعادياتها): أي هو مؤلف جامع بين المتعاديات وهي التي لا تجتمع لأشياء عارضة فيها، وليس استحالة اجتماعها من جهة ذاتها، ولكن من أمور عارضة، أخذاً لهذا[2] من العداوة؛ لأن كل واحد من العدوين في جانب.

(مقارب[3] بين متبايناتها): يريد أنه ملائم بين ما كان منها في غاية المباينة لصاحبه.

(مقرّب بين متباعداتها): أراد أن هذا في غاية البُعْدِ من هذا، وذاك في غاية البُعْدِ من هذا، ولكنه جمع بينهما بلطيف حكمته وعجيب صنعته.

سؤال؛ هل يمكن تفرقة بين قوله: (مقارب[4] بين المتباينات، ومقرِّب بين المتباعدات) حتى جعل بناء أحد هما مخالفاً لبناء الآخر[5]، فأحدهما على لفظ المفاعلة والآخر على لفظ التفعيل؟

وجوابه؛ هو أن التفرقة بينهما ظاهرة، فإن المباينة كما يكون هذا مبايناً لذاك فذاك مباين لهذا، فلهذا خصهما بما كان من المفاعلة؛ لأ ن كل واحد منهما مختص بالتقريب مع صاحبه، فلما كانت أضداداً متباينة فلا بد في كل واحد منهما من دقيق صنعة وحكمة بها يكون قريباً من الآخر،

---

(١) في (ب): والحرر، وفي شرح النهج: والحرور.

(٢) في (ب): أخذاً لها.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: مقارن.

(٤) في (ب): مقارن.

(٥) في (ب): مخالف.

بخلاف المتباعدات فإنها ليست أضداداً فلهذا كان التقريب من أحدهما هو قرب من الآخر، وقرب أحدهما كافٍ عن قرب الآخر فلهذا لم يكن للمفاعلة ها هنا وجه.

(**مفرّق بين متدانياتها**): يريد أن الأشياء وإن كانت قريبة متدانية، فإنه يجعلها على حالات وصفات تكون مفترقة لا يمكن تلاؤمها واجتماعها.

(**لا يشمل بحد**): إما لا تحصره الأمكنة والجهات، وإما لا يشمله الحد المعرف لما هيته؛ إذ يستحيل معرفة حقيقته من جهة ذاته كما قدمناه[1].

(**ولا يحسب بعدٍّ**): أي لا يقال فيه: إنه واحد من هؤلاء ولا واحد من أولاك، ويجوز أن يكون مراده أنه لاتركيب في ذاته ولا اثنينية فلا يجري فيها العدُّ بحال.

(**وإنما تحد الأدوات أنفسها**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مراده بالأدوات الآلات التي تدرك بها الأشياء، فإن لكل آلة حداً فهي تحد نفسها أي تدركها.

وثانيهما: أن يكون مراده تعريف الأشياء بالحدود المعرِّفة لحقائقها، وحقيقة ذات الله تعالى خارجة عن الحدود فلا يمكن تعريفها بها وإنما تعرف بالبراهين.

(**وتشير الآلات إلى نظائرها**): يريد أن كل من كان لا يفعل شيئاً من الأفعال ولا يدرك شيئاً من المدركات إلا بالآلات، فهو جسم لا محالة مثلها، والله تعالى منزَّه عن الفعل والإدراك بآلة.

(١) في (ب): قدمنا.

(**منعتها منذ القدمة**): الضمير في منعتها للآلات والأدوات وسائر المكونات المذكورة من قبل، وإنما[1] كان الأمر كما قاله في منذ؛ لأن وضع منذ ومذ لابتداء الغاية في الزمان، ولهذا تقول: ما رأيته منذ يومان، ومذ شهران، أي إن أول انقطاع الرؤية هو يومان، وما كان مشاراً إلى أوليته فهو منافٍ للقدم؛ لأن القدم بلا أول، (والقِدمة) الرواية فيها بكسر القاف وسكون الدال، وهي الحالة من التقدم، كما أن الضِربة والجِلسة حالتان من الضرب والجلوس.

(**وحمتها قد الأزلية**): لأنها مختصة بالأزمنة، والأزمنة حادثة لا محالة لها غاية ونهاية، والأزلية بلا أول ولا نهاية لها، وأيضاً فإن وضعها لتقريب[2] الماضي من الحال تقول: قد قام زيد، ومنه قولهم: قد قامت الصلاة لمن ينتظر ذلك، يريدون أن زمنها وإن كان ماضياً فهو قريب من الحال.

(**وجنبتها لولا التكملة**[3]): لأنها دالة على تعليق الشيء بغيره، ولهذا يقال: لولا علي لهلك عمر[4]، وما كان معلَّقاً بغيره فهو مفتقر إليه،

(١) في (ب): فإنما.
(٢) في (ب): لتقرير.
(٣) في (ب): لولا التكملة بها.
(٤) (لولا علي لهلك عمر) قول مشهور ومعروف قاله الخليفة عمر بن الخطاب في الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وذلك عند رجوعه إلى قول الإمام علي وتبيينه في كثير من المسائل والقضايا، رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج١٢/٢٠٥، والحاكم الجشمي في تنبيه الغافلين ص٤٢، والإمام الموفق بالله في الاعتبار ص٦١٩، وقال المحقق محمد باقر المحمودي في ترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من تأريخ دمشق للحافظ ابن عساكر٣/٥٥ ما لفظه: ومن أقواله -أي عمر بن الخطاب- بعد حل عقدته ببيان مدينة علم رسول الله ووصيه قوله: لولا علي لهلك عمر، وهذا القول أكثر جرياناً على لسانه حتى ضبط عنه في سبعين مورداً مع شدة الامتناع عن رواية مثله، وغاية الاهتمام على إخفائه. انتهى، ثم ساق عدداً من مصادره =

وما كان هذا حاله فليس من الكمال في شيء.

(تجلى[1] صانعها للعقول): بما أبرز من المكونات الدالة على وجوده وقدرته.

(وبها امتنع من[2] نظر العيون): يريد أن كل ما يدرك من الأجسام والأعراض المخلوقة فلا بد من وجوده في جهة المقابلة، إما على جهة الاستقلال كالجسم، وإما على جهة التبعية لغيره كالعرض، وإذا كان الله تعالى يستحيل عليه أن يكون في جهة على أحد هذين الوجهين بطل أن يكون مرئياً، فكان استحالة رؤيته وامتناعها إنما هو من جهة الأجسام والأعراض لما كان حكمها غير حاصل في ذاته، فكأنه امتنع بها.

(لا يجري[3] عليه السكون والحركة): لا ختصاصهما بالجهات والأمكنة، وهو تعالى يستحيل عليه الحصول فيهما لما قررناه غير مرة، أو لأن الحركة والسكون من توابع الأزمنة، ويستحيل فيه تعالى مقارنة الأزمنة، أو لأن معقول الحركة هو النقلة، والنقلة إنما تكون في حق من كان جسماً، والسكون أيضاً من مفهومه اللبث في جهة وقتين، ولا وقت في الأزل ،فلهذا استحال جري الحركة والسكون عليه لما ذكرناه.

وأسانيده منها أحمد بن حنبل في الحديث(٣٢٧) من باب فضائل علي (عليه السلام) من كتاب الفضائل، بسنده عن أبي ظبيان الجنبي، وتحت الرقم(١٣٢٧) من كتاب المسند، قال: وعنهما في كنز العمال جـ١ ص١٥٤، كما في إحقاق الحق١٨٦/٨. انتهى. وذكر من مصادره أيضاً شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي ص٢٤٧، وكفاية الطالب ص١٩٢، والخوارزمي في أواخر الفصل السابع من مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) ص٥٠ط الغري، إلى أن قال: أقول: والأخبار في ذلك كثيرة جداً، ومن أراد المزيد فعليه بالغدير جـ٦، وإحقاق الحق١٨٣/٨، وتواليها. انتهى.

(١) في (ب) وفي شرح النهج: بها تجلى.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: عن.

(٣) في (ب): ولا يجري، و في شرح النهج: ولا تجري عليه الحركة والسكون.

(وكيف يجري عليه ما هو أجراه): يريد أن الحركة والسكون إذا كانتا جائزين[1] على ذاته فهما من لوازمها، وإذاكانا من لوازمها فلا شك في حدوثهما وقدم الذات، فلهذا قال: كيف يلازمه ما هو متأخر عن وجود ذاته بأوقات كثيرة.

(ويعود فيه ما هو أبداه): أي وكيف يعود إلى ذاته ما هي سابقة عليه، وكيف يلازمها وهو حاصل بعد أن لم يكن.

(ويحدث فيه ما هو أحدثه): أي وكيف يحدث في ذاته ما هو موصوف بالحدوث من جهته، وذاته تعالى يستحيل فيها كونها محلاً للحوادث، وحاصلة فيها مما يكون دالاً على حدوثها وبطلان قدمها.

(إذاً لتفاوتت ذاته): يريد اختلفت أحوالها فبينا هي قديمة إذ هي حادثة، وبينا هي لا أول لها إذ صار لها أول، إلى غير ذلك من الاختلافات.

(ولتجزأ[2] كنهه): الكنه: غاية الشيء التي[3] ينتهي إليها، وأراد أنه إذا كان له أجزاء وأوصال وأبعاض، وتؤلف، فلابد من لزوم التجزئة لذاته لأن ما هذا حاله غير منفك عنها.

(ولامتنع من الأزل معناه): من حيث أن ما قارن[4] الحادث وهو الحركة فهو أبداً حادث، وفي ذلك امتناع كونه أزلياً.

---

(١) في (ب): جاريين.

(٢) في (أ) وتجزأ، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.

(٣) في (ب): الذي.

(٤) في (ب): قارب.

(ولكان له وراء إذ وجد له أمام[1]**)**: يريد أن الحركة إذا كانت مقارنة له فلا بد من القضاء بحدوثه، وفي ذلك ثبوت الأولية له، وهو المعبَّر عنها بقوله: إذ وجد له أمام، وإذا كان له ابتداء فلا بدله من انتهاء، وهو المعبَّر عنه بقوله: ولكان له وراء.

(ولا التمس له التمام إذ لزمه النقصان): يعني أنه إذا ثبت حدوثه فلا بد من لزوم النقصان له؛ لأنه لانقصان أعظم من افتقاره إلى مُحْدِثٍ يُحْدِثُه ويُوجده وإذا تقرر نقصانه من الوجه الذي ذكرناه، طلب له التمام؛ لأنه لو كان تاماً في ذاته لم يطلب له التمام، وإذ في هذه الأمور كلها ظرف معمولة لما قبلها.

(وإذاً لقامت آية المصنوع فيه): لأن المصنوع آيته وعلامته ما كان مفتقراً إلى صانع يصنعه، ومحكم يحكمه، فإذا كان مُحْدَثاً ظهر ذلك فيه.

(ولتحول دليلاً): يريد أنه إذا كان مُحْدَثاً فهو دالٌّ على مُحْدِثِهِ ومُدَبِّره.

(بعد أن كان مدلولاً عليه): يريد بعد أن كان فاعلاً لفعله للأفعال المحكمة المتقنة فهو مدلول عليه بها، وليس دلالتها عليه إلا لأنه فعلها وأوجدها.

(وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره): كلام مستأنف وارد على جهة الفخامة والمبالغة في عظم شأن الله وجلال كبريائه، وأراد أنه لمكان سلطان امتناعه من[2] سمة الحوادث وجريها عليه

---

(١) في (أ): قدام، وما أثبته من (ب) ومن شرح النهج.

(٢) في نسخة: عن، (هامش في ب).

واتصالها بذاته، خرج عن أن يكون مؤثراً عما يؤثر في غيره من سائرالحوادث، إما في إخراج ذاتها عن العدم، وإما في تحصيل صفاتها وإثباتها لها، فهذا كله أخرجه جلال الامتناع وسلطانه عنه لمكان عدم الأولية في ذاته، واستحالة تناهيها في كل أحوالها.

(الذي لا يحول ولا يزول): التحول والزوال: هو التنقل والذهاب، وأراد أنهما مستحيلان على ذاته لأن التنقل والذهاب من مفهومهما ولوازمهما الحصول في الجهة والكون فيها، وما كان يستحيل في حقه الجهة فهما لا محالة مستحيلان.

(لم يلد فيكون مولوداً): يعني أن كل مولود فإنه يلد، فلما لم يلد لم يكن مولوداً، وقوله: (فيكون): منصوب لأنه جواب النفي قبله.

(ولم يولد فيكون محدوداً): ولو كان مولوداً لكان لوجوده أول ونهاية فيصير محدوداً في وجوده.

(جل عن اتخاذ الأبناء): تعالى حاله عن أن يكون له أب، إذ لوكان له أب لكان موجوداً منه، ولكان لوجوده أول، وقد تقرر أنه لا نهاية لوجوده.

(وطهر عن ملامسة النساء): لأن ذلك إنما يكون في حق من غلبت عليه الشهوة، وكان مائلاً طبعه إلى ذلك، وهو يتعالى عن الشهوات وميل الطباع.

(لا تناله الأوهام فتقدِّره): لا تستولي على كُنْهِ حقيقته وحاله، فتقدِّره من التقدير أي فيكون مقدراً بالإضافة إليها له غاية ونهاية.

(ولا تتوهمه الفطن فتُصَوِّرَه): أي وليس حاصلاً في أوهام العقول فيكون مدركاً في حقها بالتصورات المستحيلة على ذاته؛ لأن كل ما يصوَّر في الوهم فالله بخلافه؛ ولأن التصورات إنما يكون مبناها على الأمور المشاهدة، والله تعالى لا نظير له في الشاهد ولافي الوهم والتصور.

(ولا تدركه الحواس فتحسه): يعني السمع والبصر والذوق والشم واللمس، ولو أدركته لكانت محسة له[1] عالمة به من طريق الإحساس.

(ولا تلمسه الأيدي فتمسه): أي ولاتناله الأيدي فتكون ممسكة له.

(لا يتغيَّر بحال): إما لا يتغيَّر في حالة من الحالات ولا وقت من الأوقات، وإما لا يتغيَّر بطرؤ حال عليه فتغيِّره.

(ولا يتبدل في الأحوال): أي ولا تتغير ذاته على تكرير الأحوال وجريها عليه.

(لا تبليه[2] الليالي والأيام): بتكررها عليه وتجددها على ذاته كما تفعل بسائر المكونات فإنها مبلية لها مُخْلِقَة لجدتها[3].

(ولا يغيره الضياء والظلام): فيزداد بكثرة الظلام سواداً، وبكثرة الضياء نوراً.

(ولا يوصف بشيء من الأجزاء): أراد إما أنه ليس جزءاً من شيء فيوصف بالجزئية، وإما أنه ليس مؤتلفاً فيوصف بالتجزئة.

---

(١) في (ب): به.
(٢) في (ب): ولا تبليه.
(٣) أي حسنها.

(ولا بالجوارح والأعضاء): يعني هذه الآلات، ولا له أعضاء كاليد والرجل والوجه والقدم وغير ذلك.

(ولا بعرض من الأعراض): أي ولا يعرض عليه شيء من هذه الأعراض كالحركة والسكون، والانتقال والهبوط، والمجيء والذهاب.

(ولا بالغيرية): المقتضية للمساواة والمشابهة والمماثلة.

(والأبعاض): ولا يقال: إنه بعض من شيء، ولا هو بعض لشيء[1].

(ولا يقال: له حد ولانهاية): لأن الحدود والنهايات إنما تكون للأشياء الحادثة والأمور الممكنة، فأما من كان يشار إليه بواجبية الوجود، فإنه لا يقال فيه حد ولا نهاية.

(ولا انقطاع لوجوده): ولا غاية لسرمديته.

(ولا أن الأشياء تحويه): أي ولا يقال في الأشياء: إنها مستولية على ذاته محيطة بها من جميع جهاتها.

(فتقله): منصوب لأنه جواب النفي، ومعنى تقلَّه: أي تحمله، من قولهم: أقلَّ هذا إذا حمله.

(أو تهويه): تسقطه.

(أو أن شيئاً يحمله): أي ولا يقال في حقه: إن شيئاً يحمله:

(فيميله): أي فيكون مائلاً به لثقله عليه.

(أو يعدله): أو يكون معتدلاً به في حمله من غير ثقل ولا خفة.

---

(١) في (ب): ولا هو بعض شيء.

(ليس في الأشياء بوالج): أي ليس مداخلاً للأشياء ملابساً لها، فيكون معها مقارناً لها.

(ولا عنها بخارج): أي ولا هو بمباين لها، فيكون ذلك إغفالاً[1] عن تدبيرها والقيام بحالها وحفظها، وفي هذا دلالة على صحة ما يقوله المتكلمون من أنه تعالى لا يقال فيه: إنه داخل العالم ولا خارج عنه؛ لأنه لو كان داخلاً فيه أو خارجاً عنه لكان حاصلاً في جهة وهو يتعالى عن الجهة وهو محال في حقه.

(مخبر لا بلسان ولهوات): مخبر عن جميع ما سلف من الأمم الماضية والقرون الخالية، أو مخبر عن الأمور الغيبية التي لا يعلمها سواه، أو مخبر عن الحكم الإلهية والأسرار العلمية، من غير آلة كما يخبر عنه، وذلك هو اللسان، واللهاة وجمعها لهوات.

(ويسمع بلا حروف وأدوات[2]): أي ويسمع جميع الأصوات كلها خفيها ونابهها، وأعلاها وأدناها وإن لم يكن المسموع حرفاً، ويروى بالقاف[3]، وأراد أن سماعه للأصوات ليس بمنافذ في الآذان[4]، وكلاهما جيد، ولا يسمع ذلك بآلة هي[5] الأذن وما شاكلها.

(يقول): بالأمر والنهي والإعطاء والمنع والقبض والبسط.

(ولا يلفظ): بلسان ولا جارحة.

---

(١) في (ب): إغفالاً لها عن ...إلخ.
(٢) في (ب): ولا أدوات، والعبارة في شرح النهج: ويسمع بلا خروق وأدوات.
(٣) أي خروق.
(٤) في (ب): للآذان.
(٥) في (ب): وهي.

(ويحفظ): الأشياء كلها، وتكون صادرة عن حفظه وإتقانه.

(ولا يتحفظ): يكتسب التحفظ من غيره.

(ويريد): تصدر الأفعال عن داعيته وإرادته.

(ولا يضمر): أي وليس ذا قلب فيضمر فيه ما يقع في نفسه من ذلك.

(يحب ويرضى): الأفعال الصالحة أي يريدها ويأمر بها، أو يحب الأولياء والصالحين ويرضاهم على معنى أنه يريد النفع لهم.

(من غير رقّة): تكون لاحقة به؛ لأن ذلك إنما يكون في حق من كان له قلب فيرقُّ لمكانه.

(ويبغض ويغضب): يبغض الأعمال السيئة، ويغضب على فاعليها، أويبغض الكفرة وأهل الفسوق على معنى أنه يريد إنزال الضرر بهم والعقوبة.

(من غير مشقة): تلحقه في ذلك؛ لأن المشقة إنما تكون في حال من لا يقدر على الانتقام وتغيير ما يكره فيلحقه من ذلك مشقة وألم.

(يقول لما أراد كونه: كن فيكون): حكاية لكيفية إيجاده للمكونات، وذلك بأن يقول لها: كوني فتكون على السرعة من غير مخالفة له في أمره ولا تأخر عن إرادته، ولا تلبث عن إجابة داعيته .

(لا بصوت[1] يقرع): أي لا تقرع له الأصوات فتنبهه، أو لا بصوت يفزعه فيلحقه به مشقة لأجل فزعه منه، وكلا الروايتين صحيح المعنى، وسماعنا هو الأول.

---

(١) في (ب): ولا بصوت.

(ولا نداء[1] يسمع): أي ولا بنداء يكون سامعاً لأجله، ففي كلامه هذا دلالة على أن إدراكه لما يدرك وغضبه ورضاه ومحبته وبغضه، مخالف لسائر المخلوقات، وإنما[2] تكون على الحد اللائق بذاته والخليق بحكمته من ذلك على ما ذكرناه.

(وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشأه): يريد أنه من جملة أفعاله فعله بالداعية، وأنشأه على بعث الحكمة وقانون الإتقان والمصلحة.

(ومثله، لم يكن من قبل ذلك[3] كائناً): هذا بعينه إشارة إلى هذيان الأشعرية من أن كلام الله صفة حقيقية قائمة بذاته وأنها غير حرف ولا صوت، وأنها حاصلة فيما لا أول له، وأنها قديمة مع ذاته، فلهذا قال بهذه المقالة يشير بها إلى حدوثه من أوجه:

أما أولاً: فقوله: إنه كلامه والكلام ما فعله المتكلم.

وأما ثانياً: فقوله: بأنه فعله وهذا تصريح بحدوثه.

وأما ثالثاً: فقوله: إنه أنشأه.

وأما رابعاً: فقوله: لم يكن من قبل كائناً، ولو كان قديماً لكان كائناً في الأزل.

فهذا كله يدفع وجوههم ويدرأ به في نحورهم عن شنيع هذه المقالة، وقبيح هذه الجهالة.

(١) في شرح النهج: ولا بنداء.

(٢) في (ب): وإنه.

(٣) العبارة في (أ): ومثله لم يكن من قبل ذلك لم يكن كائناً، وفي (ب) وفي شرح النهج كما أثبته.

(ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً[1]): ثم أخذ في إبطاله على أسلوب آخر على جهة الإلزام فقال:

لو كان قديماً يريد كلام الله تعالى، لكان إلهاً ثانياً، وهذه منه إشارة إلى خلاصة ما يقوله المتكلمون من العدلية في إبطال مذهبهم من أن القدم إن كان أمراً زائداً على الذات فهو وصف خاص، والاشتراك فيه يوجب الاشتراك في الأوصاف الإلهية فيلزم كونه[2] إلهاً، وإن كان هو نفس حقيقة الذات فقد شارك الله في نفس حقيقته، فيلزم من هذا كله أن يكون إلهاً، فأهون بمذهب هذه خلاصته، وأبعد باعتقاد هذا نخبه[3] ونقاوته.

(لا يقال: كان بعد أن لم يكن): خروج إلى حال وصف القديم تعالى فإنه لايقال فيه: كان بعد أن لم يكن؛ لأنه لو كان الأمر فيه كما قلناه لكان محدثاً، ولهذا قال بعد هذا:

(فتجرى عليه الصفات المُحْدَثات): يريد أنه يصير متجدداً فيحتاج إلى مُحْدِثٍ وصانع كما كان ذلك لازماً في سائر الأمور المتجددة الحادثة.

(ولا يكون بينه وبينها فصل): يريد أنه إذا كان متجدداً فلا فصل هناك بينه وبينها لاشتراكهما أجمع في كونهما حادثين .

(ولا له عليها فضل): لأنهما إذا كانا حادثين معاً، فأي فضل لأحدهما على الآخر، مع استوائهما في وجه الحاجة إلى غيرهما وهو الحدوث.

(١) ثانياً، زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(٢) في (ب): كونها.

(٣) أي خياره.

(فيستوي الصانع والمصنوع): لأن الإله إذا كان حاصلاً بعد أن لم يكن، والمخلوقات كلها حاصلة بعد أن لم تكن استويا لامحالة في نظر العقول، ولم يكن لأحدهما مزية على الآخر.

(وتكافأ[1] المبدع والبديع[2]): المبدع: هو الفاعل للإبداع والخلق، والبديع هو: المخلوق على جهة الإبداع والاختراع.

(خلق الخلق[3] على غير مثال خلا من غيره): أراد أنه أوجد الخلائق كلها على غير مثال حذا عليه ومضى، وكان سابقاً له[4] في الإيجاد فيأخذ[5] فعله للإيجاد منه.

(ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه): يعني أنه مستبدع[6] في جميع ما خلق وقدَّر، وأحكم وصوَّر من هذه الإحكامات الغريبة، والبدائع العجيبة من غير إعانة من جهة أحد من الخلائق له في ذلك، وقد مضت هذه المعاني كلها في مواضع متكررة على أنحاء مختلفة، وألفاظ متباينة.

ثم إنه خرج في وصف حال الأرض وخلقها بقوله:

(وأنشأ الأرض): ابتدأها واخترعها.

(فأمسكها من غير اشتغال): بإمساكها عن إمساك ماهو أعظم منها

(١) في (ب) وفي شرح النهج: ويتكافأ.
(٢) في (ب): المبدِع والمبدَع، وقوله في النسختين: المبدع، في شرح النهج: المبتدع، وفي نسخة أخرى: البديع، ذكره في هامش (ب).
(٣) في شرح النهج: الخلائق، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٤) له، سقط من (ب).
(٥) في (ب): فتأخر.
(٦) في (أ) وفي نسخة أخرى: مستبد.

وأبلغ، كالسماوات والعرش والكرسي وغيرها من المخلوقات[1]، أو من غير اشتغال عن تدبيرها وتدبير غيرها من سائر المكونات العظيمة.

(وأرساها على غير قرار): أسكنها على غير مستقر ولا على ما أشار إليه من كونها مدحوة على البحر إلى منتهى علم الله تعالى في ذلك.

(وأقامها بغير قوائم): تدعمها وتكون مستقرة عليها.

(ورفعها بغير دعائم): عن الوقوع أو عن الماء والحصول فيه من غير دعامة هناك ولا اسطوانة.

(وحصّنها من الأود): يريد منعها من الاعوجاج.

(والاعوجاج): يريد وأزالها عن الميل والاضطراب في وقوفها[2] على الماء.

(ومنعها من التهافت): الوقوع.

(والانفراج): التصدع.

(أرسى أوتادها): أسكن جبالها فيها؛ لتكون مانعة لها عن التحرك والزوال.

(وضرب أسدادها): أرسل الحواجز فيها[3]؛ لتكون حاجزة لها.

(واستفاض عيونها): أي جعلها فائضة يسقى بها.

(وخدّ أوديتها): لمجاري سيولها، وسلوك طرقها، وعمارتها بالأشجار والزروع العظيمة.

(١) في (ب): وغيرها من سائر المخلوقات.
(٢) في (ب): وقوعها.
(٣) في (ب): منها.

(فلم يَهِنْ ما بناه): يضعف ما شَيَّده[1] وقرَّره.

(ولا ضعف ما قوّاه): بالخراب والبطلان والتهدم.

(هو الظاهر عليها): الضمير في عليها لجميع المكونات المذكورة أولاً.

(بسلطانه وعظمته): أي هو المستظهر عليها بالملك والقهر والاستيلاء.

(وهو الباطن لها بعلمه): يريد أن علمه محيط ببواطنها وأسرارها وضمائرها.

سؤال؛ أراه أضاف الظهور إلى السلطان والعظمة، وأضاف البطون إلى العلم، وكما هو يعلم الظاهر من الأمور، فسلطانه أيضاً مستولٍ على الخفايا والدقائق؟

وجوابه؛ هو أن السلطان والعظمة إنما يتناولان جلائل الأشياء وأعلاها، فلهذا أسنده إلى ظهوره عليه، وبطونه تعالى إنما يستعمل في الخفايا والدقائق، فلهذا أضافه إلى العلم إسناداً إلى كل شيء ما يليق به وإلى ما هو[2] أحق به.

قوله: كما يعلم الظاهر من الأشياء، فهو يستولي بسلطانه على أدق الأشياء، قلنا: هذا مُسلَّم، ولكن ما ذكرناه أحقُّ وأدقُّ، وأظهر وأكشف وأرشق.

(ومعرفته): أي ومن أجل معرفته تكون الإحاطة والاستيلاء.

---

(١) في (ب): ما شيد.

(٢) هو، زيادة في (ب).

(والعالي على كل شيء منها): العلو ها هنا: هو القهر كما مرَّ في غيره، فإن الجهة مستحيلة على ذاته.

(بجلاله وعزته): الجلال: هو الحال المستحق بالإلهية والربوبية، والعزة: هو التعزز بالقهر والاستيلاء.

(لا يعجزه شيء منها طلبه): الطلب مرفوع على بدل الاشتمال من شيء، أي لا يعجزه طلب شيء منها، كما تقول: أعجبني زيد علمه، والمعنى أنه لا يعجز عمَّا أراد من إيجاده منها.

(ولا يمتنع عليه شيء فيغلبه): أي ولايتعذر عليه شيء منها، فيكون غالباً له بالامتناع عن نفوذ قدرته فيه.

(ولا يفوته السريع منها): إلى مخالفة مراده فيما أراده[1] منه.

(فيسبقه): على النصب لأنه جواب للنفي[2]، والمعنى فيكون سابقاً له بالفوات عن أمره ومراده، وإنما قال: السريع مبالغة؛ لأنه إذا لم يسبقه السريع فما ظنك بخلافه هو إلى عدم السبق أقرب.

(ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه): يريد وليس فقيراً فيكون محتاجاً إلى ذي يسار يعطيه الرزق، بل هو الرَّازق، المغني، القابض، الباسط.

(خضعت الأشياء له): انقادت لأمره فذلَّت، فكانت جارية على نعت الذلة.

(مستكينة): معترفة بالمسكنة.

---

(١) في (ب): أراد.

(٢) في (ب): النفي.

(لعظمته): من أجل ما اختص به من العظمة.

(ولا تستطيع الهرب من سلطانه): يريد أن أوامره ونواهيه نافذة فيها، فلا يمكنها الامتناع والهرب من قهره وقدرته، وعبَّر بالسلطان عن ذلك.

(إلى غيره): إلى من يجيرها منه ويمنعها عن نفوذ أمره.

(فتمتنع): فتكون ممتنعة بذلك الغير والاعتزاز به.

(من نفعه وضره): من نفعها إذا أراد نفعها، أو من ضرها إذا أراد ضرها، كما يفعل من اعتز[1] بملك من الملوك عن غيره، فإنه يمتنع لا محالة عمن هرب عنه[2] بالاستجارة بالآخر، ويعجز عن إيصال الضرر والنفع إليه، كل ذلك لضعف حاله وعدم قدرته، والله تعالى بخلاف ذلك كله لا ستيلاء قدرته وكمال سلطانه، كما قال: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾[المؤمنون:٨٨] يشير إلى هذا المعنى.

(ولا كُفْءَ له فيكافئه): الكفؤ: المثل، أي وليس له مثل فيكون مكافئاً له يفعل مثلما يفعل.

(ولا نظير له فيساويه): النظير: المماثل أيضاً، أي ولا نظير له فيساويه في كل أحواله جميعها.

(هو المفني لها بعد وجودها): الضمير إما للأرض، وإما لجميع المكونات وهو أحسن وأعجب، يريد أنه هو المُعْدِم لها بعد وجودها،

(١) في (ب): يعتز.
(٢) في (ب): منه.

إن قلنا: إن الإفناء هو الإعدام، وإن قلنا: إنه هو التفرّق، فأراد أنه هو المفرِّق لأجزائها بعد أن كانت مجتمعة، كما أشارت[1] إليه ظواهر الشريعة في ذكر أحوال القيامة.

(حتى يصير موجودها كمفقودها): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فتذهب وتعدم حتى يصير ماكان منها موجوداً مثل ما[2] كان مفقوداً، إما في العدم، وإما في التفرّق.

(وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها): يريد أن إعدامها مثل إيجادها بالإضافة إلى القدرة الإلهية، كما قال تعالى رداً على منكري الإعادة: ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[الإسراء:٥١] فما فناؤها:

(بأعجب من إنشائها واختراعها): ومن ها هنا أكثر الله الاحتجاج في كتابه الكريم على جهال منكري الإعادة في استبعاد ذلك، وضرب لهم الأمثلة، وكرر عليهم البراهين والأدلة، وأفحمهم فيما جاءوا به من الاستبعاد من أجل ذلك.

(وكيف): تعجب من إنكار ذلك، ثم دلَّ عليه بما هو أبهر[3] في القدرة وأعجب منه بقوله:

(ولو اجتمع جميع حيوانها): الضمير للكائنات كلها.

(من طيرها وبهائمها): تفصيل لأجناس الحيوانات.

(١) في (ب): أشار.
(٢) ما، سقط من (أ)، وهو في (ب) وفي نسخة أخرى كما أثبته.
(٣) في (ب): بما هو أبهر منه.

(وما كان من مُراحها وسائمها): المراح: موضع الإبل، وعبَّر به ها هنا عمَّا كان معلوفاً منها، والسائم: ما كان يرعى.

(وأصناف أشباحها[1]): الشبح: ماكان له حجم يرى.

(وأجناسها): المختلفة المشتملة على ضروب كثيرة، فالحيوان جنس لاشتماله [على حقائق مختلفة كالأسد والفرس والحمار، وكل واحد من هذه نوع لاشتماله][2] على أفراد متعددة متماثلة.

(ومتبلد[3] أممها): وما كان من الأمم في غاية العي واللُّكنة.

(وأكياسها): جمع كَيِّس، وهو ما كان في غاية الذكاء والفطنة.

(على إحداث بعوضة): إيجادها حية واختراعها على ماهي عليه الآن دون المثال والتصوير.

(ما قدرت على إحداثها): نفي على جهة العموم والشمول، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾[الأنبياء:٣٤] وغيره.

(ولا عرفت السبيل[4] إلى إيجادها): خلقهم لها بشراً سوياً من جهتهم.

(ولتحيرت عقولها): ذهلت وتاهت.

(في علم ذلك): في إدراك حقيقته ومعرفة كنه الإحكام فيها وكيفية الصنعة.

---

(١) في شرح النهج: أسناخها.
(٢) ما بين المعقوفين سقط من (ب).
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: ومتبلدة.
(٤) في (ب) وفي شرح النهج: ولا عرفت كيف السبيل.

(وتاهت): تحيرت أفهامها.

(وعجزت قواها): عن إدراك ذلك وتحصيله.

(وتناهت): عرفت أن لها نهاية تقف عندها ولا تبلغ ذلك ولا تقدر عليه.

(ورجعت خاسئة): الخسؤ هو: زجر للكلب[1].

(حسيرة): منقطعة حسرة.

(عارفة بأنها مقهورة): متحققة عن علم ومعرفة بأنها مغلوبة عن ذلك.

(مقرّة بالعجز): مصرِّحة به.

(عن إنشائها): عن أن تكون قادرة على إيجادها وتحصيلها.

(معترفة[2] بالضعف): عن أن تكون مُوْجِدة لها.

(وعن[3] إفنائها): إعادتها بعد إعدامها، ففي كلتا الحالتين العجز حاصل عن الإيجاد والإعدام، وفي كلامه هذا إشارة إلى أمرين:

أحدهما: عظيم قدرة الله تعالى على ما يقدر[4] من هذه المكونات، واختراعه لهذه الموجودات العظيم أمرها، الباهر قدرها.

وثانيهما: عظم ضعف حال الخلق على القدرة على أحقر بعض مخلوقاته وأدناها، وإنما مثَّل بالبعوضة لما مثَّل الله[5] وضربها مثلاً

---

(١) في (ب): الكلب.
(٢) في شرح النهج: مذعنة.
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: عن.
(٤) في (ب): يقدره.
(٥) في (ب): لما مثل الله بها وضربها...إلخ.

في كتابه الكريم، وإلا فهم عاجزون لا محالة عن أحقر من ذلك عن إيجاد الجوهر من الواحد من بعض جناحها، إذ لا أصغر منه في المقادير، ولو قدروا عليه لقدروا على ما هو أبلغ منه وأكبر.

ثم إنه (عليه السلام) خرج إلى أسلوب آخر من تحقيق حاله تعالى ووصف جلاله بقوله:

(وإنه يعود سبحانه بعد فناء الدنيا وحده): ليس الغرض بالعودة[1] تغير عن حالة كان عليها، وإنما مراده أنه يصير بعد فناء الدنيا وإعدامها، وإذهاب أحوالها كلها منفرداً لا أحد معه من الملائكة والثقلين.

(لا شيء معه): من هذه المكونات.

(كما كان قبل ابتدائها): إيجادها واختراعها، الكاف في موضع الحال في قوله: كما كان من الضمير في يعود أي يعود بعد الإفناء مشبهاً بحالته في الابتداء من غير تفرقة.

(كذلك يكون[2] بعد فنائها): بيان لقوله: إنه يعود بعد فناء الدنيا وحده واستحضار له.

(بلا وقت ولا مكان): يشير إلى الابتداء والانتهاء لبطلان ذلك كله.

(ولا حين ولا زمان): لأن الأحيان والأزمان عبارة عن حركات الأفلاك، ولا أفلاك هناك ولا شيء من المكونات أصلاً.

---
(١) في (ب): بالعود تغير حاله.
(٢) في (ب): تكون، وهو تصحيف.

(عدمت عند ذلك الآجال): الإشارة بقوله: ذلك، إلى حالة الإفناء، وأراد أنه لا آجال هناك لانقضائها وبطلانها.

(والأوقات): يريد أنه لا حقيقة لها ولا وجه لكونها.

(وزالت السنون والساعات): لبطلان أصولها وما هي حقيقة فيها من جري الشمس والقمر، وطلوعهما وغروبهما؛ لأن ذلك كله تقدير[1] للساعات والسنين.

(فلا شيء): هناك حينئذ، ولا يمكن له وجود.

(إلا الواحد): في ملكه.

(القهار): في سلطانه وعزته.

(الذي إليه مصير جميع الأمور): قد فسرنا المصير وبينا خروجه عن قياس بابه وأن قياسه الفتح، وأراد أن إليه مرجع الأمور كلها وهو غايتها ومنتهاها.

(بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها): يريد أنها في كلتا حالتيها من الابتداء والإفناء فلا قدرة لها على واحد منهما، فلا تقدرعلى ابتداء خلقها واختراعه.

(وبغير امتناع منها كان فناؤها): يريد أنه وإن أفناها فهي غير ممتنعة عن ذلك.

(ولو قدرت على الامتناع): من الإعدام والإفناء والتفرق.

---
(١) في (ب): يقدر.

(لدام بقاؤها): لعدم ما يغيره ويقهره عن دوام الوجود؛ لأن الباقي بعد وجوده بقاؤه لذاته إلا[1] لطرؤ طارئٍ يقهره، إما بطرؤ ضد له، وإما لزوال شرط لوجوده[2]، فلما لم تكن باقية عند إرادته لإعدامها دل ذلك على فوات القدرة على الامتناع من جهتها.

(لم يتكاءده): تكاءدني كذا[3] إذا شقّ عليك فعله.

(صنع شيء منها إذ صنعه): يريد أنه لم يشق عليه فعل ما يفعله عند فعله، أو في زمان فعله وإيجاده له لذاته.

(ولم يؤده منها خلق ما براه وخلقه): أي ولم يثقله[4] ما براه وأوجده من خلقها وتكوينها وإيجادها.

(ولم يكوّنها): أراد إما لم يقل لها: كوني، وإما لم يوجدها.

(لتشديد سلطان): من أجل أن سلطانه يكون عظيماً شديداً بخلقها كما تفعل الملوك بجمع العساكر، وحشد الخلائق من أجل تقوية أمرهم ونفوذ سلطانهم.

(ولا لخوف من زوال ونقصان[5]): ولا أوجدها من أجل خوفه على زوالها عن ملكه، ولا عن نقصانها بملك غيره لها.

---

(١) في (ب): لا لطرو طارٍ.
(٢) في (ب): وجوده.
(٣) في (ب): تكاءدني الشيء.
(٤) في (ب): ولم يثقله خلق ما براه... إلخ.
(٥) في (ب): أو نقصان.

(ولا للاستعانة بها على ندّ مكاثر): الند: المثل، أي وما خلقها من أجل أن يستعين بها على من هو ندٌّ له مكاثر له في ملكه.

(ولا للاحتراز من[1] ضد مثاور): ولا من أجل أن يحترز ممن يضاده عليها ويثاوره على أخذها، واستئصال أمره فيها.

(ولا للازدياد بها في ملكه): ولا من أجل أن يكون ملكه زائداً على ملك غيره بكثرتها.

(ولا لمكاثرة شريك في شركه): ولا كان ذلك من أجل المكاثرة لمن هو شريك له، فيكون ما في يده أكثر مما تحويه يد شريكه.

(ولا لوحشة كانت منه): حصلت من جهته، فتكون باعثة على خلقها وإيجادها.

(فأراد أن يستأنس بها[2]): فيكون الأنس هو الداعي إلى خلقها.

(ثم هو يفنيها بعد تكونها[3]): ثم أعجب من هذا أنه يُعْدِمُها بعد إيجادها كما مر تقريره.

(لا لسأم دخل عليه في تصريفها): يريد أن الإفناء ليس الداعي إليه هو السآمة والملل، وثقل التصرف، والتدبير عليه في أحوالها كلها.

(وتدبيرها): وإحكام ما يحكم من أمورها.

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: ولا للاحتراز بها... إلخ.
(٢) في شرح النهج: إليها.
(٣) في (ب): وهو يفنيها بعد تكوينها.

(ولا لراحة واصلة إليه): يريد أنه لا يستريح بالترك لتدبيرها وإغفال الأمر عنها.

(ولا لثقل شيء منها عليه): ولا كان ذلك من أجل أنه ثقل عليه أمرها وتدبير الأمر فيها.

(ولا يملّه طول بقائها): أي ولايكون مالاً من أجل كونها باقية فيحتاج إلى نفوذ الأقضية، والتدبيرات العظيمة، فتلحقه ملالة ببقائها ودوامها.

(فتدعوه): تلك الملالة وتكون باعثة له على الإفناء.

(إلى سرعة إفنائها): ليفرغ عن ذلك.

(لكنه): إضراب عمَّا قرره فيما مضى.

(سبحانه): تنزيهاً له عمَّا لا يليق بأفعاله.

(دبرها بلطفه): أحكم أمرها بلطيف حكمته ودقيق رأفته ورحمته.

(وأمسكها بأمره): عن السقوط والتغير والزوال.

(وأتقنها بقدرته): أحكمها في أمورها كلها بالقدرة المختصة به.

(ثم يعيدها بعد الفناء): يُوْجِدُها بعد الإعدام لها.

(من غير حاجة إليها): فتكون سبباً في الإيجاد بعد الإعدام.

(ولا استعانة بشيء منها عليها): يعني ولا استعان بشيء من حال هذه المكونات على إعادتها بعد إفنائها.

(ولا لانصراف من حال وَحْشَةٍ): يريد ولم يُوْجِدها بعد الإعدام؛

لأن يكون منصرفاً بذلك من حال وحشة بعدمها[١].

(إلى حال استئناس): بوجودها.

(ولا من حال جهل وعمى إلى علم والتماس): أي[٢] ولا كان إيجادها؛ لأن إعدامها كان عن جهل وقلة بصيرة بالأمور فيعود بإيجادها إلى علم بالإحكام، والتماس الهدى فيه.

(ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة): أي ولا كان إعدامها من أجل فقره فلا يقدر على رزقهم، وإفضال القوت عليهم، فيكون بإيجاده لهم عن زيادة مال وكثرة فيه، ويحتمل أن يقال: ولا كان إيجادها من فقر وحاجة فيوجدهم ليستغني بهم ويأخذ من عطائهم، ولا عدمهم كان منه ليستغني بما كان من ورائهم.

(ولا من ذل وَضَعَة): صَغَار وضعف في حاله، فيكون إيجادهم من جهته:

(إلى عز وقدرة): أي فيكون عزيزاً بإيجادهم، ومقتدراً على غيره بهم.

وأقول: إنه قد بلغ في هذه الخطبة في وصف حال[٣] الله تعالى، وعجيب اقتداره على خلقه في الإفناء والإعادة، وإظهار الاستغناء عنهم في كل أمر من الأمور، وذكر باهر القدرة في عجيب الخلق مبلغاً عظيماً بحيث لا يبلغه أحد من الخلق، ولا يقدر على وصفه، ولا يمكن الإحاطة بعجائبه.

---

(١) في (أ): من حال وحشته لعدمها.
(٢) في (ب): يعني.
(٣) حال، سقط من (ب).

(٢١٩) ومن[1] خطبة له عليه السلام يذكر فيها الملاحم

(**ألا بأبي وأمي[2] من عدة أسماؤهم في السماء معروفة**): يشير بما ذكره ها هنا إلى الخطبة التي قدمنا شرحها، حيث قال (عليه السلام):

(وما برح لله عزت آلاؤه في البرهة بعد البرهة، وفي أزمان الفترات، عباد ناجاهم في فِطَرِهم، وكلمهم في ذات عقولهم): إلى غير ذلك من ذكر أولياء الله في خطبه، المخصوصين من[3] عنده بالكرامة، وأراد أنهم لشرفهم عند الله وقرب منازلهم بالإضافة إليه يفديهم بأبيه وأمه إكراماً لهم، وإعظاماً لما عظّم الله من أمرهم، وغرضه أن أسماءهم عند الله معروفة لايلتبسون بغيرهم، ولا لأحد منزلة مثل منزلتهم.

وزعم الشريف علي بن ناصر الحسيني: أن مراده (عليه السلام) مما ذكره هو الإشارة إلى أحد عشر من الأئمة المعصومين بعده[4]، والثاني عشر هو الإمام المنتظر بزعمهم، فلهذا لم يذكره وإنما ذكر هؤلاء لتقدم إمامتهم،

---

(١) في (ب): بسم الله الرحمن الرحيم ومن خطبة..إلخ، وفي نسخة: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله وبه نستعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومن خطبة..إلخ.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: هم من عدة.

(٣) من: سقط من (ب).

(٤) لفظ الشريف علي بن ناصر الحسيني في (أعلام الرواية في شرح نهج البلاغة) -خ) عند شرح قوله: ألا بأبي وأمي من عدة..إلخ، قال: أشار إلى أحد عشر من أولاد الأئمة المعصومين (عليهم السلام) من بعده. انتهى.

وهذا من هذيان الإمامية وهوسهم، وقد رددنا عليهم في كتبنا العقلية مقالاتهم[1] هذه الفاسدة، وتحكماتهم الجامدة من إيجاب الإمامة عقلاً لكونها لطفاً، ومن حصر الإمامة في اثني عشر إماماً من غير زيادة، ومن دعواهم العصمة في هؤلاء، ولهم تهويسات في الإمامة وتحكمات باطلة لم يشر إليها عقل، ولا دلَّ عليها نقل، ومن أرادها باستيفاء، فليطالعها من كتاب (الشامل)[2] في الإمامة.

(**وفي الأرض مجهولة**): أي أنهم لا يعرفون في الأرض من أجل إخباتهم[3] وتواضعهم، فيكاد لا يؤبه لأحوالهم ولا يشعر لها.

(**ألا فتوقعوا ما يكون من إدبار أموركم**): يعني في آخر الزمان، وقرب أحوال القيامة، فإن الأمور الدينية تكون لا محالة إلى نقصان عظيم.

(**وانقطاع وُصلكم**): بينكم وبين الله تعالى لكثرة الفساد والظلم في الأرض.

(**واستعمال صغاركم**): يريد وتؤخذون بالصغار والذلة في أحوال دينكم.

---

(١) في نسخة: مقالتهم، (هامش في ب).

(٢) هو كتاب (الشامل لحقائق الأدلة العقلية وأصول المسائل الدينية) للمؤلف (عليه السلام) وهو في أصول الدين، ويقع في أربعة مجلدات، والكتاب لا يزال في عداد المخطوطات، ومنه الجزء الثاني رقم(٨٨) علم الكلام بالمكتبة الغربية بالجامع الكبير، ونسخة مصورة من السفر الثاني بخط المؤلف فرغ منه سنة٧١١هـ في مكتبة مركز بدر، أخرى مصورة بمكتبة السيد محمد بن عبد العظيم الهادي، أخرى مصورة بمكتبة العلامة عبد الرحمن شايم من نفس النسخة. (أعلام المؤلفين الزيدية ص١١٢٩).

(٣) الإخبات: الخشوع.

(**ذلك**[1]): إشارة إلى ما ذكره من إدبار الأمور وانقطاع الوصل:

(**حيث تكون ضربة السيف على المؤمن أهون من الدرهم من حله**): حيث ها هنا ظرف مكان متعلق بكلام مقدر تقديره: ذلك الصغار واقع حيث يكون الظلم فاشياً، والحلال قليل[2]، ويكون ذاك الذي ذكرته إذا صار اكتساب درهم حلال أصعب من احتمال ضربة السيف، وفي الحديث: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم»[3]، وفي حديث آخر: «من أكل الحلال أربعين يوماً نوَّر الله قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه»[4].

(**ذلك**[5]): الذي ذكرته من قبل.

(**حيث يكون المُعْطَى أعظم أجراً من المُعْطِي**): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون مال المُعْطِي حراماً وهو يعلم حرامه، والمُعْطَى لا يعلم ذلك وهو أهل لما يأخذه من ذلك، فالإعطاء يكون حراماً ظلماً لما فيه من الغرر، والآخذ يؤجر عليه؛ لأن غرضه سدُّ حاله.

---

(١) في شرح النهج: ذاك.

(٢) هكذا في النسخ برفع قليل، ولعل الصواب: والحلال قليلاً بنصب قليلاً؛ لأن الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها.

(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٥/٤٠٩ إلى إتحاف السادة المتقين٦/٤، وتاريخ أصفهان٢/٣٣٩، والكامل لابن عدي٢/٧٧٩، ٧٩٠، ٣/١٠٤٣، ١٠٤٤، ٤/١٥٢٥، ٥/١٨١٠، ٦/٢١٦٧، وهو بلفظ: ((كسب الحلال فريضة بعد الفريضة)) في مسند شمس الأخبار ٢/٧٣ الباب (١١٨)، وعزاه إلى مسند الشهاب. (وانظر تخريجه فيه).

(٤) وأخرج الإمام زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي (عليهم السلام) قال: ((من أخلص لله أربعين صباحاً يأكل الحلال، صائماً نهاره، قائماً ليله أجرى الله سبحانه ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه)). (المجموع الحديثي والفقهي ص٢٥٦ رقم(٦٠٢)).

(٥) في شرح النهج: ذاك.

وثانيهما: أن يكون المُعْطِي إنما يعطي رياء وسمعة، والمُعْطَى إنما يأخذه لسدِّ فاقة[1] أو ستر عورة أو بلغة إلى الآخرة.

(**ذاك حيث تسكرون من غير شراب**): يريد حين تشتد الغفلة ويعظم السكر باللهو والطرب، وإغفال أمر الآخرة والدين.

(**بل**): إضراب عمَّا ذكره من إثبات السكرة لهم من غير شراب، وإثباتها:

(**من النعمة**[2] **والنعيم**): هما لفظان متطابقان على معنى واحد كالغم والغمة، والكرب والكربة، ويجوز أن يكون مراده بالنعمة واحدة النعم، ويريد بالنعيم الجنس.

سؤال؛ ما هو المحذورمن النعمة و الذي يخشى ضرره في الآخرة، وما من أحد من الخلق إلا وعليه نعيم من الله تعالى[3]؟

وجوابه؛ هو أن المحذور من ذلك هو من يعكف همه على استيفاء اللذات، واستغراق وقته في الخضم والقضم، ولبس الطيب وأكل الطيب، ويقطع أوقاته باللهو والطرب، ولا يخطر بباله أمر الآخرة وأحوالها، فهذا هو المحذور، فأما من يظهر نعمة الله التي خلقها من أجل عباده للتجمل وللتقوّي بها على درس العلم، والقيام بالعمل به، فذاك بمعزل عنه.

اللَّهُمَّ، اجعلنا ممن أقرَّ بنعمتك وشكرها، ولا تجعلنا ممن أبطرته فأعرض عنها وكفرها.

---

(١) في (ب): لسد فاقته أو ستر عورته.

(٢) في نسخة: من النعم، (هامش في ب).

(٣) تعالى، سقط من (ب).

(وتحلفون من غير اضطرار): يريد أنهم جعلوا الله تعالى نصباً لأعيانهم فلا يزالون يرددون الحلف بالله في كل ما عنَّ وسنح، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾[البقرة:٢٢٤] أي نصباً لأعيانكم، من قولهم: فلان عرضة للناس أي يقرضونه بألسنتهم، واليمين إنما شرعت من أجل الضرورة، وهو أن من في يده المتاع فإنه يحلف على جهة الاضطرار ليرفع بها دعوى من يدَّعيه.

(وتكذبون من غير إحراج): ويصدر من جهتكم الكذب من غير إلجاء إليه، يقال[1]: أحرجه إلى الشيء إذا ألجأه إليه.

(ذلك): إشارة إلى المذكور أولاً من جميع ما أشار إليه.

(إذا عضكم البلاء): الامتحان بهذه الأشياء والاختبار من جهة الله تعالى.

(كما يعضُّ القتب غارب البعير): القتب للجمل مثل السرج للفرس، والعضُّ ها هنا مجاز في حق البلاء، وأراد أن هذه المحن والبلاوي تأخذ منكم وتنقصكم كما يأخذ القتب من غارب البعير فإنه يأكله، والغارب من الجمل مثل المنسج للفرس[2]، وهو أعلى الكتف.

(ما أطول هذا العثار[3]): تعجب من طول عثارهم في المعاصي وأنواع الفسوق في ذلك الزمان.

(١) في (ب): ويقال.
(٢) في (ب): من الفرس.
(٣) في شرح النهج: العناء.

(وأبعد هذا الرجاء): يريد وما أبعد رجاءهم عن الخلاص عمَّا هم فيه من هذه المحن والبلاوي، فهذا هو مراد أمير المؤمنين بما ذكره من عدة الأسماء، وبما ذكره في هذه الملحمة.

والعجب من هذا الشريف في[1] تنزيله لكلامه (عليه السلام) على الأئمة الأحد عشر، ومع ما فيه[2] من البعد والإفراط في التجاوز عن الحد، فهو مخالف لما عليه أئمة الزيدية، والجماهير من المعتزلة، وغيرهم من السلف، والمختص بهذا المذهب إنما هو الإمامية الاثنا عشرية لا غير، وأبعد من هذا إمامهم هذا المنتظر، فإنه بزعمهم محيط بجميع أسرار العلوم، مستولي على الإحاطة بالعلوم الغيبية، ومع ذلك فإنه ليس له في الدنيا أثر ولا يُرَى له شخص، ولا يُسْمَعُ له خبر، حتى قال بعضهم مستهزئاً بهم:

ثلاثة ليس لها[3] إنباء   إمامكم والغول والعنقاء

(أيها الناس، ألقوا هذه الأزمَّة): يقال: ألقى زمام هذا الأمر من يده إذا تركه وأهمله، وأراد اتركوا هذه الفتنة التي جنتها أيديكم، واستعملتم أنواع الشبه[4] وضروبها، مشبهة بمن يلقي زمام ناقته فلا يملك رأسها.

(التي تحمل ظهورها الأثقال من أيديكم): استعار الظهور ها هنا للإبل أي تحمل أثقال الفتنة، وأعباءها وآثامها، ومن أيديكم متعلق بقوله: ألقوا هذه الأزمة، ومن لابتداء الغاية.

(١) في (ب) وفي نسخة أخرى: من تنزيله لكلامه هذا...إلخ.
(٢) في (ب): وما وقع فيه، وفي نسخة أخرى: ووقع فيه.
(٣) في نسخة: لهم، (هامش في ب).
(٤) في (ب): الشبهة.

(ولا تصدَّعوا على سلطانكم): تصدَّع الأمر إذا تفرَّق وذهب، وأراد ولا تفرَّقوا عن رأي من يجمع شملكم، وهو إمامكم.

(فتندموا[1] غِبَّ أفعالكم): الغِبُّ: عاقبة الشيء، فيقبح[2] عندكم عواقب ما فعلتموه من ذلك، وتندموا منصوب لكونه جواباً للنهي في قوله: ولا تصدَّعوا.

(ولا تقتحموا ما استقبلكم من فور نار الفتنة): قحم فرسه فاقتحم النهر إذا أدخله فيه، والفور: شدة حرارة النار وقوتها، من قولهم: فارت القدر[3] إذا جاشت، وأراد نهيهم عن الدخول في عظيم ما يستقبلهم من[4] الفتن وعواقبها الوخيمة، وأمور ها العظيمة.

(وأميطوا عن سَنَنِها): أمطت عنه الأذاء إذا أزلته، وفي الحديث: «أمطه عنك بإذخرة»[5] وأراد هاهنا وزولوا عن جهتها وطريقها كيلا تقعوا فيها فتهلكوا.

(وخلوا قصد السبيل لها): أي اتركوا سواء السبيل التي تكون فيه وتسلك سَنَنَهُ، واهربوا منه كيلا تقعوا فيه.

---

(١) في (ب) وفي نسخة أخرى: فتندموا.

(٢) في (ب): ويقبح.

(٣) في (ب): فار القدر إذا جاش.

(٤) في (ب): من عظيم الفتن وعواقبها...إلخ.

(٥) الإذخر: الحشيش الأخضر وحشيش طيب الرائحة. (القاموس المحيط ص٥٠٦)، والحديث رواه المؤلف أيضاً في الانتصار١/٤٢٥، وقال المحققان في تخريجه: جاء في جواهر الأخبار عن التلخيص: فائدة: روى الدراقطني والبيهقي من طريق إسحاق الأزرق، عن شريك، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن عطاء، عن ابن عباس قال: سئل النبي ﷺ عن المني يصيب الثوب، قال ﷺ: ((إنما هو بمنزلة المخاط والبصاق))، وقال: ((إنما يكفيك أن تمسحه بخرقة أو إذخرة)). اهـ ملخصاً، والحديث بلفظ المؤلف هنا رواه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة (عليه السلام) في المهذب ص١٧.

(فقد لعمري يهلك في لهبها المؤمن): يريد أنها تناله باستطالة لهبها وقوة شررها[1] فيقع فيها فيهلك مع شدة حذره منها.

(ويسلم فيها[2] غير المسلم): ويحذر منها الفاسق والكافر فينجوان من لهبها، وشدة حرها.

(إنما مثلي بينكم): مع جهلكم ونفوذ بصيرتي واتقاد قريحتي، وجمود فطنكم[3].

(مثل[4] السراج في الظلمة): فإنه لا محالة رافع لظلمتها، مزيل لسوادها.

(يستضيء به من ولجها): ينتفع به من ظلامها من دخل فيها وكان سائراً في طريقها.

(فاسمعوا أيها الناس وعوا): فاصغوا إليه آذانكم لتسمعوه، وأوقعوه في أذهانكم لتعوه.

(وأحضروا آذان قلوبكم تفهموا): يريد أن القلوب إذا أقبلت آذانها إلى المسموع، فإنه يكون أقرب إلى الفهم والوقوع في القلب[5].

---

(١) في (ب): شرارها.

(٢) في نسخة: منها، (هامش في ب).

(٣) في (ب): فطنتكم.

(٤) في شرح النهج: كمثل.

(٥) في (ب) ونسخة أخرى: القلوب.

(٢٢٠) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت

(أوصيكم أيها الناس بتقوى الله): اتقائه وخوفه.

(وكثرة حمده على آلائه إليكم): يشير بهذا إلى أن آلائه قدبلغت كل غاية في الكثرة، فالحمد لا بد من أن يكون كذلك.

(ونعمائه عليكم): وما يتكرر من نعمه عليكم.

(وبلائه لديكم): امتحانه واختباره لكم.

سؤال؛ الآلاء والنعم هي من جملة المسارّ والملاذ العظيمة، والبلاء هو من جملة الآلام والمحن والمصائب، فمن أين اتصال أحدهما بالآخر، حتى جاز العطف له على ما تقدم ذكره من النعم والآلاء؟

وجوابه؛ هو أن البلاء وإن كان مكروهاً للنفوس وهي لا تريده وتكرهه فإن فيه ألطافاً عظيمة، واستصلاحات بالغة، فلهذا كان داخلاً في جملة النعم، ولهذا عطفه عليها لما بينهما من الملائمة.

(فكم خصكم بنعمة): كم هذه هي الخبرية، وإنما حذف مميزها[١] مبالغة في الإبهام بحالها، والمراد بها التكثير، وتقدير[٢] مميزها تارة يكون

(١) في (ب): مخبرها.
(٢) في (ب): ويقدر.

بالزمان أي كم يوماً، وتارة بالمكان أي كم مرة، وتارة بالمصدر أي كم دفعة، وتنكير النعمة مبالغة في حالها أي كم خصكم بنعمة وأي نعمة.

(وتدارككم برحمة!): التدارك هو: التلافي، وأراد وتلافاكم عن الوقوع في المعصية بما كان من جهته من الألطاف الخفية والصوارف المصلحية التي لا تشعرون بها.

(أعوزتم[١] فستركم): فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون الإعواز هو الفقر، وأراد افتقرتم فستركم عن سؤال الخلق والتكفف عليهم بما أغناكم به من اليسار.

وثانيهما: أن يكون مراده من ذلك هو استحقاق العقوبة، من قولهم: أعوز الرجل إذا ظهر منه[٢] موضع خلل للضرب[٣]، وهذا من تعسفات الشريف علي بن ناصر، ومع ما فيه من البعد فهو[٤] مخالف لوضع اللغة، فإن الإعواز بالمعنى الذي ذكره غير وارد[٥].

(وتعرضتم لأخذه فأمهلكم): التعرض ها هنا إنما هو بفعل المعاصي للأخذ بالانتقام وإنزال العقوبة، وقطع الدابر، كما فعل بمن كان قبلكم من الأمم والقرون، والإمهال: تنفيس المهلة، وكل ذلك من جهته على جهة العفو والرحمة.

(١) في شرح النهج: أعورتم له فستركم.
(٢) في نسخة: فيه (هامش في ب).
(٣) في أعلام الرواية -خ-: أعوز الفارس. إذا بدا منه موضع خلل للضرب.
(٤) فهو، زيادة في (ب).
(٥) وذلك أن المعنى الذي ذكره الشريف علي بن ناصر، لا يرد إلا على قولهم: أعور الفارس، بالراء المهملة، وليس على: أعوز بالزاي المعجمة، فهذا هو مراد المؤلف (عليه السلام) هنا.

(وأوصيكم بذكر الموت): لا يزال نصب أعينكم، وجارياً على ألسنتكم.

(وإقلال الغفلة عنه): أراد وأحذّركم عن إقلال الغفلة عنه فإن بذكره تزكو الأعمال الصالحة، ويقرِّب الآجال البعيدة، وتقل الرغبة في الدنيا، وفي الحديث: «أكثروا من ذكر هاذم اللذات»[1] فما رغَّب الشرع فيه إلا من أجل اشتماله على المصالح العظيمة الدينية.

(وكيف غفلتكم): تعجب من غفلتهم، وإعراضهم عن ذكره.

(عمَّا ليس يغفلكم): أراد عمَّا ليس بغافل عنكم، فإن من شأن العقول الراجحة أن كل من كان يرقب إنزال المضرة بك؛ فإنه لا ينبغي الغفلة عنه والتحصن عنه بكل ممكن تجد إليه سبيلاً.

(وطمعكم فيمن ليس يمهلكم): أي وكيف تطمعون فيمن لا ترجون من جهته إمهالاً وتنفيساً في أعماركم، فمثل هذا يكون طمعاً كاذباً، ورجاءً خائباً.

سؤال؛ أراه عبَّر في الغفلة بما، وعبَّر في الطمع بمن، وكلاهما في حق الموت، فكان قياسه بما في كل واحد في الموضعين، فما وجه ذلك؟

وجوابه؛ هو أن قوله: عمَّا ليس غافلاً عنكم، يريد به الموت خاصة

(١) الحديث بلفظ: ((أديموا ذكر هاذم اللذات)) أخرجه الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام في المجموع الحديثي والفقهي ص٢٥٨ برقم (٦٠٨) بسنده عن علي (عليه السلام)، وأخرجه من حديث الإمام أبو طالب في أماليه ص٥٧٨ رقم(٨١٥) بسنده عن علي (عليه السلام)، والحديث بلفظ المؤلف هنا في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف وعزاه إلى مجمع الزوائد للهيثمي ٣٨٠/١٠، وتلخيص الحبير لابن حجر ١٠١/٢، وكشف الخفاء ١٨٨/١ وغيرها، وبلفظ ((أكثروا ذكر هادم اللذات)) رواه من حديث الشريف السيلقي في الأربعين السيلقية ص٢٣-٢٤ الحديث (١١) عن ابن عباس.

ولهذا أتى بما؛ لما كانت لمن لا يعلم، وأما قوله: وطمعكم فيمن ليس يمهلكم، فإنما أتى على جهة العموم في حق العقلاء وغيرهم، فلهذا عبَّر عن العقلاء وعن الموت بمن على جهة التغليب، كما كان ذلك في غير موضع، فالأول يكون خاصاً للموت، والثاني يكون عاماً للموت وغيره من العقلاء.

(فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم): واعظاً منصوب على التميز وفاعله مضمر فيه يفسره واعظاً، والباء في موتى: زائد[1] مثلها في: ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً﴾[الرعد:٤٣]، وهي المقصودة ها هنا أي كفى الواعظ موتى أبصرتموهم بأعيانكم، وأخرجتموهم من مساكنهم عن تحقق ويقين في ذلك، وليس الخبر كالمعاينة في جميع الأمور كلها.

(حملوا إلى قبورهم): وضعوا على مناكب الرجال وأقلُّوهم حملاً.

(غير راكبين): في موضع نصب على الحال، والمعنى أنهم في الحقيقة غير راكبين؛ لأن الراكب من شأنه الإعزاز والاستراحة، وحالهم ليس كذلك.

(وأنزلوا فيها): وضعوا في لحودهم.

(غير نازلين): لأن من نزل بقوم توجه عليهم إكرامه، وليس إنزالهم كرامة لهم بحال.

(كأنهم لم يكونوا للدنيا عمَّاراً): يريد لكثرة نسيانهم وعظم إغفالهم، كأنهم ما عمروا شيئاً ولا سكنوه بمنزلة من لم يكن فيها أبداً.

(وكأن الآخرة لم تزل لهم داراً): أي ولسرعة انقلابهم إلى الآخرة،

(١) أي حرف زائد.

ودوام لبثهم فيها كأنها ما زالت داراً لهم لا ينتقلون عنها، وهذا كلام بالغ في حسن التشبيه، وديباجة البلاغة يلوح على وجهه.

(أوحشوا): أراد أنهم أقفروا من الدنيا.

(ما كانوا يوطنون): أي يتخذونه وطناً من القصور والمساكن النفيسة، فصارت خالية بعدهم وَحِشَة.

(وأوطنوا): أراد وتوطنوا من الآخرة والقبور.

(ما كانوا يوحشون): ما كان وحشاً خالياً عن الأنيس والصاحب والخليل.

(واشتغلوا بما فارقوا): إما بحساب الأعمال والمناقشة عمَّا فعلوه في الدنيا، وإما[1] اشتغلوا بالحساب على ما خلفوه في الدنيا من الأموال المجموعة من حلّها وغيرحلّها.

(وأضاعوا ما إليه انتقلوا): أخلّوا بالأعمال الصالحة فكان ذلك سبباً لضياعهم في الآخرة وأحوالها.

(لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً): أراد لا عن جزاء الأعمال القبيحة يمكنهم أن يزولوا عنها.

(ولا في حسن يستطيعون ازدياداً): بل انقضى الأمر في ذلك فلا يستطاع الزيادة من هذا ولا النقصان من ذاك.

(أنسوا بالدنيا): اطمأنوا إليها وسكنت أفئدتهم إلى محبتها ولذاتها.

(١) في (ب): وإنما، وهو تحريف.

(فغرتهم): بالمكر والخديعة وسائر أنواع الغرور.

(ووثقوا بها): استمسكوا بعراها فانقطعت في أيديهم.

(فصرعتهم): ألقتهم على جنوبهم، وهذا كله من باب التخييل والتمثيل بحال من أوثق بعروة فانقطعت تلك العروة فصار واقعاً لجنبه وخده، وهو تخييل بالغ يفطن له من له حظ وافر في علوم البيان، ومن لا حظ له فيه فلا مطمع له في فهمه.

(فسابقوا رحمكم الله): سارعوا مسارعة أهل السبق لأقرانهم في مضمار الحلبة.

(إلى منازلكم): يريد التي خلقت من أجلكم، وصارت ممهدة من أجلكم، كما قال تعالى: ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[آل عمران:١٣٣] يريد التي أعدَّها لكم، وأراد منازل الآخرة.

(التي أمرتم أن تعمروها): الله تعالى هو العامر لها والخالق لذواتها، وإنما الغرض استحقاق ما هو معمور بالأعمال الصالحة، فلما كان الله تعالى لم يخلقها إلا معمورة من أجلهم لأجل أعمالهم صاروا كأنهم هم العامرون لها.

(والتي رُغِّبْتُم[1] فيها): رغَّبهم الله تعالى فيها بما دعاهم، وبما وصف لهم من أحوالها، وبما ندب من فعل الأعمال الصالحة التي تستحق لأجلها، فلهذا كان مرغباً من أجل ذلك.

(١) في شرح النهج: رغبتم، بالبناء على المعلوم.

(ودعيتم إليها): الداعي لهم إليها هو الله، وبما جاء على ألسنة الأنبياء في وصفها، والترغيب في سكونها والكون فيها.

(فاستتموا نعمة[1] الله عليكم): اطلبوا تمامها من جهة الله تعالى بالإمداد باللطف والإعانة.

(بالصبر على الطاعة[2] له): على فعل الأعمال الصالحة التي أمركم بها[3] وتكونون مطيعين بفعلها.

(والمجانبة لمعصيته): جانب كذا إذا كان بمعزل عن مخالطته، وأراد وتكونون بمعزل عمَّا يكون معصية له من الأفعال.

(فإن غداً من اليوم قريب): أراد إما أن كل ما ينتظر فهو قريب حصوله، وإما أن يكون مراده أن منقطع أعماركم إنما يكون في الأزمنة المستقبلة وهي قريبة من اليوم.

(ما أسرع الساعات في اليوم): يريد أن الساعات هي أجزاء اليوم وبكماله[4] يكون يوماً، وعن قريب وقد استكملت، وهي عند المنجمين: عبارة عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الليل والنهار، كل واحد منهما اثنا عشر ساعة.

(وأسرع اليوم[5] في الشهر): واليوم: عبارة عن طلوع الشمس

(١) في شرح النهج: واستتموا نعم الله عليكم.
(٢) في شرح النهج: طاعته، وقوله هنا: له، سقط منه.
(٣) في (ب): التي أمركم الله بها.
(٤) ظنن فوقها في (ب)، بقوله: ظ: وبكمالها.
(٥) في شرح النهج: الأيام.

إلى غروبها، وهو جزء من ثلاثين إذا كمل الشهر أو جزء من تسعة وعشرين إذا نقص، وأراد وعن قريب وقد تمَّ الشهر بها.

(وأسرع الشهر[1] في السنة): لأن السنة عبارة عن اثني عشر شهراً، بالأشهر القمرية، وعن قريب وقد تمت وتكاملت بها.

(وأسرع السنين في العمر): لأن العمر عبارة عنها، ويبلغ الإنسان استكمال عمره بما قدر الله له منها، وهذا منه (عليه السلام) مبالغة واستغراق في التعجب من مداركة العمر، وسرعة تقضيه، وإن كان هذا الحال في الأعمار الطويلة المنيفة على الغاية، فما حال من يكون معترك المنايا في حقه ما بين الستين إلى السبعين[2].

اللَّهُمَّ، اجعل أعمارنا متجراً للأعمال الصالحة يا أكرم مسئول.

(١) في شرح النهج: الشهور.
(٢) وقد ورد مثل هذا في حديث عن النبي ﷺ أنه قال: ((معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين)) رواه الإمام الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين ص٣٩٥، باب حد العمر، عن أبي هريرة (وانظر تخريجه هناك).

(٢٢١) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الهجرة

(فمن الإيمان ما يكون مستقراً ثابتاً في القلوب): قد شرحنا من[1] قبل هذا حقيقة الإيمان، وبيَّنا المختار فيه، وأنه عبارة عن الإقرار وعمل القلب والجوارح، وغرضه أنه منقسم إلى ما يكون راسخاً منشرحاً به الأفئدة قد خالطها واتخذها مبآءة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ﴾[الحشر:٩] وصارت القلوب ممتزجة به، وهذا هو الإيمان الحقيقي.

(ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور): صدر الإنسان معروف، والقلب هو: الفؤاد، وقد يعبَّر به عن العقل، وفسَّر به الفراء قوله تعالى: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[ق:٣٧] أي عقل[2]، وأراد هاهنا أن من الإيمان ما ليس راسخاً في الأفئدة، وشبَّهه بالعارية مبالغة في عدم استقراره؛ لأن العارية على شرف الزوال، و المفارقة بالرد إلى صاحبها.

وقوله: (بين القلوب والصدور)، يشير إلى كونه مرتدياً بهما[3].

(إلى أجل معلوم): يريد أيضاً أنه[4] لا دوام له وإنما مدته منقضية زائلة تزول بانقضائها، وكل ما ذكره مبالغة في عدم رسوخه.

---

(١) من، سقط من (ب).
(٢) مختار الصحاح ص٥٤٧.
(٣) في نسخة: بهم، (هامش في ب).
(٤) أنه، سقط من (ب).

(فإذا كانت لكم براءة من أحد): البراءة: مصدر برئت منه براءة، وغرضه وإذا عزمتم على التبريء من أحد ممن ظاهره الإسلام:

(فقفوه حتى يحضره الموت): فانتظروا به الموت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[الصافات:٢٤] إلى أن ينقطع عمره بالموت فهناك يظهر أمره[1] ويستبين حاله بخروجه من الدنيا، وفي الحديث: «إن من أهل الجنة من يعمل بعمل أهل النار حتى إذا لم يكن بينه وبين النار إلا ذراع أو باع، ثم يختم له بعمل أهل الجنة فيكون من أهل الجنة، وإن من أهل النار من يعمل بعمل أهل الجنة حتى إذا لم يكن بينه وبين الجنة إلا ذراع أو باع، فيختم له بعمل أهل النار فيكون من أهل النار»[2].

(فعند ذلك يقع حد البراءة): بما يعلم من حاله ويختم له به، وفي الحديث: «مِلاَكُ العمل خواتمه»، فيتحقق الأمر هناك ويُستيقن، وفي الحديث: «لا تعجبوا لعمل[3] عامل حتى تدروا بما يختم له»[4].

---

(١) في (ب): أثره.
(٢) وأخرج قريباً منه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٣٢٩ برقم(٣٣٨) بسنده عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «سلو الله السداد، فإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على الجادة من جواد الجنة، فبينا هو كذلك دؤوباً إذ انبرت له الجادة من جواد النار فيعمل عليها ويتوجه إليها، فلا يزال دؤوبا دؤوباً حتى يختم له بها فيكون من أهلها، وإن الرجل قد يعمل الدهر الطويل على الجادة من جواد النار، فبينا هو كذلك دؤوباً إذ انبرت له الجادة من جواد الجنة فيتوجه إليها ويعمل عليها فلا يزال دؤوباً دؤوباً عليها حتى يختم له بها»، وأخرجه بلفظ المؤلف هنا مع اختلاف يسير أحمد بن حنبل في مسنده، في مسند المكثرين من الصحابة برقم (٣٤٤١) وبرقم (٣٨٨٢) من حديث عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود، والترمذي كما في مسند أحمد بن حنبل برقم (٢٠٦٣) كتاب القدر، وانظر شمس الأخبار ٣٢٦/٢ الباب (١٧٧).
(٣) في (ب): بعمل.
(٤) ورد بلفظ: «لا تعجبوا بعمل أحد حتى تنظروا بما يختم له» أورده في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٥٦/٧ وعزاه إلى السلسلة الصحيحة للألباني رقم(١٣٣٤).

(والهجرة قائمة على حدها الأول): فيه وجهان:

أحدهما: أن يريد أن من كان في دارالكفر والشرك فلا يحل له المقام فيها سنة كاملة، كما أشار إليه الرسول [(صلى الله عليه وآله)][1] بقوله: «أنا بريء ممن أقام في دار الشرك سنة[2]».

وثانيهما: أن يكون غرضه أن المسلم إذا كان في دار الشرك ولا يمكنه إظهار الإسلام، فإن الهجرة واجبة عليه دفعاً لما يلحقه من الضرر في نفسه، والنقص في حاله بالتباسه بأهل الشرك، والكون من جملتهم، وقد شرفه الله بالإسلام، ورفع قدره بالتلبس به، فلا يحل له المقام والحال هذه، فهذا كان حال الهجرة في أيام الرسول، فلهذا قال: (قائمة على حدها الأول)، يشير به إلى ما ذكرناه.

(ما كان لله في أهل الأرض حاجة[3]): أي ما كان له في خلقهم من غرض ولا إِرْبٍ يرجع إلى نفسه، فإنما خلقهم لداعي الإحسان إليهم وإكمال النعمة عليهم.

(من مستسر الأمة ومعلنها): أراد إما ممن كان خامل الذكرفيها أو جليل الذكر، أو يريد من كان مسراً لأعماله أو مظهرها، وغرضه أنهم مع اختلاف أحوالهم هذه فإنه لا غرض له في خلقهم أصلاً.

سؤال؛ قوله: (ما كان لله في أهل الأرض...) إلى آخره كلام منافر

(١) سقط من (أ).

(٢) في (ب): سنة كاملة، والحديث أورده العلامة أحمد بن يوسف زبارة في أنوار التمام في تتمة الاعتصام ٥/٤٨٥، وعزاه إلى البحر الزخار في فضل الهجرة.

(٣) في (ب) ونسخة أخرى: من حاجة.

لما قبله غير ملائم له، فما وجه توسطه ها هنا مع عدم تعلقه بما قبله وما بعده؟

وجوابه؛ هو أن ما ذكره ها هنا من باب الاستطراد، وله موقع في البلاغة، وهو أن يأتي بكلام يُوَسِّطُه بين كلامين، لا تعلق له بالأول ولا بالآخر، وإيراد كلام يكون فيه دلالة على تعلقه بالأول[1] فيه ضرب من التعسف فلا حاجة بنا إليه.

(لايقع اسم الهجرة على أحد إلا بمعرفة الحجة في الأرض): يريد أن الهجرة لا تجب ولا تكون متوجهة على أحد إلا على من بلغته دعوة[2] الرسول (صلى الله عليه وآله)، وعلم المعجزات الظاهرة عليه، وكيفية دلالتها على صدقه، فعند هذا يكون مدركاً لمعرفة الحجة عليه في الأرض.

(فمن عرفها وأقرَّ بها فهو مهاجر): أراد فمن عرف ذلك وقطع به وجبت عليه الهجرة من دارالكفر إلى دار الإسلام للتفقُّه في الدين، وتعليم ما كلَّفه الله تعالى، وتعبَّده به من سائر التكاليف والعبادات.

(ولا يقع اسم الاستضعاف على من بلغته الحجة): أراد ولايصدق اسم الاستضعاف على من سمع الدعوة وكان متمكناً من إعزاز نفسه ودينه من القعود مع أهل الشرك، فإذا بلغته الحجة من جهة الرسول (صلى الله عليه وآله):

(فسمعتها أذنه، ووعاها قلبه): وجب عليه المهاجرة لا محالة،

(١) في (ب): فالأول.

(٢) في (ب): دعوة الإسلام الرسول (صلى الله عليه وآله).

إلا من عذره الله تعالى، ممن لا حيلة له في نفسه وكان عاجزاً، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء:٩٧] فهذه حال من تمكّن من الهجرة ولم يهاجر مع تحققه لوجوبها عليه، ثم قال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ..﴾إلى آخر الآية[النساء:٩٨]، فعذرهم الله عن الهجرة لعجزهم.

(إن أمرنا هذا): يشير إما إلى سلوك طريق الآخرة، وإما إلى الجهاد عن الدين عموماً، وإما إلى جهاد أهل القبلة، وإما إلى الإمامة والتحمل لأثقالها.

(صعب): في غاية الصعوبة.

(مستصعب): مبالغة في صعوبته، أو يريد صعب في نفسه مستصعب على من احتمله وتعلق[1] به، ومن ركيك ما قيل في تفسير قوله: (أمرنا هذا)، ما قاله الشريف علي بن ناصر: أن المراد منه إمامته وإمامة المعصومين من أولاده[2]، فإنه مغرم بذكر الاثني عشر، فإنه لم يجر لهم ذكر في كلامه، فلا وجه لحمله عليه.

(لا يحتمله إلا عبد امتحن[3] الله قلبه بالإيمان): اختبره حتى وجده صالحاً للتصديق به، والامتحان: الاختبار، وامتحنه أي[4] وسَّع قلبه، من قولهم: محن الأديم إذا مدَّه ووسَّعه، أو أخرج ما فيه من الدغل والخبث، من قولهم: محن البير إذا أخرج طينها وترابها.

(١) في (ب): أو تعلق به.
(٢) لفظ أعلام النهج -خ-: المراد أمر إمامته وإمامة أولاده المعصومين (عليهم السلام).
(٣) في شرح النهج: لا يحمله إلا عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.
(٤) أي، سقط من (ب).

(ولا يعي حديثنا): ما نقوله من هذه المواعظ الشافية، والحكم العظيمة، والآداب النافعة.

(إلا صدور أمينة): مؤتمنة غير خائنة فيه بتبديله، وتحويله وتغيير حاله.

(وأحلام رزينة): لا يستفزها الطيش ولا تنزعج للفشل، ومنه قولهم: فلان رزين الحصاة، إذا كان له عقل وافر وحلم راسخ.

(أيها الناس، سلوني): كلام وارد على جهة التنويه والإشهار[1] والإعلان بحاله ومزيد فضله، وأمره لهم بالسؤال عِلْمٌ بقدر حاجتهم إلى سؤاله وأن أحداً لا يقوم مقامه في ذلك، ولهذا قال بعده:

(قبل أن تفقدوني): بانقطاع أجلي فلا تروني[2] بعد ذلك أبداً.

(فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض): تعليل لقوله: (سلوني) يريد فأحق المسئولين من كان عالماً بما يسأل، أهلاً للإيراد والإصدار، قد قلب العلوم ظهراً لبطن، واستولى على أسرارها وحقائقها، وفيه معنيان:

أحدهما: أن يكون ذلك على ظاهره، وأن الله تعالى أكرمه بأن أعلمه من جهة الرسول بطرق السماء، ويصدقه ما قاله (عليه السلام) في كلام قد مرَّ: (ما في السماء موضع إهاب إلا وعليه ملك ساجد أو راكع) وهذا ممكن في حقه (عليه السلام).

وثانيهما: أن يريد أنا بالحجج الواردة على أهل السماء، والدلائل

(١) في (ب): والاشتهار.
(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: فلا تروني.

على ملكوت الله تعالى، وعظم سلطانه، وجلال كبريائه؛ لأن الله تعالى جعل في السماء آيات[1] باهرة دالة على عظم ملكوته وجلال جبروته، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ﴾[الأنعام:٧٥] لاختصاصها بالأمور الباهرة.

(أعلم مني [بطرق الأرض][2]): بالحجج الواردة في الأرض، فأبان (عليه السلام) اختصاصه بالعلم بهما، لكنه خص المبالغة في العلم بالسماء إشارة إلى ما قلناه.

(قبل أن تشغر برجلها فتنة): شغر الكلب برجله إذا أراد أن يبول فيرفعها، وإنما كنى عن الفتنة بشغور الرِّجْلِ لأمرين:

أما أولاً: فلأنها مرتفعة عن الحق في جميع أحوالها؛ أخذاً لهذا من شغورالكلب إذا رفع رجله ليبول.

وأماثانياً: فلأنها بعيدة عن مناهج الصواب والحق، أخذاً لها من قولهم: اشتغر المنهل عن البلد إذا كان بعيداً منه، وتعليق الشغور بالرِّجْلِ يدل على إرادة المعنى الأول، وقيل: هذه بيان للأولى وبدل عنها[3].

(تطا في خطامها): جعل هذا كناية عن عظمها وأن أحداً لا يملك إيرادها وإصدارها؛ لأن الجَمَلَ إذا تُرِكَ خطامه ولم يكن معقولاً به وطئه وذهب حيث شاء.

(١) في (ب): جعل السماء آية.
(٢) زيادة في شرح النهج.
(٣) في (ب): ويدل عليها.

(وتذهب بأحلام قومها): ذهب بكذا إذا أخذه واستولى عليه، وكلامه (عليه السلام) ليس صادراً على جهة الإعجاب بعلم نفسه، وإنما هو صادر على جهة النصح، وأخذ البصائر لهم ممن يكون عالماً بها،مرشداً لهم إلى صلاحهم في أمر الديانة، فلهذا قال لهم هذه المقالة.

وإنما العجب ما حكي عن قتادة[1] أنه دخل الكوفة فالتفَّ الناس به محدقين عليه، فقال: سلوا[2] عما شئتم، وكان أبو حنيفة حاضراً وهو غلام حدث، فقال: سلوه عن نملة سليمان هل كانت ذكراً أم أنثى؟

فسألوه فأفحم، فقال أبو حنيفة: كانت أنثى، فقيل له: ممن[3] عرفت ذلك؟ فقال: من كتاب الله تعالى[4] وهو قوله: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾[النمل:١٨] ولو كان ذكراً لقال: قال نملة[5]، فاسم النملة يقع على الذكر والأنثى منهم[6]، فإثبات التاء دلالة على أنه أراد الأنثى، كما يقال: حمامة ذكر، وحمامة أنثى فلابد من علامة هناك.

(١) هو قتادة بن دعامة بن قتادة السدوسي البصري، أبو الخطاب [٦٠-١١٨هـ] فقيه مفسر، حافظ للحديث، عالم بالشعر والأنساب وتأريخ العرب، وكان مضرب المثل في الحفظ، روى عن أنس بن مالك، وحميد بن عبد الرحمن، والحسن البصري، وطائفة، وعنه الأوزاعي، وشعبة، وأبو عوانة، وخلق، له مؤلفات منها: تفسير القرآن، والناسخ والمنسوخ في القرآن وغيرهما، قال المنصور بالله عبد الله بن حمزة، وابن حميد: وقتادة ممن قال بالعدل والتوحيد. (معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين ص٣٤٢).
(٢) في (ب): سلوني.
(٣) في (ب): مما، وفي الكشاف: من أين عرفت.
(٤) تعالى، زيادة في (ب).
(٥) الكشاف ٣/٣٦١.
(٦) في (ب): فيهم.

(٢٢٢) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت وأهواله

(**أحمده شكراً لإنعامه**): انتصاب شكراً على المفعول له، أو يكون مصدراً في موضع الحال، فعلى الأول أحمده من أجل الشكر لإنعامه، وعلى الثاني أحمده شاكراً[١] لإنعامه.

سؤال: الشكر أعم من الحمد لكونه حاصلاً بالأقوال والأفعال والاعتقادات، والحمد خاص في الأقوال[٢]، فكيف جعل الشكر علة في الحمد؟

وجوابه: إن مثل هذا لا مانع منه فإن حاصل السؤال أنه يلزم تعليل الشيء بنفسه، وليس الأمر كما توهمت، فإنهما متغايران العموم[٣] والخصوص فالتغاير حاصل، كما تقول: زرته من أجل إنعامه وإفضاله، وأكرمته لأجل فضله.

(**وأستعينه على وظائف حقوقه**): الوظيفة: ما لازم الإنسان على فعله، وغرضه وأطلب منه الإعانة على ما أوجب من عباداته، وحقوقه اللازمة المفروضة.

---

(١) في (ب): شكراً.

(٢) في (ب): بالأقوال.

(٣) في (ب): بالعموم.

(**عزيز الجند**): أراد أن جند الله هم الأعزون فلاغالب لهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:١٧٣].

(**عظيم المجد**): يريد أنه عظيم الكرم، فلا يدرك وصف كرمه، ولا يمكن حصره.

(**وأشهد أن محمداً عبده ورسوله**): علام عطف قوله: (وأشهد أن محمداً) وعطفه إنما كان على قوله: (أحمده) أو على شهادة توحيد مضمرة تقديرها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأحمده وأشهد، وإنما ترك ذكرها استغناء بما ذكر من أوصاف التوحيد والإلهية.

(**دعا إلى طاعته**): في أول أمره باللسان، وفي عاقبة أمره بالسيف والسِّنان[١].

(**وقهر أعداءه**): الضمير يحتمل أن يكون لله أي أعداء الله، وأن يكون للرسول أي وقهرمن ناواه وناصبه أي أذلهم وصغرهم.

(**جهاداً عن دينه**): من أجل الجهاد عن دينه، أو مجاهداً.

(**لا يثنيه**): يعطفه، من قولهم: ثنيت الحبل إذا عطفته.

(**عن ذلك**): يشير به إلى الجهاد.

(**اجتماع على تكذيبه**): يريد تألبهم عليه واجتماع كلمتهم عليه، وأراد بذلك دلالة على نفوذ بصيرته واستقرار قدمه فيما دعا إليه.

(**والتماس لإطفاء نوره**): الالتماس هو: الطلب، وغرضه أن طلبهم لإطفاء نور الله لا يصده عما هو فيه.

---

(١) السِّنان: الرمح.

(فاعتصموا بتقوى الله): اجعلوها عصاماً في أوساطكم.

(فإن لها حبلاً وثيقاً عروته): فلا سبيل إلى انقطاعه لمن يكون متسمكاً به.

(ومعقلاً منيعاً ذروته): الذروة: أعلا الشيء، والمعقل: الواحد من الحصون، والمنيع: ما كان لا ينال أمره، والغرض من هذا كله الإشعار بأن تقوى الله تعالى حاصلة على هذه الأوصاف من جهة المعنى، وإن كان ظاهرها على جهة التجوز والاستعارة.

(وبادروا الموت): استبقوه بإحراز الأعمال الصالحة.

(وغمراته): الواحد[1] منها غمرة، وهو: ما يذهل العقل ويدهشه، ويخرجه عن التثبت والاستقامة.

(وامهدوا له): التمهيد هو: التوطئة في كل الأمور.

(قبل حلوله): بساحاتكم أو بأجسامكم.

(وأعدوا له): خذوا له أمر العُدَّة والأُهْبَة.

(قبل نزوله): بأفنيتكم، أو بأجسامكم.

(فإن الغاية القيامة): أي فإن الأمر الذي ينتهي عنده بكم إنما هو القيامة.

(لا محيص لكم عنها): وفي ذلك معنيان:

أحدهما: أن يريد بذكر القيامة الإشارة إلى ما اشتملت عليه من الأهوال العظيمة، وإظهار الفضائح الكبيرة.

---
(١) في (ب): الواحدة.

وثانيهما: أنه لما ذكر الموت وحاله أراد أن يذكربعده ما هو أطمُّ منه وأهول، تنبيهاً على أن الموت وإن عظم حاله فليس غاية لأحوالكم، وإنما الغاية هي القيامة.

(وكفى بذلك واعظاً لمن عقل): الإشارة إلى المذكور أولاً من الموت والقيامة، أي فيه موعظة لأهل العقول الوافرة.

(ومعتبراً لمن جهل): أي ومنعاً للجهال من الخلق، ومزجراً لهم عن القبائح.

سؤال؛ أراه خصَّ الوعظ بالعقلاء، وخصَّ الزجر بالجهال؟

وجوابه؛ هو أن الوعظ إنما يكون بالأقوال الرقيقة والتمثيلات الرشيقة، وذلك كافي[1] في حق من له ذهن وفطانة، وذلك يختص[2] العقلاء، بخلاف الجهال فإنه إنما ينفع في حقهم إنما هو الزواجر العظيمة، والقوارع المهمة، وذلك لفرط إعراضهم واستحكام الغي على أفئدتهم، فلهذا خصَّهم بالزجر، والاعتبار لذلك.

(وقبل بلوغ الغاية ما تعلمون): أبهم ذلك لما اشتمل من شدة الأمروصعوبته.

ثم أخذ في تفسيره وبيان حاله لما في ذلك من المبالغة وعظم الشأن في حقه:

(من ضيق الأرماس): جمع رمس، وهو: القبر.

---
(١) في (ب): كاف.
(٢) في (ب): يخص.

(وشدة الإبلاس): يريد وعظم اليأس من جميع الأمور كلها، فلا يبقى في يده شيء[١] من الدنيا أصلاً.

(وهول المطلع): من باب إضافة الموصوف إلى صفته، كقولهم: مسجد الجامع، وأراد هاهنا وهول الزمان الذي يطلع فيه على الشدائد أو وهول المكان أيضاً، والهول هو: الأمر الذي يهولك ويفزعك، وفي الحديث: ((وأعوذ بك من هول المطلع)).

(وروعات الفزع): الروعة: ما يروع الإنسان ويغيِّرأحواله، والفزع أيضاً: ما يدهشه، وأراد عن الروعات المفزعة.

(واختلاف الأضلاع): أراد بضم اللحد، وفي الحديث: ((إن للحد ضمة لو نجا منها أحد لنجا منها سعدبن معاذ))[٢]، وفي الحديث: ((إنها تكون على الكافر بمنزلة البيض تحت الصخر، وتكون على المؤمن بمنزلة ضمّ[٣] الوالدة الشفيقة لولدها)).

اللّهُمَّ، إنا نستجير برحمتك الواسعة ياخير مستجاربه من أليم عقابك.

(واستكاك الأسماع): استكَّ سمعه إذا كان لا يسمع أصلاً، وأراد واستكاك[٤] الأسماع بالتراب.

(وظلمة اللحد): اسوداده ووحشته.

(١) في (ب): في يده شيء منها من الدنيا...إلخ.

(٢) أورده المؤلف في كتاب تصفية القلوب ص٥٨٣، من كلام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بلفظ: ((إن للقبر ضغطة لو سلم أو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ)).

(٣) في (ب): ضمة.

(٤) واستكاك، سقط من (ب).

(وخيفة الوعد): أراد إما الإشفاق من فوات وعد الله الذي وعد أولياءه، وإما أراد بالوعد الوعيد بالعقاب وآلامه ودوامه.

(وغم الضريح): الضريح هو: القبر، والضرح هو: الشق في وسط القبر، وأراد وما يصيب منه من الغم عند الوضع فيه.

(وردم الصفيح): أي والسدُّ بالأحجار العريضة على اللحد قبل هَيْلِ التراب.

(فالله الله): كررذلك مبالغة أي اتقوا [الله][١] واحذروه.

(عباد الله): السالكين مسلك العبيد في طاعة سيدهم.

(فإن الدنيا ماضية بكم): مضىبه إذا مرَّ غير متلوم ولا متوقف، وكنى بذلك عن سرعة زوالها وأزوف رحلتها عن الخلق.

(على مسير[٢]): أي على طريق مستقيمة المرور من غير تعريج على شيء.

(وأنتم والساعة في قَرَن): القَرَنُ: الحبل الذي يُضَمُّ به البعيران معاً، وأراد أنكم مجتمعون أنتم وهي فكأنكم بها وقد حصلت معكم من غير مفارقة لكم.

(وكأنها[٣] قد جاءت بأشراطها): الأشراط هي: العلامات، وأراد كأنها قد حصلت مستكملة لشروطها وأعلامها وأهوالها.

(١) سقط من (أ).

(٢) في شرح النهج: سنن.

(٣) في شرح النهج: وكأنها.

(وأزفت بأفراطها): أزف الشيء إذا قرب وقته، والأفراط هم: جمع فارط وهو الذي يتقدم ليرد الماء.

(ووقفت بكم على سراطها[1]): السراط[2] هو: الطريق، وقد سبق تقرير اشتقاقه.

(وكأنها قد أشرفت بزلازلها): الزلازل: جمع زلزلة وهي: الشدة العظيمة، والقلقلة الفظيعة.

(وأناخت بكلاكلها): الكلكل: الصدر، وأراد أنها أقبلت بكمال آلتها، واجتماع أمورها.

(وانصرمت[3] الدنيا بأهلها): صرمه إذا قطعه، وغرضه أنها عن قريب منقطعة بأهلها بتقضي[4] أيامها وانقطاع وقتها.

(وأخرجتم من حضنها): الحضن: ما دون الإبط إلى أسفل الأضلاع، شبَّه استقرارهم بمنزلة من يكون محمولاً[5] في حضن الحاضنة.

(فكانت): بعد زوالها وتقضيها.

(كيوم مضى): مثل مدة يوم ذهب ولم يبق له أثر.

---

(١) في (ب): صراطها، بالصاد المهملة، والسراط بالسين المهملة كما ورد في النسخة (أ) هو لغة في الصراط.

(٢) في (ب): الصراط.

(٣) في شرح النهج: وانصرفت.

(٤) في نسخة: بانقضاء، (هامش في ب).

(٥) في (ب): محضوناً.

(وشهر انقضى): تقضت أيامه ولياليه، مثَّل باليوم في القلة وبما يجتمع منه وهو الشهر.

(وصار جديدها رثاً): أي خَلِقاً بالياً بانقطاعها وتغيرها.

(وسمينها غثاً): أي مهزولاً.

ثم هذه الأمور كلها والشدائد العظيمة التي ذكرناها حاصلة:

(في موقف ضنك المقام): الضنك هو: الضيق، وأراد بذلك إما القبر أو القيامة للحساب.

(وأمور مشتبهة): يشبه بعضها بعضاً في الشدة والعظم من المسألة والحساب، ورؤية أهوال[1] القيامة، و نشر الصحف والموازين ومعاينة الجنة والنار وغير ذلك من الأهوال.

(عظام): لا يشبهها حال في الشدة والألم.

(ونار شديد كَلَبُهَا): الْكَلَبُ بالتحريك هو: الشدة والتوثب، وهم يتكالبون على كذا أي يتواثبون عليه.

(عالٍ لجبها[2]): اللجب: هو شدة الصوت، وأراد أنه ظاهر فاشي.

(متغيظ زفيرها): الزفير هو: الصوت العظيم، ومنه زفير البحر، وزفير القدر: غليانها، وجعلها كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم، يقال: فلان يكاد يتقد من الغيظ ويتقصف[3] من الغضب، وإضافة التغيظ

---

(١) في (ب): أهل.

(٢) في شرح النهج: عال لجبها، ساطع لهبها.

(٣) التقصف: التكسّر.

إلى الزفير من باب الإسناد المجازي، وهكذا ما بعده إلى قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[الزمر:٧٣].

(**متأجج سعيرها**): السعير هو: شدة الحر، وتأجج النار ارتفاع لهبها.

(**بعيد خمودها**): خمدت النار إذا انطفت، وأراد أنها لا تطفئ ولا يفتر حرها.

(**ذاكٍ وقودها**): أذكيت النار وذكّيتها إذا أوقدتها، وغرضه أن وقودها ذكت به واشتد حرها، وهي مخالفة لسائر النيران، فإن غيرها من النيران ذكاؤه بالحطب، وهذه ذكاؤها باتقاد الناس والحجارة فيها.

(**مخوف وعيدها**): يخافها من كان موعوداً بها.

(**عميق قرارها**): بعيد قعرها لا يدرك له نهاية على القرب.

سؤال: الموقف الذي أشار إليه في كلامه هذا هل يكون واحداً أو أكثر، و هكذا النار التي وصفها هل هي واحدة أو أكثر؟

وجوابه: إنها مواقف كثيرة ولهذا نكّره، ولهذا قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[المرسلات:٣٥]، وقال في موضع: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾[الصافات:٢٧]، وفي بعض الأخبار: «إنها مواقف خمسون موقفاً في الآخرة»[1]، وأما النيران فلعلها نيران كثيرة ولهذا[2] نكّرها، فمنها ما يكون

(١) هو من حديث أخرجه الإمام أبو طالب في أماليه ص٣٢٨ برقم(٣٣٦) بسنده عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فذكر الحديث، ولفظ الشاهد فيه: «ألا فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإن في القيامة خمسين موقفاً، كل موقف مقام ألف سنة، ثم تلا (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الآية: ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾»[المعارج:٤] وأخرجه من حديث طويل عن علي (عليه السلام) في مسند شمس الأخبار٢/٣٧٨ في الباب التسعين والمائة. (وانظر تخريجه فيه).

(٢) في (ب): فلهذا.

وقودها الناس والحجارة وهي التي لكفار الإنس من عبدة الأوثان والأصنام وسائر الملل الكفرية، ومنها ما وقودها الشياطين والجن جزاءً لكل فريق بما[1] يشاكله من العذاب، وللفساق من أهل الصلاة نيران[2] غير هذه، كما قال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى ۞ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى[3]﴾[الليل:١٤-١٥]، وقال في موضع آخر: ﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[التحريم:٦] إلى غير ذلك.

(**مظلمة أقطارها**): أنحاؤها وجوانبها، وفي الحديث: «أوقد عليها ألف عام حتى احمرَّت، وألف عام حتى اسودَّت، فهي سوداء مظلمة»[4].

(**حامية قدورها**): من شدة الإيقاد عليها، وفي الحديث: «لو أن غرباً[5] من غسلين جهنم أخرج إلى الدنيا، لآذى حرّه من بين المشرق والمغرب»[6].

(١) في (ب): ما.

(٢) في (ب): نار.

(٣) زيادة في (ب).

(٤) رواه الإمام الموفق بالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني (عليه السلام) في الاعتبار وسلوة العارفين ص٤٦٠ من حديث عن أنس، برقم (٣٧٣)، ورواه من حديث طويل مرسل القاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي رحمه الله في الإرشاد إلى نجاة العباد ص٢٦٥.

(٥) الغَرْب بفتح الغين المعجمة، وسكون الراء، بعدها باء موحدة هي: الدلو العظيمة.

(٦) له شاهد أخرجه الإمام الموفق بالله في الاعتبار ص٤٦٩ برقم (٣٨٣) من حديث عن الحسن عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): «لو أن غرباً من جهنم وضع وسط الأرض لآذى ريحه وشدة حره مَنْ بين المشرق والمغرب»...إلخ الحديث، وقال المحقق في تخريجه: هو في مجمع الزوائد١٠/٣٨٧ وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن أنس وفيه تمام ضعيف، وبقية رجاله رجال الصحيح، والترغيب والترهيب٤/٣٦٢، وانظر مسند شمس الأخبار ٢/٤٠٧ الباب (١٩٩).

(فظيعة أمورها): فظع الأمر إذا اشتد وفات حصره، وأراد أن أمورها فاتت على الحد فلا يمكن الإحاطة بها، ولا الاستيلاء على كُنْهِ ضبطها، وفي الحديث: إنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[الفجر:٢٣] تغير وجه رسول الله[صلى الله عليه وآله وسلم](١)، وعرف ذلك في وجهه حتى اشتد على أصحابه، فأخبروا أمير المؤمنين بذلك(٢)، فجاءه فاحتضنه من خلفه وقبل بين عاتقه(٣)، ثم قال: (يا نبي الله، بأبي وأمي، ما حدث اليوم؟ وما الذي غيَّرك؟ فتلا عليه الآية)، فقال أمير المؤمنين: (كيف يجاء بها)؟ قال: «يجيء بها سبعون ألف ملك، يقودونها بسبعين ألف زمام، فتشرد شردةً لو تركت لأحرقت أهل الجمع»(٤).

سؤال؛ هل من تفرقة بين فتح الواو في الوقود وضمها؟

وجوابه؛ هو أن الوقود بالفتح ما يوقد من حطب و غيره، والوقود بالضم هو المصدر(٥) كالدخول والخروج، وقرئ بهما في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾[البقرة:٢٤] فالفتح على القياس، والضم على المبالغة من الإسناد المجازي كقولهم: فلان فخرُ قومه.

(﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾)[الزمر:٧٣]: من عادته (عليه السلام) في كلامه في أغلب حالاته إذا ذكر ترغيباً أن يشفعه بالترهيب، وإذا ذكرالبشارة عقَّبها بالتحذير تحريكاً لرغبات أهل الخير في الازدياد من الخير،

(١) زيادة في (ب).
(٢) بذلك، سقط من (ب).
(٣) في (ب): عاتقيه.
(٤) رواه الزمخشري في الكشاف ٤/٧٥٥.
(٥) في (ب): والوقود بالضم إما مصدر، والصواب ما في (أ).

وتثبيطاً وتخذيلاً لأهل الشر عن ملابسة قبيحهم، فصدَّر ما يريد ذكره من أهل الخير بهذه الآية.

(قد أمنوا العذاب): أمَّنهم الله منه.

(وانقطع العقاب(١)): عنهم لأجل فوزهم بالأعمال الصالحة.

(وزحزحوا عن النار): أميلوا عنها وأبعدت عنهم.

(واطمأنت بهم الدار): اطمأنوا وسكنت نفوسهم بالوقوف فيها.

(واستقرت أعيانهم): بما شاهدوا فيها، وأضاف الطمأنينة إلى الدار مبالغة في ذلك.

(ورضوا المثوى والقرار): المثوى هو: الإقامة، وأراد ورضوا بالإقامة فيها والاستقرار.

(الذين كانت أعمالهم في الدنيا زاكية): إنما كرر الموصول بيان وتوضيح لماسبق في قوله: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾[الزمر:٧٣] وإشادة بذكر أعمالهم الحسنة، وأراد بزكاتها طهارتها عن الرياء والتصنّع، وإرادة خلاف وجه الله تعالى.

(وأعينهم باكية): إشفاقاً من عذاب الله، وخوفاً على أعمالهم أن تكون مردودة عليهم.

(وكان ليلهم في دنياهم نهاراً): يشير بما ذكره إلى أن الله بلطفه وعجيب حكمته جعل الليل لباساً وسكوناً، وجعل النهار معاشاً ونشوراً،

(١) في شرح النهج: وانقطع العتاب، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

وهؤلاء الذين وصف حالهم من أجل قلقهم وفشلهم، وتذكرهم أحوال الآخرة جعلوا أعمال النهار في الليل، بأن جعلوا الليل:

(تخشعاً): خضوعاً وذلة لربهم، واستكانة لعزته وجلاله.

(واستغفاراً): وطلب الغفران لخطاياهم[1] من جهة الله تعالى.

(وكان نهارهم ليلاً): أي وجعلوا النهار ليلاً فجعلوه على هذه القضية:

(توحشاً): عن الخلق ونفاراً عنهم.

(وانقطاعاً): إلى الله تعالى في إنجاز حوائجهم وقضاء مآربهم من عنده.

(فجعل الله لهم الجنة ثواباً[2]): أراد فكانوا لأجل هذه الأعمال مستحقين لأن تكون لهم الجنة جزاء على أعمالهم.

(وكانوا أحق بها): أولى الخلق بها.

(وأهلها): والذي يصلح في الحكمة أن يكونوا مختصين بها دون غيرهم من سائر الخلائق.

(في ملك دائم): الظرف متعلق إما بقوله: ﴿وَسِيقَ﴾ وإما بقوله: (وجعل لهم الجنة)، وهو في موضع نصب على الحال أي حاصلين في ملك، كما تقول: دخل الأمير المدينة في بهجة عظيمة ومحفل كبير.

(ونعيم قائم): إما لا يبلى، وإما لانقطاع له بحال.

(فارعوا عباد الله) الرعاية: هي حسن التصرف فيما يتولاه الإنسان ويقوم بحاله.

(١) في (ب): وطلباً لغفران خطاياهم.
(٢) في شرح النهج: فجعل الله لهم الجنة مآباً والجزاء ثواباً.

(ما برعايته يفوز فائزكم): ما ها هنا موصولة، وأراد بها إما للتقوى[1]، وإما ما يكون من الأعمال الموفقة، فإن بهذين يقع الفوز لا محالة.

(وبإضاعته يخسر متطلبكم[2]): وبإهماله وإبطاله، والخسران هو: النقص، وأصله من خسران التجارة وهو نقصانها عن الربح، والمتطلب أي: ما تطلبونه من الجنة، وإحراز رضوان الله.

(وبادروا آجالكم بأعمالكم): أسرعوا بالأعمال قبل أن تنقطع بانقطاع الآجال.

(فإنكم مرتهنون بما أسلفتم): من الأعمال القبيحة السيئة، ولافكاك لها عن الرهن إلا بتسليم ما يتوجه عليها من ذلك.

(ومدينون بما قدمتم): محاسبون أو مجزيون بما قدمتموه من خير وشر.

(وكأن قد نزل بكم المخوف): ما تخافونه من الموت وأهوال القيامة.

(فلا رجعة تُنالون): أي فلا يمكن نيل الرجعة إلى الدنيا ولا سبيل إليها.

(ولا عثرة تُقالون): ولا يمكن الاستقالة من عثاركم.

(استعملنا الله وإياكم بطاعته وطاعة رسوله): أراد جعلنا عاملين بما أمر به الله تعالى ورسوله من أنواع البر وأفعال الخير.

(وعفا عنا وعنكم بفضله ورحمته[3]): العفو هو: إسقاط الذنوب ومحوها من جهة الله تعالى بالتوبة والإنابة، والفضل والرحمة إنما تكون بفعل الألطاف الخفية في تحصيل التوبة وإيجادها.

(١) في (ب): التقوى.
(٢) في شرح النهج: مبطلكم.
(٣) في شرح النهج: بفضل رحمته.

(الزموا الأرض): أراد إما تأنّوا في أموركم كلها وأصدروها من غير طيش ولا فشل، فإن مع الأناة الصواب، ومع العجلة الخطأ، وإما أن يريد التحذير عن تولية الأدبار في الجهاد، والهرب عن قتال أعداء الله.

(واصبروا على البلاء): على ما يصيبكم من بلاوي الدنيا ومشاقها.

(ولا تحركوا بأيديكم وسيوفكم هوى[1] قلوبكم): فيه وجهان:

أحدهما: أن تكون الباء في بأيديكم زائدة، ويكون هوى مفعولاً[2] من أجله، ومعناه ولا تحركوا ألسنتكم وأيديكم من أجل هوى أنفسكم، فيبعثكم على فعل الشر باليد والسيف بأمانيها الكاذبة بقولها: يا ليت كذا، ياليت كذا.

وثانيهما: أن تكون الباء غير مزيدة[3]، ويكون هوى مفعولاً به، ومعناه ولا تحركوا هوى النفوس ومراداتها وشفاء غيظها بإطلاق الأيدي وسل السيوف على غير وجهها وفي غير حقها.

(ولا تستعجلوا بما[4] لم يعجلّه الله لكم): إما لا تستعجلوا من الأرزاق بما[5] لم يعجله الله لكم، وبمالم يقضه ويسبق في عمله إعطاءكم إياه، وإما أن يريد لاتستعجلوا الحرب وتفتحوها ما لم يوفق الله ذلك ويقضيه.

(فإن[6] من ما ت منكم على فراشه): يريد من غير قتل ولا شهادة في معركة.

---

(١) في شرح النهج: في هوى ألسنتكم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في النسختين: مفعول، بالرفع، والصواب كما أثبته؛ لأنه خبر يكون.
(٣) في (ب): زائدة.
(٤) في (ب): ما.
(٥) في (ب): ما.
(٦) في شرح النهج: فإنه، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(وهو على معرفة حق ربه[1]): بالطاعة والانقياد لأمره، والاعتراف بتوحيده، والإقرار بالربوبية له.

(وحق رسوله): بالتصديق له.

(وأهل بيته): بالموالاة والمحبة، والنصرة.

(مات شهيداً): محرزاً للشهادة وإن لم يكن مقاتلاً، وهذا يؤيد التأويل الثاني في قوله: لا تستعجلوا.

(ووقع أجره على الله): ثبت ووجب واستحق.

(واستوجب[2] ثواب ما نوى من صالح عمله): لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى.

(وقامت النية): في ذلك.

(مقام إصلاته لسيفه): يريد أن النية هي التي صيرت هذه الأفعال في مقام الجهاد، وهذا لا يقوله إلا عن توقيف من جهة الرسول؛ لأن هذا أمر يرجع إلى معرفة مقاديرالثواب، وهو أمر غيبي لا يعلمه إلا الله تعالى[3] أو رسوله، أو من أعلماه بذلك.

(وإن لكل مدّة وأجلا[4]): يريد أن لكل شيء آخراً وانقضاءً، وغاية وانتهاءً.

---

(١) في (ب): حق الله تعالى.
(٢) في (ب): فاستوجب.
(٣) تعالى، زيادة في (ب).
(٤) في شرح النهج: فإن لكل شيء مدة وأجلاً، وفي (ب): وإن لكل شيء ...إلخ.

(٢٢٣) ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا

(**الحمد لله الفاشي حمده**[١]): فشا الأمر إذا ظهر، وأراد أن حمده ظاهر لظهور نعمته على كل حي، وأن نعمته لا يمكن إخفاؤها، فهكذا يكون حمده ظاهراً لا يمكن ستره.

(**الغالب جنده**): أراد أن الله هو الناصر لجنده فلا غالب لهم، ولا يدين لأحد ولا قوة بقتالهم، لما سبق في علمه أنه لا يغلب، كما قال تعالى[٢]: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[المجادلة:٢١].

(**المتعالي جده**): الجد: العظمة، والسلطان والملك، والمعنى في هذا أنه متعالي عمّا لا يليق به من ذاته من اتخاذ الصاحبة والأولاد، وعما لا يليق بحكمته عن الظلم والكذب وسائر القبائح.

(**أحمده على نعمه التوام**[٣]): التي تمت في جميع وجوهها فلا يلحقها نقصان.

(**وآلائه العظام**): التي بلغت كل غاية في الكمال.

---

(١) في شرح النهج: الحمد لله الفاشي في الخلق حمده.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) في شرح النهج: التؤام، وهو جمع توأم على فوعل، وهو: الولد المقارن أخاه في بطن واحد.

(**الذي عظم حلمه**): زاد على كل غاية في ترك المعاجلة بالعقوبة على مستحقيها.

(**فعفا**): أي فكان ذلك سبباً للعفو؛ لأنه لا وجه للعفو إلا ترك العقوبة لمن كان مستحقاً لها من أهلها.

(**وعدل في كل ما قضى**): أي وكان صدور الأقضية من جهته على قانون الحكمة ومقتضى العدل، من غير زيادة ولا نقصان ولا حيف.

(**وعلم ما يمضي وما مضى**): ما تقدم من الأمور [و][١] الكائنات، وما سيكون ماضياً من الأمور المستقبلة، والحوادث المتجددة.

سؤال؛ أراه لم يقل: يعلم[٢] ما مضى وما يستقبل، ولِمَ عدل إلى هذه العبارة، فهل له وجه في ذلك؟

وجوابه؛ هو أن غرضه الإشارة إلى تحقق علمه وثبوته، وأن علمه بالمستقبل وإن لم يكن واقعاً في تحققه مثل علمه بالماضي وإن كان واقعاً متحققاً، فلهذا عبَّر عن المستقبل بقوله: (علم ما يمضي) يشير به إلى ما ذكرناه.

(**مبتدع الخلائق بعلمه**): منشئها ومخترعها عن علم وإتقان بما في إيجادهم من المصلحة لهم، وتعلق الباء في: (بعلمه) إما تعلق الأحوال أي ابتدعهم عالماً بحالهم، وإما تعلق الآلات كما تقول: كتبت بالقلم، أي أن العلم ملابس للابتداع كالآلة فيه من أجل الإحكام والإتقان من أجله.

---

(١) الواو، سقط من (ب).

(٢) في (ب) ونسخة أخرى: فعلم.

(ومنشئهم بحكمه): بما سبق في علمه من إيجادهم، وحكمه في الأزل بذلك لما كان موافقاً للحكمة، وجارياً على قانون المصلحة.

(بلا اقتداء ولا تعليم): يريد أنه فعل ما فعل من الإحكامات الباهرة، والإتقانات العجيبة من غير أن يكون متابعاً لأحد في ذلك، ولا آخذاً له بالتعليم من جهة غيره.

(ولا احتذاء): احتذى على كذا إذا فعل مثله.

(بمثال صانع حكيم): يقتدي به في كيفية إيجاده، وفي إحكام أفعاله.

(ولا إصابة خطأ): أي أنه في هذه الإحكامات البديعة لم يوافق خطأ فيما فعله، وأحكمه ودبَّر خلقه.

(ولا حضرة ملأ): إما فيصدر عن رأيهم، وإما ليستعين في الإحكام والخلق بهم.

(وأشهد أن محمداً عبده ورسوله): استغنى بما ذكره من هذه الأوصاف والتمجيدات[1] الدالة على التوحيد عن ذكر الشهادة بالتوحيد لما فيها من الدلالة عليها.

(ابتعثه): بعثه وابتعثه سيان في الدلالة، والغرض هو: الإرسال.

(والناس يضربون في غمرة): من قولهم: فلان يضرب في الجهالة، ويخبط[2] في الضلالة، وأراد أن تصرفاتهم جارية على خلاف مراده، وغرضه في التوحيد والأحكام كلها.

---

(١) في (ب): والتحميدات.
(٢) في (ب): ويضرب.

(ويموجون في حيرة): الحيرة: الذهاب عن الصواب، وماج الأمر إذا اضطرب وعظم حاله.

(قد قادتهم أزمّة الحَيْن): الْحَيْن بالفتح هو: الهلاك، يقال: حان الرجل حيناً إذا هلك، وأراد أنه لمكان فقد الأنبياء، وحصول الفترة جذبتهم أزمة الهلاك فهلكوا.

(واستغلقت على أفئدتهم أقفال الرين): صارت أقفال الرين مستغلقة فلا يمكن فتحها عن أفئدتهم، والرين هو: الطبع والدنس، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[المطففين:١٤] أي غلب، وقيل: الرين هو اسوداد القلب[1]، وقيل: كلما غلبك فقد ران عليك[2]، قال أبو زيد: رين بالرجل إذا وقع به ما لايستطيع الخروج منه[3].

(أوصيكم عباد الله بتقوى الله[4]): اعلم أنه (عليه السلام) في أول كل خطبة لا بد له من ذكر الوصية بالتقوى، وما ذاك إلا لعلمه بشرف حالها، وعلو درجتها، ونفاسة أمرها.

(فإنها حق الله عليكم): يريد أنها أعظم حقوقه عليكم، أو أنه لا حق من الحقوق الواجبة عليكم مثلها.

---

(١) في مختار الصحاح ص٢٦٦: وقال الحسن رضي الله عنه: هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب.
(٢) صاحب القيل هذا هو أبو عبيد. (المصدر السابق).
(٣) القول هذا مذكور في المصدر السابق ص٢٦٧ بدون نسبة لقائله.
(٤) في (ب): بتقوى الله تعالى.

(والموجبة على الله حقكم): لأن ثمرة التقوى هو: الفوز بالجنة، وحيازة رضوان الله تعالى.

(وأن تستعينوا عليها بالله): على تأديتها وعلى القيام بها بالألطاف والتوفيقات فيها، والهداية إليها.

(وتستعينوا بها على الله): إما على تحصيل ثواب الله ومزيد فضله، وإما على اللطف في جميع الخصال التي أشار الله بوجودها عند التقوى كالفلاح والرشد والصلاح، وغير ذلك من الخصال النفيسة الغالية[1].

(فإن التقوى في اليوم): يريد في الدنيا.

(الحرز): من غضب الله وأليم سخطه.

(والجنة[2]): ويستحق بها الجنة.

(وفي غد): يريد يوم القيامة.

(الطريق إلى الجنة): أي هي الطريق الموصلة والهادية إلى الجنة.

(مسلكها واضح): أي بيِّن ظاهر لا لبس فيه على من أراده وقصده.

(وسالكها رابح): الضمير للطريق أي ومن سلكها فهو رابح بالفوز.

(ومستودعها حافظ): فيه روايتان:

أحدهما: بفتح الدال، ومعناه هو أن كل قلب أودع التقوى فهو حافظ لصاحب التقوى من جميع الآفات.

(١) في (ب): العالية.

(٢) في شرح النهج: والجُنَّة.

وثانيهما: بكسر الدال ومعناه أن كل من استودع نفسه التقوى كان حافظاً لنفسه عمَّا يتلفها ويسقط حالها.

(لم تبرح عارضة نفسها على الأمم الماضين والغابرين): في فعلها وقبولها، والتلبس بها، وأن يكونوا من أهلها، ومن القائمين بحقها، ومن المستغرقين لأوقاتهم في استعمالها، والغابر هو: الماضي، يقال: غبر يومه إذا مضى.

(لحاجتهم إليها غداً): أي من أجل حاجتهم إليها في الآخرة، ومن أجل ما يحصل من النفع بسببها، وما يقع من الشرف والكرامة بالتعلق بها.

(إذا أعاد الله ما أبدى): من الأمم الماضية، والقرون الخالية.

(وأخذ ما أعطى): إما أخذ الأرواح بعد إعطائها، وإما أخذ سائر النعم واستردَّها بعد إعطائهم إياها.

(وسأل عما أسدى): من النعم الظاهرة والباطنة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[التكاثر:٨] والإسداء هو: الإفضال.

(فمن أقل من قلها[1]): القُل والقِل بالضم والكسر هو: الشيء القليل، وفي الحديث: «الربا وإن كثر فهو إلى قُلٍّ»[2].

(١) في شرح النهج: فما أقلَّ من قَبِلَها.

(٢) الحديث بلفظ المؤلف هنا هو في نهاية ابن الأثير ١٠٤/٤ لابن مسعود، وهو بلفظ: «الربا وإن كثر فإن عاقبته تصير إلى قُلٍّ» في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ١٥٩/٥ وعزاه إلى مسند أحمد بن حنبل١/٣٩٥، ٤٢٤، والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣٧/٢، وكنز العمال برقم (٩٧٥٨)، والكامل لابن عدي٤/١٣٣٣.

وقال الشاعر:

قــد يقصــر القُــلُّ الفتــى دون همِّــه

وقــد كــان لــولا القــلُّ طَــلاَّعَ أَنْجُــدِ[1]

وأراد فمن ترك متاعها القليل المنقطع.

(وحملها حق حملها): إما بالتشديد[2] وغرضه وجعلها حاملة من أمره ما يقدر على حمله[3] من ذلك، وإما بالتخفيف[4] ومعناه وحمل هو من متاعها ما يقدر على حمله من ذلك ولا يثقله.

(أولئك الأقلون عدداً): الإشارة[5] إلى قوله فمن؛ لأنه جمع في المعنى أي الذين عددهم عند الله قليل.

(وهم أهل صفة الله تعالى): المستحقون لما وصف الله تعالى في كتابه الكريم إذ يقول:

(﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣]): وأراد أن من هذه حاله فإنه يقل

---

(١) البيت لخالد بن علقمة الدارمي، أورده في لسان العرب ١٥٤/٣ من بيتين قال: وأنشد الأصمعي لخالد بن علقمة الدارمي:

ويــل أم لــذات الشــباب معيشــة

مع الكثر يعطاه الفتى المتلف النـدي

قد يقصـر القـلُّ الفتـى دون همِّـه

وقـد كـان لـولا القـلّ طـلاع أنجـدِ

(٢) أي وحمَّلها.
(٣) في (ب): حملها.
(٤) أي وحملها.
(٥) في (ب): إشارة.

طلبهم، ولايكونون في الخلق إلا على القلة والندور؛ وذلك لما في سلوك طريقهم من الصعوبة فلا يكاد يسلكها إلا النادر القليل، وقد قيل: مهما عظم المطلوب قلَّ المساعد.

(فانقطعوا[1] بأسماعكم إليها): الضمير للتقوى أي كأنكم لا تسمعون شيئاً سواها، ولا يجري على أذهانكم غيرها.

(وواكظوا[2] بجدكم عليها): المواكظة: المداومة، وأراد داوموا بالجد والاجتهاد على فعلها، والتخلق بأخلاقها، وعمارة قلوبكم بفعلها.

(واعتاضوها): الاعتياض افتعال من المعاوضة.

(من كل سلف خلفاً): أي اجعلوها عوضاً وخلفاً عن كل ما مضى من أموركم وسلف منها فهي خير عوض.

(ومن كل مخالف موافقاً): واجعلوها موافقة لكم عن كل ما خالفكم من الأمور واعتاص عليكم فعله وتحصيله.

(أيقظوا بها نومكم): أي أزيلوا بها ما تعلق بكم من النوم والغفلة، واجعلوها سبباً في الانتباه عن الغفلة.

(واقطعوا بها يومكم): أراد اشتغلوا بفعلها في أيام الدنيا؛ لتكون منقطعة عنكم وأنتم ظافرون بالتقوى محصِّلون لها، وعبَّر باليوم عن أيام الدنيا.

---

(١) في شرح النهج: فأهطعوا.
(٢) في شرح النهج: وألظوا، أي ألحوا، وقال فيه: ويروى: (وأكظوا).

(وأشعروها قلوبكم): الشعار من الثياب: ما كان ملاصقاً للجسد، لا حائل بينه وبينه، وأراد ألصقوها بقلوبكم، وهو استعارة ومجاز حسن.

(وارحضوا بها ذنوبكم): رحض الشيء إذا أزاله، وأراد اجعلوها مزيلة لما وقع من الذنوب باكتسابكم لها.

(وداووا بها الأسقام): السقم هو خلاف الصحة، فلما كانت الذنوب مورثة للأسقام العظيمة، والهلاكات الجسيمة، جعل التقوى كأنها تزيل أسقام هذه المعاصي أي عقوباتها وآلامها المستحقة في الآخرة.

(وبادروا بها الحمام): الحمام: الموت؛ لأن بعد الموت فلا يستفاد بها، وهو مانع عنها، وقاطع لأمرها، وحقيقة حالها.

(واعتبروا بمن أضاعها): كيف حلت بهم العقوبات وأعقبتهم الندامة، وأفضوا إلى الخسران الدائم، والعقوبة السرمدية.

(ولا يعتبرنَّ بكم من أطاعها): أراد ولا تضيعوا حقها وتسقطونه من أيديكم فتصيروا موعظة يعتبربها ويتعظ من كان مطيعاً لها منقاداً لأمرها، سالكاً لطريقها غير مخالف لحقيقتها وأمرها.

(ألا وصونوها[1]): امنعوها عن مخامرة الذنوب، واكتساب[2] المعاصي فإنه لاتقوى مع ملابسة ذلك وفعله.

(وتصونوا بها[3]): أي وكونوا صائنين لأنفسكم بها، فإن مع التقوى تحصل صيانة النفوس، ومنعها عما يهلكها.

---

(١) في شرح النهج: ألا فصونوها.
(٢) في نسخة: في اكتساب المعاصي (هامش في ب).
(٣) في شرح النهج: بها، كما أثبته، وفي النسختين: عنها.

(وكونوا عن الدنيا نزّاهاً): أي متنزهين عن أطماعها، وسائر تعلقاتها المهلكة.

(وإلى الآخرة وُلّاهاً): وَلِهَ في[1] الشيء إذا رغب فيه، وتحيَّر عقله ولعاً به، وأراد بذلك شدة الرغبة في الآخرة.

(ولا تضعوا من رفعته التقوى): لأن ذلك يكون إسقاطاً لحق الله تعالى؛ لأن إيضاع حقه إنما كان من أجل اتقائه لله وخوفه له، وفي حديث عائشة: «ما أعجب رسول الله بشيء من الدنيا ولا أعجبه أحد إلا ذو تقوى»[2]، ووجد مكتوباً في التوراة: يا ابن آدم، اتق الله، ونم حيث شئت.

(ولا ترفعوا من رفعته الدنيا): لأن ذلك يكون[3] مضاداً لأمر الله، ومخالفة لحكمه.

(ولاتشيموا بارقها): شمت البرق إذا نظرت إلى سحابة حيث تمطر، وأراد لا تلتفتوا عليها في حالة من الحالات.

(و لاتسمعوا ناطقها): مجازاً عن سماع ناطقها، والغرض هو تركها.

(ولا تجيبوا ناعقها): يريد أنها إذا أقبلت عليكم فأعرضوا عنها.

(ولا تستضيئوا بإشراقها): فيه روايتان:

فتح الهمزة، وهوجمع شَرْق وهو: الشمس، وبكسرها وهو مصدر

---

(١) في (ب): وَلِهَ إلى الشيء.
(٢) رواه الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار ص٥٠ برقم(١٣). (وانظر تخريجه فيه).
(٣) يكون، سقط من (ب).

أشرق الشيء إشراقاً، إذا ظهر نوره، وأراد أنكم لا تنتفعوا بشيء منها.

(ولا تفتتنوا بأعلاقها): العِلْقُ هو: الشيء النفيس، وأراد أنكم لا تزولوا عن طريق الحق والاستقامة بما يظهر لكم من نفائسها، وزهرة حطامها.

(فإن برقها خالب): برق خُلَّب إذا كان لامطر تحته.

(ونطقها كاذب): يريد أنها لو نطقت لما نطقت إلابالكذب والغرور والأماني، أو يريد نطقها بلسان الحال عن ذلك.

(وأموالها محروبة): أي مأخوذة.

(وأعلاقها مسلوبة): يستلبها آخر بعد آخر، بينا هي لقوم إذ صارت لآخرين.

(وهي المتصدية[1]): أصله المتصددة أي المتعرضة لكنه أبدل من أحد حرفي التضعيف ياء كما قيل: في تسررت تسريت.

(العنون): عنَّ الشيء إذا عرض، وأراد أنها[2] متعرضة لفعل كل مكروه وخديعة، وإما عارضة[3] أي زائلة وزائل ما فيها لامحالة.

(والجامحة): الجموح من الدواب هي: التي لا تقف على غرض صاحبها، بل تركب به الصعب والذلول.

(الحرون): من الخيل ما كان إذا أراد راكبه مشيه تأخر على أعقابه، ووقف تارة أيضاً.

---

(١) في شرح النهج: ألا وهي المتصدية.
(٢) في (ب): وأراد إما أنها...إلخ.
(٣) في (أ): وعارضة، بدون قوله: إما.

(والمائنة): الكاذبة، والمين: الكذب؛ لأنها تكذب بأهلها.

(الخؤون): فلا وفاء عندها لأحد.

(و[1]الجحود): جحد الشيء إذا أنكره، وأراد أنها جاحدة للخير لعزمها على الشر.

(الكنود): الكفور، وكند النعمة إذا كفرها.

(والعنود): عن الحق المائلة عنه، من قولهم: عند عن الطريق إذا سلك خلافها.

(الصدود): من قولهم: صدَّ عن الشيء إذا أعرض عنه، فوصفها بالصدود لما تراه من إعراضها عن أهلها وتركها لهم صرعى على جنوبهم.

(والحيود): المائلة عن الرشد، من قولهم: حاد عن كذا إذا مال عنه.

(الميود): المضطرب حالها، من قولهم: ماد البحر إذاتحرك واضطرب اضطراباً شديداً.

(حالها افتعال[2]): أي كذب وزور، وسمي الكذب افتعالاً واختلاقاً لأنه يزوره في نفسه، ويأتي به بإعمال فكرته من غير اعتمادمنه على مطابقة مخبره، ولا التفات إليه.

(ووطأتها زلزال): أراد إما من وطئته الدنيا زلزلته وأزعجته عن مكانه، وغيرت أحواله، وإما أن يريد أنها سريعة الزوال بأهلها بقطع الدابر واستئصال الشأفة منهم.

---

(١) الواو، زيادة من شرح النهج.
(٢) في شرح النهج: حالها انتقال.

(وعزها ذل): أي ومن اعتز فيها[١] فهو عن قريب صائر إلى الذل، بتغير أحوالها عليه.

(وجدها هزل): لأن الهزل ما لايعتمد عليه من الحديث، وأمورها كلها[٢] لا اعتماد عليها ولا التفات إليها.

(وعلوها سفل): أراد أن من كان فيها عالياً بالأمر والنهي، وبالحسب والشرف فعن قريب وقد أذلته وأوضعته وحطته عن شرفه، وأزالته عن نفوذ أمره ورئاسته.

(دار حرب): غضب وتلهف، من قوله[٣]: حرب الأسد إذا اشتد غضبه.

(وسلب): أي هذا يسلب هذا وذاك يسلب هذا.

(ونهب): تنهب فيها الأموال والنفوس وتختطف فيها الأرواح.

(وعطب): وهلاك، من قولهم: عطب الرجل إذا هلك.

(أهلها على ساق): أي على شدة، من قولهم: قامت الحرب على ساق إذا حمي أمرها، وظهر حالها.

(وسياق): بأهلها إلى الموت والقيامة في سرعة وقلق وإزعاج.

(ولحاق): لهم بمن مات من قبلهم.

(وفراق): للأحياء الباقين بعدهم.

---

(١) في (ب): بها.

(٢) في (ب): كأنها.

(٣) في (ب): قولهم.

(قد تحيرت مذاهبها): المذهب هو: المسلك والطريق، وغرضه أن طرقها فيها صعوبة فلا يمكن سلوكها.

(وأعجزت مهاربها): يعجز طالبها عن وجدانها، فلا يمكنه منها مهرب ولا حيلة.

(وخابت مطالبها): ضلت وفسدت، فلا سبيل إلى نيل مطلب من مطالبها.

ثم خرج إلى وصف حال أهلها بعد فراغه من وصف حالها بما تقدم بقوله:

(فأسلمتهم المعاقل) يريد أنهم نزلوا عنها خاضعين لم تكن مانعة لهم عن المنون وإصابة الموت.

(ولفظتهم المنازل): لفظه إذا دفعه، وأراد أنها دفعتهم عن الاستقرار فيها والسكون في جوانبها وحافاتها.

(وأعيتهم المحاول): المحاول جمع محالة وهو: التصرف، واشتقاقه من التحول والتصرف، وأراد أنها انسدت عليهم جميع أنواع الحيل والتصرفات كلها.

(فمن ناج): ثم قسَّمهم وذكر أنواعهم فمن ناجي، الناجي هو: المسرع.

(معقور): أي مقطوعة رجله.

(ولحم مجزور): أي مقطع، وقد يقال: المجزور هو المنحور.

(وشلو): أي عضو من أعضاء اللحم.

(مذبوح): أي مشقوق، والذبح: الشق للأوردة.

(ودم مسطوح[1]): أي مصبوب.

(وعاضّ على يديه): ضيقاً وحزناً، يقال: فلان عاضٌّ على يديه إذا امتلأ غيظاً وحنقاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾**[آل عمران:١١٩].

(وصافق لكفيه[2]): جاعل لأحدهما على الأخرى ندامة على فعله.

(ومرتفق لخديه[3]): أي جاعل مرفقيه حذاء خديه يبكي وهو مضيف إليهما خديه؛ لأن المحزون يفعل ذلك.

(وزار على رأيه): زريت عليه زراية إذا عبت عليه رأيه وفعله.

(وراجع عن عزمه): عمّا كان عازماً عليه ندامة وتحسراً.

(فقد[4] أدبرت الحيلة): أي ذهبت وصارت غيرنافعة.

(وأقبلت الغيلة): غاله إذا خدعه، والغيلة مصدر غاله غيلة أي خدعه خديعة، وأراد في هذا كله أنه ذهب الوفاء وزال بأهله، وبقي الخدع والمكر.

(ولات حين مناص): لا هذه هي النافية للجنس مثلها في قولك: لارجل في الدار، وهي تؤنث كما يؤنث ثُمّ وثَمّت وربّ وربّت، وحين اسمها، والمناص: المخرج، ويجوز أن تكون هي المشبهة بليس، أي ليس الحين حين مناص.

(١) في شرح النهج: مسفوح، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٢) في شرح النهج: بكفيه.
(٣) في شرح النهج: بخديه.
(٤) في (ب) وفي شرح النهج: وقد.

(هيهات هيهات): اسم من أسماء الفعل، ومعناه بَعُدَ ذلك.

(قد فات ما فات): من الدنيا كلها.

(وذهب ما ذهب): وإنما أُبهِمَ مبالغة في الذاهب والتالف، وإعظاماً للأمر فيه، وأنه بلغ مبلغاً لا يمكن إحاطة العقول به واستيلاؤها عليه.

(مضت الدنيا): ولّت مدبرة.

(لحال بالها): البال: القلب، وأراد لحال[1] خاطرها وماهي عليه، ثم تلا هذه الآية: (**﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾**[الدخان:٢٩]): مشيراً بها إلى ما أشار الله بها من تغير الدنيا على أهلها وانقطاع نعيمها عنهم، وانتقالها إلى غيرهم، فيحتمل أن يكون ذلك تهكماً بحالهم حيث لم يلتفت إلى مصارعهم ومهالكهم ولا بكى عليهم أحد، وقيل: ما بكت عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين[2]، وأراد فما بكى عليهم أهل السماء والأرض ممن ذكرناه.

وقد ختم هذه الخطبة بهذه الآية، وفيها من المناسبة لمعانيها والملاءمة لأوضاعها ومبانيها ما يدريه كل عاقل ذكي، ويتقاعد عن فهمه كل غافل عن الأسرار غبي.

(١) في نسخة أخرى: بحال.
(٢) صاحب القيل هذا هو الحسن البصري انظر الكشاف ٤/٢٨٠.

(٢٢٤) ومن خطبة له عليه السلام تسمى: (القاصعة)

سميت قاصعة إما من قولهم: قصع الماء عطشه إذا أذهبه؛ لأنها أذهبت ما في الصدور من الوحر والغيظ، وإما من قولهم: قصعت القملة إذا هشمتها وقتلتها؛ لأنها هشمت مكر إبليس وخدعه بالخلق.

وهي خطبة طويلة ذكرفيها ذم إبليس علىاستكباره وتركه السجود لآدم (عليه السلام)، وأنه أول من أظهرالعصبية وتبع الحمية، وتحذير الناس عن سلوك طريقه[1]:

(الحمدلله الذي لبس العزّ والكبرياء): العزّ: نقيض الذلّ، والكبرياء: التكبرو العظمة، واللبس ها هنا مجاز واستعارة، مثله في قوله تعالى: **﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾**[النحل:١١٢] ومن جيد ما يقال في المعنى قول من قال:

هما يلبسان المجد أحسن لبسه

شحيحان ما اسطاعا عليه كلاهما

(واختارهما لنفسه دون خلقه): يريد أنهما لا يصلحان إلا له لاستحالة معناهمافي حق غيره، أو يريد أنهما لا يقعان على جهة الحقيقة إلا في حقه، وإن أطلقا في غيره فعلى جهة التجوّز لا غير.

(١) في شرح النهج: من سلوك طريقته.

(وجعلهما حمى): أي محظور[1] لا يقرب، وأحميت المكان جعلته حمى، وفي الحديث: «لاحمى إلا لله ولرسوله»[2]، وسمع الكسائي في تثنيته حموان والقياس فيه حميان؛ لأنه من الياء، ولكنهم قلبوا ياءه واواً كما فعلوه في جباوة.

(وحرماً): أي حراماً لايحل انتهاكه ولا تعدّيه، ومنه قوله: مكة حرم الله.

(على غيره): أي لايصلحان في حق غيره لأنهما لا يصدقان إلافيه، فلهذا اختصا به.

(واصطفاهما): اختارهما، والاصطفاء هو: الاختيار.

(لجلاله): أي من أجل أنهما لايصلحان إلا لمن له الجلال، وهو الاختصاص بالصفات الإلهية والعظمة.

(وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده): اللعنة: الإبعاد من الرحمة في الآخرة، وغرضه أن كل من نازع الله تعالى في عزّه وكبريائه كان مستحقاً للإبعاد من الرحمة، والتقريب من الويل والعذاب، وفي الحديث عن الله تعالى: «الكبر ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني في أحدهما قصمته»[3].

(١) في نسخة أخرى: محظوراً.

(٢) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٤١/٧ إلى البخاري ١٤٨/٣، ٧٢/٤، ٧٤، وسنن أبي داود (٣٠٨٣)، ومسند أحمد بن حنبل ٣٨/٤، ٧١، ٧٣، والسنن الكبرى للبيهقي ١٤٧/٦، ٥٩/٧، والمستدرك للحاكم النيسابوري ٦١/٢ وعزاه أيضاً إلى غيرها من المصادر.

(٣) الحديث بلفظ: ((العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قصمته)) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٢٨/١٣، وانظر موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف٥٣٨/٦.

(**ثم اختبر بذلك**): الاختبار: الامتحان، والإشارة إلى المذكور أولاً وهو الاعتراف لله تعالى بالعز والكبرياء.

(**ملائكته المقربين**): من رحمته، أو المقرَّبين إلى المواضع الشريفة المقدَّسة كالعرش والكرسي وغيرهما.

(**ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين**): فمن أطاع للأمر ونفوذه فهو المتواضع للجلال والمعترف بحاله، ومن عصى في ذلك وأنكره فهو المتكبر المستحق للوعيد.

(**فقال سبحانه**): مخبراً عمَّا سبق في علمه من طاعة من يطيع ومعصية من يعصي من هؤلاء المأمورين الملائكة وإبليس.

(**وهو العالم بمضمرات القلوب، ومحجوبات الغيوب**): هذه الجملة واردة على جهة الاعتراض لا محل لها من الإعراب، وإنما وردت منبهة على أن سبق العلم ونفوذه من قبل ليس موجباً للسجود في حق من أطاع به، ولا مانعاً وحائلاً عن السجود في حق من عصى بتركه، ثم تلا هذه الآية:

(﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾)[ص:٧١]: يريد آدم (عليه السلام).

(﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾)[ص:٧٢]: أحكمت صنعته.

(﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾)[ص:٧٢]: لانفخ هناك، وإنما هو استعارة في إجراء الروح في هذه الصورة الطينية.

(﴿فَقَعُوا﴾): أمر بالوقوع والإسراع فيه.

(﴿لَهُ﴾): أي من أجله تعظيماً له لخلقي، وتشريفاً لما خلقت بيدي.

(﴿سَاجِدِينَ﴾): متواضعين لجلالي في سجودكم، وإكراماً لآدم من أجلي.

(﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾)[ص:٧٣]: أذعنوا للأمر وأطاعوا بالسجود.

(﴿كُلُّهُمْ﴾): ما تخلف منهم واحد انقياداً لله وامتثالاً لأمره.

(﴿أَجْمَعُونَ﴾): تأكيداً بعد تأكيد، تعظيماً لحالهم، وتعريضاً بحال إبليس في تأخره مع سجود[1] من هو أعز منه وأفضل وأشرف منزلة عند الله وأعظم تقدماً وهم الملائكة.

(﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾): الأكثر على أنه استثناء منقطع؛ لأنه من غير جنس الملائكة، وإنماهو من الجن.

(**اعترضته الحمية**): الاحتماء على أصله، وإنما قال: (اعترضته) على أنه لعنه الله تعالى آثرها وحرَّك داعيها وأقبل إليها.

(**فافتخر على آدم بخلقه**): بأن قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[ص:٧٦].

(**وتعصب عليه لأصله**): بأن قال: أنا جوهر نوراني مشرق رقيق، ذو لهب عالي، وأنت من جوهر تربي لاصفاء له فيه مختصاً بعكس صفائي هذا، ويزعم بعد ذلك أنه لا تداني بين الفضلين، ولا تقارب بينهما.

(**فعدو الله**): العداوة في حق الله إنما تعقل على معنى إنزال الضرر بالغير والإهانة.

---

(١) في (أ): سجوده، وما أثبته من نسخة أخرى.

(إمام المتكبرين[1]): متقدمهم؛ لأنه هو الذي سنَّ هذه الخصلة، وأول من دعا إليها وتلبس بها.

(وسلف المستكبرين): السلف: من تقدم، وأراد أنه الغاية في ذلك.

(الذي وضع أساس العصبية): الأساس هو: أصل البناء، وهو مجاز هاهنا.

(ونازع الله رداء الجبرية): المنازعة: المخاصمة، والأصل هو منازعة رأس الفرس لراكبها والتصعب عليه، والجبرية هو: التجبُّر والعظمة، وأراد بالمنازعة هو أن الله تعالى أمره فأبى، وحكم عليه بالسجود فتمرد وعصى، فهذا هو وجه المنازعة.

(وادَّرع لباس التعزز): ادَّرعه إذا جعله له درعاً، والتعزز: العزة والتكبر.

(وخلع قناع التذلل): أزاله وطرحه عن جسمه، والخلع مع الادراع كلها من باب المجازات والاستعارات العالية، فكان ذلك سبباً في ذُلّه وذريعة إلى حقارته وهونه.

(ألا ترون[2] كيف صغّره الله بتكبره): أعطاه الله الصَّغار من أجل ما احتمل من نفسه من الكبر واكتسبه.

(ووضعه بترفعه): وخصَّه بالضّعة وحقارة الرتبة، وخسة المنزلة من أجل ما فعل من الترفع بحاله والتعظيم لنفسه.

---

(١) في شرح النهج: إمام المتعصبين.

(٢) في شرح النهج: ألا يرون.

(فجعله في الدنيا مدحوراً): الدحر: الطرد والإبعاد، كما قال تعالى: ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً﴾[الصافات:٨-٩] أي دفعاً.

(وأعدّ له): هيَّأ ومكَّن.

(في الآخرة سعيراً): في القيامة ناراً متسعرة، وسعرت النار إذا أحميتها.

ثم شرع (عليه السلام) في النقض لشبهته والرد عليه فيما تعلق به، بقوله:

(ولو أراد الله): سبق في علمه، واقتضته حكمته.

(أن يخلق آدم من نور): أن تكون خلقة آدم أعظم خلقة من خلق إبليس، بأن يخلقه من نورعظيم.

(يخطف الأبصار ضياؤه): أي يزيل ضوءها من كثرة شعاعه ونوره، لأن كل ما عظم نوره فإنه يقال فيه: يخطف الأبصار، كما قال تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[البقرة:٢٠] من كثرة ضوئه ونوره.

(ويبهر العقول رُوَاؤُهُ): بهره إذا غلبه، وأراد يغلب العقول حسن منظره وبهائه.

(وطيب يأخذ الأنفاس عَرْفُه): العَرف: ما يشم من رائحة طيبة كانت أو خبيثة، وأراد ها هنا الطيبة التي يعظم وقعها في النفوس، ويعظم تأثيرها في الخياشيم من عَبْقَةِ[1] ريحها ونفوذه.

(لفعل): اللام جواب لو، أي لكان ذلك، ووقع من جهة القدرة، فإن من كانت قدرته لذاته فلا يعجزه شيء، ولا يخرج عن قادريته شيء من المقدورات.

---

(١) عبقة أي رائحة.

(ولو فعل ذلك): على جهة الفرض والتقدير؛ لكونه خلاف ما وقع.

(لظلت الأعناق[1] خاضعة): خضع عنقه إذا ذلّ وخضع، وأراد قسراً وإلجاءً كما قال تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[الشعراء:٤].

(ولخفّت البلوى فيه على الملائكة): وبعد حصوله على هذه الصفات[2]، إذ صار أعظم منهم حالاً، وأشرف خلقة.

(ولكن الله تعالى[3] سبحانه): استدراكاً لما قدَّره من جهة خلقة آدم التي لم تكن أصلاً.

(يبتلي خلقه): يختبرهم ويمتحنهم بضروب الامتحانات والاختبارات.

(ببعض ما يجهلون أصله): ما الحكمة فيه؟ وما لله فيه من غرض؟

(تمييزاً بالاختبار لهم): في إطاعة من يطيع منهم، ومعصية من يعصي.

(ونفياً للاستكبار عنهم): وإزالة للتكبر ألاّ يخالطهم ويستولي عليهم.

(وإبعاداً للخيلاء منهم): الخال والخُيلاء والمَخْيَلَة هي: التكبر والتعاظم والفخر، قال رؤبة:

والخال ثوب من ثياب الجهال[4]

(فاعتبروا): في ترك الكبر والتعاظم والفخر، والتلبس بها والارتداء بأثوابها.

---

(١) في شرح النهج: لظلت له الأعناق...إلخ.

(٢) الصفات، سقط من (ب).

(٣) تعالى، سقط من (ب) وشرح النهج.

(٤) لسان العرب ٩٣١/١ وعجزه: والدهر فيه غفلة للغفال.

(بما كان من فعل الله بإبليس): لما فعل هذه الأشياء، ودعا إليها وتلبس بها.

(إذ أحبط الله عمله الطويل): إذ ها هنا ظرف، والعامل فيه (فاعتبروا)، وقت إحباط الله، والإحباط هو: الإزالة للثواب وإبطاله، بارتكاب المعاصي الكبائر.

(وجهده الجهيد): أي واجتهاده العظيم في عبادة الله تعالى وطاعته، وإرداف الجهد بالجهيد من باب الاشتقاق، كقوله تعالى: ﴿يَاأَسَفَى عَلَى يُوسُفَ﴾[يوسف:٨٤] وآية ذلك وعلامته أنه لبث مدة عظيمة في العبادة:

(وقد كان عبد الله ستة آلاف سنة): هذا أمر لايكون إلا توقيفاً من جهة الرسول (عليه السلام)؛ لأن هذه الأمور لا تعلم إلا من جهة الله تعالى[1] أو من جهته.

(لا يُدرَى من سني الدنيا أو من سني الآخرة)[2]: شك أمير المؤمنين في تحقيق ذلك.

(على[3] كبر ساعة): وهو أمره بالسجود فأبى عن ذلك.

(فمن بعد إبليس[4]): من الإنس والجن إذا فعل مثل هذه المعصية.

(يسلم على الله بمثل معصيته): أراد يكون سالماً عند الله تعالى بمثل معصيته من غير تفرقة بينهما من وجه واحد.

---

(١) تعالى، زيادة في (ب).

(٢) في شرح النهج: لا يدرى أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة.

(٣) في شرح النهج: عن كبر ساعة واحدة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٤) في شرح النهج: فمن ذا بعد إبليس.

(كلا): ردع عن هذا وزجر، فإنه يستحيل في العقول، وفي الحكمة أن الله تعالى يعاقب مكلفاً على ذنب، ثم يصدر من جهة غيره مثل ذلك الذنب لا يعاقبه عليه ويعفو عنه، وهما على حالة واحدة.

(ما كان الله سبحانه ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً): يشير بكلامه هذا إلى أن الكبر والعزة والفخرو التخايل كلها قبيحة، ويستحيل في الحكمة أن الله تعالى يهلك إبليس بتكبر في حاله هلاكاً لايمكن وصفه، ولا ينال حده، ثم يصدر مثل ذلك التكبر بعينه من غير إبليس، فيغفره الله له، ويدخله الجنة مع فعله له، فمثل هذا محال في العقول وفي الحكم الإلهية، ولهذا أتى بالجحد في أول الجملة مبالغة في الأمر، وأن مثله غير كائن، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ﴾[البقرة:١٤٣] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾[الأنفال:٣٣]، ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[آل عمران:١٧٩]، إلى غير ذلك من الجمل المؤكدة بالجحد.

واعلم: أن كلام أمير المؤمنين ها هنا يشير إلى أمرين:

أحدهما: أن بعض المعاصي الكفرية لا تصدر من جهة شخص وتكون كفراً، إلا وتكون إذا صدرت من شخص آخر على ذلك الوجه كفراً لا محالة من غير تفاوت، فلو أُمِرَ الآن بعض الشياطين[1] بالسجود لبعض الأنبياء ثم تكبر عن ذلك، وردَّ الأمر لكان حاله مثل حال إبليس لا محالة، وهذا على ظاهره مسلَّم مع فرض المماثلة من جميع الوجوه كلها، فأما مع فرض المخالفة في بعض الوجوه فهذا غير مسلَّم وظاهره يقضي بالمماثلة.

(١) في (ب): السلاطين.

وثانيهما: أن ظاهر كلامه يوهم أن إبليس من الملائكة، وهذا مخالف لما ورد به التنزيل، حيث قال تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾[الكهف:٥٠] فإن قوله: (كان من الجن) تصريح بأنه ليس من جملة الملائكة، وهي جملة واردة على جهة التعليل لتركه للسجود وإعراضه عنه، وفيه تعريض بحال الجن في كثرة فسقهم وتمردهم، وهذه الرواية أيضاً محكية عن ابن عباس[1]، وأظن أن كلام أمير المؤمنين هو أصلها وقاعدتها، فإنه منه أخذ، وهو أستاذه وله تلمَّذ.

ويمكن تأويل كلام أمير المؤمنين بأن مراده بقوله: (ما كان الله ليدخل الجنة بشراً بأمر أخرج به منها ملكاً) أن ذلك وارد على جهة التمثيل دون التعيين في هذه القصة، فإن قدر أمير المؤمنين أشرف وأعلا أن يخفى عليه حال إبليس ومن أي جنس هو.

(إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد): يريد فلا تختلف حال المعاصي بحال من فَعَلَهَا إذا كانت الأوجه والمفاسد فيها واحدة.

(وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة): يريد أن المقرَّب إلى الله تعالى إنما هو الأعمال الصالحة، والمبعد عنه هو الأعمال السيئة من غير أمر وراءهما، والهوادة هي: المصالحة والميل، وهما مستحيلان على الله تعالى.

(في إباحة حمى حرَّمه الله): حظره ومنع منه وأوعد عليه العقوبات الأليمة.

(١) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ٦/٤٣٥-٤٣٦.

(على أحد[1] من العالمين): بل كلهم مستوون في تحريم ما حرَّم، وإباحة ما أباحه مع استواء وجه المصلحة في حقهم.

(فاحذروا عباد الله[2]): أمر لهم بالحذر وملك نفوسهم عن نفوذ مَكْرِهِ.

(أن يعديكم بدائه): أعدى فلان فلاناً بدائه وَخُلُقهُ إذا وصل ذلك إليه، وسرت إليه علته بسبب من الأسباب، وأراد التلبس بما هو عليه من المكر والخديعة، وإلا فالإعداء لا وجه له، وفي الحديث: «لا عدوى، ولا هامة، ولاصفر»[3].

(وأن يستفزكم بخيله وَرَجْلِهِ): أراد يغير عليكم بالخيل والرجال، وهو تمثيل بحال من يغار عليهم فيستفزون وتضيق أحوالهم من أجل ذلك.

(فلعمري): مضى تفسيره غير مرة.

(لقد فوّق إليكم[4] سهام الوعيد): سدَّد إليكم سهام الوعيد، بقوله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾[الأعراف:١٦-١٧]، وقال في آية أخرى: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الحجر:٣٩].

---

(١) قوله: على أحد، سقط من شرح النهج.
(٢) في شرح النهج: فاحذروا عباد الله عدو الله أن يعديكم بدائه.
(٣) عزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٧/٢٧١ إلى مسند أحمد بن حنبل ١/٣٢٨، ٤٤٠، والسنن الكبرى للبيهقي ٧/١٣٥، ٢١٦، ٢١٨، ومجمع الزوائد للهيثمي ٥/١٠٢، وكنز العمال برقم (٢٨٦١٣)، (٢٨٦١٦) وعزاه إلى غيرها من المصادر (انظرها هناك).
(٤) في شرح النهج: لكم.

(وأغرق لكم[1] بالنزع الشديد): يقال: أغرق في نزع قوسه[2] إذا بلغ الغاية من جذبها[3]، وكنى بذلك عن شدة العناية والاجتهاد في الإغواء.

(ورماكم): بأسهمه، ونصاله.

(من مكان قريب): أراد إما قرب من[4] الأرض فإن إضلاله حاصل فيها، وإما القرب المجازي وهو الإيحاء بالوسوسة، والنفث في الخاطر بالإغواء:

(وقال: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر:٣٩]**)**: خذلتني حتى صرت غاوياً.

(﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾[الحجر:٣٩]**)**: أعمالهم القبيحة.

(﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾[الحجر:٣٩]**)**: آتيهم من طرق كثيرة ليغووا.

(﴿أَجْمَعِينَ﴾): بأجمعهم لا يبقى منهم أحد.

(قذفاً بغيب بعيد): قذفه بالحجر إذا رماه بها، والغيب البعيد هو قوله: (لأغوينّهم)[5]، (ولأزيننّ)، (ولآتينّهم)، وغير ذلك، وانتصابه على المصدرية أي يقذفهم[6] بما ذكره قذفاً بأمور مغيَّبة لا يُدرى حالها، بعيدة الوقوع لا يُظَنُّ حصولها.

---

(١) في شرح النهج: إليكم.
(٢) في (ب): فرسه.
(٣) في (ب): جيدها.
(٤) من، زيادة في (ب).
(٥) في (ب): لأغوينّهم أجمعين.
(٦) في (ب): فقذفهم.

(ورجماً بظنٍ غير مصيب): أي ويرجمهم رجماً بالظنونات الكاذبة المتوهمة التي لا إصابة له[1] بحال، ها هنا كلام محذوف تقديره: فمن عصمه الله بلطفه، وتداركه بألطافه الخفية حماه عن كيد إبليس وإغوائه، ولم يصدِّق عليه ظنه، فأما من خذله الله تعالى فإنه يصدِّق عليه ظنه، والغرض بصدق الظن ها هنا هو أن كل ما حدسه وسبق إلى وهمه من فعل الموبقات من جهتهم فهو واقع لا محالة، وقد:

(صدّقه أبناء الحمية): أهل الكبر والفخر من الجاهلية.

(وإخوان العصبية): وأهل التعصب لأحسابهم وفخرهم.

(وفرسان الكبر والجاهلية): من استحكم أمره في شيء قيل: هو فارس فيه، وأراد من عظم أمره في التكبر.

(حتى إذا انقادت له الجامحة): حتى هذه متعلقة بمحذوف، تقديره: فما زال بخدعه وعظيم مكره وختله يفتل في الذروة والغارب حتى أطاعته النفس الجامحة، وإنما سماها جامحة لصعوبة علاجها وجموحها بالإنسان إلى كل مكروه، ومنه فرس جموح وهي: التي تغلب صاحبها.

(منكم): من ها هنا للتبعيض، وأراد من ساعده في ذلك الإغواء.

(واستحكمت الطَّماعية): الطماعية: الطمع كالكراهية والعَلانية، واستحكام الطمع: رسوخه وغلبته.

(منه): من جهته.

---

(١) في (ب): لها.

(فيكم): صرتم مكاناً لها، وظرفاً يستقر فيه.

(فنجمت الحال[1]): نجم الشيء إذا ظهر، وأراد ظهر الأمر[2].

(من السر الخفي) من ها هنا لابتداء الغاية أي مما كانوا يسرونه ويكتمونه وانتقل:

(إلى الأمر الجلي): الظاهر الذي لا شك فيه.

(استفحل سلطانه عليكم): عظم قهره واستيلاؤه، وإنما جاء بغيرواو لأنه جواب إذا، وأراد أنه إذا انقادت له النفوس عظم مكره لا محالة.

(ودلف بجنوده نحوكم): أي تقدم بأنصاره وأعوانه لقضاء غرضه منكم[3].

(فأقحموكم ولجات الذل): فأوقعوكم في مداخل المهالك، والوَلْجَةُ: المدخل.

(وأحلوكم ورطات القتل): الورطة: المهلكة، وأراد أنهم مكّنوهم منها حتى حلُّوها، كما قال تعالى: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:٢٨].

(وأوطئوكم إثخان الجراحة): أي حملوكم على أن تُجْرَحُوا الجرح المثخن الغليظ الواسع.

(طعناً في عيونكم): بالرماح، وطعناً ينتصب على المصدرية، أي يطعنونكم[4] طعناً.

---

(١) في شرح النهج: فنجمت فيه الحال.
(٢) في (ب): ونسخة أخرى: وأراد ظهر سرائر.
(٣) في (ب): منهم.
(٤) في (ب): يطعنوكم.

(وحزاً في حلوقكم): بالشفار والسيوف.

(ودقاً لمناخركم): المنخر[1]: مكان النخر وموضعه، وغرضه أنهم يدقون مناخركم[2] ويهشمونها.

(وقصداً لمقاتلكم[3]): أي لا يتركون سبيلاً وذريعة إلى قتلكم إلا فعلوه وأمّوه.

(وسوقاً بخزائم القهر إلى النار المعدّة لكم): أراد ويسوقكم سوقاً من أجل قهره بخزائمكم إلى النار المهيأة من أجلكم، وذكر الخزائم إنما هو على جهة الاستعارة؛ لأن الإنسان أمنع ما يكون بخزائمه، فإذا أخذت الخزائم قهراً، فلا خير بعد ذلك، فهكذا صنعه هو وجنوده بكم[4].

(فأصبح أعظم في دينكم جرحاً): أصبح إذا دخل في الصباح، وغرضه فأصبح على أعظم ما يكون من الجرح والإبطال لأديانكم.

(وأورى في دنياكم قدحاً): وري الزند إذا ظهرت ناره، والقدح: ما تستورى به النار، وأراد أنه لم يألُ جهداً في تغيير أحوال دنياكم وتكديرها.

(من الذين أصبحتم لهم مناصبين): يريد أنه أعظم عليكم ضرراً وأدخل مكراً من هؤلاء الذين نصبتم لهم العداوة، والمناصبة: المعاداة.

(وعليهم متألبين): مجتمعين في المحاربة.

(فاجعلوا عليه حدّكم): أي شباتكم وشدة بأسكم.

(١) في (ب): المنحر مكان النحر.
(٢) في (ب): مناحركم.
(٣) في (ب): لمقاتلتكم.
(٤) في (ب): فيكم.

(وله جهدكم[1]): اجتهادكم في كل وجه ترجون به النكاية له.

(فلعمر الله): قسم مضى تفسيره.

(لقد فخر على أصلكم): بقوله: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾[الأعراف:١٢].

(ووقع في حسبكم): اغتا بكم بما تكرهون ذكره فيكم، وفي الحديث: «الوقيعة في العلماء من الكبائر» يشير به إلى ما يعتقده من أن النار جوهر لطيف، والتراب جوهر كثيف[2].

(ودفع في نسبكم): إما بافتخاره على أبيكم حيث قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾[الأعراف:١٢]، وإما بما يجري منه من الاحتيال على الزنا وركوب الفروج على غير وجهها، كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾[الإسراء:٦٤] وقد قررنا تفسيره من قبل.

(وأجلب بخيله عليكم): يريد أنه بلغ الغاية القصوى في الإغواء لكم، والاجتهاد في إزلالكم.

(وقصد برَجْلِهِ سبيلكم): معناه وأقعد رَجْلَه رصداً للإغواء لكم في مواضع السبل وطرائق[3] الهدى تلبيساً عليكم وتعمية.

(يقتنصونكم بكل مكان): الاقتناص: الاصطياد، وغرضه أنهم[4] يصطادونكم بكل طريق يجدون إليها سبيلاً لايفترون عن ذلك.

(١) في شرح النهج: جدكم.
(٢) أي غليظ.
(٣) في (ب): وطرق.
(٤) في (أ): أنكم.

(ويضربون منكم كل بنان): يريد الأطراف والأوصال، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[الأنفال:١٢].

(لا تمتنعون بحيلة): لكثرة استيلائهم، وعظم تسلطهم.

(ولا تدفعون بعزيمة): بجد واجتهاد وإن بلغ كل غاية.

(في حومة ذل): الحومة: معظم القتال، وغرضه أعظم ما يكون من الذل فيكم.

(وحلقة ضيق): إذا وقع الرجل في أمر صعب قيل: وقع في حلقة.

(وعرصة موت): مكان الموت وموضعه الذي لا يزال فيه.

(وجولة بلاء): الجولة واحدة الجولات، وهي: المصاولة في الحرب، فهذه الأمور كلها حاصلة من جهته مكراً وعداوة.

(فاطفئوا ما كمن في قلوبكم): استكنَّ واستتر.

(من نيران العصبية): التعصب.

(وأحقاد الجاهلية): الحقد: عبارة عما يكنّه الصدر من العداوة.

(وإنما تلك الحمية في المسلم): أراد أن المسلم لا يخلو عن ذلك، وإنما يكون سببها وانقداحها:

(من خطرات الشيطان): ما يخطره ويحركه من قلب الإنسان، وما يولجه في نفسه.

(ونخواته): من عزته.

(ونزغاته): النزغة من الشيطان هي المرة الواحدة من الفساد والإغواء من جهته.

(ونفثاته): وما يلقيه في الآذان من الوسوسة، فهذه كلها من مكر الشيطان وخدعه.

(واعتمدوا وضع التذلل على رؤوسكم[1]**)**: أي اجعلوه عمدة في أموركم كلها، شبَّه التذلل بشيء يكون فوق الرأس كالتاج والعمامة ونحوهما.

(وخلع التكبر من أعناقكم): نزله ها هنا منزلة الغل لما يلحق بحمله من وخيم العاقبة، ولهذا قال: فاخلعوه من أعناقكم.

(واتخذوا التواضع مُسلَّحة): المسلحة بضم الميم وتشديد اللام: قوم ذوو سلاح، والمَسلحة بفتح الميم وتخفيف اللام: الثغر والمرقب، وكلاهما لائق ها هنا، وغرضه أن يُجْعَلَ بمنزلة العسكر أو بمنزلة الثغر الحافظ.

(بينكم وبين عدوكم إبليس وجنوده): فإن عداوته لكم ظاهرة لا شك فيها.

(فإن له من كل أمة جنوداً): يصول بهم.

(وأعواناً): يستعين بهم.

(ورَجْلاً وفرساناً): يغالب بهم من ناواه، ويقهر بهم من عاداه، ويستظهر بهم على من خذله الله، وسلبه ألطافه فانقاد لدعائهم، وأوقع في أذنه وقلبه حسن ندائهم.

---

(١) بعده في شرح النهج: وإلقاء التعزز تحت أقدامكم.

(ولا تكونوا كالمتكبر على ابن أمه): يريد قابيل، فإن الله تعالى حكى قصتهما في كتابه الكريم، روي أنه أول قتيل قُتِلَ في الدنيا[1]، وما حمله على قتله إلا البغي والحسد، وقد نعى الله إليه فعله، وحكى وقوع ندامته.

(من غير ما فضل جعله الله فيه): أراد أن الله تعالى لم يزد هابيل فضلاً زائداً على ما أعطاه قابيل بل هما سواء في ذلك.

(سوى ما ألحقت العظمة بنفسه): أثارته الكبرياء والتعاظم، وكانا كامنين.

(من عداوة الحسد[2]): حيث رُفِعَ قُرْبَانُ أخيه ولم يُرْفَعَ قُرْبَانُهُ.

(وقدحت الحمية في قلبه من نار الغضب): قدح النار إذا أوراها، والحمية: الاحتماء، وأضاف القدح إلى الحمية؛ لأنها هي المؤثرة في ذلك والأصل فيه، ومن هذه للتبعيض، وغرضه أنها حرَّكتها.

(ونفخ الشيطان في أنفه من ريح الكبر): النفخ والريح ها هنا استعارات حسنة، والغرض تحريك الداعية له على ما فعله بأخيه من القتل، ومن ها هنا للتبعيض.

(الذي أعقبه الله به الندامة): أي من أجله وبسببه.

(وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة): إذ كان أول من قتل، وأول من سنَّ هذه السنة القبيحة السيئة[3]، وفي الحديث: «من سنَّ سنة سيئة

---

(١) الكشاف ١/٦٦٠.

(٢) في شرح النهج: الحسب.

(٣) وقال ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج ١٣/١٤٦ ما لفظه: وروى الطبري مرفوعاً أنه صلى الله عليه وآله قال: «ما من نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم (عليه السلام) الأول كفل منها، وذلك بأنه أول من سنَّ القتل»، وهذا يشيد قول أمير المؤمنين (عليه السلام). انتهى.

كان له[1] وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سنَّ سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة»، فلهذا قال: (وألزمه آثام القاتلين إلى يوم القيامة) يشير إلى ما ذكرناه لا غير، ويؤيده قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾[يس:١٢] يريد ماكان من عمل صالح أو سيء.

اللَّهُمَّ، اجعل أعمالنا مرفوعة متقبلة عندك قبل الموت وبعده، يا أكرم مسئول.

يحكى أنه لما قتله اسودَّ جسمه وكان أبيض، فسأله آدم [(عليه السلام)][2] عن أخيه؟ فقال: ما كنت عليه وكيلاً، فقال: بل قتلته، ولهذا[3] اسودَّ جسدك[4]، وقيل: إن آدم [(عليه السلام)][5] مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك[6].

ثم لما فرغ من ذكر الكبر التفت إلى أصحابه الذين يقاتلهم من أهل البغي، بقوله:

(ألا وقد أمعنتم في البغي[7]): بالغتم فيه ووصلتم فيه إلى كل غاية، وغرضه ها هنا المبالغة في الإنكار عليهم وبغيهم عليه[8]، ولهذا أتى بحرف التنبيه في أول الجملة منبهة على ذلك.

---

(١) في نسخة: عليه (هامش في ب).

(٢) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(٣) في (ب): فلهذا.

(٤) الكشاف ١/٦٦٠.

(٥) زيادة في (ب) وفي نسخة أخرى.

(٦) المصدر السابق ١/٦٦٠.

(٧) في (ب) وفي نسخة أخرى: في السعي.

(٨) العبارة في (أ): في الإنكار عليه وبغيه عليهم، وهو خطأ.

(وأفسدتم في الأرض): بالقتل والقتال على غير الحق ووجهه.

(مصارحة لله): إظهاراً وتصريحاً.

(بالمناصبة): أي المعاداة.

(ومبارزة للمسلمين[1] بالمحاربة): يريد إما خروجاً، من قولهم: برز الرجل إذا خرج، وإما أن يريد المنازلة[2] في الحرب، وهو أن يبرز أحد الرجلين للآخر في القتال.

(فالله الله في كبر الحمية): تكرير اسم الله تعالى يرد على وجهين:

أحدهما: أن يكون في الإغراء وهو أكثر وقوعاً كقولك: الله الله في تقوى الله وطاعته، يريد في[3] الحث عليهما والإتيان بهما.

وثانيهما: أن يكون وارداً في التحذير عن المعصية، كقولك: الله الله في البغي والعدوان، وأراد الترك لهما ومجانبتهما، ومنه ما ذكره ها هنا كقوله: الله الله في الحمية أي الكبرة والعظمة، يريد اتركوهما ولا تعرِّجوا عليهما.

(وفخر الجاهلية): لا تقربوه وهو تعاظمهم على غيرهم بحسب أو بمال[4]، وهذا كان عادة في الجاهلية حتى وضعه الله بالإسلام.

ويحكى أن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لما دخل يوم الفتح الكعبة[5] وقريش حوله،

---

(١) في (ب)، ونسخة أخرى: المسلمين، وفي شرح النهج: للمؤمنين.
(٢) في (ب)، ونسخة أخرى: المبارزة.
(٣) في، سقط من (ب).
(٤) في (ب): أو مال.
(٥) في (ب)، ونسخة أخرى: على الكعبة.

فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: «إن الله تعالى قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وافتخارها بالآباء، الناس كلهم من ولد آدم وآدم من تراب» ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ[1]﴾ إلى قوله: ﴿... إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣].

(فإنه): يريد المذكور أولاً من الكبر والفخر[2].

(ملاقح الشنآن): جمع مَلْقَح، والشنآن: البغض، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ﴾[المائدة:٢] أي بغضهم.

(ومنافخ الشيطان): جمع منفخ، وهو الذي تنفخ فيه، وهو مجاز كما ذكرناه أولاً.

(اللاتي خدع بها الأمم الماضية): فأزلَّهم عن الحق ونكبهم عن طريقه.

(والقرون الخالية): ممن طغى وبغى وتمرد وعصى، مثل عاد وثمود، وقوم إبراهيم، والمؤتفكات وغيرهم.

(حتى أعنقوا في حنادس جهالته): حتى هذه متعلقة بكلام محذوف تقديره: فأصروا على ما فعلوه من الكفر والتمرد حتى أعنقوا، والعنق: ضرب من السير للإبل والخيل مسبطر[3] تمدُّ فيه أعناقها ويزجيها[4]، والحنادس: الظلم، وقيل للحق: نور وضياء لما فيه من التحقق والقطع،

---

(١) زيادة في (ب)، وفي نسخة أخرى.
(٢) انظر سيرة ابن هشام ٣٥/٤ تحقيق عمر محمد عبد الخالق، وانظر خطبة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم فتح مكة كاملة في شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٨٠/١٧ عن الواقدي.
(٣) في (ب): مستطر، وهو تصحيف، وقوله: مسبطر أي ممتد وسريع.
(٤) أي ويدفعها.

وانشراح الصدر، وقيل للجهل: ظلم وحنادس لما فيه من الشك والتردد الذين يورثان الغمّ والضيق.

(ومهاوي ضلالته): المهاوي: جمع مهواة، وهي: الحفرة التي يتردى فيها الإنسان.

(ذللاً): متصاغرين مقهورين.

(عن سياقه): لما ساقهم وقهرهم فلا يخالفون أمره في ذلك.

(سلساً في قياده): من غير مدافعة ولاممانعة ولا مجاذبة، يقال: فلان سلس القياد إذا كان يسير[1] من غير استصعاب ومعاصاة في سيره.

(أمراً): أي احذروا أمراً.

(تشابهت القلوب فيه): أي تماثلت في قبوله فهذا يشبه هذا، وذاك يشبه هذا في كونه مفعولاً به لا ينكره منهم منكر[2].

(وتتابعت القرون عليه): في الاعتراف به والفعل له، يقال: تتابعوا على هذا إذا فعلوه عن آخرهم.

(وكبراً): أي واحذروا[3] كبراً.

(تضايقت الصدور به): أي ضاقت عن كتمانه وإسراره فأظهرته ولم تكتمه.

(ألا فالحذر الحذر): هذا منصوب على الزموا الحذر، وأوجب النحاة

(١) يسير، سقط من (ب).
(٢) في نسخة أخرى: لا ينكره فيمن ينكر.
(٣) في (ب): احذروا، بغير واو في أوله.

فيه إضمار الفعل فلا يظهر بحال لأجل التكرير؛ لأن أحدهما عوض عن الفعل فلا يجمع بينهما أصلاً.

(من طاعة ساداتكم): في مخالفة أمر الله والترفع عن طاعته.

(وكبرائكم): الكبراء: جمع كبير كنذراء في جمع نذير، وأراد والكبار ذوو الأسنان[1] فيكم والحنكة في أموركم.

(الذين تكبروا): تعاظموا وفخروا.

(عن حسبهم): أي ترفعوا عنه، وأرادوا الزيادة عليه تكبراً وفخراً.

(وترفعوا فوق نسبهم): خالفوه وأرادوا[2] الزيادة عليه والمخالفة لماعليه أصلهم حقيقةً.

(وألقوا الهجينة على ربهم): العيب والنقص، وأراد أنهم يقولون: إن الله تعالى جعل فلاناً معيباً منقوصاً لكونه مستحقاً لذلك، فالله تعالى جعله مستوجباً لئلا يخالط لحقارته ويتكبر عليه، ويترفع[3] عن مكالمته، فهذا معنى رد الهجينة على الله تعالى وهو الاستهجان والاستقباح كما أشرنا إليه.

(وجاحدوا الله على ما صنع بهم): أراد أن أحدهم إذا حصل له جاه عند الناس ومحمدة قالوا: إنما حصل[4] له ذلك من جهة نفسه، وذلك إنما كان من أجل جوده وسماحته، وفخره بآبائه، وما كان لهم من المجد والرفعة، وهذا كله جهل، فإن ذلك حصوله إنما هو من جهة الله تعالى،

(١) في (ب): الأنساب.
(٢) في (ب): بإرادة الزيادة...إلخ.
(٣) في (ب): وترفع.
(٤) في (ب): إنما جعل الله له.

فلهذا قال: (جاحدوا الله على ما صنع بهم) يشير به إلى ما قلناه.

(مكابرة لقضائه): حيث قضى بحصول النقص والعيب على بعضهم.

(ورداً لآلائه): حيث أنعم عليهم بما فعله لهم من المجد والسناء والرفعة، وزعموا أن كل هذا من جهتهم.

(فإنهم قواعد أساس العصبية): أصولها التي هي مبنية عليها، والقرارات التي هي متفرعة عنها.

(ودعائم أركان الفتنة): التي شيدت عليها.

(وسيوف اعتزاء الجاهلية): الاعتزاء هو: الانتساب، وأراد أن اعتزاءهم إلى الجاهلية وانتسابهم إليها بمنزلة السيوف القواطع للحق المهلكة للدين.

(فاتقوا الله): في ترك المتابعة للرؤساء في مخالفة الحق وموافقة الهوى.

(ولا تكونوا لنعمه عليكم أضداداً): في غمصها[1] وترك الاعتراف بحقها، والإقرار بشكرها؛ لأن من هذه حاله فهو مضادٌّ للنعمة غامص لها.

(ولا لفضله عندكم[2] حسّاداً): تحبون زواله عنكم، وتريدون ذلك بترك الشكر له، وهذه حقيقة الحاسد، ويحتمل أن يقال: إذا أنعم الله على بعضكم نعمة فلا يحل له أن يضادَّ من لا نعمة له، وإن من كان عنده فضل من الله فلايحل له أن يحسد من ليس عنده ذلك الفضل.

(ولا تطيعوا الأدعياء): الأدعياء جمع دعي وهو: الذي ينسب إلى غير أبيه، ويدعي ما ليس له فيه حق.

---

(١) غمص النعمة أي لم يشكرها.

(٢) في (ب): عليكم.

(الذين شربتم بصفوكم كدرهم): أراد أنكم خلطتم عقائدكم الصحيحة بعقائدهم الفاسدة، ومزجتموها بها، أو يريد أنكم خلطتم أعمالكم الصالحة بأعمالهم السيئة.

(وخلطتم بصحتكم مرضهم): المقصود من الصحة ها هنا هو الصلاح في الحال والاعتقاد، والمقصود من المرض هو الفساد في الحال والاعتقاد.

(وأدخلتم في حقكم باطلهم): شبتم الباطل بالحق وخلطتموه به، والمقصود من هذا الكلام النهي عن طاعة الذين يدَّعون الولاية من غير استحقاق لها، وعن مصاحبة الذين ينسبون إلى غيرآبائهم، وادّعاء ما ليس لهم أن يدَّعوه؛ لأن من كانت هذه حاله ودأبه وشأنه فلا يتقي شيئاً ولا يخاف محذوراً يقع فيه، وللصحبة لامحالة أثر في تعدي الأخلاق، واكتسابها لا يمكن إنكاره.

(وهم أساس الفسوق): قاعدته ومهاده.

(وأحلاس العقوق): الحلس: كساء من صوف يكون تحت برذعة البعير لا تفارقه، وكنّى بهذه الكلمة عن شدة ملازمتهم للعقوق الذي هو خلاف البر، لما كان الحلس لاينفك عن ظهر البعير.

(اتخذهم إبليس مطايا ضلال): إما يغير[1] بها إلى حيث شاء من الإغواء، وإما يرحل عليها أنواع الشبه وضروب الجهالات.

(وجنداً بهم يصول على الناس): في أخذ الباطل والتوصل إلى الظلم.

---

(١) في (ب): إما يعبر.

(وتراجمة ينطق على ألسنتهم): أراد أنهم يترجمون عن إبليس ويظهرون مراده، وكأن ألسنتهم لسانه، ولهذا قال: ينطق هو على ألسنتهم، ويقول:

(استراقاً لعقولكم): نهباً لها واستلاباً وإفساداً عن قبول الحق.

(ودخولاً في عيونكم): بتغطيتها عن الحق وتعميتها عن سلوك طريقه، هذا على رواية النون، وأما على رواية الباء فالغرض بالدخول في العيوب هو إظهارها وبثُّها وإفشاؤها.

(ونثاء[1] في أسماعكم): النثاء ممدود هو: الإشاعة، من قولهم: نثا الخبر إذا أشاعه[2] وشهره، وفي بعض نسخ الكتاب: (نثى) مقصور بالنون والثاء المثلثة وهو مثل الثناء، خلا أن[3] الثناء بتقديم الثاء خاص في الخير، والنثاء بتقديم النون يكون في الخير والشر جميعاً، ويروى أيضاً: (بثّا) و(نثّا)، والبثّ والنثّ بالباء بنقطة من أسفلها ونون هو: الظهور.

(فجعلكم مرمى نبله): المرمى يصلح أن يكون موضعاً، وأراد الغرض الذي يصيبه بسهامه، ويصلح أن يكون نفس الرمي أي سهام الرمي الذي يكون من جهته فلا يخطئ من أصابه.

(وموطئ قدمه): أراد تحت[4] رجله، يحتكم فيكم كيف شاء وأراد.

(ومأخذ يده): يتصرف فيكم كيف شاء فيأخذ ويترك ما أراد.

---

(١) في شرح النهج: ونفثاً.
(٢) في (ب): شاعه.
(٣) في (ب): على أن الثناء.
(٤) في (ب): وتحت.

(فاعتبروا بما[1] أصاب الأمم المستكبرين): الذين جعلوا الكبر لهم أساساً ومهاداً.

(من قبلكم من بأس الله وصولاته): من عذابه ونقماته، وقوله: من قبلكم، يريد ليكونوا لكم عبرة وأسوة وقدوة.

(ووقائعه): التي أوقعها بهم وأحلَّها بديارهم، وأنزلها بساحاتهم.

(ومَثُلاته): عقوباته.

(واتعظوا بمثاوي خدودهم): واجعلوها موعظة فإنها من أكبر المواعظ، وأعظمها وأجلها وأفخمها، والمثوى: مكان الثوى[2] والإقامة.

(ومصارع جنوبهم): والأماكن التي صرعهم الله فيها[3] بعذابه لهم، كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[الحاقة:٧]، وقوله: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾[الأعراف:٧٨].

(واستعيذوا بالله من ملاقح[4] الكبر): أي مما يولده الكبر من المقت والبغض في قلوب الناس، وقيل للرياح: لواقح لأنها تبشر[5] بالمطر، كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾[الحجر:٢٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً﴾[6][الأعراف:٥٧].

---

(١) في (أ): ما.
(٢) في (ب) وفي نسخة أخرى: المثوى.
(٣) في (ب): بها.
(٤) في (ب) وفي شرح النهج: لواقح.
(٥) في (ب): تنشر.
(٦) ورد لفظ الآية الشريفة في النسخ هكذا: (وهو الذي يرسل الرياح مبشرات)، وأثبتها من المصحف، أو يكون المقصود التي وردت في سورة الروم، ولفظها هكذا: ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾ فوقع السهو من النساخ فكتبت في النسخ كما أشرت إليه والله أعلم.

(كما تستعيذونه[1] من طوارق الدهر): حوادثه التي تحدث ليلاً، فالكبر لا خير فيه لأحد، ولا مصلحة فيه في دين ولا دنيا.

(فلو رخص الله في الكبر لأحد من عباده لرخص فيه لخاصة أنبيائه): يريد أن الله لو أذن في شيء من التكبر والعظمة لغرض من الأغراض، ومقصد من المقاصد لكان ذلك لا ئقاً بالأنبياء؛ لكونهم أشرف خلق الله وأعلاهم منزلة عنده وأقربهم مكاناً إليه.

(ولكن الله[2] كرّه إليهم التكابر): بغّضه إليهم ونفّرهم عن قبوله، والتلبس به.

(ورضي لهم التواضع): فحبّبه إليهم وكرَّه إليهم خلافه، وزيّنه في قلوبهم، فهم يقولون به ويفعلون وينطقون.

(فالصقوا بالأرض خدودهم): خضوعاً لعظمة الله وانحطاطاً لكبريائه.

(وعفروا بالتراب[3] وجوههم): التعفير: التمريغ، وأراد أنهم فعلوا ذلك تواضعاً لله تعالى.

(وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين): استعار هذا من خفض الطير لجناحه وهو كسره إذا همَّ بالانحطاط على[4] الأرض، ومدُّه إذا أراد الارتفاع للطيران.

(وكانوا أقواماً): من جهات متفرقة.

(١) في (ب): كما تستعيذوا به، وفي الجملة خطأ، وصواب الجملة: كما تستعيذون به..
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: ولكنه سبحانه كره...إلخ.
(٣) في شرح النهج: في التراب.
(٤) في (ب): إلى.

(مستضعفين): طالبين للضعف والمسكنة.

(وقد اختبرهم الله): ابتلاهم.

(بالمخمصة): وهي المجاعة؛ لأنها تخمص البطن فلهذا سميت بذلك.

(وابتلاهم بالمجهدة): مكابدة الأمور الصعبة، واحتمالها، وبذل الجهد فيها.

(وامتحنهم بالمخاوف): جمع مخافة، وخوفهم بما[1] كان من أجل من يبعثون إليه من أجل تغيرأحوالهم، واتباعهم فيتهددونهم بالقتل، والأخذ والحبس، وغير ذلك من أنواع البلاء، فلا يزالون أعمارهم خائفين.

(ومحّصهم بالمكاره): يروى بالحاء والصاد المهملتين، أراد اختبرهم وابتلاهم بما كانوا يكرهون، أو بما[2] كانت النفوس تكرهه، فصبروا على إمضائه حتى أمضوه[3]، ويروى بالخاء المنقوطة والضاد المنقوطة من مخض اللبن إذا استخرج منه الزبد.

(ولا تعتبروا[4] الرضا والسخط بالمال والولد): فتظنون أن إعطاءهما رضا من الله تعالى، وأن منعهما سخط من عنده، فليس الأمر كذلك، فكم من مُعْطَى أموال[5] وبنين والله تعالى ساخط عليه، وكم من محروم

(١) في (ب): مما.
(٢) في (ب) ونسخة أخرى: وإنما.
(٣) في (ب): أقضوه.
(٤) في (ب) وفي نسخة أخرى: ولا تعتبرون.
(٥) هكذا في النسخ: أموال، بالرفع، والصواب، أموالاً بالنصب لأنه مفعول ثانٍ، لقوله: مُعْطَى، والمفعول الأول هو نائب الفاعل، وهو ضمير مستتر في قوله: مُعْطَى.

لهما والله راضٍ عنه، وإنما ذلك كله على قدر ما يعلم من حال المصلحة في الإعطاء والمنع، فذلك يكون منكم:

(جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار): فيما يكون منها صلاحاً، وما يكون منها فساداً.

(في مواضع الغنى والإقتار): يريد الفقر، ثم تلا قوله تعالى[1]: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون:٥٥-٥٦]: يريد أن الأمر ليس على ما ظنُّوه، وإنما هو على حكمة منّا في ذلك وعلم بحاله.

(فإن الله تعالى يختبر عباده المستكبرين في أنفسهم): يريد المتعاظمين أهل الكبر والخيلاء والفخر فيما يكنونه في أنفسهم ويبطنونه في قلوبهم، فاختبرهم وامتحنهم:

(بأوليائه المستضعفين في أعينهم): الذين تزدريهم أعينهم وأنهم بزعمهم لا يَزِنُونَ في أعينهم قلامة ظفر، فجعلهم الله تعالى عبرة وامتحاناً لهم ليعلم كُنْهَ حالهم في التواضع.

(ولقد دخل موسى بن عمران ومعه أخوه هارون [عليهما السلام][2] على فرعون): لما أرسلهما الله إليه، وأوجب عليهما ذلك حيث قال: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[طه:٤٣].

(١) في شرح النهج: فقد قال سبحانه وتعالى.
(٢) زيادة في (ب).

قوله: **(ومعه أخوه هارون)** جملة حالية من موسى، كقولك: جاء زيد وريحه ينفح من المسك.

(وعليهما مدارع الصوف): المِدْرَعَةُ: جُبَّة من صوف قصيرة الأكمام.

(وبأيديهما العِصِيُّ): كل واحد منهما له عصاة من عود، فأخذ العَصِيّ أمارة للضعف والمسكنة، ولبس الصوف أمارة لكسر هوى الأنفس واستحقاراً لها.

(فشرطا له -إن أسلم- بقاء لملكه[1] ودوام عزه): أراد فدعواه إلى الله تعالى وإلى التوحيد والإقرار بالربوبية له، فأنكر ذلك ولم يصغ إلى قبوله، فشرطا ما ذكره رحمة من الله تعالى ولطفاً به، وتقريباً لنفسه كيلا يظن أنه إذا أسلم سلب ما هو عليه من تلك الحال في الملك والقهر والعزة؛ قطعاً من الله لمعذرته وإبلاغاً في الحجة عليه، فاستهون أمرهما واستضعف حالهما.

(فقال: ألا تعجبون من هذين): نبَّههم على الاستغراق في الأعجوبة من هذين الضعيفة أحوالهما المستركة هممهما.

(يشرطان لي دوام العز وبقاء الملك): إن أنا آمنت وأسلمت، واتبعتهما على أديانهما.

(وهما بما ترون): على ما تشاهدون.

(من حال الفقر): بلبس المدارع التي لا يلبسها إلا الفقراء.

(١) في شرح النهج: ملكه.

(والذل): بأخذ العصا في أيديهما التي لا يأخذها إلا أهل الذل والمسكنة ومن ضعفت حاله، فمن هذه حاله كيف تصدر عنه هذه المقالة، أو كيف تحمله نفسه على التصريح بذلك، فإذا كان لابد من هذه الدعوى لهما:

(فهلاً ألقي عليهما أساورة من ذهب): الأساورة أصله أساوير جمع أسوار لكنها حذفت ياؤه وعوض[1] عنها الهاء، وأسوار جمع سوار، وأراد بإلقاء الأسورة إلقاء مقاليد الملك، لأنهم كانوا إذا أرادوا تسويد الرجل وتمليكه سوَّروه بسوار في يده وطوَّقوه بطوق من ذهب في عنقه، والمعنى فهلا إذا كان صادقاً ملَّكه ربُّه وسوَّده، وجعل الذهب حاصلاً له.

(إعظاماً للذهب وجمعه): حيث جعله دلالة وأمارة على الملك والعظمة.

(واحتقاراً للصوف ولبسه): استضعافاً بحالة الصوف، وإهانة لمن يلبسه.

(ولو أراد الله سبحانه[2] بأنبيائه حين[3] بعثهم): أن يكرمهم بما ذكر من أنواع الحلي.

(أن يفتح لهم كنوز الذهبان): الذهبان جمع الذهب، وإنما جمع مع كونه جنساً لاختلاف أنواعه.

(ومعادن العقيان): العقيان: الذهب الخالص الذي لا يحتاج إلى إخلاص بالكير.

---

(١) في (ب)، ونسخة أخرى: وعوضت.

(٢) قوله: سبحانه، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٣) في شرح النهج: لأنبيائه حيث.

(ومفارش[1] الجنان): جمع مفرش، وهي: البُسُطُ والطنافس.

(وأن يحشر معهم طير السماء): جميع ما يطير في جوِّها.

(ووحوش الأرض): و ما فيها من الوحوش إكراماً لهم وإعظاماً لأحوالهم.

(لفعل): اللام جواب لو؛ لأنه قادر عليه ومتمكن من فعله لقدرته على كل المقدورات وأجناسها وأنواعها

(ولو فعل لسقط البلاء): لبطل الامتحان والاختبار.

(وبطل الجزاء): على ذلك الامتحان والاختبار لعدمهما.

(واضمحل الابتلاء[2]): بطل الاختبار وتلاشى.

وفي نسخة أخرى: **(واضمحلت الأنباء)**: والمراد بطلت الأخبار .. ورد من الوعد والوعيد، وأخبار الجنة والنار.

(ولما وجب للقابلين): للبلوى.

(أجور المبتلين): الممتحنين.

(ولا استحق المؤمنون): الذين ليسوا بمحسنين.

(ثواب المحسنين): الذين صدر من جهتهم الإحسان.

(ولا لزمت الأسماء معانيها): يريد ولزالت عن مسمياتها فلا يسمى الكافر كافراً ولا المؤمن مؤمناً، وهكذا القول في المتقي والعاصي والمطيع والبر والفاجر إلى غير ذلك من الأسماء، والمعنى في هذا كله أن الله تعالى

---

(١) في شرح النهج: ومغارس الجنان.

(٢) في شرح النهج: واضمحلت الأنباء.

لو أرسل الرسل والأنبياء على وجه، لا يشك كل من رآهم في أول الأمر بالاضطرار والإلجاء، أنهم صادقون فيما جاءوا به من أمر الرسالة والنبوة، وهو أن يبعث الله معهم الملائكة والطيور والوحوش ، ويبعث معهم كنوز الدنيا ومعادن الذهب والفضة، والياقوت والزمرد لارتفع الابتلاء والاختبار والتعبد، وزالت التكاليف كلها لأنها تكون ضرورية لا محالة، وفي ذلك بطلان التكاليف.

(ولكن الله): استدراك لجميع ما ذكره أولاً من وجوه الفساد والبطلان.

(جعل رسله أولي قوة في عزائمهم): فيمضون فيما أمروا به من غير مخالفة سواء كان ذلك سهلاً سلساً أو صعباً جرزاً، كما قال تعالى: **﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾**[الأحقاف:٣٥].

ويحكى أن نبياً من الأنبياء أوحى الله تعالى إليه، فقال له[١]: «أول ما يلقاك فكله» فعزم على امتثال الأمر وتهيَّأ له، فإذا الذي لقيه جبل أسود فلم يتمالك في تشمير الهمة، وتجدد العزيمة على أكله وتقرير[٢] في النفس أن الله تعالى[٣] لا يأمر إلا بما فيه مصلحة، فلما سار إلى الجبل الأسود كان كلما دنا منه خطوة صغر وتلاشى حتى صار لقمة أحلى من العسل، فقال: «يا رب، بيِّن لي»، فقال له: «إن ذلك الجبل هو الغيظ، فإذا كفه[٤] الإنسان وَحَلُمَ وجده بعد ذلك لقمة[٥] أحلى من العسل ؛ لما يكون من لذيذ عاقبة الصبر فيه».

---

(١) فقال له، سقط من (ب).

(٢) في (ب): وتقرر.

(٣) تعالى، زيادة في (ب).

(٤) في نسخة: كنّه (هامش في ب).

(٥) لقمه، سقط من (ب).

(وضعفة فيما ترى الأعين من حالاتهم): من البذاذة[١] واللباس الذي تعافه النفوس وتكرهه.

(مع قناعة تملأالقلوب والعيون غنى): يريد ومع ماوصفناه من ركّة المنظر، فإن الله تعالى خصَّهم بقناعةٍ غناؤها يملأ القلوب والأعين، حتى يوهمون أنهم ملوك الدنيا لا ستغنائهم عن أهلها.

(وخصاصة تملأ الأبصار والأسماع أذى): يريد وفقراً تكاد الأسماع والأبصار تكون ممتلئة منه لكثرة أذائه، وعظم مشقته وبلائه، ولقد كانت حالة نبينا ﷺ على قرب المكانة وعظيم[٢] الزلفة عند الله تعالى، لا تخفى على أحد في شدة الحاجة إلى الطعام، وصبره على مشقة الجوع[٣].

(ولو كانت الأنبياء أهل قوة لا ترام): لا يبلغ كنهها ولا يطاق على وصف حالها.

(وعزة لا تضام): الضيم هو: الظلم، وأراد أنهم معتزون لا يظلمون.

(وملك تمتد[٤] نحوه أعناق الرجال): لطلبه والتواضع لتحصيله واكتسابه.

---

(١) البذاذة: سوء الحال ورثة الهيئة (انظر القاموس المحيط ص٤٢٤).

(٢) في (ب): وعظم.

(٣) ومن ذلك ما أخرجه الموفق بالله (عليه السلام) في الاعتبار ص١١١ برقم(٦٣) بسنده عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ يبيت طاوياً ليالياً ماله ولأهله عشاء، وكان عامة طعامه الشعير»، وأخرجه المرشد بالله في الأمالي الخميسية٢/٢٠٧، وروى الموفق بالله أيضاً في الاعتبار ص١١٦ برقم (٧١) عن أنس بن مالك: «ما رأى رسول الله ﷺ رغيفاً محوراً حتى فارق الدنيا».

(٤) في شرح النهج: تمدُّ، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(وتشد إليه عقد الرحال): يريد أنه يوصل إليه من البلدان[1] القاصية والمواضع البعيدة.

(لكان ذلك أهون على الخلق في الاعتبار): أسهل لا محالة عند النظر في الحقيقة، وعند العبرة والتفكر[2].

(وأبعد لهم عن الاستكبار): عن أن يلحقهم التكبر، لأن مع هذه الحالة فلا وجه للتكبر والترفع؛ لأنهم أعظم حالاً، وأكبر أُبّهَة وعظمة، ممن بعثوا إليه، إذا كانوا على الصفة التي ذكرناها.

(ولآمنوا): أي ولكان إيمانهم وإقرارهم بجميع الأمور الإلهية.

(عن رهبة قاهرة[3]): من شدة بأسهم وبطشهم.

(أو رغبة): في إنعامهم وإحسانهم إلى الخلق.

(مائلة[4]): تميل إليها أعناقهم، وتخشع[5] لها أفئدتهم.

(ولكانت النيات مشتركة): أراد أن الأنبياء لو كانوا على الحال التي وصفناها من العظمة والملك؛ لكان جميع الأعمال المفتقرة إلى النيات مشتركة، بين الله تعالى وبين الأنبياء؛ لأن الرغبة والرهبة كما هي حاصلة من جهة الله تعالى فهي أيضاً حاصلة من جهة الأنبياء.

---

(١) في (ب): البلاد.

(٢) في نسخة: في التفكر (هامش في ب).

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: عن رهبة قاهرة لهم.

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: مائلة بهم.

(٥) في (ب): وتخضع.

(والحسنات مقتسمة): أي وما يفعل من الأعمال الصالحة مقتسمة بين الله وبين[1] أنبيائه.

(ولكن الله أراد أن يكون الاتّباع لرسله): بما أظهر عليهم من المعجزات الظاهرة والحجج النيرة.

(والتصديق لكتبه): التي جاءوا بها من أجل الشرائع واتباع الأحكام.

(والخشوع لوجهه): من أجل وجهه في جميع العبادات كلها.

(والاستكانة لأمره): الذلة والصَّغار من أجل امتثال أمره.

(والاستسلام لطاعته): الانقياد لها والاحتكام بسببها.

(أموراً خاصة[2]): لوجهه منفرداً بها عن غيره، لا يشاركه فيها مشارك.

(ولا يشوبها من غيرها شائبة): ولا يخالطها من أمور أخر غيرها مخالط فيغيِّرها عن مجراها، ويزيلها عن وجهتها.

(وكلما كانت البلوى والاختبار أعظم): يعني في صدق الأنبياء ومعرفة أحوالهم بالنظر والتفكر.

(كانت المثوبة والجزاء أجزل): أكثر ثواباً، وأجزل إعطاءً منه إذا لم يكن الأمر كذلك.

(ألا ترون أن الله سبحانه[3] اختبر الأولين [من لدن آدم صلوات الله عليه][4]): يريد من لدن آدم إلى يومنا هذا امتحنهم.

---

(١) بين، زيادة في (ب).

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: أموراً له خاصة.

(٣) قوله: سبحانه، زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج.

(إلى الآخرين): إلى أن يطوي الله أيام الدنيا ويفنيها.

(من هذا العالم): من هذه لبيان الجنس، أي الذين هم من جنس هذ العالم.

(بأحجار): بتعظيمها والطيافة حولها تبركاً بها.

(لا تضر): لا يحصل من جهتها ضرر لأحد.

(ولا تنفع): ولا تكون نافعة له بنفع.

(ولا تبصر): تدرك بأعيان.

(ولا تسمع): بآذان تكون لها، يشير بذلك إلى أنها لا فضل لها من أي نوع من الفضائل المحمودة، ويعرِّض بعبادة الأوثان والأصنام في عبادة مثل هذه الأحجار على ما وصف من حالها.

(فجعلها بيته الحرام): الذي حرَّمه أن يدخل إلا بإحرام، وجعل له شرفاً على غيره بخصال وأمور.

(الذي جعله للناس قياماً): عماداً لأمورهم، ومِلاَكاً لأحوالهم ونظاماً لشملهم.

(ثم وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً): الوعر: نقيض السهل، وانتصاب حجراً على التميز، أراد أن وعورته من جهة خشن أحجاره وصلابتها وجرزها.

(وأقل نتائق الدنيا مدراً): النتائق: جمع نتيقة، وهي بمعنى منتوقة أي مخرجة، تقول: نتقت الحجر إذا قلعتها، وأراد أن غيره من البلاد إذا قلعت

عنها الأحجار حصل عند القلع تراب جيد ناعم كثير يصلح للزرع، بخلاف حال مكة فإنها إذا قلعت عنها حجر فلا تراب هناك يلحقها، وإن لحقها فعلى القلة مع ما فيه من الدماثة[١] والحال التي لا تصلح أن تكون منبته.

(وأضيق بطون الأودية): أدخلها في الضيق وأعظمها حالاً فيه.

(قطراً): يريد مطراً، فإنه لا أقلَّ من مطر[٢] مكة ونواحيها.

(بين جبال خشنة): يريد جرزة متخشنة لا سلاسة فيها كسائر الأحجار.

(ورمال دمثة): رخوة.

(وعيون وشلة): قليلة الماء ونزرة المنبع.

(وقرى منقطعة): يريد أنها عن القرى على مسافات كبيرة لا يتصل بها إلا على صعوبة، وقطع مفاوز وخبوت[٣].

(لا يزكو فيها[٤] خف ولا حافر): أراد أنه لا ينمو ولا تكثر بركته من الإبل والخيل، والبغال والحمير، وغير ذلك من ذوات الحافر، وإن أقام فيها فعلى حالة ضعيفة، وأمور غير مستقيمة.

(ولا ظلف): من البقر والغنم، فهي على هذه الحال التي وصفها من ضيق عيشها، وصعوبة أمرها.

---

(١) في نسخة: الرمالة (هامش في ب)، قلت: والدماثة في المكان سهولته ورخاوته، وفي الخلق ليونته.
(٢) في (ب): قطر.
(٣) الخبت: المتسع من بطون الأرض، وجمعه أخبات وخبوت. (القاموس المحيط ص١٩٣).
(٤) في شرح النهج: بها.

(ثم أمر آدم وولده): الآمر هو الله، فإنه أمر آدم (عليه السلام) بحجه، فحج من أرض الهند، من أرض يقال لها: سر نديب حيث قبره الآن مشهور، أربعين حجة على رجليه، فتلقته الملائكة وقالت له: (يا آدم، برَّ حجُّك، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام)[1]، فاستمر على هذه الحالة حتى رفعه الله في أيام الطوفان، وقيل: كان من ياقوتة من يواقيت الجنة، له بابان من زمرد شرقي وغربي[2]، فلما رُفِعَ أمر الله جبريل أن يُرِيَ إبراهيم موضعه، فأراه ذلك فأسس القواعد عليه.

(أن يثنوا أعطافهم): يقال: ثنى عطفه إذا توجه إليه وقابله.

(نحوه): جهته وقبالته.

(فصار مثابة): مرجعاً، من قولهم: ثاب إلى كذا إذارجع إليه، يتفرَّق عنه الحجاج والمعتمرون ثم يرجعون إليه.

(لمنتجع أسفارهم): المنتجع هو: الموضع الذي يطلب فيه الكلأ، ويجوز أن يكون مصدراً أي لا تتجاع أسفارهم وهوبعدها.

(وغاية لملقى رحالهم): تنتهي إليه رحالهم فيلقونها عنده؛ لما كان هو البغية والمقصد إذ لا مقصد وراءه.

(تهوي إليه ثمار الأفئدة): هوى الشيء إذا سقط، وثمرة الشيء هي: أعلاه وأنفسه، يقال: ثمرة الفؤاد وثمرة القلب، وأراد تسقط عنده أغلى الأشياء وهي الأفئدة.

---

(1) الكشاف ١/٢١٣.

(2) المصدر السابق ١/٢١٣.

(من مفاوز قفار سحيقة): المفاوز جمع مفازة، وهي: الأرض الخالية، والقفار: المواضع التي لا أنيس بها، والسحيقة: البعيدة.

(ومهاوي فجاج): ومساقط طرق. والفجُّ: الطريق الواسع بين جبلين.

(عميقة): بعيدة الغور.

(وجزائر بحار): وأقطار وأقاليم بحرية، إما محيط بها البحر من جميع جوانبها، وإما لايمكن الوصول إليها إلا بركوب البحر.

(منقطعة): عن مواضع العمارة.

(حتى يهزوا مناكبهم): المنكب مضى تفسيره، وأراد بهزِّها تحريكها عند السير، وحتى هذه تصلح أن تكون بمعنى كي تعليل للأمر أي أمرهم من أجل أن يهزوا، وبمعنى إلى أن وتكون غاية له، والتعليل فيه أدق.

(ذللاً[1]): أذلاء خاشعين، وانتصابه على الحال من الواو في يهزوا.

(ويرملون على أقدامهم): الرَّمل: فوق المشي وهو دون السعي.

سؤال؛ أراه خصَّ الرَّمَل من الطواف، وخصَّ الأقدام مع أنه يجزي وإن كان راكباً؟

وجوابه؛ هو أنه ها هنا بصدد ذكر التواضع والخشوع والتذلل، فذكر الرَّمل لما فيه من مزيد الاعتناء على السير، وذكر تأديته على الأقدام لما فيه من زيادة الخضوع والتصاغر لعظمة الله وجلاله.

---

(1) في شرح النهج: ذللاً يهللون لله حوله.

(شعثاً): موفرين للشعور[1]، لا ينقصونها للزينة.

(غبراً): ألوانهم مغبرَّة، لما يلحقهم من مشقة السفر، وتجنّب الزينة، وما يكون سبباً في تطرية الأجسام وتحسينها.

(قد نبذوا السرابيل): نبذه إذا طرحه عن يده وظهره، والسرابيل: جمع سربال، وهو: عبارة عن القميص والسروايل وسائر أنواع ثياب الزينة واللباسات الفاخرة.

(وراء ظهورهم): كناية عن عدم الالتفات إليها لمكان التحريم، يقال: نبذ هذا وراء ظهره إذا كان لا يحتفل به ولا يرعيه طرفاً.

(وشوهوا بإعفاء الشعور محاسن خلقهم): أراد أنها ازدادت قبحاً في المنظر والصورة بإعفاء الشارب عن قصه، وترك نتف الإبط، وحلق العانة، والمره[2] في الأعين، وكل ما ذكرناه يزيد الخلقة تشوهاً، ولهذا ورد الشرع بهذه الآداب في غير هذه الحال؛ لما فيها من مزيد النظافة وحسن المنظر في الخلقة، وفي الحديث: ((عشر من سنن المرسلين، خمس في الرأس، وهي: الكحل، والمفرق، والسواك، وقصُّ الشارب، والمضمضة، وخمس في الجسد، وهي: حلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، والغسل، والختان))[3].

---

(١) في (ب): الشعور، وقوله: موفورين أي مكملين لشعورهم لم يقصوا منها شيئاً.

(٢) يقال: مرهت عينه إذا خلت من الكحل.

(٣) أخرجه موقوفاً عن علي (عليه السلام) الإمام الأعظم زيد بن علي عليهما السلام، في مجموعه ص٢٧٩ برقم (٦٨١) بسنده عن أبيه، عن جده، عن علي (عليه السلام) قال: ((عشر من السنة: المضمضة والاستنشاق، وإحفاء الشارب، وفرق الرأس، والسواك، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستجداد، وهو الاستنجاء)).

(ابتلاءً عظيماً): اختباراً من الله تعالى لخلقه؛ ليعلم سرَّ أحوالهم وكُنْهَ حقائق أمورهم، في طاعة من ينقاد لما أمر به، وإعراض من يعرض عن ذلك.

(وامتحاناً شديداً): في صعوبة التكليف وعظم حاله.

(واختباراً مبيناً): ظاهراً مكشوفاً لا لبس فيه على أحد؛ لما فيه من الوضوح بالغرض المقصود.

(وتمحيصاً بليغاً): لما فيه من المبالغة في المشقة بتأدية هذه الأمور الشديدة الصعبة.

(جعله الله): الضمير إما للبيت، وإما للحج.

(سبباً لرحمته[1]): إما وصلة إلى ثوابه لما وعد عليه من عظيم الأجر، وإما جعله لطفاً إلى نيل الغرض بتأدية أمور واجبة يكون مقرِّباً إليها وداعياً إليها لما فيه من مزيد الحث عليها، والحض على أدائها.

(ووصلة إلى جنته): لأنه وعد على تأديته بالجنة جزاءً عليه، وعوضاً عنه إذ لا جزاء إلا بها.

(ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام): يعني أنه لو شاء أن يجعله على غير الحال التي هو عليها، وعلى غير الصفة التي اختارها له.

(ومشاعره العظام): وأن يجعل المشاعر على غيرحالها، والمشاعر هي: المناسك، والمشعرالحرام هو أحدها، وسميت مشاعر لما جعل فيها

---

(١) في (ب): للرحمة.

من شدة التحفظ على أدائها والمواظبة على فعلها، والتحقق لذلك، أخذاً لذلك من شعور الإنسان وهو علمه، أو من مشاعر الإنسان وهي حواسه.

(بين جنات وأنهار): أشجار ملتف شجرها وأنهار مطردة[1] مياهها.

(وسهل وقرار): لاحزونة ولا جرز في مسالكه.

(جم الأشجار): كثيرها.

(داني الثمار): قريبة المجتنى، لا يحتاج في تناولها إلى تكلف.

(ملتف البنى): متلاصق البنيان، لا تفريق بين الأبنية لتزاحمها.

(متصل القرى): لا حائل بينها عكس ما ذكره من صفته الأولى.

(بين بُرَّة سمراء): وهو لون الأسمر، وهو بياض فيه حمرة.

(وروضة خضراء): الروضة: الشجر المجموع.

(وأرياف محدقة): الريف: كثرة الكلأ، وأحدق به إذا أحاط.

(وعراص مغدقة): أي كثيرة الماء[2]، وأغدق الماء إذا كثر وكان غزيراً.

(وزروع ناضرة): أي حسنة من النضارة وهو: الحسن.

(وطرق عامرة): بالسالك لها لما فيها من كثرة الاختلاف، وعمارة الطريق كثرة المارة فيه، أو يريد أنها سهلة للماضين فيها، والسالكين لها لا خراب فيها.

---

(١) في (ب): مطرة.

(٢) الماء، زيادة في (ب).

(لكان): اللام هذه هي جواب لو.

(قد صغر قدر الجزاء): أراد نقص الثواب عمَّا كان عليه لو لم يكن على هذه الحالة.

(على حسب ضعف البلاء): يريد على ضعف التكليف وهونه؛ لأن الجزاء إنما يكون على قدرالمشقة وصعوبتها فيضاعف الله الأجر من أجل ذلك.

(ولو كانت الأساسات المحمول عليها): يعني القواعد التي وضع عليها البيت.

(والأحجار المرفوع بها): التي شيدت فوق الأساسات.

(بين[1] زُمُرُّدة خضراء): نوع من الأحجار النفيسة له خضرة عالية.

(وياقوتة حمراء): إنما ذكر هذين الحجرين لتفاوت لونهما، ولأنهما أرفع هذه الأحجار النفيسة قدراً وأعزها ثمناً، ولهذا لا يكاد يوجد منهما إلا الفصوص القليلة.

(ونور وضياء): عوضاً عن الظلمة والسواد.

(لخفف ذلك مصارعة الشك): يريد نوازع القلوب، وتردد الشك.

(في الصدور): فيما يقع في القلب ويهمس في الخاطر من ذلك.

(ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب): إذ لايبقى له مدخل مع زوال تلك الصفات، وحصول هذه الصفات.

---

(١) بين، زيادة من (ب)، وفي شرح النهج: من.

(ولنفى): النافي إما الله تعالى لما فعل ما فعل، وإما أن يكون جعل البيت على هذه الصفات التي ذكرها.

(معتلج الريب من الناس): ما يقع في نفوسهم ويعتلج بها من وساوس الصدور والظنون المتوهمة، والمعنى في هذا كله أن الله تعالى لو وضع بيته في أطيب البقاع وأحسنها وأعظمها حالة في النضارة والإعجاب، وزيَّنه بالجواهر واليواقيت واللآلئ، والذهب والفضة لكان توجه الناس إليه راغبين إلى حالته هذه من غير أن يكون ذلك لوجه الله تعالى.ولقلَّ الشكُّ الذي يَعْرُضُ للإنسان في تكليفه بالمسير إلى بلد لا ماء فيه ولا نبات ولا زرع، وتحمل المشاقِّ العظيمة، وارتكاب الأخطار الجسيمة؛ لأن الشكوك إنما تنشأ في النفوس إذا كُلِّفُوا ما يخالف أهواءهم ويشق عليهم فعله، فهم يطلبون لذلك علة تكون فيها رخصة لترك ما هم بصدده من التكليف، وأراد باعتلاج الريب منازعة النفس لليقين، ودفعه بالشك، يقال: اعتلجت الأمواج إذا التطمت، واعتلجت الريح إذا اختلفت مهابُّها.

(ولكن الله[1]): استدراك عمَّا ذكره أولاً.

(يختبر عباده بأنواع الشدائد): يمتحنهم بضروب الأمور الشديدة.

(ويتعبدهم بألوان المجاهد): الجهد: المشقة، وأراد بأنواع المشاقِّ العظيمة.

(ويبتليهم بضروب المكاره): بما يكرهون من الأفعال والتروك.

---

(١) في (ب): ولكن الله تعالى.

(إخراجاً للتكبر عن قلوبهم): انتصاب إخراج على المفعول له أي فعل ذلك من أجل إخراج ما يقع من الكبر والعظمة من[1] قلوبهم، ويعتقدونه ويفعلون به.

(وإسكاناً للتذلل في نفوسهم): أي وليكون الذلة والصغار لجلاله ساكناً في نفوسهم، لا زوال له ولا انقضاء لحاله ودوامه.

(وليجعل ذلك أبواباً فُتُحاً إلى فضله): وكما فيه تلك الفائدة[2] التي أشار إليها، ففيه فائدة أخرى وهو كونه باباً وذريعة إلى الا زدياد من فضله وخيره، والفتح بضمتين هي: الأبواب المفتوحة كالذُّلُل أي المذللة.

(وأسباباً ذللاً[3] لعفوه): أي وتكون أسباباً دليلة لمن يسلكها ويريد فعلها من أجل تحصيل عفوه.

(فالله الله في عاجل البغي): أراد التحذير عنه وأنهم لايقربوه، لما فيه من المعاجلة بالعقوبة والإسراع فيها.

(وآجل وخامة الظلم): والتحذير أيضاً عما يكون في الآجل، وما يدخر ليوم القيامة من وخيم الظلم، والوخامة والوخومة: ما يستكرهه الإنسان من الأشياء، ولا يستطيبها.

(وسوء عاقبة الكبر): في الآخرة من الخزي من الله تعالى والنكال عليها.

(فإنها): يريد الكبر، والظلم، والبغي.

---

(١) في (ب): في.

(٢) في (ب): الإشارة.

(٣) في شرح النهج: ذللاً.

(مصيدة إبليس العظمى[1]): القياس فيه الإعلال وأن يقال: المصادة كالمقالة والمقامة، ولكنه شذَّ كما شذَّ قولهم: استحوذ، واستصوب، وأراد أنها أعظم الخصال التي يصيد بها الرجال.

(ومكيدته الكبرى): وأكبر ما يخدع به من المكائد التي أعدَّها وهيَّأها.

(التي تساور قلوب الرجال): تواثبها وتغالبها.

(مساورة السموم القاتلة): مواثبتها، فإن من شربها فإنه لا محالة هالك لا برء له ولاخلاص عنها.

(فما تكدي أبداً): أكدى الحافر إذا بلغ موضعاً لا يمكنه حفره لصلابته، وأراد لا يصعب عليها علاج أحد ولا إهلاكه.

(ولا تشوي أحداً): يقال: رماه فأ شواه إذا لم يصب المقتل، وغرضه أن رميها لا ينفك عن إصابة المقاتل.

(لا عالماً لعلمه): أي لا يترك عالماً فيهابه من أجل علمه.

(ولا مقلاً في طمرة): أي ولا يزدري مقلاً متلفعاً في طمرة لا يملك سواه، وغرضه أن مكيدته لاتبقي أحداً ولا خلاص لأحد عنهاإلا بتوفيق الله ولطفه.

(وعن هذا[2]): يشير إلى المذكور أولاً.

(ما حرس الله عباده المؤمنين): الذين أخلصوا إيمانهم لوجهه.

---

(١) في (ب): الكبرى.

(٢) في (ب)، وشرح النهج: وعن ذلك.

(بالصلوات والزكوات): بافتراض هذه العبادة، وإخراج هذه القطعة من المال المخصوصة.

(ومجاهدة الصيام): بالتحفظ عليه وترك الطعام والشراب.

(في الأيام المفروضات): وهو صيام شهر رمضان وما شاكله من الصيامات الواجبة، فجعل الله هذه العبادات أمارة للخضوع والتذلل والتسكين.

ثم شرع في تفاصيلها[1]، بقوله:

(تسكيناً لأطرافهم): لليد[2] والرجل عن البطش، وإسكان جميع الجوارح كلها.

(وتخشيعاً لأبصارهم): فلا ترتفع إلى خلاف ما هو لها النظر[3] إليه.

(وتذليلاً لنفوسهم): فلا تكون مشتاقة إلى ما أباح الله لها.

(وتخفيضاً لقلوبهم): فلا تسرع إلى غير ذلك.

(وإذهاباً للخيلاء عنهم): يريد الكبر.

ثم بيَّن تصديق ما ذكره من هذه العبادات، بقوله:

(لما في ذلك): واللام متعلقة بقوله: حرس الله، من أجل ما فيه من المصالح العظيمة.

(من تعفير عتائق الوجوه بالتراب): عند الصلاة وعند التيمم إذا عدم الماء، والعتاقة هي: الرشاقة والحسن.

---

(١) في (ب): تفصيلها.

(٢) في (ب): اليد.

(٣) في (ب): بالنظر.

(تواضعاً): أي من أجل التواضع لله والخضوع لجلاله.

(وإلصاق كرائم الجوارح بالأرض): وهي الوجوه عند السجود.

(تصاغراً): أي من أجل التصاغر.

(ولحوق البطون بالظهور[1] من الصيام): أراد أن الإنسان إذا جاع صار بطنه كظهره في الاجتماع والاستواء من شدة الجوع بالصيام والذبول.

(تذللاً): أي من أجل التذلل.

(مع ما في الزكاة من صرف ثمرات الأرض، وغير ذلك إلى أهل المسكنة والفقر): يريد أن الزكاة مع ما فيها من التواضع وتزكية النفس، وفيها فائدة جزيلة وهي مواساة الفقراء وأهل المسكنة، من أهل الإيمان والصلاح وأهل التقوى، فهذه التكاليف[2] كلها مشتملة على ما ذكره من هذه المصالح العظيمة، والتوقي بها من هذه المكاره الوخيمة.

ثم أخذ في أسلوب آخر، بقوله:

(انظروا إلى ما في هذه الأفعال): التي أوجبها الله عليكم من المصالح التي قصصتها، وثبت حالها وأمرها.

(من قمع نواجم الفخر): قمع رأسه إذا ضربه بالمقمعة، والنواجم جمع ناجمة، وهو: ما يظهر من هذه الأمور وأعظمها التفاخر.

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: بالمتون.

(٢) في (ب) ونسخة أخرى: التكليفات.

(وقدع طوالع الكبر): القدع بالقاف والدال بنقطة من أسفلها هو: الكفُّ، يقال: قدع نفسه إذا كفَّها عن هواها، والطوالع: جمع طالعة، وهو ما يكون من تعاظم النفس بتكبرها.

(ولقد نظرت فما وجدت أحداً من العالمين): خبرت الأشياء ومارستها، فما وجدت أحداً يدعي من أهل العلم والشعور بحاله.

(يتعصب لشيء من الأشياء إلا عن علة): يظهر العصبية من نفسه لشيء من الأشياء إلا عن داعٍ يدعوه إلى ذلك، وإرادة[1] له لغرض من الأغراض.

(تحتمل[2] تمويه الجهلاء): تتضمن وتشتمل على زخرفة الْجُهَّال[3]، وسمي الباطل تمويهاً؛ لأنه عن قريب وقد تلاشى وبطل كأنه شبيه بالماء.

(وحجة[4] تليط بعقول السفهاء): لاط بكذا إذا لزق به، فهذه أنواع الدواعي يتعلق بها كل أحد ممن له غرض.

(غيركم): إلا إياكم.

(فأنتم[5] تغضبون لأمر لايعرف له سبب): فيكون ذلك السبب هو الداعي إليه، والحامل في الفعل عليه.

---

(١) في (ب) وفي نسخة أخرى: وإرادته لغرض.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: تحتمل، كما أثبته، وفي (أ): تحمل.

(٣) في (ب) وفي نسخة أخرى: الجهلاء.

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: أو حجة.

(٥) في (ب): فإنكم، وفي شرح النهج: فإنكم تتعصبون.

(ولامس يد علة): يريد ولا لابس يد علة فلمسها، ومس اليد للعلة من غريب الكلام ولطيفه، ويبيِّن ما قلته[1] في حالكم ويوضحه:

(أما إبليس فتعصب على ادم): فكانت عصبيته وحميته[2]، استظهاراً على آدم:

(لأصله): أي من أجل ما رُكّب منه وخلق.

(وطعن عليه في خلقته): فرأى الفضل لنفسه على آدم من هذه الأوجه.

(فقال: أنا ناري): أي[3] مخلوق من النار.

(وأنت طيني): مخلوق من الطين.

(وأما الأغنياء من مترفة الأمم): الذين طغى بهم الغنى، وبلغ بهم الإتراف في النعم إلى الإعجاب والتفاخر.

(فتعصبوا [لآثار مواقع النعم][4]): فكان السبب في تعصبهم لما هم عليه من كثرة الأموال وجمعها، ثم تلا هذه الآية:

(فقالوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾[سبأ:٣٥]): وأنتم عادمون لهذه الخصال التي وقع فيها التعصب ليس فيكم واحدة منها.

(فإن كان لابد من العصبية): وأنتم عازمون عليها موطنون لنفوسكم على إتيانها.

---

(١) في (ب): ما قلناه.

(٢) في (ب): فكانت عصبيته حمية على آدم، وقوله: استظهاراً على آدم، سقط منها.

(٣) في (ب): أنا.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة في شرح النهج وكذا ذكره في هامش (ب).

(فليكن تعصبكم): فأخص المواقع به وأعظمها اختصاصاً به تعصبكم:

(لمكارم الخصال): من الكرم والبذل، وإغاثة المضطر، وَقِرَى الضيف، وصلة الأقارب.

(ومحامد الأفعال): أي والمواظبة على الأفعال المحمودة من البر والإحسان وأنوع القرب.

(ومحاسن الأمور): أحسن الأمور وأعلاها في المنقبة.

(التي تفاضلت فيها المجداء والنجداء): تنافس فيها أهل المجد والفضل، وأهل النجدة والرئاسة، وأراد بالمجداء الكرماء، والنجداء الشجعان.

(من بيوتات العرب): أهل الرفعة والكرم، وجعل البيوتات عبارة عن بطون العرب.

(ويعاسيب القبائل): واحدها يعسوب وهو: أمير النحل وكبيرها، وقد استعير لسيد القوم ورئيسهم.

(بالأخلاق الرغيبة): الباء ها هنا متعلقة بتفاضلت بهذه الأشياء من الأخلاق التي يرغب فيها من سمع بها ورآها.

(والأحلام العظيمة): التي بلغت كل نهاية في الصفح والتجاوز والاغتفار لكل سيئة.

(والأخطار الجليلة): في موارد الأمور ومصادرها.

(والآثار المحمودة): التي تكون في حياة الإنسان وبعد وفاته من المكارم العظيمة.

(فتعصبوا): إذا كان لابد لكم من ذلك وأنتم فاعلوه:

(بخلال[1] الحمد): جمع خلة وهي: الخصلة الواحدة.

(من الحفظ للجوار): مراقبة[2] حاله ومراعاة جانبه.

(والوفاء بالذمام): يريد أن من جملة الخصال العالية، والمناقب الشريفة هو الوفاء بما عقد به الإنسان من العقود التي تشتمل على الذمة، والعقد أي عقد كان، ويصدق ذلك قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[المائدة:١] وهي عبارة عما كانوا يتعاقدون فيه من عقود الأمانات والمبايعات.

قال الحطيئة:

قوم إذا عقدوا [عقداً][3] لجارهم

شدوا العِناجَ وشدّوا فوقه الكرَبا

والعناج: حبل يشدُّ من أسفل الدلو إلى أعلاها، والكَرَبُ: الحبل الذي يكون في عراقيِّ الدلاء، وغرضه في هذا المبالغة في شدة ما عقدوا ووثاقه، وأنه لا ينتقض أبداً.

(والطاعة للبر): أراد وتكونون[4] منقادين للبر كأنه آمر[5] لهم فيطيعونه.

(١) في شرح النهج: لخلال.

(٢) في (ب): موافاة.

(٣) زيادة في (ب)، وفي لسان العرب والكشاف، والبيت في لسان العرب ٨٩٦/٢، والكشاف١/٦٣٥.

(٤) في (ب): وتكونوا.

(والمعصية للكبر): كأنه ناهي لهم فلا يخالفونه ولا يعصونه، وهذا من غريب الكلام وعجيبه حيث جعلهم مطيعين للبر كأنه آمر[1]، والمعصية للكبر فلا ينقادون له.

(والأخذ بالفضل): في جميع الأمور كلها فلا تكون جميع تصرفاتهم مستعملة إلا بالتفضل[2] والإحسان.

(والكف عن البغي): فلا يتلبسون به في حالة من الحالات لتعجيل عقوبته، وسخف طبيعة من يتعلق به.

(والإعظام للقتل): يريد أنه إذا كان عظيماً عندهم لم يتجاسروا عليه لما فيه من المفسدة العظيمة، وهلاك الدين وفساده.

(والإنصاف للخلق): إما بإعطائهم ما يستحقونه، وإما بترك أخذ ما لايكون مستحقاً عليهم فهذا كله إنصاف.

(وكظم الغيظ[3]): عن التشفي، وفي الحديث: «من كتم غيظه وهو يقدر على إنفاذه، ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[4].

(واجتناب الفساد في الأرض): بقتل الخلق ونهب أموالهم، وإخافة السبل، وغيرذلك مما يكون ضرره عائداً إلى جملة المسلمين.

(٥) في نسخة: أمير (هامش في ب).

(١) في (ب): أمير.

(٢) في (ب): بالفضل.

(٣) في شرح النهج: والكظم للغيظ.

(٤) الحديث بلفظ: ((من كتم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً)) رواه العلامة المفسر الزمخشري في الكشاف ٢/٤٤٣، ورواه بلفظ الكشاف العلامة القرشي في مسند شمس الأخبار ١/٤٨٢ الباب (٨٩)، وعزاه إلى مسند الشهاب (وانظر تخريجه فيه).

(واحذروا ما نزل بالأمم قبلكم من المثلات): العقوبات العظيمة المهلكة.

(بسوء الأفعال): أسوأها وأعظمها دخولاً في المفسدة من تكذيب الرسل، وسائر أنواع المعاصي التي حكاها الله تعالى في كتابه الكريم.

(وذميم الأعمال[1]): يريد الأعمال التي يُذَمُّ صاحبها على فعلها.

(فتذكروا في الخير والشر أعمالهم[2]): فإنكم إذا ذكرتموها في النعمة كان ذلك لطفاً في الازدياد من شكر الله على نعمه، وإفضاله عليكم، وإن ذكرتموها في الشر كان ذلك داعياً إلى العياذة بالله أن يكفيكم شر ما أصابهم، ولصق بهم من أنوع العقوبات، وضروب النقمات.

اللَّهُمَّ، إنا نستجير بك من غضبك، وشر انتقامك ياخير مجير، وأكرم مستجار به.

(واحذروا أن تكونوا أمثالهم): حذرهم من أن تصدر من جهتهم المعاصي فيكونون أمثالاً لهم في العقوبة.

(فإذا تفكرتم في تفاوت حالتهم)[3]: في دوام النعمة عليهم، وحلول النقمة به.

(فالزموا كل أمر لزمت العزة به حالتهم): انظروا في أحوالهم، فكل أمر تجدون العزة والهيبة والجلالة لازمة لهم من أجله فالزموه، وحثوا عليه، وواظبوا على فعله.

---

(١) في (ب): الأفعال.

(٢) في شرح النهج: أحوالهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: حالهم.

(وزاحت الأعداء له عنهم): ومالت أعداؤهم بسببه ومن أجله.

(ومدت العافية فيه بهم): أي وصارت العافية ممدوداً عليهم ظلالها في تلبسهم به.

(وانقادت النعمة له معهم): وصارت النعمة منقادة لهم، ومصاحبة لحالهم من أجله.

(ووصلت الكرامة عليه حبلهم): وصارت الكرامة والعيش الهنيء الطيب واصلة حبلهم على سببه وأمره.

(من الاجتناب للفرقة): من هذه لابتداء الغاية، وتعلقها يكون بفعل محذوف تقديره: واحذروا من الوقوع في الفرقة وجانبوها، أو تكون من خبر[1] مبتدأ محذوف تقديره: أي وذلك كله حاصل، أعني جميع ما عدده من اجتناب الفرقة.

(واللزوم للألفة): المصاحبة، وأن كل واحد منكم يألف صاحبه.

(والتحاضّ عليها): التحاض تفاعل من حضه إذا حثه على الفعل، وأراد أن كل واحد منكم يحض صاحبه على التوالف والترافق والتعاون.

(والتواصي بها): يوصي كل واحد منكم صاحبه بها.

(واجتنبوا كل أمر كسر فِقْرَتَهُمْ): الفِقْرَةُ: واحدة فقرات الظهر وهو منتظم الظهر، يقال: هذا أمريكسر فِقَرَ الظهر وفِقَارَهُ، إذا كان عظيماً لا يقدر عليه.

---

(١) في (أ): خبراً.

(وأوهن مُنَّتَهُمْ): المُنَّةُ: القوة.

(من تضاغن القلوب): أوحارها وشدائدها التي تتضمنها.

(وتشاحن الصدور): التشاحن: التحاسد.

(وتدابر النفوس): إدبارها عن بعضها بعض بالنصرة والموالاة، والبغضاء.

(وتخاذل الأيدي): كفُّها عن النصرة عند الشدائد، والاضطهاد.

ثم لما فرغ من خطاب من يخاطب من أصحابه ذكر أحوال الماضين، بقوله:

(وتدبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم): ممن آمن من القرون الماضية، والأمم الخالية من المؤمنين الذين صدَّقوا بالله، واعترفوا بحقه وحق رسله.

(كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء): يريد الابتلاء والاختبار والامتحان.

(ألم يكونوا أثقل الخلائق أعباء): الأعباء هي: الأحمال والأثقال.

(وأجهد العباد بلاء): أي وأكثرهم مجاهدة للبلاء، وانتصاب أعباء وبلاء على التمييز.

(وأضيق أهل الدنيا حالاً): في معائشهم وأمورهم.

(اتخذتهم الفراعنة عبيداً): الفراعنة: عبارة عن كل من تشيطن وشوش[1] الدين، وحادَّ الله تعالى، ومعنى اتخاذهم عبيداً عبارة عن الامتهان والاستصغار.

---

(١) شوش: خلط.

(فساموهم سوء العذاب): أي أولوهم أشد العذاب وأعظمه.

(وجرَّعوهم المُرار): المُرار: نبت من الشجر شديد المرارة، وهو بضم الميم مخففاً إذا أكلته الإبل ارتفعت مشافرها لما فيه من العفوصة[1] والقبض، والتجريع: شرب الشيء جرعة بعد جرعة.

(فلم تبرح[2] الحال بهم): أي لم تزل دائمة.

(في ذل الملكة[3]): الملك وخضوع الرق.

(وقهر الغلبة): والغلبة القاهرة لهم.

(لا يجدون حيلة في امتناع): يعدمون الحيلة يمتنعون بها عما يصيبهم.

(ولا سبيلاً إلى دفاع): ولا يهتدون طريقاً إلى دفع ما هم فيه.

(حتى إذا رأى الله منهم جد الصبر): حتى هذه متعلقة بمحذوف تقديره: فصبروا على ما هم فيه عليه من البلاء حتى إذا رأى الله، علم من أحوالهم، أو شاهدهم في تقلباتهم، (حد الصبر): يُروى بالحاء المهملة أي منتهاه وغايته، ويُروى بالجيم، أي صريحه لا هزله.

(على الأذى في محبته): على المكروه من الأذية في فعل ما يحبه ويريده منهم.

(والاحتمال للمكروه): ويحتملون ما يكرههم ويشق فعله عليهم.

(من خوفه): خوفاً على أنفسهم من عقابه.

---

(١) يقال: طعام عفص، وفيه عفوصة أي تقبّض. (مختار الصحاح ص٤٤٢).
(٢) في (ب)، ونسخة أخرى: فلم تنزع.
(٣) في شرح النهج: الهلكة.

(جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً): جعل ها هنا جواب لإذا، وأراد أنه جعل لهم من مواضع الضيق، وعوَّضهم عنها إفراجاً من جهته بتفريج الغصص عنهم.

(فأبدلهم العز مكان الذل): فأزال عنهم الذل بلطفه، وجعل عوضه العز.

(والأمن مكان الخوف): وأزال الخوف عنهم، وجعل مكانه الأمن.

(فصاروا لما فعل بهم): ما فعل من رحمته ولطفه بهم.

(ملوكاً): مقتدرين على الخلق، مالكين لهم.

(حكاماً): حاكمين على الناس في أمورهم، لا يوردون ولا يصدرون إلا عن أمر منهم وأُذُنٍ.

(وأئمة): يقتدون بهم في الدين.

(أعلاماً): يهتدى بهم في المحارات العظيمة، وتُحَلُّ بهم الشبهات المبهمة.

(وبلغت الكرامة من الله لهم): مبلغاً لا يمكن وصفه ولا تدرك غايته.

(ما لم تذهب الآمال به إليهم[1]): ما لا يؤمل حصره ولا يبلغه الأمل فيكون مدركاً له.

(فانظروا كيف كانوا): تفكروا في حالتهم.

(حيث كانت الأملاء مجتمعة): الأملاء: جمع ملأ وهم: جماعة الرءوساء من الناس، واجتماعهم اتفاق آرائهم وأهوائهم.

---

(١) في (ب): بهم إليه، و في شرح النهج: إليه بهم، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(والأهواء مؤتلفة): غير مفترقة.

(والقلوب معتدلة): على الحق غير مائلة إلى الباطل والمخالفة.

(والأيدي مترافدة): الترافد هو: التعاون.

(والسيوف متناصرة): ينصر بعضها بعضاً.

(والبصائر نافذة): في كل إقدام وإحجام، لا يقدمون عن شك[1]، ولا يكون تأخرهم عن تردد.

(والعزائم واحدة): كل ما عزموا فيه فهو عن اجتماع واتفاق من غير افتراق.

(ألم يكونوا): مع حصول ما ذكرناه من المرافدة والمعاونة والمعاضدة.

(أرباباً): مالكين سادة مقتدرين.

(في أقطار الأرضين): في الجهات المتباعدة والأقاليم النائية.

(وملوكاً): كلمتهم غالبة[2] نافذة.

(على رقاب العالمين): لهم الحكمة كيف شاءوا من أخذ وترك.

(فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم): في منتهاها وغايتها وقصاراها.

(حين وقعت الفرقة): الاختلاف في الأهواء والنفوس.

---

(١) في نسخة: على شك (هامش في ب).

(٢) في (ب): عالية.

(وتشتت الألفة): تباينها وتزايلها وانقطاعها[1].

(واختلفت الكلمة): إما بأن يأمر هذا بشيء فلا يطاع ولا يلتفت إلى أمره، وإما يأمر هذا بشيء ثم ينهى عنه الآخر، فهذا هو الاختلاف والتفرق.

(والأفئدة): بما أوقع فيها من العداوة والبغضاء.

(وتشعبوا مختلفين): صار كل واحد منهم في جهة، على سبيل الاختلاف والتنازع لا يجمعهم جامع.

(وتفرقوا): في البلدان والأقاليم.

(متحاربين): كل واحد منهم يريد قتل صاحبه وإهدار دمه.

(قد خلع الله عنهم لباس كرامته): بما[2] علم من حالهم من البغي والفسوق وأنواع المعاصي كلها، فلأجل هذا خلع عنهم ما ألبسهم من العز والمهابة.

(وسلبهم غضارة نعمته): وأزال عنهم أحسن النعمة وأعجبها، وألذّها وأطيبها، والغضارة من كل شيء: خلاصته وأطيبه، ومنه غضارة الشباب.

(وبقي قصص أخبارهم): القصص جمع قصة، وغرضه أن ما بقي من ذلك كله إلا ما يقتصه القصَّاص من سيرهم الماضية.

(فيكم): تسمعونها.

---

(١) شرح العبارة في (ب): شتاتها: تزايلها وانقطاعها.

(٢) في (ب): لما.

(عبراً للمعتبرين[1]): مواعظ لمن اتعظ بها وانتفع، وكان ذلك مزجراً له عن أمثالها.

(فاعتبروا بحال ولد إسماعيل وبني إسحاق وبني إسرائيل [(عليهم السلام)][2]): هؤلاء كلهم أنبياء صلوات الله عليهم وسلامه على أرواحهم الطيبة، وهم أولاد إبراهيم، فإسماعيل وإسحاق هما ولدان لإبراهيم مشهوران، فإسماعيل هو أبو العرب، كما يزعمه نسَّاب اليمن، وأما إسرائيل فهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

(فما أشد اعتدال الأحوال): تعجب من شدة اعتدالها عند تلاومها وتقاربها.

(وأقرب اشتباه الأمثال): لأن كل واحد منها يماثل صاحبه ولهذا يقع بينهما التشابه، ألا تراك تأخذ تمرتين متماثلتين ثم تعطي أخاك واحدة منهما ثم إذا جمعت بينهما ثم أردت أن تعطيه ما كان حقاً له اشتبه عليك الحال، إلا أن يكون فيها علامة تميزها من صاحبتها.

(تأملوا أمرهم في حال تفرقهم وتشتتهم): يريد أولادهم ومن كان بعدهم من خلفهم، فأما زمان آبائهم فكان جارياً على نعت الصلاح والاستقامة، من جهة الله تعالى بالتأييد بالوحي، والتشريف بكرامة النبوة.

(ليالي كانت الأكاسرة والأقاصرة[3]): الأكاسرة: من كان من ملوك الفرس، والأقاصرة: من كان من ملوك الروم.

---

(١) في (ب) وفي شرح النهج: عبراً للمعتبرين منكم.

(٢) زيادة في شرح النهج.

(٣) في شرح النهج: والقياصرة، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(أرباباً لهم): مالكين لرقابهم بتسليط الله لهم عليهم.

(يحتازونهم عن ريف الآفاق): أراد أنهم يجمعونهم ويخرجونهم عن الريف والخصب إلى المواضع المجدبة.

(وبحر العراق): يريد ما يسقيه دجلة والفرات، أو سيحون[1] وجيحون، فكل هذه أنهار، وهي بحار[2] الدنيا؛ لأنها تعبر بالسفن وتحاز عنها بالقناطر لعظمها وفخامة شأنها، وهي مياه عذبة حلوة.

(وخضرة الدنيا): عجائبها ونضارتها[3].

(إلى منابت الشيح): وهو نبت طيب الرائحة.

(ومهافي الريح): مذاهبها ومهابّها المختلفة.

(ونكد المعاش): مواضع العيش المنكد التي[4] لا راحة فيه ولا طيب في أكله، وأراد أنهم ألجأوهم إلى المواضع النكدة، والمعايش الخشنة الضيقة الضنكة.

(فتركوهم): على هذه الحالة.

(عالة): فقراء جمع عائل مثل كافر وكفرة، وفاسق وفسقة.

(مساكين): قد غشيتهم الاستكانة، وركبتهم الذلة.

(١) في (ب): وسيحون.
(٢) في (ب): أبحار.
(٣) في (ب): ونضائرها، وذكر في هامشها أنه في نسخة: ونضارتها.
(٤) في (ب): الذي.

(إخوان دبر ووبر): الدبر بالتحريك: جمع دبرة وجمعه أدبار، وهو الجرح من القتب[1]، والوبر بالتحريك للبعير، وأراد أنهم صاروا بدواً يعالجون جروح الإبل وأوبارها، وزالوا عن الثروة والملك والرئاسة.

(وأذل الأمم داراً[2]): إذ لا منعة لهم فيها، ولا يقدرون على منعها عن الضيم لمن يريدها به.

(وأجدبهم قراراً): والمواضع التي يسكنونها جديبة لا رخاء فيها.

(لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها): أي ليس لهم ملجأ فيدعوهم ليحميهم في ظل جناحه.

(ولا إلى ظل ألفة يعتمدون على عزها): يعني ولا قلوبهم مؤتلفة فيتفيئون في ظلها، ويلجأون بأمورهم ويعتزُّون بها.

(فالأحوال): مع ما ذكرناه منهم.

(مضطربة): لا تستقر على قاعدة ولا تؤول إلى حالة مستقيمة.

(والأيدي مختلفة): كل واحد منهم في جانب غير جانب الآخر.

(والكثرة متفرقة): فهي غير نافعة مع التفرق.

(في بلاء نازل[3]): من الله عليهم لأجل مافعلوه، وارتكبوه من المعاصي.

(وأطباق جهل): وجهل[4] مطبق عليهم لا يفيقون من سكرته.

(١) القتب: الرحل الصغير على قدر سنام البعير يشد عليه. (وانظر المعجم الوسيط ٢/٧١٤).
(٢) في (ب): أي.
(٣) في شرح النهج: في بلاء أزل، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).
(٤) في (ب): أي وجهل.

(من بنات موؤدة): تفسير للجهل، ومن هذه للبيان، والمراد أنهم يوؤدون البنات، وهو دفنهنَّ وهنَّ أحياء خيفة عن العار، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾**[التكوير:٨-٩].

(وأصنام معبودة): يعبدونها من غير بصيرة، ولا ثبات قدم[١]، وإنما هو جهل ابتدعوه، وغرور ارتكبوه.

(وأرحام مقطوعة): لا يبالون بها ولا يلتفتون إلى صلتها، ولا يراقبون أحوالها.

(وغارات مشنونة): من كل ناحية ملاحظة للكبر، ومراعاة لجانب الفخر لا يقاتلون لله، ولا يجاهدون أحداً من أعداء الله.

(فانظروا إلى مواقع نعم الله عليهم): يعني أولاد إسماعيل بعد تفرقهم في البلاد، وتشتتهم فيها كيف لحظهم الله تعالى[٢] بعين الرحمة، ورعاهم بأحسن الرعاية.

ثم أردف ما ذكره بالمنة ببعثه الرسول (ﷺ) فيهم وجعله فيهم، بقوله:

(حين بعث إليهم رسولاً): خصَّهم ببعثته، وشرَّفهم بأن جعله من صلب أبيهم إسماعيل ووشيجته[٣].

(فعقد بملته طاعتهم): أراد فجعل من جملة ما بعث به الانقياد لأمرهم، والاحتكام لطاعتهم.

---

(١) في (ب): ولا أقدام ثابتة.
(٢) تعالى، زيادة في (ب).
(٣) الوشيجة: عرق الشجرة، والقرابة المشتبكة المتصلة. (انظر المعجم الوسيط ٢/١٠٣٣).

(وجمع على دعوته ألفتهم): يعني حصل ائتلافهم واجتماعهم ببركته، فاجتمعوا على إجابة دعوته، والإشارة بهذا الكلام إلى بني هاشم، وأمير المؤمنين وأولاده، فإن الله تعالى[١] عز سلطانه أوجب طاعتهم على غيرهم بما فعل لهم من الولاية، وجمع الله شملهم بدعوة الرسول (ﷺ).

(كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها): لا جناح هناك ولا نشر، وإنما الغرض الاستعارة وهو عبارة عن التمكين والبسط في الرزق، وقرار الخاطر.

(وأسالت لهم جداول نعمتها): الجدول هو: النهر الصغير، والضمير في قوله: نعمتها راجع إلى الكرامة.

(والتفت الملة بهم في عوائد بركتها): أراد أن اجتماعهم على ملة الرسول وشريعته هي العائدة عليهم بالبركة، والجامعة لشملهم.

(فأصبحوا في نعمتها[٢] غرقين): الضمير للملة، وأراد أنهم أصبحوا في غزارتها وعظيم أُبّهتها، وعبَّر بالغرق عن ذلك.

(وعن[٣] خضرة عيشها فكهين): الفكه: طيب النفس، ولذتها بما هي فيه، وهكذا خضرة العيش كناية عن طيبه ولذاذته وهنائه.

(قد تربعت بهم[٤] الأمور): استحكمت وتمكّنت، استعارة من تربع الإنسان وهو استحكامه في جلوسه.

---

(١) تعالى، زيادة في (ب).
(٢) في (ب): نعيمها.
(٣) في شرح النهج: وفي.
(٤) في (ب) وفي شرح النهج: الأمور بهم.

(في ظل سلطان قاهر): وهو ما أعطاهم الله من الولاية على الخلق والرئاسة عليهم، واستحكام الملك لهم من جهة الله تعالى.

(وآوتهم الحال): رجعت بهم الأحوال.

(إلى كنف عز غالب)(١): لمن غالبه ومذل لمن ناواه.

(وتعطفت عليهم الأمور(٢)**)**: التعطف هو: الرقة والحنو، وهو مأخوذ من تعطف الوالدة على ولدها.

(في ذرى ملك ثابت): الذروة: أعلا الشيء، والثابت: المستقر الثابت القواعد.

(فهم حكام العالمين(٣)**)**: لا يصدرون إلا عن حكمهم وقضائهم.

(وملوك في أطراف الأرضين): أقاصيها، والمواضع البعيدة منها.

(يملكون الأمور): حلّها وعقدها وقبضها، ومدَّها وبسطها.

(على من كان يملكها عليهم): يشير بهذا إلى ما حكاه من قبل من كونهم كانوا مملوكين، فردَّ الله عليهم ما فات من ملكهم، ومكّن بسطتهم.

(ويمضون الأحكام): يلزمونها فتكون ماضية.

(فيمن كان يمضيها فيهم): فصاروا قادرين عليه محتكمين فيه، يفعلون فيه مثلما كان يفعل فيه، وأبلغ من ذلك:

---

(١) في (ب): عزيز غالب.
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: وتعطفت الأمور عليهم.
(٣) في (ب) وفي شرح النهج: فهم حكام على العالمين.

(لا تغمز لهم قناة) الغمز هو: مسُّ الشيء والدرية بِكُنْهِ حاله في الرخاوة والصلابة.

(ولا تقرع لهم صفاة): هذا جار مجرى الكناية عن شدة الجانب وقوة الشوكة، وشهامة الأنفس(١) وعزتها.

(ألا وإنكم قد نقضتم(٢) **أيديكم عن حبل الطاعة)**: يخاطب أصحابه بذلك كأن أيديهم كانت مربوطة بحبل الطاعة لله تعالى، وبالاستمساك بعروته، فنقضوها(٣) بما كان منهم من الخروج عن الطاعة، والتهالك في المخالفة للدين وأحكامه.

(وثلمتم حصن الله المضروب عليكم): الحصن هو: الإسلام، والمراد بثلمه هو نقصه برفض أحكامه، وإحياء(٤) ما اندرس من أحكام الجاهلية.

(وإن الله سبحانه(٥) **قد امتنَّ على جماعة هذه الأمة)**: تفضل عليهم وجعل من أعظم المنن عليهم.

(فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة): فجعل الإسلام جامعاً لألفتهم، والإيمان حافظاً لجماعتهم، فهم في ظل هذه الألفة.

(التي ينتقلون(٦) **في ظلها)**: من جهة إلى جهة، ومن مكان إلى مكان آخر.

---

(١) في (ب): النفس.
(٢) في (ب) وفي شرح النهج: نفضتم.
(٣) في (ب): فنفضوها.
(٤) في نسخة: وبإحياء (هامش في ب).
(٥) سبحانه، زيادة في (ب) و شرح النهج.
(٦) في شرح النهج: ينقلبون، وفي نسخة: يتفيئون، (هامش في ب).

(ويأوون إلى كنفها): يرجعون، والكنف: الجانب، وكنفا الطائر جناحاه؛ لأنهما يكتنفان جسمه من عن يمين وشمال.

(بنعمة): الباء متعلقة بقوله: امتنَّ.

(لا يعرف أحد من المخلوقين لها قيمة): لا يقع في نفسه مقدار قيمتها وإن جد في ذلك غاية الجد، وكيف[1] يقوم ما لاقيمة له، أو كيف يوزن ما لا يتزن بحال.

(لأنها أرجح من كل ثمن): يوازنها ويقوم مقامها.

(وأجل من كل خطر): الخطر: السبق الذي يكون بين المتراهنين، وأراد أنه لاأجل من خطرها ولاأعظم.

(واعلموا أنكم صرتم بعد الهجرة أعراباً): يريد أنكم هاجرتم بزعمكم، وأقمتم في دار الحرب وموضع الحرب فصرتم أعراباً جفاة لا تمييز لكم.

(وبعد الموالاة أحزاباً): وبعد موالاة أهل الإسلام تحزبتم على رسول الله ﷺ، وتألبتم عليه يوم الخندق وغيره.

(ما تعلقون[2] من الإسلام إلا باسمه): أي مالكم من الدين شيء من الأحكام الدينية، ولا يلحقكم شيء من الأحكام الشرعية، إلا أن يقال لكم: إنكم مسلمون بإطلاق هذا القول لا غير.

---

(١) في (ب) ونسخة أخرى: فكيف.

(٢) في (ب) وفي شرح النهج: ما تتعلقون.

(ولا تعرفون من الإيمان إلا رسمه): علامته، وما حظكم منه إلا أن تقولوا: من حق المؤمن كذا، وله حكم كذا من غير تخلّق بأخلاق المؤمنين، ولا تلبس بأفعال الصالحين.

(تقولون: النار ولاالعار): أي الزموا النار ولا تقبلوا العار، والغرض ها هنا هو المبالغة في دفع العار بالتزام النار والدخول فيها، فلاأنتم دفعتم العار كما ينبغي الدفع منكم، ولا أنتم سَلِمْتُم من النار.

(تريدون[1]): بما قلتموه من هذا الكلام.

(أن تكفئوا الإسلام على وجهه): كفأت الإناء إذا قلبته وكببته[2] على وجهه، يريد بترك النصرة له[3]، والتخاذل عن القيام بحقه.

(انتهاكاً لحرمته): نهكته الحمى إذا أتعبته وأضعفته، وأراد إضعافاً لحرمته، وإسقاطاً لما رفع الله من مكانه ومنزلته.

(ونقضاً لميثاقه): حيث أخذ الله ميثاقهم في نصرة دينه، حيث قال: ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾[البقرة:٢١٨] وقوله: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾[التوبة:١٢٣] وغير ذلك.

(الذي وضع[4] الله لكم حرماً في أرضه): تعتزون به وتلجأون إليه.

(وأمناً بين خلقه): من تلبس به فهو آمن على نفسه، وأهله وولده.

---

(١) في شرح النهج: كأنكم تريدون.

(٢) في (ب): وكفيته.

(٣) في (أ): لهم.

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: وضعه.

(وإنكم إن لجأتم إلى غيره): في الانتصار وأسندتم أموركم في الاعتضاد.

(حاربكم أهل الكفر): رموكم عن قوس واحدة، واستظهروا عليكم من أجل خذلانكم الدين، وإعراضكم عن الإسلام.

(ثم لا جبريل ولا ميكائيل ولا مهاجرون[1] ولا أنصار): يريد كما كان في أيام الرسول، فإن هؤلاء كانوا أعواناً له على أعدائه، وهم الناصرون له على من خالفه، وأما الآن فلا شيء من ذلك بموجود، فلهذا يستحكم أمر الكفر عند ذلك وتستقوي حالته، ويظهر أمره.

(ينصرونكم[2]): ويكونون رداً لكم عند المقاتلة والمصافة.

(إلا المقارعة بالسيف[3]): إلا الضرب والقتال الشحيح.

(حتى يحكم الله بينكم): بما كان عنده من الصواب.

(وإن عندكم الأمثال من بأس الله): يريد أن بين أظهركم أخبار الأمم الماضية وما صنع الله بهم بإنزال البأس، وهو: العذاب.

(وقوارعه): وعقوباته التي تقرع.

(وأيامه): كما قال تعالى: **﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾**[إبراهيم:٥].

(ووقائعه): في القرون الماضية كعاد وثمود، ومَدْيَن وغيرهم ممن طغى وكذّب وأبى.

---

(١) في شرح النهج: ولا مهاجرين، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(٢) في (أ): ينصروكم، وما أثبته من (ب) وشرح النهج.

(٣) في نسخة: بالسيوف. (هامش في ب).

(فلا تستبطئوا وعيده): تراخيه، فإن التعجيل إنما يكون في حق من يخشى الفوت[1]، فأما من هو قادر في كل حالة على ما يشاء ويريد، فلاوجه للاستبطاء.

(جهلاً بأخذه): نصبه إما على المفعولية أي من أجل الجهل بأخذه، وإما مصدراً في موضع الحال أي متجاهلين.

(وتهاوناً ببطشه): البطش هو الأخذ بالعنف والاستئصال.

(ويأساً من بأسه): وأياساً من مجيء عذابه ووقوعه.

(فإن الله لم يلعن القرن الماضي[2] بين أيديكم): في الكتاب الذي يتلى بين أظهركم، كما قال تعالى: **﴿لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾**[المائدة:١٣]، وقال تعالى: **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾**[المائدة:٧٨] وغير ذلك مما ورد في لعن اليهود وغيرهم.

(إلا لتركهم الأمر بالمعروف): وهو الإتيان بالواجبات على وجوهها.

(والنهي عن المنكر): والكف عن المحرمات.

(فلعن السفهاء): وبخهم وأكثر من الوعيد عليهم.

(لركوب المعاصي): إتيانها وفعلها، والتلبس بها.

(والحلماء[3]): ولعن الحلماء وأهل العقل.

---

(١) في (ب): الفوات.

(٢) في شرح النهج: فإن الله سبحانه لم يلعن القرون الماضية.

(٣) في نسخة: والحكماء، (هامش في ب).

(لترك التناهي): يعني من أجل أنهم لم ينهوهم عن ارتكاب القبائح، وإتيان المنكرات.

(ألا[1] وقد قطعتم قيد الإسلام): واسترسلتم في إتيان القبائح، وألقيتم حبالكم على الغوارب، فما يمنعكم منها مانع، وإنما قال: قطعتم قيد الإسلام؛ لأنه هو المانع عن أكثر المحرمات، وعن ارتكابها وفعلها، وفي الحديث الشريف: «الإيمان قيد الفتك»[2] أي أنه يمنع عن الفتك والغدر، وعن كل مكروه يحذر وقوعه.

(وعطلتم حدوده[3] وأمتم أحكامه): فلا يرى منها حكم قائم على وجهه.

ثم لما فرغ من هذا ذكر حال نفسه، بقوله:

(ألا وإني قد أمرني[4] الله): حيث قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾[الحج:٧٨] وغير ذلك من الآيات الدالة على الأمر بالجهاد والمواظبة عليه، ثم هو أحق الناس بالجهاد، وأحقهم بالدعاء لما خصَّه الله من الولاية التي ليست لغيره، والإمامة التي لم يختلف فيها اثنان، والفضائل التي لم يشاركه فيها أحد، فلهذا كان أحق الناس بالأمر لما ذكرناه.

---

(١) ألا. زيادة في (ب) وفي شرح النهج.

(٢) رواه في مسند شمس الأخبار ٥١٥/١ في الباب (٩٧) وعزاه إلى مسند الشهاب (وانظر تخريجه فيه)، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٢٢٤/٤ إلى مسند أحمد بن حنبل٩٢/٤، ومسند الشهاب١٦٤ ، وسنن أبي داود رقم (٢٧٦٩)، والمستدرك للحاكم النيسابوري ٣٥٢/٤، والمعجم الكبير للطبراني ٣١٩/١٩، وإلى غيرها من المصادر انظرها هناك.

(٣) وعطلتم حدوده، زيادة من شرح النهج، وذكره في هامش (ب).

(٤) في (ب) وفي شرح النهج: ألا وقد أمرني الله...إلخ.

(بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض): فهذه الأمور الثلاثة أعظم ما تكون خللاً في الدين، وأحق من قام بها وعنى في تغييرها هم الأئمة.

(فأما الناكثون فقد قاتلت): نكث بيعته إذا طرحها، وعنى بذلك طلحة والزبير ومروان بن الحكم، فإنهم بايعوا أمير المؤمنين في أول خلافته، ثم نكثوا العهد، وخرجوا إلى البصرة وهيجوا الفتن والحروب[1]، ومالوا لعائشة، وأوقعوا الجمل، فقاتلهم أمير المؤمنين حتى كان ما كان من أمرهم.

(وأما القاسطون فقد جاهدت): القاسط هو: العادل عن الحق، وهؤلاء هم معاوية وأتباعه، جاهدهم أمير المؤمنين[2]، وأبلى معهم في صفين.

(وأما المارقة فقد دوخت): يريد بالمارقة الخوارج، قتلهم أمير المؤمنين بالنهروان وغيره من مواضعهم التي كانوا فيها، وإنما سموا مارقة، لقول الرسول: «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»[3]، ومروق

---

(١) في (ب): وهيجوا الحروب والفتن ومالوا بعائشة.

(٢) قوله: أمير المؤمنين، سقط من (ب).

(٣) أورده ابن الأثير في النهاية ٣٢٠/٤ وعزاه في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف٤١٨/١١ إلى سنن الترمذي (٢١٨٨)، ومستدرك الحاكم النيسابوري ١٤٦/٢، ١٤٧، والسنن الكبرى ١٧٠/٨، والمعجم الكبير للطبراني٣٦٣/١٢، ٣٢٢/١٧، وتهذيب خصائص علي للنسائي٧٧، ٨٠، وأورده من حديث في ذكر الخوارج العلامة ابن أبي الحديد شارح النهج رحمه الله ٢٦٥/٢-٢٦٦ وقال ما لفظه: قد تظافرت الأخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسوله ﷺ، وفي الصحاح المتفق عليها أن رسول الله ﷺ، بينا هو يقسم قسماً جاء رجل من بني تميم يدعى ذا الخويصرة، فقال: اعدل يا محمد، فقال (عليه السلام): ((قد عدلت)) فقال له ثانية: اعدل يا محمد، فإنك لم تعدل، فقال ﷺ: ((ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل!)) فقام عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، ائذن لي أضرب عنقه، فقال: ((دعه، فسيخرج من ضئضئ =

السهم من الرمية: خروجه من الجانب الآخر، دوَّخت إما أهلكت من قولهم: دوَّخت الرجل إذا أهلكته(١)، وإما دوَّخت أي أذللت، يقال: داخ الرجل إذا ذلَّ وتصاغر.

سؤال؛ أراه قال في الناكثين: قاتلت، وفي حق القاسطين: جاهدت، وفي حق المارقين: دوَّخت، فخالف بين هذه العبارات، وهم كلهم مستوون في إتيانهم بالباطل ومخالفتهم للحق؟

وجوابه؛ هو أن الأمر وإن كان كما ذكرت لكن(٢) الأمر في شأن طلحة والزبير، ومن تابعهما من عائشة وغيرها أخف حكماً من أجل التباس الحق عليهم، ولهذا تداركهم الله بالتوبة كما قررناه من قبل، فلهذا قال في حقهم: قاتلت؛ حتى رجعوا إلى الحق واستبانوا الباطل.

وأما معاوية فما كان حربه إلا فسقاً وتمرداً، ونكوصاً عن الحق بعد ظهوره، ولكنه أبى إلا الفسق والمخالفة، والبغي على أمير المؤمنين، مع معرفته بالحق أين هو ومعرفته بحال نفسه وفسقه، فلهذا قال في حقه: جاهدت، لما علم من حاله التمرد(٣) والفسق.

وأما الخوارج فلمكان تهالكهم في الفتنة، وضلالهم عن الحق،

هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية...)) الحديث إلى آخره، ثم ساق رواية أخرى في ذلك إلى أن قال: وفي بعض الصحاح: ((يقتلهم أولى الفريقين بالحق))، وللحديث مصادر جمة وأسانيد عدة، انظر في ذلك الروضة الندية ص٧٩-٨١، ومناقب الحافظ محمد بن سليمان الكوفي رحمه الله تعالى ٢/٣٢٤-٣٣٠ تحت الأرقام من(٧٩٧) إلى (٨٠١) وكذلك رقم(٨٠٤).

(١) قوله: إذا أهلكته، سقط من (ب).

(٢) في (ب)، ونسخة أخرى: ولكن.

(٣) في (ب): من التمرد.

ومكابرتهم له في المتابعة، والنصيحة لهم في كل موطن، فلما أبوا غاية الإباء أنفذ أمر الله فيهم، ولم يأل جهداً في ذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾[الزخرف:٥٥].

(وأما شيطان الردهة): الردهة: حفرة في صخرة يستنقع فيها الماء، واختلف في شيطان الردهة، فقيل: هو ذو الثُّديّة من الخوارج، وقيل: هو شيطان من الجن الكفار(١).

(فقد كُفِيْتُهُ بصعقة): يريد كفاه في القتل، وقطع الدابر بصعقة، إما من الله بسبب أمير المؤمنين، وإما من جهة أمير المؤمنين.

(سمعت لها وجبة قلبه): أي حركته واضطرابه.

(ورجة صدره): زلزلته وقلقلته.

(وبقيت بقية من أهل البغي): جماعة قليلة.

(ولئن أذن الله لي): أذن بمعنى علم، قال الله تعالى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة:٢٧٩] وأذن له إذناً أي استمع، قال الشاعر:

صمٌ إذا سمعوا خيراً ذكرت به
وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا(٢)

(١) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣/١٨٣-١٨٤.

(٢) البيت هو لقعنب بن أم صاحب، والبيت أورده في لسان العرب١/٣٩ من بيتين لقعنب المذكور وهما:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحاً ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا
صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به ... وإن ذكرت بشر عندهم أذنوا

وانظر مختار الصحاح ص١٢، ورواية البيت الأول فيه:

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحاً ... مني وما أذنوا من صالح دفنوا

أي سمعـــوا، وفي الحديـــث: «مـــا أذن الله لشـــيء كأذنـــه لنـــبي يتغنى بالقرآن»[1].

(في الكرة عليهم): العودة عليهم بالحرب، وقطع الدابر والاستئصال.

(لأديلنَّ منهم): يعـني لأنصرنَّ المؤمنين من بغيهـم وباطلهم، يقال: أدالنا الله من عدونا أي نصرنا عليه.

(إلا ما يتشذَّر في أطراف الأرض تشذراً): هذا استثناء منقطع، والتشذُّر هو: التفرُّق والتبديد، يقال: تفرقوا شذر مذر أي ذهبوا في كل جهة.

(أنا وضعت بكلاكل العرب): الكلكل: الصدر، وأراد بوضع الكلاكل هو قتل الرءوساء من العرب قريشاً وغيرهم، يشير إلى ما كان منه في بدر من قتل الصناديد من قريش، وما كان في حنين وغيره من المشاهد التي أبلي فيها، وخصَّه الله بما خصَّ من قَتْلِ من قَتَلَ من الأعزة وأهل الشهامة.

(وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضر): النواجم: جمع ناجم وهو: الظاهر الطالع، وأراد بقرون ربيعة ومضر عبارة عن الرءوساء والأرحاء[2] الذين عليهم مدار الأمر في كل الأحوال، يقال: نجم القرن إذا ظهر وبدا، وكنّـى عـن ذلـك بـالقرون؛ لأن القـرن هـو سـلاح الحيـوان وبـه يصول ويستظهر.

---

(١) رواه العلامة الزمخشري في الكشاف ٢/٥٢٦، ٤/٧٢٦، وهو في موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف ٩/٢٥ وعزاه إلى سنن الدارمي٢/٤٧٣، وشرح السنة للبغوي٤/٤٨٤، وإصلاح خطأ المحدثين للخطابي٣٠، ومصنف ابن أبي شيبة ٢/٥٢٨.

(٢) الأرحاء: جمع الرحى وهو سيد القوم. (انظر القاموس المحيط ص١٦٦١).

(وقد علمتم موضعي من رسول الله [صلى الله عليه وآله][1]**)**: مكاني من نسبه وموضعي من شجرته وأرومته[2]، فـإني أخـصُّ بـه مـن بـين سائر الناس:

(بالقرابـة القريبـة): التي لا شيء أقـرب منهـا، لأن أبـا طـالب أب أمير المؤمنين، وعبد الله أب رسول الله كانا أخوين من الأم[3].

(والمنزلة الخصيصة): المختصة التي لامنزلة لأحد أخص منها.

(وضعني في حجره وأنا وليد): مولود عند خروجي من بطن أمي.

(يضمني إلى صدره): شفقة وحنواً.

(ويكنفني في فراشه): أي يصونني ويحفظني في فراشه.

(ويمسني جســده): يشير إلى حصول التبرك بملامسة جسم الرسول، ويشير إلى قوله: «من مسَّ جسمه جسمي لم تمسّه النار»[4].

(ويشمني عرْفه): العَرْفُ هو: الرائحة الطيبة.

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) الأرومة: الأصل.

(٣) وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر، وهي أيضاً أم الزبير بن عبد المطلب، وأم جميع بنات عبد المطلب بن هاشم، غير صفية بنت عبد المطلب، فأمها هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي. (انظر سيرة ابن هشام ١/٧٥، تحقيق عمر محمد عبد الخالق).

(٤) الحديث بلفظ: «من مس دمي دمه لم تصبه النار» رواه ابن هشام في السيرة النبوية ٣/٣٢، تحقيق عمر محمد عبد الخالق، وقال في تخريجه: أخرجه ابن عساكر في تهذيب تاريخ دمشق ٦/١١٢.

(وكان يمضغ الشيء): أراد يَلُوكه بلسانه.

(ثم يلقمنيه): إلى فِيَّ يشير بذلك إلى عظم العناية من جهة الرسول بحاله، وإلى اشتمال البركة فيه من جهة الرسول أيضاً، بما وصل إليه من ريقه ولعابه.

(وما وجد[1] لي كذبة في قول): يعني الرسول فإنه ما نقم عليَّ كذبة من جهة القول، وإن كان مبنياً لما لم يسم فاعله فهو عام في حق الرسول وغيره أي أن أحداً ما وجد لي شيئاً من ذلك.

(ولا خطلة[2] في فعل): أي ولا زللاً في فعل من الأفعال.

(ولقد قرن الله به ﷺ من لدن كان فطيماً): يريد أن الله لعظم عنايته بالرسول وشدة رعايته له لما يريد به من الكرامة والشرف بالرسالة إلى الخلق:

(أعظم ملك من ملائكته): أقربهم عنده، وأشرفهم لديه، فجعله مقارناً له من عند فطامه، ولدن من ظروف الأمكنة، وفيها لغات كثيرة[3] وهي مضافة إلى ما بعدها.

(يسلك به طريق المكارم): أي لا مكرمة إلا وهو يلهمه لها ويأمره بفعلها.

(ومحاسن أخلاق العالم): أي ويرشده إلى أعظم خصال العالم المحمودة.

(١) كتب فوقها في (ب): معاً، وهو يعني بذلك أن الفعل وجد يصح أن يكون مبنياً للمعلوم (وَجَدَ) وأن يكون مبنياً للمجهول (وُجِدَ).
(٢) في (ب) ونسخة أخرى: ولا خطلاً.
(٣) من ذلك ما ذكره في مختار الصحاح ص٥٩٦ في مادة (لدن) قال: وفيها ثلاث لغات: لَدُنْ، ولَدَى، ولَدْ.

ويحكى أنه كان يوماً يلعب[1] مع الصبيان فكشفوا عوراتهم، وأخذوا أُزُرهم[2] على عواتقهم يشيلون[3] عليها الأحجار، فلما رآهم صلى الله عليه وآله فعل مثل ما فعلوا، قال: «فجاءني رجل[4] فلكمني[5] لكمة شديدة وقال: ائتزر بإزارك»[6].

(ليله ونهاره): أي حافظاً له في ليله ونهاره عن الإهمال والضياع.

وحكى ابن هشام في سيرته عن الرسول (عليه السلام) أنه قال: «كنت ذات يوم ألعب مع الصبيان، فجاءني رجلان، ومع أحدهما طست[7] مملوءة ماء فأضجعني أحدهما، ثم شقَّ بطني فأخرج منه علقة ثم غسله بذلك الماء، ثم قال لصاحبه: زنه بعشرة من أمته فوزنه فرجح، ثم قال: زنه بمائة

(١) في (ب) ونسخة أخرى: أنه كان يلعب يوماً.
(٢) جمع إزار.
(٣) أي يرفعون.
(٤) أقول وبالله التوفيق: هذا مشكل عليَّ في الرواية والحكاية هذه لأن قوله: ((فجاءني رجل)) ظاهره أنه آدمي، والمقرون به ﷺ أعظم ملك من ملائكته كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن يكون الملك (عليه السلام) تمثل في صورة رجل أو أنه يجوز إطلاق اسم رجل عليه فالله أعلم.
(٥) في (ب): فجاءني رجل فكلمني فلكمني.
(٦) وقريباً منه أورده ابن أبي الحديد رحمه الله في شرح النهج ٢٨/١٣ فقال ما لفظه: وروى محمد بن حبيب في أماليه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((أذكر وأنا غلام ابن سبع سنين، وقد بنى ابن جدعان داراً له بمكة، فجئت مع الغلمان نأخذ التراب والمدر في حجورنا فننقله، فملأت حجري تراباً فانكشفت عورتي، فسمعت نداءً من فوق رأسي: يا محمد، أرخ إزارك، فجعلت أرفع رأسي فلا أرى شيئاً إلا أني أسمع الصوت، فتماسكت ولم أرخه، فكأن إنساناً ضربني على ظهري فخررت لوجهي، وانحل إزاري فسترني، وسقط التراب إلى الأرض، فقمت إلى دار أبي طالب عمي ولم أعد)). انتهى ما ذكره ابن أبي الحديد. وانظر الرواية مع اختلاف يسير في سيرة ابن هشام ١٨٣/١ تحقيق مصطفى السقا وآخرين.
(٧) في (ب): طشت. قلت: وقد حكي بهما جميعاً أي طست بالسين المهملة، وطشت بالشين المعجمة.

منهم فوزنه فرجح، ثم قال: زنه بألف فوزنه فرجح، فقال: لو وزن بجميع أمته لرجح»[1].

(ولقد كنت أتَّبعه اتباع الفصيل أثر أمه): لا أفارقه في أي مكان يكون فيه.

(يرفع لي كل يوم علماً[2]): جديداً من الحكم الأدبية، والآداب النبوية.

(ويأمرني بالاقتداء به): بالمتابعة له في أقواله وأفعاله؛ لما فيها من الحكمة والصواب، ومنافع الدين والدنيا.

(ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء): اختلف العلماء في حاله (عليه السلام) قبل النبوة، فقيل: كان متابعاً لغيره من الأنبياء، وقيل: لم يكن متابعاً لأحد منهم، ثم اختلف القائلون بالمتابعة، فبعضهم نسبه إلى نوح، وبعضهم إلى إبراهيم، وبعضهم إلى موسى، وبعضهم إلى عيسى إلى غير ذلك من الاختلاف[3] والتفرق في الأقاويل، وبعضهم يذهب إلى أن الجهل بحاله هو أبلغ معجز في حقه، فكان (عليه السلام) يحب الخلوات ويكره الأصنام وعبادتها، وكان يخلو بنفسه في حراء أياماً، وحراء: جبل قريب من مكة، وما أتاه الوحي إلا فيه، ولا بدئ بالرسالة إلا في أوقات هذه الخلوة، والله أعلم أي حال كان يفعل، وأي قول كان يقوله، فأما العلم بالله تعالى وانشراح صدره بالصانع وصفاته، والاعتراف بنبوة الأنبياء، والتصديق بهم،

(١) وانظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣/٢٠٥-٢٠٦، وسيرة ابن هشام ١/١٦٦-١٦٧ تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(٢) في شرح النهج: يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً.

(٣) في (ب): الاختلافات.

فهو عالم بهذا لامحالة، ولكن يبقى الكلام هل كان متعبداً بشيء من الشرائع قبل النبوة أم لا، فالله أعلم بحاله في ذلك[1].

(فأراه ولا يراه غيري): لاختصاصي وكرامة لي من الله وتشريفاً لي من جهته بمشاهدتي لذلك وانشراح صدري به، فلم يزل على هذه الحالة حتى أتاه الله بالوحي، ونزل عليه جبريل بصدر سورة إقرأ، وأعطاه الله النبوة، ورفع له الشأن العظيم[2].

(١) وهنا نذكر قول الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (عليه السلام) في ذلك من مجموع رسائله ص٤٥٦ في جوابه على مسائل سأله عنها إبراهيم بن الحسن العلوي رحمة الله عليه ونص السؤال فيه: وسألته صلوات الله عليه عن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان عمله قبل أن يتنبأ، وهل كان على شريعة عيسى صلى الله عليه أم لا؟

[الجواب] فقال -أي الهادي (عليه السلام): سألت عن أمر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما كان على ما كان عليه الأنبياء من قبله منذ خلق الله آدم إلى أن بعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) من الإقرار بالله والتوحيد له، والتعظيم والإجلال والمعرفة به وبعدله، وأنه ليس كمثله شيء، وأنه خالق كل شيء سبحانه وتعالى، وكان مقراً بالأنبياء كلهم، غير جاحد لنبوتهم، وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) ينظر ما يأتي به أهل الكتاب من عظيم محالهم وقبيح فعالهم الذي ذكره الله سبحانه عنهم وذمهم عليه، فكان ينكر فعلهم، ويذم جرأتهم على ربهم، ولم يكن (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ التوراة ولا الإنجيل، ولا يحسن ترجمتهما، وكان يعيب أفعال الذين يقرأونهما لما يأتون به من الأمر الذي لا يرضاه الله ويستكره عقله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولم يكن معهم في شريعتهم، وكان في أصل المعرفة بالله كمعرفة عيسى (عليه السلام)، مقراً عالماً بأن كل ما جاء به موسى وعيسى حق صلى الله عليهم جميعاً. انتهى.

(٢) وقال العلامة شارح النهج رحمه الله ١٣/٢٠٨-٢٠٩ ما لفظه: وأما حديث مجاورته عليه الصلاة والسلام بحراء فمشهور، وقد ورد في الكتب الصحاح أنه كان يجاور في حراء من كل سنة شهراً، وكان يطعم في ذلك الشهر من جاء من المساكين، فإذا قضى جواره من حراء كان أول ما يبدأ به إذا انصرف أن يأتي باب الكعبة قبل أن يدخل بيته، فيطوف بها سبعاً، أو ما شاء الله من ذلك، ثم يرجع إلى بيته، حتى جاءت السنة التي أكرمه الله فيها بالرسالة، فجاور في حراء شهر رمضان ومعه أهله: خديجة وعلي بن أبي طالب وخادم لهم، فجاءه جبريل بالرسالة، وقال عليه الصلاة والسلام: ((جاءني وأنا نائم بنمط فيه كتاب، فقال: اقرأ، قلت: ما أقرأ، فغتني حتى ظننت أنه الموت، ثم أرسلني فقال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾...إلى قوله: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ فقرأته، ثم انصرف عني، فانتبهت من نومي، وكأنما كتب في قلبي كتاب)) انتهى. وانظر سيرة ابن هشام ١/٢٣٦-٢٣٧ تحقيق مصطفى السقا وآخرين.

(ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام): يريد أنه لا قائل بالتوحيد لله تعالى في ذلك[1] من أهل الدنيا:

(غير رسول الله [صلى الله عليه وآله][2] وخديجة وأنا ثالثهما)[3]: إلا رسول الله [صلى الله عليه][4] لما شرح الله به صدره، وأمير المؤمنين؛ لأن الرسول تنبئ يوم الإثنين، وكان إسلامه[5] يوم الثلاثاء، ثم خديجة بنت خويلد، وكانت تحت الرسول (عليه السلام) ذلك اليوم، ثم تتابع الناس بعد ذلك فكان بعدها ولاء إسلاماً زيد بن حارثة، ثم أبو بكر[6]، ثم عمر[7]،

(١) كتب في (ب) فوق قوله: في ذلك، كلمة: الوقت، أي في ذلك الوقت، وظنن على ذلك بقوله: ظ.

(٢) زيادة في شرح النهج.

(٣) قال العلامة شارح النهج في المصدر السابق ١٣/٢٠٩ ما لفظه: وأما حديث أن الإسلام لم يجتمع عليه بيت واحد إلا النبي وهو عليهما السلام وخديجة، فخبر عفيف الكندي مشهور، وقد ذكرناه من قبل، وأن أبا طالب قال له: أتدري من هذا؟ قال: لا، قال: هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وهذا ابني علي بن أبي طالب، وهذه المرأة خلفهما خديجة بنت خويلد، زوجة محمد ابن أخي، وايم الله ما أعلم على الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة. انتهى.

(٤) زيادة في (ب).

(٥) أي إسلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وقد سبق تخريج حديث إسلامه، وللمزيد في ذلك انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٣/٢٢٤-٢٣٠، حيث بسط القول في ذلك وأورد عدداً من الروايات الصحيحة والمشهورة التي تحكي جميعها أن أول الناس إسلاماً بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وانظر المصابيح لأبي العباس الحسني ص١٤٦-١٤٩.

(٦) ويذكر ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٣/٢٢٤، عن أبي جعفر الإسكافي في كتابه (نقض العثمانية) يذكر فيه عن جمهور المحدثين، أن الخليفة أبا بكر لم يسلم إلا بعد عدة من الرجال، منهم علي بن أبي طالب وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذر الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرت.

(٧) أقول: هذا مشكل، لأن المعلوم من حال الخليفة عمر بن الخطاب أنه لم يسلم إلا بعد من عددهم المؤلف هنا بمدة، في قصة مشهورة، ويعضد هذا رواية ابن هشام في السيرة النبوية، وابن أبي الحديد في شرح النهج في ذكر الذين سبقوا الناس إلى الإسلام، حيث يذكرونهم على الترتيب هكذا: خديجة بنت خويلد، وعلي بن أبي طالب، ثم زيد بن حارثة، =

ثم طلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن وقاص[1]، ثم أبو عبيدة بن الجراح، ثم دخل الناس في دين الله أفواجاً[2].

(أرى نور الوحي[3]): يريد إذا نزل جبريل به من السماء.

(وأشم ريح النبوة): بمخالطتي للرسول ومجالستي له ومفاكهتي بحديثه.

(ولقد سمعت رنَّة الشيطان): الرَّنَّةُ: صوت، وعن بعضهم في وصف روضة: أطيارها مُرِنَّة، وأشجارها مُغِنَّة.

(حين نزل الوحي[4]): على الرسول وأتى به جبريل.

(فقلت: يارسول الله، ما هذه الرَّنَّة): التي سمعتها وأنكرتها.

(فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته»): أراد أنها رنَّة توجّع

ثم أبو بكر بن أبي قحافة، ثم عثمان بن عفان، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، ثم أبو عبيدة بن الجراح، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأرقم بن أبي أرقم.

والملاحظ أن المؤلف في روايته هنا لم يذكر إسلام عثمان في حين يذكر ابن هشام، وابن أبي الحديد إسلامه بعد إسلام أبي بكر، وما من شك أن هذا غير خافٍ على المؤلف (عليه السلام)، فالذي يترجح عندي أنه قد وقع في النسخ تحريف من النساخ في قوله: ثم عمر، وأن المقصود به هو عثمان، وكتبت هكذا: ثم عثمن، كما هو المشهور من كتابة ذلك في كثير من النسخ، فوهم وسها النساخ فحرفت إلى القول: ثم عمر، ومما يؤكد أن ذلك غير خافٍ على المؤلف، أن بعض من ترجم له يذكر في أثناء ترجمته مقروءاته، فيذكر في تعداد ذلك: سيرة ابن هشام، وهذا ظاهر، والله أعلم.

(١) سعد بن وقاص، هكذا ورد في النسختين، والصواب: سعد بن أبي وقاص.

(٢) انظر شرح النهج لابن أبي الحديد ١٤/٥٢-٥٣، وسيرة ابن هشام ١/١٦٠-١٦٧، والرواية فيهما هي عن ابن إسحاق، صاحب المغازي.

(٣) في (ب) وفي شرح النهج: أرى نور الوحي والرسالة.

(٤) في شرح النهج: حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله.

وتحزّن عن الأياس عن أن يكون معبوداً.

سؤال؛ كيف قال ها هنا: إن الشيطان قد أيس من عبادته، وليس الشيطان هو المعبود، وإنما المعبود هي الأوثان والأصنام، وغيرها من سائر الجمادات؟

وجوابه؛ هو أن الشيطان لما كان هو الأصل في عبادتها بالدعاء إلى ذلك، والتزيين له بحليتها في أعينهم، وتغريرهم بها، وإغوائهم إلى عبادتها صار كأنه هو المعبود، وقد صرَّح الله بذلك في كتابه الكريم في كونه هو المعبود، كما حكى في قصة إبراهيم لأبيه آزر: ﴿**يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ**﴾[مريم:٤٤]، وقال في آية أخرى: و﴿**لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**﴾[يس:٦٠] فسماه الله معبوداً لما كان داعياً إلى عبادتها، وفي هذا من الإيقاظ والتنبيه على أن من دعا إلى بدعة وأحياها وحث عليها فهو بمنزلة المبدع لها والفاعل لأصلها ما لا يخفى حاله على ذي فطنة.

((**إنك تسمع ما أسمع**)): حيث سمع الرنة من جهة الشيطان.

((**وترى ما أرى**)): من نور الوحي.

((**إلا أنك لست بنبي**[1])): لأن الرسالة مختومة بي فلا نبي بعدي.

---

(١) بعده في شرح النهج: ((ولكنك الوزير، وإنك لعلي خير)) والحديث هو في شرح النهج ١٣/١٩٧، وقال ابن أبي الحديد ١٣/٢٠٩ ما لفظه: وأما رنة الشيطان، فروى أبو عبد الله أحمد بن حنبل في مسنده، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال: (كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة الليلة التي أسري به فيها، وهو بالحجر يصلي، فلما قضى صلاته وقضيت صلاتي، سمعت رنة شديدة فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ قال: ((ألا تعلم هذه رنة الشيطان، علم أني أسري بي الليلة إلى السماء فأيس من أن يعبد في هذه الأرض)). =

(**ولقد كنت معه صلى الله عليه وآله لما أتاه الملأ من قريش**): الأشراف والرءوساء منهم.

(**فقالوا له: يا محمد، إنك قد ادعيت أمراً عظيماً**): عظم في أذهانهم لما فيه من مخالفة الآباء من إزالة هذه الأوثان، وخلع هذه الأصنام من بين أيديهم والكف عن عبادتها، وإسناد الإلهية إلى الله تعالى وحده لا إله معه، لما دلَّ عليه العقل وقامت عليه البراهين النيرة، فمن أجل هذا استعظموه.

(**لم تدّعه**[1] **آباؤك**): لأنهم كانوا مستمرين على عبادة الأوثان، وهم أهل الرئاسة في مكة: هاشم ثم عبد المطلب، ثم أبو طالب، فهؤلاء كلهم سادوا الناس بمكة، وهم عاكفون على عبادة الأوثان، داعون إليها بالجد والاجتهاد[2].

إلى أن قال: وروي عن جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، قال: كان علي (عليه السلام) يرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له صلى الله عليه وآله: ((لولا أني خاتم الأنبياء لكنت شريكاً في النبوة، فإن لا تكن نبياً، فإنك وصي نبي ووارثه، بل أنت سيد الأوصياء وإمام الأتقياء))، وذكر هذين الحديثين العلامة يحيى بن إبراهيم جحاف رحمه الله في كتابه (إرشاد المؤمنين إلى معرفة نهج البلاغة المبين) ٢/٥٠٨-٥٠٩.

(١) في شرح النهج: لم يدّعه.

(٢) أقول وبالله التوفيق: وقد ورد الخبر الدال على كون آباء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا على دين النبي إبراهيم (عليه السلام)، ومن ذلك ما أخرجه أبو العباس الحسني رحمه الله في المصابيح في السيرة ص١٧٠ برقم (٥٤) قال: أخبرنا محمد بن جعفر بإسناده عن جعفر بن محمد قال: قال علي (عليه السلام): (ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط، قيل: وما كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم الخليل متمسكين به). كما أخرج أبو العباس أيضاً في المصدر المذكور ص١٦٩ برقم (٥٣) حديثاً في جد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد المطلب بن هاشم ينفي عنه عبادة الأصنام فقال ما لفظه: أخبرنا محمد بن جعفر القرداني بإسناده عن جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((يبعث عبد المطلب يوم القيامة أمة واحده، قال: وكان لا يستقسم بالأزلام، ولا يعبد الأصنام، ويقول: أنا على دين إبراهيم (عليه السلام)))، وأخرجه الإمام أبو طالب (عليه السلام) في أماليه ص٤٨٨ برقم (٦٥٣) =

(ولا أحد من[1] بيتك): لأحد من بني هاشم، ولا أحد من بني عبد المطلب، فهؤلاء هم بيت الرسول (صلى الله عليه وآله)، والملتصقون به بالقُعدد[2].

(ونحن نسألك أمراً): نمتحنك بامتحان، ونستعجزك بشيء من المعجزات.

(إن[3] أجبتنا إليه): بأنك تفعله لنا، ويفعله الله تعالى[4] لك تصديقاً لما أنت فيه.

(وأريتناه): عياناً ومشاهدة لا شك فيه.

(علمنا أنك نبي): رفع الله درجتك علينا، وأعطاك مالم يعطنا.

(ورسول): إلينا من جهة الله بما أرسلك من الشرائع، وإزالة الأصنام هذه.

(وإن لم تفعل): ما اقترحنا عليك فعله مما نقوله لك.

(علمنا): تحققنا وقطعنا.

(أنك ساحر): بيِّن السحر فيما جئت به من غير هذه المعجزة.

عن أبي العباس الحسني رحمه الله تعالى قال: أخبرنا محمد بن جعفر القرداني، قال حدثنا علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه، عن محمد بن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وذكر الحديث السابق بلفظه.

(١) في نسخة: ولا أحد من أهل بيتك (هامش في ب).

(٢) في أساس البلاغة ص ٣٧٢ مالفظه: وهو أقعد منه نسباً: أقرب منه إلى الأب الأكبر، وهو قُعدد، وورثته بالقعدد صفة للنسب. انتهى.

(٣) في شرح النهج: إن أنت أجبتنا إليه.

(٤) تعالى، زيادة في (ب).

(كذاب): على الله في زعمك أنه أرسلك.

(فقال لهم رسول الله[1]): لما سمع مقالتهم وأنهم ما طلبوا فيها شططاً، حملاً لهم على كاهل السلامة، وإبلاغاً للحجة عليهم وقطعاً لمعذرتهم.

(«وما تسألون»): ما مطلوبكم من المعجزات التي تريدون حصولها من جهة الله تعالى.

(قالوا: تدعو لنا هذه الشجرة): تناديها بصوتك فتجيبك.

(حتى تنقلع بعروقها): الراسخة في الأرض.

(وتقف بين يديك): على جهة الطاعة لأمرك، والانقياد لمرادك.

(فقال صلى الله عليه وآله: «إن الله على كل شيء قدير»): يريد أن الذي طلبتموه سهل عند الله؛ لأن قادريته لا يعجزها شيء، وهو قادر على كل الممكنات، لكنني أشرط عليكم شرطاً:

(«فإن فعل الله ذلك لكم[2]»): وشاهدتموه معاينة مطابقة لأغراضكم، وإبلاغاً للحجة عليكم.

(«أتؤمنون»): بي وتصدقونني في كل ما جئت به إليكم.

(«وتشهدون بالحق!»): من عبادة الله وحده، وإزالة هذه الأوثان والأصنام من بين أيديكم.

(قالوا: نعم): إقراراً على أنفسهم بالحجة.

---

(١) في شرح النهج: فقال صلى الله عليه وآله.

(٢) في شرح النهج: فإن فعل الله لكم ذلك.

(قال: «**فإني سأريكم ما تطلبون**»): من ذلك بإذن الله.

(«**وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير**»): لا ترجعون إليه، وأنكم تصرون على ما أنتم عليه من التكذيب، وهؤلاء الذين اقترحوا إتيان هذه الشجرة[1] هم: الأسنان من[2] قريش، وأهل الحنكة منهم.

(«**وإن منكم[3] من يطرح في القليب**»): القليب هي: البئر قبل أن تطوى، وهي بئر كانت في بدر من آبار الجاهلية طرح فيها القتلى من قريش، كالوليد بن عتبة، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأمية بن خلف، وأبو جهل بن هشام، فهؤلاء وغيرهم من قريش سحبوا لما قتلوا إلى القليب، وناداهم الرسول بندائه المشهور[4].

(«**ومن يحزب الأحزاب**»): يعني أبا سفيان بن حرب فإنه كان رئيساً للأحزاب، قريشاً وأحابيشها، وكانوا يومئذ عشرة الآف، نزلوا بمجتمع الأسيال، فأهلكهم الله بالصَّبا[5].

(**ثم قال** (صلى الله عليه وآله)[6]): مخاطباً للشجرة، إتياناً بما اقترحوه من ذلك لهم.

---

(١) في (ب): إتيان الشجرة هذه.

(٢) في (ب): في.

(٣) في شرح النهج: فيكم.

(٤) وهو قوله (صلى الله عليه وآله): ((يا أهل القليب، يا عتبة بن ربيعة، ويا شيبة بن ربيعة، ويا أمية بن خلف، ويا أبا جهل بن هشام)) فعدَّد من كان منهم في القليب: ((هل وجدتم وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً))، فقال المسلمون: يا رسول الله، أتنادي قوماً قد جيفوا. قال: ((ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني)) أخرجه ابن هشام في السيرة النبوية٢/٢٨٠ عن ابن إسحاق قال: حدثني حميد الطويل، عن أنس بن مالك فذكره.

(٥) انظر سيرة ابن هشام ٣/١٣٠-١٤٤ تحقيق عمر محمد بعد الخالق، والصُّبا: ريح ومهبها المستوى، أن تهب من مطلع الشمس إذا استوى الليل والنهار. (مختار الصحاح ص٣٥٦).

(٦) في شرح النهج: ثم قال صلى الله عليه وآله.

(«**يا أيتها الشجرة**»): التي عرفوها وعلموا مكانها وأمرها.

(«**إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر**»): تصدقين بالإلهية والوحدانية له، وتقرين بأن الله يجمع الخلائق ليوم لا ريب فيه.

(«**وتعلمين أني رسول الله**»): وتتحققين أني مرسل من عند الله تعالى إلى الخلق، بما أمرني بإبلاغه إليهم.

(«**فانقلعي بعروقك**»): الراسخة في الأرض.

(«**حتى تقفي بين يدي**»): خاضعة مستكينة لما أمرت به.

(«**بإذن الله**»[1]): إما استماعاً لأمر الله إذا أمرك، وإما بعلم من جهته إذا[2] أعلمك بذلك.

سؤال؛ كيف خاطب الشجرة مخاطبة العقلاء، ولا عقل هناك؟

وجوابه؛ هو أن خطاب العقلاء بالأمر إنما هو على جهة فهمه، والإتيان بالمأمور على الوجه الذي أمر به، فأما أمر الجمادات فإنما يكون على جهة الوقوف على حسب الداعية والإرداة، فمتى أراد وجودها، ودعاه الداعي وجب لا محالة، ومتى لم يردها لم توجد أبداً فهذا وجه أمرها، وكونها ممتثلة للأمر.

---

(١) حديث أمر الشجرة التي دعاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخرجه الإمام أبو العباس الحسني في المصابيح في السيرة ص١٤١، وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٣/٢١٤ ما لفظه: وأما أمر الشجرة التي دعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض، قد ذكره المحدثون في كتبهم، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول صلى الله عليه وآله، والأكثرون رووا الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة أمير المؤمنين، ومنهم من يروي ذلك مختصراً أنه دعا شجرة فأقبلت تخدّ إليه الأرض خدّاً. انتهى. ثم أورد حديث الشجرة من دلائل النبوة للبيهقي.

(٢) في (ب): إذ.

(فوالذي بعثه بالحق): قسم ببعض صفات الله تعالى التي لا يختص بها غيره، وهي بعثة الأنبياء، وإنما ذكره ها هنا تشريفاً لمكان الرسول ورفعاً لمنزلته.

(لا نقلعت بعروقها): إذا كان جواب القسم بالفعل الماضي فتارة يكون باللام وقد، كقولك: والله لقد جاء زيد، وقد يأتي بغير اللام كقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾، وقد يأتي باللام من دون قد، كما قال ها هنا: لانقلعت، قال امرؤ القيس:

حلفت بالله حلفة فاجر لناموا

فما إن من حديث ولا صالي[1]

(وجاءت): إلى الرسول (صلى الله عليه وآله): كما أمرها من غير مخالفة لأمره.

(ولها دوي شديد): الدويُّ هو: الصوت العظيم.

(وقصيف كقصيف[2] أجنحة الطير): والقصيف: الصوت الهائل، يقال: رعد قاصف إذا كان شديد الصوت، وريح قاصف أيضاً كأنها تقصف ما قابلها[3] أي تكسره، وهذه الجملة ابتدائية في موضع نصب على الحال من الضمير في جاءت.

(حتى وقفت بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) مرفرفة): أراد أن أوراق أغصانها متدلية على الرسول، مضطربة من الريح، يقال: رفرف الطائر بجناحيه إذا حركهما للوقوع.

---

(١) لسان العرب ١/٦٩٦.
(٢) في شرح النهج: وقصف كقصف.
(٣) في (ب): ما قابلهما.

(وألقت بغصنها الأعلى على رسول الله[صلى الله عليه وآله][1]): أراد الأعظم من أغصانها وضعته عليه، متدلية شجونة[2] ومتهدلة أوراقه عليه.

(وببعض أغصانها على منكبي): المنكب هو: ملتقى الكتفين من الإنسان، وإنما قال: بغصنها فأفرده في حق الرسول، وببعض أغصانها فجمعه في حقه لأنه أوسطها ربما كان غصناً عظيماً هو أعظمها، فلهذا ألقته على الرسول وسائر أغصانها القليلة وضعتها على منكب أمير المؤمنين يريد أطرافها.

سؤال؛ أراه قال: «أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر، وتعلمين أني رسول الله» فذكر هذه الأمور الثلاثة من بين سائر علوم الدين التي يجب على الإنسان الإقرار بها، والتصديق، كصفات الله تعالى، ومعرفة حال الثواب والعقاب، والإقرار بسائر الأنبياء، فلم خص هذه الأمور الثلاثة من بين سائر العلوم الدينية؟

وجوابه؛ هو إنَّما خصَّ هذه الأشياء الثلاثة تعريضاً بحال هؤلاء الكفرة في كونهم منكرين لها غاية الإنكار بإثبات الشركاء لله، ونفي الوحدانية، وإنكار اليوم الآخر، وهو غايتهم وهجيراهم، ثم إنكار النبوة أيضاً، وهو الذي عليه تعويلهم في هذه الحالة، فلا جَرَمَ خصَّ هذه الأمور الثلاثة مبالغة في أنه لا بد لكل أحد من التصديق بها، وتنبيهاً على أنها هي التي وقع فيها معظم خلاف الملل الكفرية من المشركين وغيرهم، وتعريضاً بحال

---

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) الشّجنة بكسر الشين وضمها: عروق الشجر المشتبكة. (مختار الصحاح ص٣٣٠).

هؤلاء الكفرة في إنكارها، فأراد أن خلاصة هذه المعجزات من جهة لا تكون إلا بعد الإقرار بها.

(**وكنت عن يمينه [صلى الله عليه وآله]**[1]): أشاهد هذه المعجزة، وأنظر كُنْه حالها، وعجيب دلالتها على تصديقه وتقرير نبوته.

(**فلما نظر القوم إلى ذلك**): نظر إعجاب بما رأوا وتفكر حيرة من لطيف صنع الله تعالى.

(**قالوا علواً**): عن الاعتراف بالنبوة، وتمادياً في ضلال الكفر والجحود.

(**واستكباراً**): عن قبول الحق وأنفة منه، وعلى جهة التعنت، ومساعدة الأهواء.

(**فمرها فليأتك نصفها**): تنقسم نصفين فيأتي نصفها.

(**ويبقى نصفها**): في مكانه وعلى[2] ما كان مستقراً ثابتاً.

(**فأمرها**): بذلك إبلاغاً للحجة وقطعاً للمعذرة ومساعدة لهم فيما اقترحوه من هذه الآية.

(**فأقبل إليه نصفها**): متصاغراً لأمر الله، وممتثلاً لما أراده.

(**كأعجب إقبال**[3] **وأشده**): في الحضور والوجود، والكاف هذه متعلقة بمحذوف، إما في موضع الحال، وإما أن يكون نعتاً لمصدر محذوف، أي إقبالاً كأعجب ما يكون من الإقبالات.

---

(١) زيادة في شرح النهج.

(٢) في (ب): على، بدون واو.

(٣) في (ب) وفي نسخة أخرى: الإقبال.

(**دوياً**): تخرُّ مصوِّتة[1] بصوت عظيم إجابة للأمر، ومسارعة في مطابقة المراد.

(**فكادت تلتف برسول الله[صلى الله عليه وآله]** [2]): تشتمل عليه من عن يمينه وشماله.

(**فقالوا كفراً**): إغراقاً[3] في الكفر وإسراعاً فيه.

(**وعتواً**): قصد المكابرة ورد الحق بعد ظهوره.

(**فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان**): فتكون الشجرة على حالتها الأولى من غير مخالفة في حالها.

(**فأمره رسول الله [صلى الله عليه وآله]** [4] **فرجع**): فاستمرت حالة الشجرة كما كانت من قبل.

واعلم: أنهم ما كان مرادهم بهذه الاقتراحات إلا العناد واللجاج، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾[5][الأنعام:٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾[الحجر:١٤] وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾[الأنعام:٧] إلى غير ذلك من الآيات،

---

(١) مصوتة، سقط من (ب).

(٢) زيادة في (ب) وشرح النهج.

(٣) في (ب) وفي نسخة أخرى: اغترافاً.

(٤) زيادة في (ب) و في شرح النهج.

(٥) وردت الآية القرآنية الشريفة في النسختين هكذا: ﴿ولو جاءتهم كل آية لا يؤمنوا بها﴾، وهو سهو من النساخ، والصواب كما أثبته من القرآن الكريم، إلا أن يكون المراد قوله تعالى في سورة يونس الآية: ٩٧، فلفظها هكذا: ﴿ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾.

ولهذا قال عبد الله بن أمية لرسول الله صلى الله عليه وآله: لن نؤمن لك حتى تتخذ إلى السماء سلماً، ثم ترقى فيه، وأنا أنظر إليك حتى تأتيها، ثم تأتي معك بصك منشور، معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول[1].

(فقلت أنا): لما رأيت ما هالني من هذه المعجزة.

(لا إله إلا الله): شهادة له بالوحدانية، ولو كان معه إله غيره لم يكن الأمر هكذا.

(أنا[2] أول مؤمن بك يارسول الله): لما ظهر من المعجزة الباهرة على صدق نبوتك.

(وأول من أقرّ بأن الشجرة فعلت ما فعلت): من الامتثال لأمر الله في مجيئها وذهابها، وانقسامها بنصفين، إلى غير ذلك من أحوالها العجيبة التي شاهدت.

(بأمر الله تعالى[3]): لا بسحر من جهة أحد، ولا بعمل من جهة الشياطين والكهّان؛ لأن مثل هذا لا يمكنهم فعله على هذه الحالة، مع أنه لم يحضر واحد منهم.

(تصديقاً لنبوتك[4]): من جهة الله تعالى.

---

(١) الكشاف ٢/٦٤٩، والرواية عن عبد الله بن عباس.

(٢) في شرح النهج: إني.

(٣) تعالى، زيادة في شرح النهج.

(٤) في شرح النهج: بنبوتك.

(وإجلالاً لكلمتك): عن المخالفة والرد.

(فقال القوم كلهم): لما رأوا ما رأوا من ذلك، وبهرهم[1] الحال وأعجزهم ذلك، وما وجدوا وجهاً في ردّه وإبطاله.

(بل): إضراب عمّا تضمنه الكلام، والتقدير فيه: ليس بنبي بل:

(ساحر): من جملة السحرة.

(كذاب): على الله في دعوى الرسالة من جهته له.

(عجيب السحر): دقيق السحر داخل في الإعجاب كل مدخل، أو يعجب من رآه وسمعه.

(خفيف فيه): قد صار ماهراً، فيده خفيفة في ذلك.

(وهل يصدقك في أمرك): هذا الذي ادّعيته وهو النبوة من عند الله تعالى[2].

(إلا مثل هذا يعنونني[3]): يشيرون بذلك إلى ضعف عقله حيث كان صغيراً في تلك الحالة، أويريدون من كان من أهلك لا يحب جري النقص عليك في التكذيب.

(وإني لمن قوم لاتأخذهم في الله لومة لائم): يشير بذلك إلى كونه

---

(١) في (ب): وقهرهم.

(٢) تعالى، زيادة في (ب).

(٣) بعده في المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني رحمه الله ص١٤١: فقال ﷺ: ((حسبي به ولياً وصاحباً ووزيراً، قد أنبأتكم أنكم لا تؤمنون، والذي نفس محمد بيده، لقد علمتم أني لست بساحر)).

من أفاضل الصحابة، وأعظمهم حالاً وأشرفهم منزلة، وأخوفهم بالله[1]، وأعرفهم بحقه.

(سيماهم سيما الصديقين): علامتهم علامة الصدق والوفاء.

(وكلامهم كلام الأبرار): لا ينطقون إلا فيما يكون صلاحاً في الدين والدنيا كما يفعله أهل الصلاح والبر.

(عُمّار الليل): بالركوع والسجود، والتلاوة وأنواع الخضوعات والتذللات.

(ومنار النهار): يستضيء بهم الخلق في نهارهم عن الشُّبه، ويهتدون بهم عن ظلمات الجهل.

(متمسكون بحبل القرآن): لا يخالفون أحكامه في تحليل ولا تحريم، ويطابقونه في جميع أحواله.

(يحيون سنن الله): يظهرونها، ويحثون الخلق على فعلها.

(وسنن رسوله): وما كان من جهة الرسول من السنن.

واعلم: أن أحكام الشريعة التي فرضها الله تعالى، وأنزلها على الخلق منقسمة إلى ما يكون واجباً، وتعريف وجوبه من جهة الله في كتابه، وهكذا القول في التحريم والندب، يكون طريقه من جهة الكتاب، وربما كانت هذه الأحكام من جهة السنة على لسان الرسول (عليه السلام)، فالكتاب حاكم على السنة، والسنة حاكمة على الكتاب، وكله موكول إلى لسان

(١) كتب فوقها في (ب) علامة تظنين فقال: ظ: لله.

الرسول (عليه السلام)، فلهذا قال: (سنن الله)، يريد ما كان معلوماً من جهة الكتاب، (وسنن رسوله)، يريد ما كان معلوماً من جهة السنة كما قررناه.

(لا يستكبرون): عن أخذ الحق وإعطاءه من جهة أنفسهم.

(ولا يعلون): بالعين المهملة أي لا يترفعون على أحد، وبالغين المنقوطة أي لا يصيبهم غلو فيما هم فيه؛ لأن الغلو هو: إفراط عن الحق وتجاوز له.

(ولا يفسدون[1]): بما يعرض من الفسادات كالحسد والبغض وغير ذلك من الخصال المفسدة للقلوب، ولا يفسدون في الأرض بالبغي والقتل والقتال، وإهلاك الحرث والنسل.

(قلوبهم في الجنان): ترتاح بذكر الله، وتشتاق إلى ثوابه، وعظيم ما أعدَّ لأوليائه.

(وأجسادهم في العمل): دائبة في عمل الطاعات، وأنواع العبادات كلها.

وليس يخفى على من له أدنى فطانة ما اشتملت عليه هذه الخطبة من الأنواع الوعظية، وتعليم الحكم الدينية، والإشارة إلى تعريف الآداب الدنيوية بحيث لا يوجد مجتمعاً في كتاب، ولا يحيط به ويستولي على أسراره رمز ولا خطاب.

(١) في شرح النهج: ولا يعلون ولا يَغُلّون ولا يفسدون.

(٢٢٥) ومن كلامه(١) عليه السلام لعبد الله بن العباس

وقد جاءه برسالة من عثمان بن عفان، وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع، ليقل هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل:

ينبع هذه: قرية من قرى الحجاز على ثمان مراحل من مكة، وعلى ثلاث مراحل من المدينة ، والحصر هو: المنع.

واعلم: أنا قد ذكرنا من قبل عند عروض ذكر عثمان طرفاً مما طعن الناس عليه في خلافته في مواضع متفرقة من الكتاب ، ونزهنا أمير المؤمنين عن الرضا بقتله، ولهذا لعن قاتليه، وأنهم لما قالوا له: قتلوه قال:

(تباً لهم آخر الدهر) ولم يتصد(٢) لقتله وحصره إلا أسافل الخلق وأراذلهم. وما أقدم على قتله إلا نفسان أو ثلاثة من الغوغاء، والأوباش، والموالي، وقد كان حصروه في داره ومنعوه عن الشراب والطعام، فأراد الاستعانة بأمير المؤمنين ليخرج إلى ينبع ليسكن الدهماء، ويقلَّ كلام الناس عليه وطعنهم عليه في الخلافة، وقد كان قبل ذلك سأل أمير المؤمنين

(١) في (ب): ومن كلام له.

(٢) وردت في النسخ: يتصدى بإثبات الألف الياني في آخره مع دخول حرف الجزم، وهو خطأ، والصحيح يتصد بحذف حرف العلة في آخره، كما أثبته.

مثل ذلك ولم يَجِدْ(١) عليه فيه.

فقال أمير المؤمنين:

(يا ابن عباس(٢)، ما يريد عثمان): في مقالته هذه لي، وهو أن يسألني أن أحول بينه وبين الناس، ثم أمرني بترك ذلك.

(أن يجعلني إلا جملاً ناضحاً بالغرب): الناضح: هو البعير الذي يسنى به، والغرب هو: الدلو العظيمة.

(أقْبِلْ وأدْبِرْ): أراد أقبل عن رأيه وأدبر عن رأيه، ما أملك من التصرف في نفسي شيئاً.

(بعث إليَّ أن أخرج): إلى ينبع لإصلاح الحال في ذلك.

(ثم): لما خرجت من أجل ذلك.

(بعث إليَّ أن أقدم): واترك الخروج.

(ثم هو الآن يبعث إليَّ أن أخرج!): كلام من لايملك رأيه، ولا يثبت(٣) في أمره، ولا يدري ما يورد ويصدر من الأمور كلها.

(والله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثماً): أراد أنه جادل عنه غاية المجادلة، وخشية الإثم التي ذكرها أمير المؤمنين إنما هو من جهة أن الناس نقموا عليه مظالم أخذها عليهم فدافع عنه حتى خشي أن يكون دفاعه منعاً للناس عن أخذ مظالمهم منه، فلهذا قال: خشيت أن أكون آثماً، يريد من هذه الجهة.

(١) أي يغضب عليه.

(٢) قوله: يا ابن عباس، زيادة في شرح النهج.

(٣) في (ب): ولا تثبّت.

واعلم: أن إهراق دمه لاشك في كونه خطأ، ويدل على خطأهم في قتله، أوجه ثلاثة.

أما أولاً: فلأن ما عرض من هذه الحودات إنما توجب عزله ولا توجب قتله، فإقدامهم على قتله يكون خطأ لا محالة.

وأما ثانياً: فلأنه لو قدَّرنا وجوب القتل عليه، فلأي شيء كان منعه من الطعام والشراب في داره وحصره.

وأما ثالثاً: فلأنه لو استحق القتل، فالمتولي لذلك لا يكون هم سفلة الناس وأوباشهم، وإنما يكون من جهة أهل الدين والمسلمين إذا رأوا لذلك[1] صلاحاً، فبان أن قتله خطأ لا محالة.

---

(١) في (ب): في ذلك.

(٢٢٦) ومن كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد

(والله مستأديكم شكره): أي طالب منكم تأدية شكر أياديه ونعمه عليكم.

(ومورثكم أمره): يريد الأمر والنهي، والإيراد والإصدار، والحل والعقد، والتصرف في الناس بالحق، والسيرة فيهم بالمصلحة[1] العامة، والأمر الذي يرضيه، كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾[النمل:٦٢].

(وممهلكم في مضمار محدود): الإمهال هو: التوقف والتلبث، والمضمار هي: المدة تجعل لسباق الخيل، والغرض بمدة تطويله، وغرضه المدة المضروبة في الدنيا.

(لتتنازعوا سبقه): السبق بالتحريك: ما يوضع بين أهل السباق من الأخطار، والتنازع هو: التخاصم، أي كل واحد يدعي أنه السابق فيأخذ السبق.

(فشدوا عقد المازر): الغرض الجد والتشمير في أمر الجهاد، من جهة

---

(١) في نسخة: بالمصالح (هامش في ب).

أن الواحد إذا أراد استنهاض أمر من الأمور[1]، شدَّ عُقْدَةَ إزاره كيلا ينحلَّ فيشغله عن المقصود.

(**وأطروا**[2] **فضول الخواصر**): أراد اقطعوا التنعم بالمآكل الطيبة والتلذذ بها، ولا يشغلكم عن الجهاد، والإطرار هاهنا: القطع، من قولهم: ضربه فأطرَّ يده أي قطعها، وهو بالطاء بنقطة من أسفلها.

(**لا تجتمع عزيمة ووليمة**): العزيمة هو: القطع وتوطين النفس على إمضاء الفعل، وترك التردد فيه، والوليمة: طعام العرس، والغرض من هذا هو أن الجد في الأمور والترفه والتنعم بالطيبات لا يجتمعان، فكنى بهذا الكلام عما ذكرناه.

(**ما أنقض، النوم لعزائم اليوم!**): أراد أن الإنسان إذا كان عازماً على أمر يفعله في الغد ثم نام واستراح في تلك الليلة، فإنه ينقض لا محالة النوم ما كان قد قطع على فعله في الغد، والغرض من هذا هو أن الراحة وتذكرها تفتر عن تحمل المشاق العظيمة.

(**وأمحى الظُّلَم، لتذاكير الهمم!**): يعني أن ظلمة الليل تدعو إلى النوم والاستراحة، وتمحو ما تذكره الهمم من تحمل المشاق في طلب معظمات الأمور وكفاية المهمات.

(١) قوله: من الأمور، سقط من (ب).
(٢) في شرح النهج: واطووا.

(٢٢٧) ومن كلام له عليه السلام اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد الهجرة ويذكر لحاقه به

(**فجعلت أتبع مأخذ رسول الله[صلى الله عليه وآله]**[1]): يريد أني خرجت من مكة أقتص أثره وأسلك طريقه التي سلكها.

(**فأطأ ذكره**): أراد بوطئ الذكر هو أنني[2] كنت أُغطّي خبره وأعلم به من بدء خروجي من مكة إلى أن انتهيت إلى هذه الغاية، فكنى بقوله: (أطأ ذكره) عن هذا المعنى، وهو من لطيف الكناية وغريبها، وأبلغها في الفصاحة وعجيبها.

(**حتى انتهيت إلى العرج**): وهو قرية بين مكة والمدينة، وإليه ينسب الشاعر العرجي[3]، وهو من أولاد عثمان بن عفان، والسبب في ذلك هو أن الرسول ﷺ لما أذن الله له في الهجرة أمر أمير المؤمنين بالإقامة بعده

(١) زيادة في (ب) وشرح النهج.
(٢) في (ب): أني.
(٣) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان الأموي القرشي، المتوفى نحو سنة ١٢٠هـ، شاعر غزل مطبوع، كان مشغوفاً باللهو والطرب، وكان من الأدباء الظرفاء، وهو صاحب البيت المشهور:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وله ديوان شعر مطبوع. (انظر الأعلام ١٠٩/٤).

لردِّ الودائع، وقضاء الديون التي عليه بعده، فلما فرغ من ذلك تبعه يقتصُّ أثره[1]، فكنى بهذه الكناية العجيبة عن ذلك.

وزعم الشريف علي بن ناصر الحسيني أن مراده بقوله: (أطأ ذكره): أي أني أذكر ما وصاني[2] به من أني لا أسلك الجادة خوفاً من قريش[3]، وهذا من تعسفاته، فإن هذه الكناية لا تستعمل فيما ذكره، والأحق في معناها ما ذكرناه، والله أعلم.

(١) قال العلامة محمد بن إسماعيل الأمير في الروضة الندية ص٣٦، عن ابن إسحاق ما لفظه: قال -أي ابن إسحاق-: وأقام علي رضي الله عنه بمكة بعد النبي ﷺ ثلاث ليال وأيامها حتى أدى عنه ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ فنزل معه على كلثوم بن هدم ولم يقم بقبا إلا ليلة أو ليلتين. انتهى. (وانظر المصابيح في السيرة للإمام أبي العباس الحسني ص٢٢٦-٢٢٨، وشرح النهج لابن أبي الحديد ١٣/٣٠٣،٣٠٦).

(٢) في أعلام النهج: أوصاني.

(٣) أعلام النهج -خ-.

(٢٢٨) ومن خطبة له عليه السلام

(فاعملوا وأنتم في نفس البقاء): يريد سعة الحياة ومتنفسها، ومدة الآجال المضروبة.

(والصحف منشورة): لأن الإنسان ما دام حياً تكون صحيفة أعماله منشورة في يد الملك الموكل بها، يكتب فيها كل مافعل وإذا مات طويت.

(والتوبة مبسوطة): لا يزال من لطف الله ورحمته على هذه الحالة حتى يغرغر بالموت ويزول الاختيار، فعندها ينسدُّ بابها، ويطوى بساطها.

(والمدبر يُدْعَى): والمتولي عن الله تعالى، وعن الإقبال إلى طاعته يدعى بالرجز والوعيد، والتخويف الشديد.

(والمسيء يرجى): له العودة[1] والإسراع إلى التوبة.

(قبل أن يجمد العمل): يروى بالجيم، وأراد بجمود العمل انقطاعه، وذهابه بالموت، كالماء إذا جمد فإنه ينقطع عن الجريان، ويروى بالخاء بنقطة[2]، وهو السكون من خمدت النار إذا سكن لهبها، والمعنى فيهما قريب.

(١) في (ب): العود.

(٢) أي يخمد، كما هو في شرح النهج.

(وينقطع المهل): المهل التؤدة والإرواد، وهوالاسم من الإمهال والاستمهال.

(وتنقضي المدة): مدة الأعمار المضروبة لها.

(ويُسدّ باب التوبة): بحضور أمارات الساعة، وزوال الاختيار بالإلجاء.

(وتصعد الملائكة): عن الكتابة والحفظ للأعمال، وتطوي الأعمال كلها.

(فأخذ امرؤ من نفسه): هذا خبر في معنى الأمر، وأراد فليأخذ امرؤ من نفسه، أراد أنه إذا أخذ في طاعة الله تعالى ورضاه، ومنعها عن اتباع الشهوات واستيفاء اللذات في حياته فإنه يكون آخذاً من نفسه ما ينفعها في الآخرة.

(لنفسه): أي من أجل نفسه وهو تمهيد حالها عند الله تعالى، واستحقاق الثواب العظيم من جهة الله تعالى فيحصل له الفوز به.

(وأخذ من حي لميت): أراد وأخذ من حياته بالاجتهاد في الأعمال[1] الصالحة وهو حي لما يكون بعد الموت.

(ومن فاني[2]): أراد إما من[3] الدنيا فإنها فانية منقطعة، وإما مِمَّا في يده من الأموال فإنها فانية منقطعة.

(لباقي): أراد إما الآخرة فإنها باقية لا نهاية لها، وإما الثواب فإنه أيضاً لا انقطاع له.

---

(١) في (ب): بالأعمال.

(٢) في (ب): من فانٍ لباقٍ.

(٣) من، سقط من (ب).

(ومن ذاهب): ومما يذهب عن يديه ويزول بالموت، والتفرق والانقطاع.

(لدائم): وهي الآخرة أو الجنة.

(امرؤ خاف الله): أراد ليخف الله امرؤ.

(وهو معمَّر إلى أجله): يعني والعمر حاصل إلى الأجل الذي قدَّره الله تعالى وحتمه.

(ومنظور إلى عمله): لابد من عرضه على الله تعالى وتحققه وانتقاده، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[الحاقة:١٨].

(امرؤ ألجم نفسه بلجامها): يعني ليلجم امرؤ نفسه بلجامها، وهو كناية عن زجرها بالوعيد وكفِّها بالتخويف.

(وزمَّها بزمامها): أخذاً لذلك من زمام البعير، وهو عبارة عن الخيط الذي تشد بها البُرَة[1] في أنف البعير.

(فأمسكها بلجامها): يريدقبضه إليه.

(عن معاصي الله): مناهيه التي نهى عنها، وقبحها من جهة العقل، وعلى لسان نبيه [ﷺ][2].

(وقادها بزمامها): كما يقاد الجمل المخشوش بزمامه.

(إلى طاعة الله تعالى[3]):

سؤال؛ أراه جعل اللجام في حق المعاصي، وجعل الزمام في حق

---

(١) البُرَة: حلقة في أنف البعير أو في لحمة أنفه. (القاموس المحيط ص١٦٣٠).

(٢) زيادة في (ب).

(٣) تعالى، زيادة في (ب).

الطاعات، وكل واحد منهما يحتاج إلى إكراه النفس على فعل الطاعة، والكفُّ عن المعصية؟

وجوابه: هو أن اللجام لامحالة أملك لرأس الفرس من الزمام لرأس الجمل، فلهذا خصَّ المعاصي باللجام لما في النفوس من محبتها والتقحم عليها، وإيثار الشهوات العاجلة من أجلها، فلا بد من أن يكون في مقابلها زاجر قوي.

فأما الطاعات فانجذاب النفس إليها يكون بداعي الترغيب، فلهذا خصَّها بالزمام لكونها دون ذلك، فالتكليف تارة يكفُّها عن التوثب[1] عن المعصية، وتارة يكون بإكراهها على عمل الطاعة.

(١) ظنن فوقها في (ب): بقوله: ظ: الوثوب على.

(٢٢٩) ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين، وذم أهل الشام

(جفاة): يشير بذلك إلى قسوة قلوبهم وغلظتها وفظاظتها[1].

(طغام): أسافل الناس وأراذلهم، وأنشد المبرد:

إذا كان اللبيب كذا جهولاً فما فضل اللبيب على الطغام

وهم أوغاد الناس.

(عبيد): ليس الغرض أنه جرى عليهم الرق، فإن المعلوم خلافه من حالهم، لكن العرب تكني عن شرار الناس بالعبيد إذ لا حسب لهم، ولا خُلُق يردهم عن اللؤم والقبيح.

(أقزام): جمع قَزَم بالتحريك، وهم: حثالة الناس، قال الشاعر:

وهم[2] إذا الخيل جالوا في كواثبها

فوارس الخيل لا ميل ولا قَزَمُ[3]

(١) في النسخ: وفضاضتها، بالضاد المعجمة، وهو تحريف.

(٢) في نسخة: قوم، (هامش في ب).

(٣) البيت هو لزياد بن منقذ (لسان العرب٣/٨٣)، وأورد البيت ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣١٠/١٣، وقوله هنا: كواثبها، فيه: كتائبها.

(جمعوا من كل أوب): أي من كل ناحية.

(وتلقطوا من كل شوب): أي من كل مكان ذي شوب، وأراد أنهم مشوبون في أنسابهم[1] لا يرجعون إلى حسب صميم[2].

(ممن ينبغي أن يفقّه ويؤدّب): يشير إلى جلافتهم فيحتاجون إلى الأدب، وإلى جهلهم بأحكام الله فيحتاجون إلى التفقه في دينه.

(ويعلّم): الآداب الحسنة، أو معالم الدين إذ هو جاهل بها.

(ويدرّب): يروى بالدال بنقطة من أسفلها، من الدربة بالشيء وهو اعتياده وتكريره مرة بعد مرة للحكمة، قال الشاعر:

وفي الحلم إدهان وفي العفو دربة

وفي الصدق[3] منجاة من الشر فاصدق

ويروى بالذال بنقطة من أعلاها، واشتقاقه من الذربة، وهي حدة اللسان، والأول أقوى.

(ويولّى عليه): جعل هذا كناية عن نقصان عقله، كما يولّى على الصبي والعبد والسفيه.

(ويؤخذ على يديه): كما يؤخذ على أيدي السفهاء عن عمل القبيح، لفقد تمييزهم وتوخيهم للمصالح .

(ليسوا من المهاجرين والأنصار): أهل التقوى والورع،

(١) في نسخة: في آبائهم، (هامش في ب).
(٢) صميم الشيء: خالصه.
(٣) في (ب): وفي الصبر. والبيت هو لكعب بن زهير (انظر لسان العرب ١/٩٦٢).

والأحساب العالية، الذين علموا عن الله وفهموا عن رسوله، وفازوا بالخير كله، وأحرزوا الفلاح بحذافيره.

(ولا من[1] الذين تبوءوا الدار): توطّنوا دار الإيمان والهجرة.

(والإيمان): واتخذوا الإيمان مباءة يسكنون فيها فلا يرتحلون عنها.

(ألا وإن القوم اختاروا): من الرجال في التحكيم.

(لأنفسهم): من أجل ما يتعلق بخاصتهم في ذلك.

(أقرب القوم مما يحبون): يعني أن أهل الشام معاوية وأصحابه اختاروا للتحكيم عمرو بن العاص، وهو يدير الحيلة لهم فيما يحبونه ويكون مصلحاً لحالهم.

(وإنكم اخترتم لأنفسكم): من أجل إصلاحها.

(أقرب[2] القوم مما تكرهون): يعني وأنتم اخترتم أبا موسى الأشعري وليس هذا بسديد الرأي، لأن أبا موسى شاكٌّ أو متهم في صلاح أحوالكم، ومن أجل هذا كان منه من الخدع والمكر في التحكيم ما كان.

(إنما[3] عهدكم بعبد الله بن قيس): يشير إلى تحقيق الشك والتهمة في حقه.

(بالأمس): يعني أبا موسى، فإنه:

(قال[4]): بالأمس.

(١) من، زيادة في شرح النهج.
(٢) في (ب): دون.
(٣) في (ب) وشرح النهج: وإنما.
(٤) في شرح النهج: يقول، وكذا في نسخة ذكره في هامش (ب).

(إنها فتنة): يشير إلى أنهم ليسوا على بصيرة في قتالهم مع أمير المؤمنين.

(فقطّعوا أوتاركم، وشيموا سيوفكم): شام السيف إذا رفعه وغمده في قِرَابه[1]، يقول: فمن هذه حاله لا يستنصح، ولا يكون حكماً فيما يتعلق بالأمور الدينية، فقد وقع منكم الخطأ أولاً بتحكيمه، وهو على خلاف رأيي ومشورتي.

(فإن كان صادقاً): فيما قال من قطع الأوتار، وإغماد السيوف.

(فقد أخطأ بمسيره غير مستكره): أراد فإذا كان شاكاً في قتالهم فَلِمَ سار ولا أحد هناك يكرهه.

(وإن كان كاذباً): فيما قاله من ذلك.

(فقد لزمته التهمة): كيف يأمرهم بتقطيع أوتارهم، وإغماد سيوفهم وهم على الحق وبصيرة[2] الجهاد، فمن ها هنا صار متهماً في دينه، فإذا كان ولا بد من التحكيم وأنتم على عزمه:

(فادفعوا في صدر عمرو بن العاص): الدفع في الصدر كناية عن الخصام والمحاجّة.

(بعبد الله بن العباس): فإنه يقاومه ويصاوله، ولا يغدره ولا يخدعه، فإن عبد الله بن العباس كان في غاية الذكاء والكياسة، فلا يجوز عليه مكر عمرو[3] ولا خديعته.

---

(١) القِرَاب: غمد السيف.

(٢) في نسخة: ونصرة (هامش في ب).

(٣) في (ب): عمرو بن العاص.

(وخذوا مهل الأيام): سكونها، وإروادها بكم.

(وحوطوا قواصي الإسلام): أراد احفظوا من كان بعيداً منكم من أهل الدين.

(ألا ترون إلى بلادكم تغزى): يشير إلى ما اختصوا به من الذل؛ لأنه لو كانت لهم هيبة لم يغزوا إلى عقر دارهم، وربما قيل: ما غزي قوم إلى عقر دارهم إلا ذلوا.

(وإلى صَفَاتِكُمْ ترمى): الصفاة: الحجر الأملس الصلب، يشير بذلك إما إلى نفسه؛ لأنه هو عمدة أمرهم، وإما إلى أفنية الدور أي ترمى بالحجارة.

(٢٣٠) ومن خطبة له عليه السلام، وهي آخر خطبة يذكر فيها آل محمد، صلوات الله [عليه و][1] عليهم أجمعين

(هم عيش العلم): استعارة بالغة، نزَّلهم فيها منزلة العيش، فكما أن الحيوان لا يمكن قوام حياته إلا بالعيش، فهكذا لا يمكن قوام العلم إلا بهم.

(وموت الجهل): لأن من كان حياته في شيء، فموته يكون في نقيض ذلك الشيء.

(يخبركم حلمهم): ما هم عليه من الصفح والتغاظي، وكظم الغيظ.

(عن علمهم[2]): الواسع؛ لأن هذه الأمور إنما تكون حاصلة في حق من علم حقيقة الحال، وأحاط بعلوم الآخرة، أو يريد عن علمهم بما في الحلم من الخصال العظيمة، والآراء المحمودة.

(وصمتهم عن حكم منطقهم): لما كان صمتهم لا يكون إلا عن حكمة وصواب، فإذا انتقلوا عن الصمت كان أدخل في الحكمة أيضاً وأوقع؛ لأنهم ينتقلون من الصواب إلى الأصوب، ومن الحق إلى الأحق.

سؤال؛ النطق أدل على الصواب من السكوت والصمت، فأراه ها هنا

(١) زيادة في (ب).

(٢) بعده في شرح النهج: وظاهرهم عن باطنهم.

جعل الصمت هو الدليل، ومن حق النطق أن يكون أحق بالدلالة؛ لكونه أظهر وأقوى، وأدل على المقصود؟

وجوابه؛ هو أنه أراد المبالغة بما ذكره، فإن الصمت إذا كان دليلاً على صوابهم، وأنهم لا يصمتون إلا عن حكمة، وعصمة من الله تعالى، فكيف حال النطق فهو لا محالة بالدلالة على الصواب أحق، وبه أولى وأخلق.

(لا يخالفون الحق): فيعدلون عنه إلى غيره.

(ولا يختلفون فيه): فيقول بعضهم: هذا حق، ويقول الآخر عكسه وخلافه.

(هم[1] دعائم الإسلام): أساطينه التي يرتفع عليها أساسه وأبنيته، وعليها يظهر مناره.

(وولائج الاعتصام): دخائله الحسنة التي يعتصم بها كل أحد، ويلجأ إليها وتكون عمدة له في إسلامه وديانته.

(بهم عاد الحق في[2] نصابه): يشير إلى نفسه، بعد اضطراب الأمر في خلافة عثمان، وظهور الفتنة بقتله، واضطراب أمر المسلمين في ذلك.

(وانزاح الباطل عن مقامه): ذهب وزال ما كان من الأحاديث الباطلة، أو يشير بذلك إلى حرب معاوية والخوارج، وما كان من الفتنة، بسبب حربهم وحرب أهل الجمل؛ فإن الفتنة هناك كانت عظيمة،

(١) في شرح النهج: وهم.

(٢) في شرح النهج: إلى.

ولكنها صغرت بالإضافة إلى ما كان من عنايته في الدين بحربهم، وتحصيل البصيرة في أحكامهم، فزالت تلك الأمور كلها ببركته، وحميد سعايته، فلهذا قال: انزاح الباطل عن مقامه، يشير إلى تلك الحالات العظيمة، وارتباك الأمر وعظمه من أجل ذلك.

(وانقطع لسانه عن منبته): عن أصله الذي نبت منه، بما كان من اقتطاع الدابر لمن ذكرناه، واستئصال الشأفة.

(عقلوا الدين): فهِموه وأحكموا المراد منه وأوضحوه.

(عقل وعاية[1]): فَهْمَ من وعى وتدبَّر الأمر في أوله وعاقبته، واستبان الرشد في بدايته ونهايته.

(لا عقل سماع ورواية): وليس الغرض مما فهموه هو روايتهم له، وسماعهم لألفاظه؛ فإن مثل هذا لايكون نافعاً، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[ق:٣٧] وبقوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[الحاقة:١٢].

(وإن[2]) رواة العلم كثير): لا يُحْصَوْنَ، يريد قُصَّاص الآثار، ورواة الأخبار.

(ورعاته قليل): الرعاة: جمع راعي، وهو الذي يرعى العلم بالعمل به، ويحوطه بالتفقه فيه.

وبتمام ما ذكرناه وقع الانتهاء من شرح خطب أمير المؤمنين، وهو القطب الأول من أقطاب الكتاب المؤسس عليها كما ذكرناه في صدره.

(١) في شرح النهج: عقل وعاية ورعاية.
(٢) في شرح النهج: فإن.

وأقول: إنها قد اشتملت على الترغيب والترهيب، وبيان صفات الثواب والعقاب، وأحوال الجنة والنار، وأهوال القيامة، وذكر الموت، وغير ذلك من أمور الآخرة وأحوالها ما لا يوجد في كلام الخطباء، ولا تسمح به قريحة واحد من البلغاء، ومصداق هذه المقالة: إن أبلغ من وعظ من المتقدمين الحسن البصري، وأحسن من خطب منهم واصل بن عطاء[1].

وأعجب من خطب من المتأخرين يحيى[2] بن نباتة، وأبلغ من وعظ من المتأخرين أيضاً هو ابن الجوزي[3]، فهؤلاء الأربعة ممن تقدم وتأخر قد فاقوا أهل زمانهم في الخطب والوعظ، وأنت إذا أعملت الفكرة في ذلك، وحققت النظر وجدت كلاماتهم كلها لاتداني أقصر خطبة من خطب أمير المؤمنين، ولا أحقر موعظة من مواعظه الشافية، وما ذاك إلا لأنه سبق وقصروا، وتقدَّم وتأخروا، وآتاه الله من ذلك ما لم يؤت أحداً من العالمين.

(١) هو: واصل بن عطاء الغزال، أبو حذيفة [٨٠-١٣١هـ] رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، ولد بالمدينة، ونشأ بالبصرة، وكان ممن بايع لمحمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية) في قيامه على أهل الجور، له تصانيف منها: أصناف المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين، ومعاني القرآن وغيرها. (انظر الأعلام٨/١٠٨-١٠٩).

(٢) يحيى بن نباته، كذا ورد الاسم في النسختين، والصواب أبو يحيى بن نباته، وهو عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته الفارقي، أبو يحيى [٣٣٥-٣٧٤هـ] صاحب الخطب المنبرية، ولد في ميافارقين (بديار بكر) ونسبته إليها، وسكن حلب فكان خطيبها، واجتمع بالمتنبي في خدمة سيف الدولة الحمداني، توفي بحلب، وله ديوان الخطب المنبرية مطبوع. (انظر الأعلام ٣/٣٤٧-٣٤٨).

(٣) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج [٥٠٨-٥٩٧هـ] عالم بالتأريخ والحديث، مولده ووفاته ببغداد، وهو كثير التصانيف، له نحو ثلاثمائة مصنف منها: تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار، وروح الأرواح، وتلبيس إبليس، والمدهش في المواعظ وغرائب الأخبار، والمنتظم في تأريخ الملوك والأمم وغيرها. (انظر الأعلام ٣/٣١٦-٣١٧).

فهرس الموضوعات

١٧٠- ومن خطبة له عليه السلام في الوعظ ---------- ١٤٨٧
١٧١-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا ---------- ١٥١٥
١٧٢-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها من تقدم من القرون الماضية---------- ١٥٢٣
١٧٣-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها صفة النار وحالها---------- ١٥٥٤
١٧٤-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها المتقين، ويصف أحوالهم---------- ١٥٧٤
١٧٥-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها المنافقين---------- ١٥٩٩
١٧٦-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها أحوال القيامة ---------- ١٦٠٩
١٧٧-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا ---------- ١٦١٩
١٧٨-ومن خطبة له (ع) [ينبه فيها على فضيلته لقبول قوله وأمره ونهيه]---------- ١٦٢٤
١٧٩-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الإسلام---------- ١٦٣٤
١٨٠-ومن كلام له عليه السلام يوصي به أصحابه---------- ١٦٥٥
١٨١-ومن كلام له عليه السلام يذكر فيه عقوبة من مضى من الأمم والقرون------ ١٦٦٦
١٨٢-ومن كلام له (ع) [في معاوية]---------- ١٦٦٩
١٨٣-ومن كلام له عليه السلام عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام---------- ١٦٧١
١٨٤-ومن كلام له عليه السلام في ذكر الدنيا---------- ١٦٧٦
١٨٥-ومن كلام له عليه السلام يخاطب به أصحابه، وكان كثيراً ما يناديهم به ---- ١٦٧٩
١٨٦-ومن كلام له (ع) كلّم به طلحة والزبير بعد أن بايعه الناس بالخلافة، وقد
عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما ---------- ١٦٨٢
١٨٧-ومن كلام له (ع) وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام ---------- ١٦٨٨

١٨٨-وقال عليه السلام بصفين وقد رأى الحسين يتسرع للحرب ---- ١٦٩٠

١٨٩-وقال عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة ---- ١٦٩٢

١٩٠-ومن كلام له (ع) بالبصرة، لما دخل على العلاء بن زياد الحارثي يعوده ---- ١٦٩٤

١٩١-ومن كلام له (ع) وقد سأله سائل عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الأخبار ---- ١٧٠٠

١٩٢-ومن كلام له عليه السلام يذكر فيه خلق السماء ---- ١٧١٤

١٩٣-ومن خطبة له(ع)كان يستنهض بها أصحابه إلى جهاد أهل الشام في زمانه ---- ١٧٢٠

١٩٤-ومن خطبة له (ع) [في تمجيد الله وتعظيمه] ---- ١٧٢٣

١٩٥-ومن كلام له (ع) يصف جوهر الرسول ويصف العلماء ويعظ بالتقوى ---- ١٧٢٧

١٩٦-ومن دعاء له عليه السلام كان كثيراً ما يتضرع به ---- ١٧٣٥

١٩٧-ومن خطبة له عليه السلام بصفين ---- ١٧٤٠

١٩٨-ومن كلام له عليه السلام على جهة الدعاء ---- ١٧٥٦

١٩٩-ومن كلام له (ع) في ذكر السائرين إلى البصرة لحربه (ع) ---- ١٧٥٩

٢٠٠-ومن كلام له (ع) لما مرَّ بطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عتاب وهما قتيلان يوم الجمل ---- ١٧٦١

٢٠١-ومن كلام له (ع) [في وصف السالك الطريق إلى الله سبحانه] ---- ١٧٦٤

٢٠٢-ومن كلام له (ع) بعد تلاوته: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ---- ١٧٦٦

٢٠٣-ومن كلام له (ع) عند تلاوته: رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ---- ١٧٨٩

٢٠٤-ومن كلام له (ع) قاله عند تلاوته: يَاأَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ---- ١٧٩٩

٢٠٥-ومن كلام له عليه السلام يخاطب به أخاه عقيل بن أبي طالب ---- ١٨١٠

٢٠٦-ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به ---- ١٨١٩

٢٠٧-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا ---- ١٨٢٢

٢٠٨-ومن دعاء له عليه السلام كان يدعو به ---- ١٨٢٧

٢٠٩-ومن كلامه (ع) [يريد به بعض أصحابه] ---- ١٨٣١

٢١٠-ومن كلام له (ع) في وصف بيعته بالخلافة ---- ١٨٣٣

٢١١-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت ---- ١٨٣٥

٢١٢-ومن خطبة له (ع) بذي قار، وهو متوجه إلى البصرة ---- ١٨٤٤

٢١٣-ومن كلام له (ع) كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته، وذلك أنه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالاً ---- ١٨٤٦

٢١٤-ومن كلام له (ع) [في فضل أهل البيت ووصف فساد الزمان] ---- ١٨٤٨

٢١٥-ومن كلام له (ع) [رواه ذعلب اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحية] ---- ١٨٥٤

٢١٦-ومن كلام له (ع) قاله وهو يلي غسل رسول الله (ص) وتجهيزه ---- ١٨٥٨

٢١٧-ومن خطبة له عليه السلام في التوحيد ---- ١٨٦١

٢١٨-ومن خطبة له (ع) في التوحيد، وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة غيرها ---- ١٨٨٤

٢١٩-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الملاحم ---- ١٩١٦

٢٢٠-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت ---- ١٩٢٤

٢٢١-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الهجرة ---- ١٩٣٢

٢٢٢-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الموت وأهواله ---- ١٩٤٠

٢٢٣-ومن خطبة له عليه السلام يذكر فيها الدنيا ---- ١٩٥٦

٢٢٤-ومن خطبة له عليه السلام تسمى: القاصعة ---- ١٩٧٢

٢٢٥-ومن كلامه عليه السلام لعبد الله بن العباس ---- ٢٠٧٢

٢٢٦-ومن كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد ---- ٢٠٧٥

٢٢٧-ومن كلام له (ع) اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد الهجرة ويذكر لحاقه به ---- ٢٠٧٧

٢٢٨-ومن خطبة له (ع) [في المسارعة إلى العمل] ---- ٢٠٧٩

٢٢٩-ومن خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين، وذم أهل الشام ---- ٢٠٨٣

٢٣٠-ومن خطبة له (ع) وهي آخر خطبة يذكر فيها آل محمد (ص) ---- ٢٠٨٨

فهرس المحتويات ---- ٢٠٩٣

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٤٥٣
التاريخ ٢٧/١/٢٠٠٥